

الشيخ
C. 2

[Redacted]

v.1

الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد .

تاريخ الجزائر العام . . .

965

J61A

v.1

~~60 61x82~~

~~[Redacted]~~

~~[Redacted]~~

15 MAY 1970

~~[Redacted]~~

16 MAY 1970

JUN 1-62

~~[Redacted]~~

17 APR 1974

31 May 69

عبد الرحمن بن محمد البخيل الى

تاريخ الجزائر

يشتمل على إيجاز واف مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع اطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والادبية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية مع تراجم العبقريين وارباب القراء ملج مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور الى الآن .

الجزء الاول

يتضمن ست خرائط وست لوحات مصورة

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندي من أخبارهم طرف
المعري

الطبعة الاولى

المطبعة العربية - الجزائر

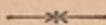
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم



تقديم

أَمَّا بَعْدُ

فباسم الحرية المقدس اتقدم ملياً اخواني حفظهم الله تعالى الذين هم كثيرأما اسمعوني الحاحهم المؤكد في وضع كتاب موضح لتاريخ الوطن الجزائري الكريم جامع للحقائق التاريخية مجردة عن ذكر تفاصيل الوقائع معللة بأسبابها وتأنيها منذ اقدم العصور الى الآن ... مع اشتراطهم عليّ بأن يكون ذلك في اسلوب سهل وتعبير حر ونظام عصري وطريقة واضحة ولعمري ان البعض من هذا في موضوع واسع كهذا لينوء بالعصبة اولى القوة فكيف بهذا العاجز الضعيف ؟ ... فاعتذرت للرفقة الكرام بشتى المعاذير فلم يقبلوا ، وشرحت لهم ضعفى وقصورى امام كل هذه القيود والظروف الضيقة فلم ينصفوا ، بل انهم ثبتوا مصممين على رايم راسخين فيه رسوخاً لا يغيره تنقل الزمان وتلونه ، ولا علل الدهر وحوادثه .. بل ما زادهم ذلك الا صلابة في التمسك برايم وحدة فيه ، ولسانهم الناطق يقول : لا ملجأ ولا منجى لك منه ولا سبيل الا اليه . فله الامر من قبل ومن بعد ...

واخيرا رضخت لطلبهم واسعفتهم في اقتراحهم «مكرها اخاك لا بطل» بوضع هذا السفر المتواضع ، مقتصرا فيه على ذكر الالام فالالهم من حوادث التاريخ الجزائري الماجد ، محكما فيه الروح العلمية والامانة التاريخية المحضة ، متجرداً ما استطعت من كل تمحس او انفعال كيفما كان نوعه او تعدد مثاره . جامعا فيه ما لا يسع الانسان جهله . ولا يحسن - بالجزائري على الاخص - اغفاله ، مكتفياً في بعض المواضع بالاشارة الحاطفة الى ابرز الوقائع واهمها وذلك لضيق المجال عن التفصيل او لقلة فائدته ؛ مع الامساع الى سير العمران والحضارة الجزائرية وسيرة مشاهير الوطنيين من عباقرة الجزائر في مختلف العصور والاحقاب ؛ ونزهرته جهد المستطاع عن كل تعقيد وإبهام ، سالكا فيه مسلكا بسيطاً

لا يحتاج فيه المتعلم الناشئ ولا القارئ العادي الى كدح ذهن ولا جهد فكري ولا اعنات روية . ولا ادعى الفضل في ذلك ، حيث انني لم احب في بشيء جديد او مبتكر حديث وإنما هو جمع وتدوين لما كنت سطرته لنفسي وجمعته من تاريخ وطني العزيز المشتت هنا وهناك ... مع تنسيق نصوصه الوثيقة ووضعها حسب نظامها الطبيعي من فجر التاريخ الى الآن . وتعمدت الايجاز في القسم الاول الخاص بما قبل الاسلام لعدم تعلق الغرض الشديد به اليوم ، واسهت مشعبا البحث في العصور الاسلامية اسهابا يحمل الشاب المسلم الجزائري على احترام بلاده وتمجيد تاريخه اللامع العظيم والثقة بمستقبله الزاهر النير ، مع نفخ روح القومية فيه ، واعداده لوصل حاضرة بماضي ، حتى تسكامل فيه اركان الحياة الاربعة : المحافظة على شخصيته وميزته ، وتقديس اسلافه الاحقاد ، والتمسك بدينه ، والعمل على الاشادة بوطنه ... محتسبا فيما تكبدته في تحريره من المشاق ، وما اضعت في جمع حقائقه وتأليفه من واجبات للنفس والاهل والاعلاق ...!

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

شاكرًا للسادة المقترحين حسن ظنهم وثقتهم بي راحيًا من الباري عز وجل ان يحقق آمالهم وظنهم في هذا الكتاب ويفيض عليه من رضاه ، انه على ما يشاء تقدير نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

تحريرا في الجزائر { رجب ١٣٧٢
مارس ١٩٥٣

رفع الكتاب

اسمك اللهم اتشرف برفع كتابي هذا واهدائه الى مقام رفعة حامل قبس الهداية الاسلامية الى هذه الديار ، ومنقذها من وصمة الكفر والعار ، والمعلل فيها كلمة الله ، والمجاهد في سبيل الله ، الى فاتح افريقية ، وقاهر القوات الرومانية ، وكاسر عادية البيزنطية ، الى منزلزل اقدم القياصرة ، وهازم جحافل جيوش الاباطرة وملوك البرابرة ، الى روح ذلك البطل الخالد والامير الفاتح العظيم ، مفخرة الجزائر ، ودرة تاج تاريخ مجدها في الحاضر والغابر ، سيد الشهداء :

«عقبة بن نافع الفهري»

رضي الله تعالى عنه

الى هذه الشخصية التاريخية العظيمة ، والى تلك الارواح الجريئة الجبارة : ارواح اولئك الشهداء الفاتحين ابطال التاريخ الجزائري المجاد اقدم هذا السفر المتواضع من « تاريخ الجزائر العام » قاصدا بذلك لفت نظر شباب الجزائر الناهض وتوجيهه الى دراسة تاريخها الحافل الجزل لينشأ على تقدير أعمال اسلافه ، والتأسي بعظمائه الكرام . وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

اهم مصادر الكتاب ومراجعته مرتبة ترتيبا اجديا

١٢٦٢	طبع بولاق	خليفة محمود	اتحاف ملوك الزمان (مغرب)
١٣٤٦	طبع الجزائر	محمد بن حماد	اخبار ملوك بني عبيد
	طبع مصر بدون تاريخ	سليمان الباروني	الازهار الرياضية
١٣١٢	طبع مصر	احمد الناصري	الاستقصاء
٣٦-١٩٣٤	طبع مصر	محمد كرد علي	الاسلام والحضارة العربية
	مخطوط	لسان الدين بن الخطيب	اعلام الاعلام
١٩٥٠	طبع رباط	م.م. المشرقي	افريقيا الشمالية ...
١٨٦٦	طبع اوبسالا انرويج	ابن ابي زع	الانيس المطرب
١٣٢٢	طبع الجزائر	يحيى بن خلدون	بغية الرواد
١٨٨١	طبع ليدن	ابن عذارى	البيان المغرب
١٩٠٨	طبع الجزائر	ابن ابي مريم	البستان
١٩٣٦	طبع مصر	امين سعيد	تاريخ الاستعمارين
١٢٨٠	طبع باريس	...؟	تاريخ افريقية والمغرب قبل الاسلام
	مخطوط	احمد ابن العطار	تاريخ بلد قسنطينة
١٣٥٠	طبع قسنطينة	محمد مبارك الميلي	تاريخ الجزائر
١٢٨٩	طبع تونس	محمد الزركشي	تاريخ الدواتين
١٨٩٦	طبع مصر	محمد فريد	تاريخ الدولة العثمانية
١٩٢٩	طبع مصر	اسرائيل ولفسون	تاريخ اللغات السامية
١٩٠٣	طبع الاسكندرية	محمد ابن الامير عبد القادر	تحفة الزائر
١٩٠٦	طبع الجزائر	ابو القاسم الحنساوي	تعريف الخلف برجال السلف
١٣٥٢	طبع مصر	حاضر العالم الاسلامي	تعاليق الامير شكيب ارسلان على كتاب
	مخطوط	ابن رجب جاويز التركي	تقايد

١٨٨٦	طبع مجريط	ابن الانار	التكملة لكتاب الصلة
١٣٤٢	طبع مصر	الدكتور احمد بك عيسى	التهديب في اصول التعريب
١٨٩٦	طبع جونية	سليم خطار الدحداح	حياة لاموريسير (معرب)
١٩٤٤	طبع تيطوان	محمد وهبي	خلاصة تاريخ المغرب
١٣٠٩	طبع مصر	سيديو	خلاصة تاريخ العرب (معرب)
١٣٤٤	طبع تونس	ح. ح. عبد الوهاب	خلاصة تاريخ تونس
١٩٢٠	طبع الجزائر	نشر م. ابن ابي شنب	الذخيرة السنية
؟	طبع ؟	الامير عبد القادر	ذكرى العاقل
	مخطوط	ابن زرفة	الرحلة القمرية
١٣١٦	طبع تونس	لسان الدين ابن الخطيب	رقم الحلل
	مخطوط	محمد التلهساني	الزهرة النائرة
	مخطوط	شرح عبد الرحمن الجامعي على ارجوزة الحلقاوى في تاريخ فتح وهران	
١٩٣٨	طبع مصر	حسين مؤنس	الشرق الاسلامي
١٣٠٢	طبع مصر	محمد يرم الخامس	صفوة الاعتبار
١٣٥٣	طبع مصر	شمس الدين السخاوى	الضوء اللامع
١٢٨٤	طبع بولاق	عبد الرحمن بن خلدون	العبر
	مخطوط	محمد بوراس	عجائب الاسفار
١٩٣٧	طبع مصر	عبد الحميد العبادى	علم التاريخ (معرب)
١٩١٠	طبع الجزائر	احمد الغبريني	عنوان الدراية
١٩٣٤	طبع مصر	نشر عبد القادر نور الدين	غزوات عروج
١٩٤٧	طبع القاهرة	حسين مؤنس	فتح العرب للمغرب
١٩٤٢	طبع الجزائر	ابن عبد الحكم	فتوح افريقية
١٩٢٥	طبع تونس	احمد توفيق المدني	قرطاجنة في اربعة عصور
	مخطوط	محمد بوراس	القصص المغرب

١٣٠٣	طبع مصر	عز الدين ابن الاثير	الكامل
١٣٥٠	طبع الجزائر	احمد توفيق المدني	كتاب الجزائر
	مخطوط	محمد العناني	كشف البضائع
١٣٥٠	طبع تونس	ابن ابى دينار	المؤنس
١٣٥٦	طبع الجزائر	احمد توفيق المدني	محمد عثمان باشا
١٩١١	طبع الجزائر	عبد الله البكري	المسالك والممالك
١٨٨١	طبع ليدن	عبد الواحد المراكشي	المعجب
١٣٥٧	طبع مصر	ياقوت الحموي	معجم الادباء
١٨٦٦	طبع ليبسيك	» »	معجم البلدان
١٣٦٦	طبع تيطوان	التهامي الوزاني	المغرب الجاهلي
١٣٤٤	طبع تونس	عثمان الكعك	موجز التاريخ العام للجزائر
١٣٤٢	طبع مصر	على عمر بك	هداية المدرس
١٨٦٤	طبع ليدن	الشريف الادريسي	نزهة المشتاق
١٢٩٩	طبع بولاق	ابن خلكان	وفيات الاعيان

Les origines Berbères - Louis Rinn - Alger, 1889.

Histoire d'Algérie - S. Gsell, Marçais, G. Yver - Paris, 1929.

Histoire de l'Algérie - E. Cat - Paris, 1929

La Question Algérienne - N. d'Orient, M. Laew - Paris, 1936

Essai chronologique sur les Musulmans célèbres de la ville d'Alger - Joachim de Gonzalez - Alger, 1886.

Domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger - M. Walsin Esterhazy - Paris, 1840.

Les civilisations de l'Afrique du Nord - V. Piquet - Paris, 1917.

Histoire de l'Algérie - G. Esquer - Paris, 1950.

Histoire d'Alger - De Grammont - Paris, 1887.

Histoire de Constantine sous les Beys - E. Vayssettes - Constantine, 1869.

أهمية التاريخ في نظر العلماء والفلاسفة

علاء العرب :

التاريخ للزمان مرآة ، وتراجم العلماء للمشاركمة والمشاهدة مرقاة ، واخبار
الماضين لمن عاتته الهموم ملهاة ، وقد افاد التاريخ حزمًا وعزمًا ، وموعظة وعلماً ،
وهمة تذهب همًا ، ويانأ يزيل وهناً ووهماً ، وصبراً يبعث التأسى بمن مضى ،
واحشاماً يوجب الرضى بما خفي وجلًا من القضاء . « وكلا نقص عليك من انباء
الرسل ما ثبت به فؤادك . لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب . »

الصلاح الصفري

لم استعن على دفع كذب الكذابين بشيء مثل التاريخ .

مساهمه بن يزير

اذكر من مضى واعتبر بمن خلا ، تنزل غرتك . وتزد بصيرتك .

ابو منصور المعالي

الجاهل بالتاريخ راكب عمياء ، وخابط خبط عشواء ، ينسب الى من تقدم اخبار
من تأخر ، ويعكس ذلك ولا يتدبر

اصمحر بابا التبتلي

لا حياة لامة إلا بياحياء ماضيها

الركنور مسين هيسكل

لا مرأ في ان التاريخ هو اكبر عامل على الروح الوطنية حتى ليصح القول
بأن الوطن هو تاريخ الوطن .

عبر الرمحه صرقي

جاء في الحكمة اليونانية ان في تعليم التاريخ تعليم للفلسفة بالامثلة

.....

انه لا يتصور على وجه الكثرة وجود امّة تشعر بذاتها ، وتعرف نفسها قائمة بنفسها الا اذا كانت حافظة لتاريخها ، واعية لماضيها ، متذكّرة لاولياتها ومبادئها ، مقيدة لوقائعها ، سلسلة لانسابها ، خازنة لآدابها مما لا يقوم به الا علم التاريخ الذي هو الوصل بين الماضي والمستقبل ، والرباط بين الآن والمستأنف

الامير شكيب ارسله

ان قلم تواريخ العالم ووقائعه هو قلم المعاد الروحاني فانه يحضر ما مضى من العالم وحوادثه ويعيده لك في صورة الخيال فتراه بقلبك وتشاهده بصيرتك

ابيه القيم الحوزية

واخذع الاحياء ما شئت فلن تجد التاريخ في المنخدعين

أصمّر سوفي

التاريخ من أعظم العلوم ادبا ، واعذبها منبعا ، واهناها مشربا ، وانورها مطالعا ، واحلاها في القلوب موقعا ، لم تزل محاسنه تروق ، وفوائده تفوق ، وفرائده تشوق ، به تعرف اخبار من سلف من العرب والعجم ، واحاديث ذوى المراتب والهمم ، وتستفاد منه محاسن الاعيان ، وتفهم مواقف الشجعان ، ومقاتل الفرسان ، واوراق مواليدهم ، ومدد اعمالهم ، ومواضع منازلهم ، ومعاهد ديارهم ، وسيرة الكرماء في كل وقت ، ومن اختص بفيض هباته بالهيئة وغيره بالمت ، وكل عالم وعمن اخذ فنون علمه ، وكل اديب ومحاسن ثره وبديع نظمته ، والنظر في السنة الشريفة واسماء رجالها ، ومراتب رواتها ، وطبقات فرسان مجالها ، حتى كأن الواقف عليه قد ادرك كلا منهم في عصره ومصره ، ونظره

في ساحة ميدانه ومشيد قصره ؛ وراى الالمة واصبح للعلوم من افواههم متلقيا ،
وعلم من كان بجدة وهزله الى ورود العليا مرتقيا ، او كأنه قد شاهد كسرى في
ايوانه ، وهو يقص الرؤيا على موبدانه ، وعاصر سيف بن ذى يزن في اوانه ،
وجالس ابن اب الصلت ينشده على قصر غمدانه ، وفي كتاب الله عز وجل وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم من اخبار الامم السابقة ، وانباء القرون الخالية ، ما فيه
عبرة لذوى البصائر ، واستعداد ليوم تبلى فيه السرائر ، وقد اختار الله لنا ان نكون
آخر الامم ، واطلعنا على اخبار من تقدم ، لتعظ بما جرى على القرون الخالية ،
وتعيها اذن واعية

ابهم ساكر الكعبي

لا تستطيع الامم ان تهض نهضة صحيحة الا إذا فهمت ماضيها احسن
فهم واتخذت منه في حاضرها قنطرة الى المستقبل
من تقرير اللجنة الثقافية للجامعة العربية

ان الامة التي يستهين ابناءؤها بماضيها ، ويزهدون في اخبارها ، لا يؤمن
حاضرها من استخفافهم ، ولا تصان كرامتها من استهتارهم ، كما لا تسلم نفوسهم
من الهوان ، اذ لا مناعة لعصيتهم القومية ، ولا عصمة لعزتهم الوطنية ، ان
حياة الامة هي سلسلة متصلة ووحدة لا تتجزأ ، فمن لا يعتز بماضيها .
لا يصلح ان يرعى زمام حاضرها

من كفة الامير محمد الحسني

مندوب سورية في مؤتمر الآثار في البلاد العربية

ان من لا ماضى له لا حاضر له ، ومن لا حاضر له لا مستقبل له

من خطاب اصمحر فخرى

مندوب اليمن في مؤتمر الآثار في البلاد العربية

ان للتاريخ اثرا كبيرا في الثقافة العامة ، فهو سجل الايام من سياسة
وعمران وفن وادب
مجلة الهلال (ديسمبر ١٩٣٠)

عليكم بمطالعة التواريخ فانها تلقح عقلا جديدا

من وصية ابي هياره لدولته

علم الملوك النسب والخبر ، ودرس كتب الحروب والسير
حكمة عربية

التاريخ أعمار لا يدركها الفناء ...!

.....

التاريخ معاد معنوى يعيد الاعصار وقد سلفت ، وينشر اهلها وقد ذهبت
آثارهم وعفت ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غرا ، ويلقى من قبله من
الامم وهلم جرا ، فهم لديه احياء وقد تضمنتهم بطون القبور ، وعنه غيب وقد
جعلتهم الاخبار في عداد الحضور . ولولا التاريخ لجهلت الانساب ، ونسبت
الاحساب ، ولم يعلم الانسان ان اصله من تراب ، وكذلك لولاه لماتت الدول
بموت زعمائها ، ووعى على الاواخر حال قدمائها ، ولم يحط علما بما تداولته
الارض من حوادث سمائها ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من
كتب الله المنزلة ، فمنها ما اتى باخباره المجملة ، ومنها ما اتى باخباره المفصلة ،
وقد ورد في التوراة مفرداً في سفر من اسفارها وتضمن تفصيل احوال الامم
السالفة ومدد أعمارها . وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطها ، والكتاب
وضبطها ، تصرف الى التاريخ جل دواعيها ، وتجعل لها اول حظ من مساعيها ،
فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعتاض برقم صدورها ، عن رقم
سطورها ، كل ذلك عناية منها بأخبار اوائلها ، وايام فضائلها . وهل الانسان
الا ما اسسه ذكره وبناء ...! وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لولا بقاء معناه ...!

عز الدين ابي الخير

علماء الغرب :

إذا تأملنا قصر حياة الانسان ومعرفتنا المحدودة حتى بما يقع في زمننا ، فلا شك اننا نشعر بأننا كنا نبقى اطفالا في ادراكنا لو لم يقيض لنا هذا الاختراع الذي يرجع مخبرتنا الى جميع العصور الماضية ، والى اقدم الامم الخالية ، ويجعلها تمدنا بأسباب التقدم في الحكمة كما لو كانت تحت نظرنا واسماعنا . ان الرجل المطلع على التاريخ يمكن ان يقال عنه من بعض الوجوه انه يعيش منذ بداية العالم وانه دائم الاستعداد من كل مملكة يمر بها مدداً يضيفه الى المدخر المخزون من معارفه .

دافيد هيرش

فيلسوف ومؤرخ واقتصادي ايرطاني

... وان امة تغفل تدوين تاريخها وتهمل المحافظة على نتائج قرائنها لتورثها لخليفتها لآيئة حتما الى احط انواع الهمجية مهما كانت درجتها في الحضارة والعمران .

الركنور ولفس

أستاذ اللغات السامية بجامعة مصر

... وما التاريخ قديمه وحديثه إلا بمثابة نظارات ينظر بواسطتها الى النفس البشرية والى العقل البشرى تبعا لخطواتها في مضمار الحياة ... وان المؤرخ هو الذي يلمس بيدى عقله قروح الانسانية ويعرف مواطن علاتها ، لانه يقرأ في كتاب الحياة فصولا متنوعة تشمل جميع اطوارها وادوارها ؛ وهو نفسه صحافي الازمنة الغابرة ، ومعلم الازمنة الحاضرة .

وليم فانفليس

التاريخ مشكلة الحقيقة ، وشاهد الماضي ، ورائد المستقبل

بيسمرو

خطيب سياسي روماني

ان دارسة التاريخ تنشط الفكر وتفتقه وتساعد بطرق شتى

الاستاذ المولى

لقد بان لى ان دراسة التاريخ دون سواها اصلح الدراسات لتعويد الانسان الفضائل الخاصة والعامة

الفيلسوف بولس كيرك

سياسى وفيلسوف انكليزى

ان التاريخ حرى بأن يكسبنا تصورا صحيحا لما هو عارض موقوت ، بالقياس الى ما هو ابدى باق فى حياة الانسان

الرئيس كيرك

استاذ الفلسفة الاخلاقية بجامعة جلاسكو

من المحقق ان العلم بالتاريخ من حيث هو مجمع الحوادث وملاكها لا يستغنى عنه من يريد تكوين تصور كامل متزن للعالم بوجه عام ، ان التاريخ هو وحده القادر على ان يضع ظواهر الحاضر فى وضعها الصحيح ، والتاريخ هو القادر على ان يجلو لعين الباحث ميدان الحياة كاملا غير منقوص ، والتاريخ هو وحده القادر على ان يمكن الضائع الذى يقضى يوم راحته تحت خيمة هذا الوجود الخفية من ان يطلع على غرائب ما يحيط به من مظاهر الابدية

هرشمو

أستاذ التاريخ بجامعة لندن

ان التاريخ مدرسة السياسة ، وبدون مقدار يسير منه على اقل تقدير لا يمكن الانسان ان يعنى عناية معقولة بالشؤون السياسية ، وبدون حظ موفور منه لا يمكنه ان يصدر حكما معقولا فى اى شأن من شؤونها ، ان التاريخ دراسة هامة لكل مدنى ، بل هو الدراسة الهامة الوحيدة الخليفة برجال الحكم والتشريع

مولهى سبلى

مؤرخ انكليزى

ان حوادث التاريخ هي مصدر الاستنباط والاستنتاج الذي يعتمد عليه
العالم الاجتماعى
أوقويوست كومبى
فيلسوف فرنسى

ان الشعب الذى يريد الرقي يجب عليه ان لا يقطع الصلة التى تربطه بماضيه ،
اي يجب ان يحترم تقاليده ويراعيها
الدكتور فوستاف لوبون
من رسالة له خاصة كاتب بها الاديب المصرى توفيق يزدى

اذا اردنا ان ندرك معنى الامة الحقيقية ينبغى ان نمتد بها فى الماضى وفى
المستقبل معاً ، واشد الفريقين قوة هم الاموات لانهم هم الاكثرون عدداً وهم
المؤثرون فى عالم الحركات اللاتنبهية الذى يخضع لسلطانة العقل والاخلاق فى جميع
المظاهر . فالامة مسيرة بتأثير امواتها اكثر مما هي مسيرة بتأثير احيائها ، والاولون
هم وحدهم الذين كونوها وهم الذين اوجدوا ما فى الاحياء من الافكار والمشاعر
قرنا بعد قرن ، وإليهم ترجع اسباب حركة اهل العصر ، لان هؤلاء لا يخضعون
لمزاج اسلافهم المادى وحده بل هم متأثرون ايضاً بما كان لآبائهم من المشاعر
والافكار . والحاصل ان الاحياء هم الاموات بلا جدال يشقون برذائلهم كما
ينعمون بما كان لهم من الفضائل والمكرمات .

الدكتور فوستاف لوبون
من كتابه : سر تطور الامم

ما التاريخ ؟ ...

التاريخ في اللغة بالهمز وبدونه والتورخ كذلك بالواو معناه : الوقت ، وهو لفظ عربي صميم . اما ماهيته وتعريفه بالحد الاصطلاحي : فهو علم تعرف به احوال الماضيين من الامم الحالية من حيث معيشتهم ، وسيرتهم ، ولغتهم ، وعاداتهم ، ونظمهم ، وسياستهم ، واعتقاداتهم ، وآدابهم ، حتى يتم بذلك معرفة اسباب الرقي والانحطاط في كل امّة وحيل . ومادته اى العناصر الوجودية الضرورية التي يتكون منها كثيرة متنوعة اهمها الآثار القديمة من الابنية والهيكل والاحجار المنقوشة والمسكوكات المضروبة والملابس والادوات المنزلية وغيرها من كل ما هو من نوعها مثل التقاليد والعادات والاحبار والحوادث المروية والدواوين المجموعة والوثائق الخطية وكل ما تناقله الخلف عن السلف مشفّهة او مشاهدة مع حسن نظر وثبت كما قال ابن خلدون : يفضيان بصاحبهما الى الحق وينسكان به عن الزلات والمغالط ، لان الاخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيه من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروا بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط .

وليس التايخ ايضا مجرد سرد حوادث الحروب ووقائع الامم ، او التعرض لذكر اخبار الملوك والوزراء والكبراء وتعداد الغرائب والعجائب مما يندesh له السوق واشباههم من الناس ، ولا هو كذلك بمحض

سوق حكايات عن تقلبات الدهر وتطوراته التي تعترى كل احد في حياته العادية او ما يتبع ذلك عادة من التألم لفجائع الزمن وجرائم الحداث ؛ كلا !... فان هذا كله من شأن الاخبار والاخباريين وشتان ما بين الاخبارى والمؤرخ ؛ فان المؤرخ يفيدنا بأحوال المجتمع الانسانى الذى هو عمران العالم وبما يعرض لطبيعته من التقلبات مثل التوحش والتأنس والعصبية واصناف تغلبات البشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الاحوال . وما عدا الحقيقة علامتنا ابن خلدون حيث قال كلمته المختصرة الجامعة فى الموضوع : هو تعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ؛ واما الاخبارى فقص .

العرب والتاريخ

انه مما كاد ان يتفق عليه العلماء قديما وحديثا امتياز الامة العربية واختصاصها بهذا العلم وانها مفطورة عليه مشغوفة به وانها جبلت على ذلك بحسب موقع بلادها الجغرافي ومواطنها التي نشأت فيها ، فلا يتوصل الى خبر من اخبار العجم او العرب الا بالعرب ومنهم ، وذلك على ما حكاه ابو محمد بن الحائك الهمداني صاحب كتاب الاكليل : من ان كل من سكن بمكة من العماليق وجرحهم وآل السמידع بن هونة وخزاعة ، احاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية واخبار اهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون اخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الاعاجم من عهد اسعد الى كرب وبختنصر حووا علم الاعاجم واخبارهم وايام حمير ومسيرها في البلاد ، وعنهم سار اكثر ما رواه عبيد بن شريفة ومحمد بن السائب الكلبي والهيثم بن عدي . وكذلك من وقع بالشام من مشائخ غسان خبير بأخبار الروم وبنى اسرائيل واليونان . ومن وقع بالبحرين من تنوخ واياذ فعنه اتت اخبار طسم وجديس . ومن وقع من ولد نصر من الازد بعمان فعنه اتى كثير من اخبار السند والهند وشيء من اخبار فارس . ومن وقع بجبل طيء فعنه اتت اخبار اذينة والجرامقة . ومن سكن باليمن فإنه علم اخبار الامم جميعا لانه كان في دار مملكة حمير وفي ظل الملوك السيادة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ولم يكن ملك منهم يعز الا وعرف البلاد واهلها . والعرب اصحاب حفظة ورواية لحقة الكلام عليهم ورقة السننهم .

ما ذا يشترط في المؤرخ ؟...

يحتاج صاحب فن التاريخ الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال . والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة يمينه ويسن الغائب من الوفاق او بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف ، والقيام على اصول الدول والملل ومبادئ ظهورها ، واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القائمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفاً على اصل كل خبر ، وحيثنذ يعرض خبره المنقول على ما عنده من القواعد والاصول ، فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه

المقدمة

قرار المؤتمر الثقافي العربي الاول لجامعة الدول العربية

المنعقد ببيت مري - لبنان - ٩/٩/١٩٤٧م

- فيما يتعلق بالتاريخ -

وافق عليه المؤتمر في جلسة الثلاثاء ٩ سبتمبر ١٩٤٧

ووافق عليه مجلس الجامعة العربية في جلسته المنعقدة

يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٨

يرى المؤتمر :

اولا : ان يكون محور دراسة التاريخ في المرحلة الابتدائية تاريخ القطر الخاص الذي يعيش فيه التلميذ ، مع العناية بدراسة الصلات بين هذا القطر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وبعده .

ويتم هذا الغرض بدراسة القصص المشوقة وتراجم ابطال التاريخ القومي وتراجم ابطال العرب ممن تجاوز اثرهم حدود بلادهم .

ويشغى الاشارة في ثانيا قصص الابطال الى الحياة الاجتماعية في مختلف العصور ، مع الموازنة بين الحياة الماضية والحياة الحاضرة التي تقع تحت حس التلميذ ، والعناية بالحياة المعيشية لطبقات الشعب .

على انه في السنة الاخيرة من المرحلة الابتدائية يجوز ان يدرس التاريخ على صورة منظمة مع مراعاة تيسيره ليلائم عقلية الاطفال ومدى خبراتهم .

ثانيا : ان يكون محور دراسة التاريخ العربي في التعليم الثانوي النواحي الاجتماعية والوصفية ، مع بيان اثر الشخصيات الفذة والاحداث والوقائع اللازمة لتصوير الحقائق وتبيينها في الازهان ، وتقصى مظاهر التطور والنضج التام .

ثالثا : ان يشمل القدر المشترك من التاريخ العرب الذى يدرس في المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية ما يأتى :

(ا) تاريخ العرب قبل الاسلام

(ب) تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام الى الفتح العثمانى

(ج) النهضة العربية الحديثة

اما الجزء الواقع بين الفتح العثمانى والنهضة العربية الحديثة فيدخل ضمن المنهج الخاص الذى تضعه الهيئات المشرفة على التعليم فى كل دولة عربية . ويترك توزيع هذا المنهج على الفرق للهيئات المشرفة على التعليم فى كل دولة منها .
رابعا : ان يعنى فى المرحلة الثانوية من التاريخ العالمى بالقدر اللازم لمساعدة الناشئ على فهم مكانة بلاده والدول العربية بين دول العالم ومشاكل المدنية الحديثة .

خامسا : انه ينبغى ان يدرس التايخ دراسة علمية ، ويناقش مناقشة قائمة على منطق انسانى عادل .

سادسا : انه يستحسن ان تكون طريقة تدريس التاريخ اساسا للتدرج من القديم الى الحديث ، ولا مانع من التحلل من ذلك عند الاقتضاء .

سابعا : ان يدرس تاريخ العرب على حسب الدول والعصول المتتابعة وفقا للطريقة التقليدية .

ثامنا - ان يدرس تاريخ الشعوب العربية بعد سقوط بغداد على اساس تاريخ الدولة الخاص مع الاشارة الى تاريخ الدول العربية الاخرى وبيان ما بينها من العلاقات .

تاسعا : ان يدرس تاريخ الحضارة العربية متصلا بالتاريخ العربى العام ، بمعنى انه بعد الانتهاء من العرض العام لكل عصر يدرس الطالب حضارة هذا العصر .

(كصنيعنا في كتابنا هذا)

عاشرا : انه ينبغي للاستفادة من دراسة التاريخ العربي في تقوية الروح العربية الحقبة الاهتمام بالنواحي الآتية :

١ - بيان اثر امم الشرق الادنى وفضلها في بناء صرح المدينة القديمة ، ومقدار تأثر اليونان والرومان بحضارات الشرق القديم في الشام وفلسطين ومصر وغيرها .

٢ - تتبع الصلات السلالية والتجارية والثقافية بين امم الشرق الادبي ، تلك الصلات التي وجدت قبل الاسلام ثم جاء الاسلام فدعمها وزاد في اواصرها .

٣ - إبراز الاحداث العظيمة والمواقف الحاسمة لنواحي البطولة في العصور العربية الزاهرة ودراسة الاسباب والنتائج في تفصيل يتضح منه اثر الحياة الشعبية والروح العربية في ارتقاء الدولة او الدول العربية وهبوطها .

كما ان المؤتمر يرى ابراز الاشتراك التاريخي والاتصال الجغرافي التام بين البلاد العربية في قارتى آسيا وافريقيا ، اذ كانت هذه البلاد في العصور القديمة مرتبطة بأوثق الصلات ، ثم كانت خلال حقبة طويلة من الزمن وحدة سياسة تضمها امبراطورية عربية عظيمة كما ظلت في العصور المتأخرة مرتبطة بعضها مع بعض بروابط متينة . وان الحضارة العربية احتفظت بكيانها وطابعها ووحدتها على مر العصور .

حادى عشر : ان من الوسائل التي تساعد على تنمية الروح العربية وتحقيق الاغراض المقصودة من تدريس التاريخ بالبلاد العربية ما يأتي :

١ - تأسيس الجمعيات التاريخية لتبادل الآراء والكشوف والبحوث

٢ - تنظيم رحلات الاساتذة والطلبة بين البلدان العربية

٣ - عقد مؤتمرات دورية للدراسات التاريخية من وقت لآخر في

عواصم البلاد العربية

٤ - الاهتمام بالحفائر الاثرية وانشاء المتاحف التاريخية والاستعانة بالفنون

الجميلة لتوضيح التاريخ العربي ، مثل الروايات التاريخية والقصص التاريخية واللوحات الفنية والافلام

- ٥ - العناية بالتقاليد المحلية والازياء الخاصة والاغاني الشعبية مع تهذيبها وما يتفق مع المدنية الحديثة والروح العربية
- ٦ - العمل على تخليد ذكرى عظماء الشرق العربي واحداثه التاريخية بطرق مختلفة ، كإقامة التماثيل ، وإطلاق اسمائهم على الشوارع والميادين ، وتسمية كراسي الاستاذية في الجامعات بأسماء النابغين منهم في مجال البحث العلمي ، الى غير ذلك من الوسائل التي تبرز المثل العليا التي ينبغي ان يتجدها شباب العرب ، فيعتزوا بميراثهم الاجتماعي ، ويشعروا نحو هؤلاء العظماء بالجميل ، فيعملوا على المحافظة على هذا الميراث ، بل وعلى الاستزادة منه .

تعاليم وارشارات بيداقوجية

لدراسة التاريخ

هي من احدث الآراء المتفق عليها لدى علماء التربية والتعليم

١ - ينبغي للمدرس اختيار مادة الدرس مناسبة للزمن في مقدارها ولدرجة افهام تلاميذته في معناها ، بحيث لا تحمل القوة الحافظة ما ليس في طاقتها . وتسيلا على التلامذة في تحصيل التاريخ ينبغي للاستاذ ان يربطه بالجغرافيا لما بينهما من العلائق الوثيقة . وقد قال احد علماء التاريخ في تأكيد العلاقة بين هذين العلمين : إعطني الاوصاف الطبيعية لبلدك اعطيك تاريخه .

٢ - يجب على المدرس ان يرمى في دروسه وبحوثه مع التلامذة الى ما يبعث فيهم حب الاطلاع وكشف الحقائق ومتابعة دراسة التاريخ بعد انقضاء دور الدراسة .

٣ - ينبغي تعويد الطلاب حدة الملاحظة فيما يختص بالحالة التي هم عليها سياسيا واجتماعيا ، والبحث معهم في الحوادث المهمة مع الموازنة بين الماضي والحاضر وربط النتائج بأسبابها .

٤ - يجب على استاذ التاريخ ومدرسه ان يكون قادرا على الوصف بعبارات سهلة وبصوت تمثيلي مؤثر يبعثان في التلميذ ميلا الى تتبعه في تصوير الحقائق وتقدير اخلاق الرجال ، كما يجب عليه ان يكون بارعا في ايضاح اغراضه بالرسم على اللوح الاسود .

٥ - ينبغي ان لا يعطى للتلاميذ عند تدريس تاريخ اى قطر من الاقطار سوى معلومات عامة قبل البدء فى التفاصيل ، اذ لا يمكن البحث فى التفاصيل الا من العموميات ، كما اننا لو علمنا التلاميذة العموميات سهل عليهم تقدير التفاصيل حق قدرها .

٦ - متى حصل التلاميذ معلومات عامة على تاريخ بلادهم بحيث لا تختلط عليهم العصور بعضها ببعض ، درست لهم بعد ذلك سلسلة دروس تفصيلا لما ايجل فى دروس المرتبة الاولى ، بحيث يختار المدرس من حين الى حين مسائل خاصة بالاجتماع او السياسة او الدين ويتحدث فيها مع تلاميذته بقدر ما تسمح به مداركهم حتى يعتادوا البحث فى هذه المسائل تدريجيا ، وكذلك تدرس لهم تراجم بعض الرجال مع بساطة واستقصاء لدقائق اعمالهم وللظروف التاريخية التى كانت سببا فى وصول الحالة العمومية لبلادهم الى ما هى عليه ، وبهذا التوسع يؤول تاريخ الافراد الى تاريخ الامة التى ابرزتهم .

٧ - لا بد من ضبط ازمنة الوقائع والحوادث بأرقام السنين التى حصلت فيها ، لان هذه كما يقول بعضهم : العين اليمنى للتاريخ ، وتحفظ هذه الارقام بالتكرار وبالتجاذيل بشرط ربطها بالحوادث وربط الحوادث بها ، فإذا اعتاد التلاميذ ذلك تربت عندهم ملكة ربط الحقائق التاريخية بعضها ببعض مرتبة بحسب تاريخ حصولها ، وبذلك يتأهبون لتلقى دروس عامة فى الموضوعات المهمة التى ترتب عليها انقلاب فى حالة الامة ، كالدروس التى تبحث فى تقدم التجارة والصناعة ، وفى ترقى العلوم والفنون وفى اسباب الحركات الدينية وتغيير شكل الحكومات والحالة الاجتماعية ، ومع ذلك لا ينبغي ان يكون البحث فى هذه الموضوعات الا بقدر ما يستطيع التلاميذ ادراكه باستعمال المعلومات التاريخية التى حصلوها لاستنباط ما يمكنهم استنباطه بارشاد الاستاذ

٨ - نظرا لقصر مدة الدراسة بالنسبة لكثرة واجبات التلميذ نحو مدرسته ، وهذا لا يسمح بالتوسع في دراسة تاريخ امة من جميع النواحي وفي جميع العصور بطريقة مطولة ، وجب ان يخصص لدروس المرتبة العليا عصر معين من العصور التي يكون لتاريخها تأثير ظاهر في حالة بلادنا العلمية والاقتصادية والاجتماعية وفيها يتوسع الاستاذ باسهاب في شرح حوادث هذا العصر الذي يقضى الواجب الوطني بخروجهم عليه .

اشهر سننى ابتداء التواريخ

كان الناس في القديم يؤرخون بأشهر الوقائع واعظم الحوادث التى يندر وقوعها متكررة وتجدها في كل مرة ، فقد ارخ قوم بعصر ظهور آدم عليه السلام كما هو في زعم اليهود الى الآن وتاريخهم هذا يتقدم الميلاد باحدى وستين وسبعمئة وثلاثة آلاف سنة ، وهو تاريخ ابتداء العالم في نظرهم ... وفي ذلك من الخلاف بين علماء هذا الشأن ما فيه ؛ ومنهم من اخذ يؤرخ من حادثة طوفان نوح عليه السلام ، وقد كان بينه وبين الهجرة نحو اربع وسبعين وتسعمائة وثلاثة آلاف سنة على ما في ذلك من الخلاف ايضا بين المؤرخين وعلماء الهيئة والفلك . وهناك من ارخ منذ تبلبل اللسان - كما يقولون - وذلك حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ومنهم من ارخ بعهد الحليل عليه السلام اى منذ ثلاث وتسعين وثمانمئة والى سنة قبل الهجرة ، كما ارخوا كذلك بتأسيس الكعبة ورفع قواعدها في ذلك العهد ، وارخت جماعة بوفاة موسى بنى اسرائيل ، اى قبل الهجرة بأربعين وثلاثمئة والى سنة ، ومنهم من ارخ بعمارة بيت المقدس - قبل الهجرة بثمانمئة والى سنة - كما ارخوا بخرابها ايضا سنة خمسين وثلاثمئة والى سنة قبل الهجرة ، وارخ قوم بتملك بختنصر سنة ١٣٦٩ قبل الهجرة ، وبغلبة الاسكندر على دارا ملك الفرس سنة ٩٣٤ قبل الهجرة ، وبغلبة اغسطس على قلوبطرة الملكة المصرية سنة ٦٥٢ قبل الهجرة ، وبميلاد المسيح كما هو معلوم ، وبخراب بيت المقدس الثانى سنة ٧٠ للميلاد .

واشهر التواريخ خمسة : تاريخ العرب ، وتاريخ القبط ، وتاريخ الروم ، وتاريخ الفرس ، وتاريخ اليهود ؛ فالتاريخ العربي هو تاريخ الهجرة ، الذى وضعه عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه في السنة السابعة عشرة من الهجرة النبوية ، الموافقة ليوم ١٦ جوليئ سنة ٦٢٢ م ، واما القبطى فانه يستدأ من السنة التي

تغلب فيها «دقظليانوس» الانطاكي احد ملوك القبط على مصر ، وهو يزيد على تاريخ الهجرة بنحو ٣٠٠ سنة شمسية . والتاريخ الرومي هو المستعمل اليوم بيننا في معرفة فصول السنة والانقلابات وغيرها من التغيرات الجوية واحوال الطقس التي تبني عليها اعمال الفلاحة والزراعة الخ ... وهذا هو التاريخ المعروف عندنا باسم: العجمي ، ومبدؤه كان من السنة التي مات فيها الاسكندر الثاني — ذو القرنين المقدوني — وهي السنة السابعة من تملكه ، وهو يزيد على تاريخ القبط ٥٩٠ سنة .

واما التاريخ الفارسي فانه يتدا عندهم بأيام القائم من ملوكهم ، وكان آخر ملك اسس تاريخهم عليه وهو يز دجرد بن شهر يار بن برونز كسرى انوشروان المتولي سنة ١١ للهجرة ، وللفرس تاريخ آخر جديد يسمى بتاريخ الجلالى نسبة الى جلال الدين شاه ومبداه عاشر رمضان سنة ٥٧١ هجرية على المعتقد .

والذي اعتمدته انا في ضبط الوقائع والحوادث بهذا الكتاب هو تاريخ الهجرة مع مقابلته بما يوافق من التاريخ الميلادي ، وهما اللذان جرى العمل بهما في توقيت الحوادث بجميع انحاء العالم المتمدن اليوم .

وصف القطر الجزائري

الجزائر اسم عربي صميم لعاصمة الوطن وام القطر (١) ولم يكن ليطابق

(١) كانت هذه المدينة في الزمن الغابر قرية فقيرة لا شأن لها وتسمى في لسان البربر «آرغل» اي المكان المستور العميق ، وورد في اساطير اليونان ان هرقل اللببي استقر فيها مع اصحابه العشرين فعرفت بهم :- آيكسوسي - Eixoci بمعنى مدينة العشرين ؟ ... ولقد اصبح اليوم هذا القول مجاه التحقيق التاريخي ضعيفا . ولما جاء عهد القوطا جنيين وتأسس بها مرساها التجاري حرف اسمها هكذا : ايكوسيم Ecosim ومعناه الجزائر ، ثم خربها الفاندال على عهدهم وبقيت كذلك الى ان جدد الروم بناءها وحرفوا اسمها الى اللاطينية هكذا : ايكوسيوم Icosiom . وفي القرن الثاني للهجرة سكنت بها القبيلة البربرية «مزغان» بفتح الميم او «مزغناى» او «مزغنى» وهى بطن من بطون صنهاجة ، ومعنى «مز» بنو ، كلفظة «مس» بكسر الميم المستعملة إلى الآن او هى نفسها ؟ ... ويومئذ اشتهرت المدينة باسم «جزائر بنى مزغنى» ولم تزل هذه القبيلة موجودة الى يومنا هذا تسكن على نحو ٨٠ كيلومترا شرقي العاصمة في ناحية «PALESTRO» على مقربة من طريق السكة الحديدية ، ولقد كان وضع مدينة الجزائر هذه يومئذ على شكل مداشر حسب عادة البربر من اخصاص ونحوها ، وبها سوق يأتونه اهل متيجة وغيرهم كغبرينة وكرنيطه ومليكش والتعالبة الخ ... وفي اواسط القرن الرابع الهجرى ٣٦٢ هـ - ٩٧٣ م - مصرها الامير بلكين (بضم الباء واللام وتشديد الحرف الثالث الذى ينطبق به مكسورا بين الحليم والكاف) بأمر والده عاهل صنهاجة : زيرى بن مغاز الصنهاجى .

وان السبب في تسميتها بالجزائر كما حرره شيخنا الدكتور محمد ابن ابي شنب رحمه الله يعود الى وضعتها الطبيعية ، حيث انه كان هناك تجاه هذه المدينة امام المرسى القديم صخور اربعة متجاورة أشبه الجزر ، منها الصخرة الكبرى التى بنى عليها الاسبان حصنهم (البنيتوش) Penon سنة ٩١٥ هـ - ١٥١٠ م - ولقد هدم هذا الحصن الاسبانى على يد الاتراك كما سياتى تفصيله سنة ٩٣٦ هـ ١٥٣٠ - ومنها صخرة الجفنة المشهورة . ثم كان ردم ما بين تلك الجزر الاربعة وضماها الى بعضها باشارة المهندس موسى الاندلسى واشرافه على ذلك بنفسه .

ويومئذ اتصلت هذه الجزر بالمدينة بواسطة رصيف طوله ٢٢٠ مترا وعرضه ٢٥ مترا وعلوه اربعة امتار ، وفي منتهى هذا الرصيف يوجد مركز إقامة أمير البحر كما هو عليه الحال الى الآن . وبذلك دعيت هذه البلدة في القديم بمدينة الجزائر .

هذا الاسم على الاقليم كله الا منذ العصر التركي فقط ، (القرن العاشر الهجرى) - السادس عشر الميلادى - اما قبل ذلك فقد كان يعرف عند العرب بالمغرب الاوسط ، ذلك لتوسطه بين المغربين ، الاقصى والادنى : مراکش وتونس اما مركز هذا الوطن الطبيعى فهو عبارة عن قطعة من الارض هي واسطة عقد الشمال الافريقى ، وان شئت فقل هو قلب الدنيا

ولست هنالك حدود طبيعية تفصله عن القطرين الشقيقتين : تونس ومراكش سوى خطوط اعتبارية وضعتها يد السياسة مراعاة لاختلاف مصالح ادارة الحكومات التي توالى على هذه الاقطار الثلاثة ، الا حده الشمالى فقط فانه هذا البحر الابيض المتوسط ، وهو يمتد تبعا للسياسة ايضا من القالة شرقا الى جامع الغزوات غربا ؛ ويسلغ طول هذا الشاطئ ١٢٠٠ كيلو مترا . ومن ناحية الجنوب هذه الصحراء الكبرى التي تعتبر الحد الفاصل بينه وبين افريقيا الغربية ، حيث يمتد الخط من اقصى جنوب طرابلس شرقا الى جهة وادى (ريودى اورو) غربا اما الخط الغربى - ولا اقول الحد - فهو يمتد من وادى ملوية شمالا منحدرًا الى منطقتى الفيقيق وبوذيوب مع دائرة كولومب بشار والقنادسة جنوبا ، والخط الشرقى ينحدر من القالة شمالا الى بئر الهواية وشط الغرسة جنوبا ، ثم يمتد - نظريا - الى قرب مدينة غدامس عند بئر الرمان ؛ فطول القطر الجزائرى كله اذا يقع ما بين درجة ٦ شرقى الى درجة ٤ غربى من خط الزوال ، وعرضه من الشمال الى الجنوب ما بين درجتى ٣٧ شمالا و ٣١ جنوبا من خط الاستواء . وذلك عبارة عن مساحة ٢,١٩٥,٠٩٨ كيلومترا مربعا لقد قسمت السياسة هذا الوطن فى القديم الى ثلاثة اجزاء - اعتبارية - : نوميديا وهو الجزء الشرقى الجزائرى ، وموريطانيا جزؤه الغربى ، وحيتوليا اى ناحية الجنوب . او ما كان كذلك من تقسيمه الى قسمين : التل والصحراء ، وذلك باعتبار جبال الاطلس الصحراوى الفاصلة بينهما

ولست في حاجة الى بسط القول بالتعرض الى ذكر تفاصيل جغرافية هذا القطر الاقتصادية والسياسية وتدقيق البحث فيها من الناحية الطبيعية الخ ... فان ذلك ليس من مباحث هذا الكتاب ، وكيفما كان الحال فاني لا احب ان امر عن هذا المبحث دون ذكر شيء من خصائص القطر الجزائري وميزاته التي خصه الله بها ومنحته الطبيعة اياها : فالارض الجزائرية تشتمل على جبال واطجاد وسهول وتل وصحراء ؛ فمن جبالها تكونت هاتان السلسلتان المتوازيتان الشمالية والجنوبية ، الآخذتان من الغرب الى الشرق فالاولى تعرف باسم الاطلس التلي ، كما عرفت الثانية باسم الاطلس الصحراوي . وان اقصى نقطة تبلغها الشمالية في العلو هي بوسط جبل جرجرة حيث تبلغ قمة «لا لا خديجة» ٢٣٠٨ مترا؛ اما الثانية فهي اضخم واروع من الاولى واعلى نقطة فيها هي بناحية «الشلية» بجبال اوراس حيث تبلغ قممتها ٢٣٢٧ مترا. ومن هذه الجبال ما هو مكسو بحمال الطبيعة كالغابات الكثيفة والادوية المتدفقة والجداول والانهار والعيون الجارية المتفجرة وفيها من المناظر البديعة ما يستوقف النظر ويروع البصر وفيها من الاشجار المثمرة المختلفة الانواع وغير المثمرة كثير ومن النباتات النجمية المتنوعة ايضا ما يملأ وصفه المجلدات ؛ ومنها ما كسبته الطبيعة بجلالها : جبال جرداء ملساء لا يروعك منها الا ضخامتها وعظمتها الصخرية ، وفي كلها توجد حيوانات وحشية وداجنة وطيور مختلفة الاشكال والالوان لا يأتي عليها الحصر .

وان احسن بقاع الجزائر واخصبها واغناها هي ناحية التل والساحل ففيها من الغلل وانواع الجبوب ما جعلها تدعى في القديم (خزينة رومة) ، وان اهم هذه النواحي للزراعة والحراث هي ناحية سهول متيجة وبونة (عنابة) وشلف بوهران ، فيها كانت الجزائر ولم تزل غنية بمنتوجاتها الزراعية من ثمار وخضر وبقول وجبوب وفواكه مما تشبهه الانفس وتلذ الاعين والطقس فيها معتدل جيدة الماء والهواء .

اما منطقة الصحراء فمناخها كجملة الصحارى تكاد تكون منعدمة الثمار الا ما قل منها ونادر في بعض الواحات او ما خصتها الطبيعة به من انواع النخيل والتمر اللذيذ وفيها كذلك من الماشية ما تعد به من اكبر مواد الجزائر واثراها وخاصة الغنم

اما المعادن او قل كنوز الجزائر وركازها - فان القطر غنى بما اودعه الله فيه من غالب انواع المواد المعدنية الثمينة حيث تبلغ ١٤٨ منجماً منتشرة بكامل انحاء الوطن الجزائري ، منها ٢٦ منجماً في ولاية الجزائر ، و ٩٦ بولاية قسنطينة و ١٥ بولاية وهران منها ١١ شرع في استئثارها حديثاً

وان اهم ما فيها من المعادن : الحديد والنحاس والرصاص والزنك والفضة والكروم والمرمر والزرنيخ والكلس والحبر والكبريت والملح والجص والمانكانيس والزنبق والفحم الحجري وحجر الكحل والنقط - البيطربول - ؛ ويذكر انه كتشف بها حديثاً «اليورانيوم» ولم يزل المرجان ينقط من السواحل الشرقية حيث يصدر الى اوربا وغيرها ؛ وان في الجزائر من الكنوز ما ان مفتاحه لتنوء بالعصبة اولى القوة ...! ورغم كل هذه الثروة الطائلة والمواهب الطبيعية التي امتازت بها الجزائر عن غيرها من الاقطار فان سياسة الاستعمار الخبيثة قد حالت بين ذلك كله وبين ابناء البلاد فتركهم فقراء مساكين غيرى ذى مترقة ...! وما ذلك الا عن اغراض سياسية تافهة ومزاحمة اقتصادية اساسها الجشع والطمع .

وانى لاذكر يوماً من ايام اشتداد الحرب العالمية (١٩٣٩-٤٥م) جرت لى فيه محادثة بنى وبين شخصية سياسية فرنسية مسؤولة جمع بينى وبينها مجلس من المجالس التى كان الفرنسيون يذلون فيها جهودهم بوسائل متنوعة لخلق الفرص واصطناع المناسبات كي يجتمعوا بشخصيات اسلامية اهلية ينظاهرون اهم فيها بحب التقرب منهم وربط الصلة بهم ويدجلون عليهم بما شاءوا من معسول الوعود الكاذبة وزخرف القول غرورا - ربحا للوقت - وكان مما طرقتاه فى ذلك المجلس التعرض للحالة الراهنة يومئذ

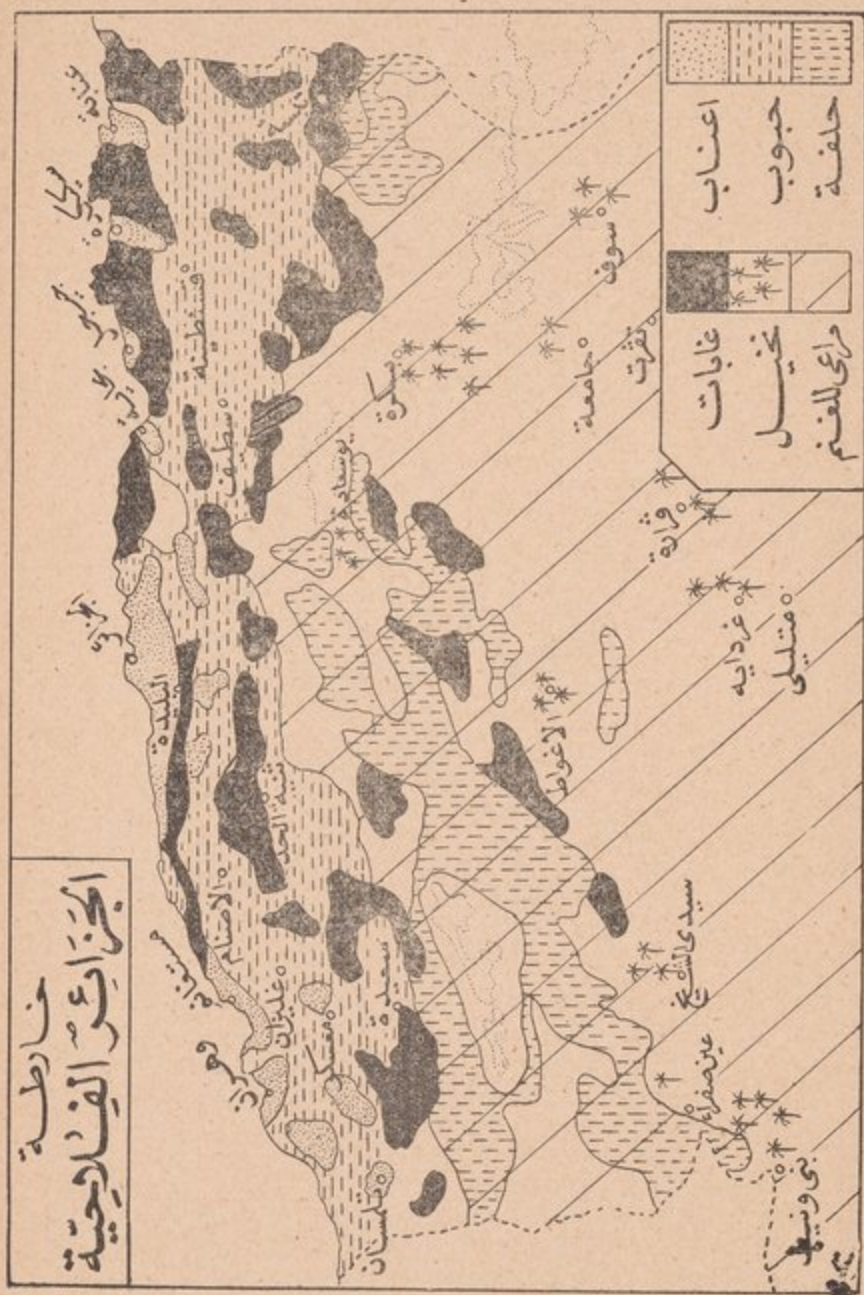
وما تقاسمه الجزائر من الحصار المضروب عليها اقتصاديا كما هو سياسى ايضا ، وما يتكبده الاهالي بالخصوص من الفقر الى الحاجيات والضروريات ...! مع ان القطر الجزائرى بحمد الله غنى بما اودع الله فى تربته الطيبة من المناجم والمعادن والكنوز ، فسألتم بهذه المناسبة قائلا : هل يوجد فى ابناء الجزائر اليوم بجميع سكانها من اهالي وغربهم بتطوع النظر عن الجنس ، من توجد فيه قابلية او استعداد للعمل على إنشاء شركات صناعية ومعامل فنية تستخرج بها ثروة البلاد ...؟ فقال نعم . فقلت له حيثذ : لماذا لم تعمل الحكومة على استثمار هذه الكنوز بتوجيه الرعية الى استعمال مواهبها فى استخراج هذا الثراء للناس ؟ ... وفى ذلك ما لا يخفى من الخير فطرق براسه لحظة ثم قال لى : اين انت من التنافس الدولى والتزاحم الاستعمارى ! ... فقلت ما ذا ؟ ... قال يزدحم علينا الاجانب ؛ فقلت اولمجرد هذا التوجس نسعى فى اضاءة ثروة البلاد وامانة العباد ونرضى بالحرمان والفقر لانفسنا ونحن على اديم هذه الارض الزكية ؟

كاعير فى البيداء يقتلها الضما والماء فوق ظهورها محمول ! ...

فصكت وسكت ... والآن وقد استدارت الايام وانتهت الحرب وانفثع ما كان حائلا سياسيا بين الامم من الاوهام والخواجز فانكشفت الحقائق لدى جميع الناس واخذ كل صنف فى دراسة احوال العالم الحاضرة على ضوء العلم والمنطق والعقل فانهقدت فى شتى المواطن عدة اجتماعات علمية وسياسية واقتصادية للبحث عن اصلاح الحالة الراهنة التى اصبح عليها العالم اليوم للانتفاع بما فيه ، وكان من حظ الجزائر ان تعدد بها عقد مؤتمرات دولية تاريخية وجيولوجية اكتشفت بها عدة نواح مجهولة من تاريخ هذا الوطن وما اودع الله فيه من الخصائص والميزات التى كانت مغفلة مهمة ، وذلك ما كان يحشاه امثال هذه الشخصية الفرنسية المتحدث عنها

كما يوجد بالجزائر ايضا حمامات معدنية منتشرة في نواحي كثيرة من هذا القطر ماؤها ساخن يعالج بها امراض الاعصاب وغيرها مما يستعصى على نظامى الاطباء ... فلم يبق لك الآن ايها الجزائري الغيور الا الاقدام بشجاعتك المعهودة في التاريخ لاستثمار كور بلادك حسبما اوجبه عليك دينك وضميرك وقوميتك

اما عدد السكان فيه فإنه حسب الاحصاء الاخير (١٩٤٨م) ٣٢٨ ٠١١ ٩ نسمة منهم ٣٣٦ ٠٤٥ ٨ اهالى مسلمون والباقي نصارى بما فيهم من يهود واسبان وطاليان الذين شملتهم الجنسية الفرنسية .



القسم الاول

الجزائر العتيقة

١٨٧٥

ما قبل التاريخ

تعاقب على هذا الوطن الجزائري بعد العصر الحجري وقبل الفتح الاسلامي خمس امم عظيمة : البربر وهم السكان القدماء الاصليون ، والفنيقيون ، ثم الرومان ، فالقنندال فالروم - البزنطيون - ؛ وهذا ما نسميه بالجزائر العتيقة ، وتاريخ هذا العصر يشمل تاريخ الشمال الافريقي كله وما الجزائر الاجزاء من الجزيرة المغربية وهي كلها متشابهة جغرافيا وتاريخيا فهي وحدة لا تجزأ رغم جميع الاعتبارات السياسية ، فان تاريخ هذا الشمال الافريقي متماسك الحلقات لم يفصل عن بعضه الا في ظروف استثنائية وملابسات خاصة .

اما قبل ذلك ، فهو ما يعبر عنه لدى علماء التاريخ بعصر البليستوسين Pleistocene ويسمى بعصر الجليد ايضا، ثم يأتي بعده العصر الحجري ذلك لان النوع البشري عموما كان اذ ذاك يستعمل الحجارة في كل ما يحتاج اليه من الادوات كالمقاطع والمبدي والقؤوس والحفان وغيرها ؛ وينقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام : الدور الاول - عصر الحجارة القديم الذي كان فيه الانسان اشبه بنىء الوحوش ، حديث عهد بالطبيعة ، جاهلا بطرق الانتفاع بها ، سادلا عليها جلود الحيوانات متدفئا باهابها ، يسكن الجبال والكهوف والمغارات ويأكل مما يهبطه الارض عفوا وما عليها من خشاش وحيوانات وحشرات . وهو في كل ذلك يستعمل الحجارة .

الدور الثاني - عصر الحجارة الاوسط ، وفيه تقدم النوع البشري الى غير الحجارة ايضا. فأخذ يستعمل عظام الحيوانات من نوع الوعول ولطيور والفيلة والكر كدن وبيض النعام ، فاتخذ منها الاوعية والابر والسكاكين المساحي وهذبت فيه الادوات الحجرية نوعا ما ، وانتقلت السكنى من المغارات الى الاكواخ المستديرة والمرعة ؛ وعنى الانسان في هذا الدور بالمدافن فكانت القبور فيه

على شكل الهرم مبنية بالحجارة . ولقد كشف العلماء عن آثار ترجع الى هذا الدور في نواحي تلمسان ووهران وتبسة وسطيف والقلعة بالجانب الجزائري
الدور الثالث - اتقن فيه الانسان صناعة الحجارة فاتخذ منها الارحاء للطحن وادوات النقش وصنع السهام ، ورسم عليها بالحجارة المحددة الرسوم العجيبة ؛ وفي هذا العصر اخترعت الكتابة «الهير وغليفية» - اى التصويرية - ، وفيه عرف الانسان الحياكة والنسج وايقاد النار وصنع الاواني الطينية للطبخ واتخذ الاوعية من الخشب والحلي والاصداف والمحاور وانياب الخنزير والحصى المثقوب وغطى راسه بالريش . وكل ذلك بلغنا بواسطة ما عثر عليه علماء الآثار من هذه الاثار بنواحي القطر كله ، وخصوصا ما كان منها بمدينة «باليكاو» ونواحي سطيف ومعسكر وعين مليلة والعين البيضاء ووهران والجزائر «العاصمة» وسعيدة وتبسة الخ ... وان اهم ما اكتشف من هذه الآثار هو صور منقوشة على الصخور وبعض الادوات الحديدية ، وقد اجتمعت منها كمية لا بأس بها يوجد بعضها بدار الآثار بالعاصمة وفي غيرها كذلك من متاحف القطر الجزائري وغيره مما كان موضع اعجاب ارباب الفنون والصناعات اليوم .

ولقد ذهب العلماء في تقدير الزمن الذى يرجع اليه تاريخ هذه الآثار مذاهب شتى فبلغ به بعضهم الى ستة آلاف سنة قبل الميلاد ...؟
ثم يأتى بعد ذلك العصر المعدنى الذى اول ما عرف فيه الانسان النحاس والقصدير والبرونز ثم الحديد ومنه انتقل الى ما يعبر عنه بعصور التاريخ حيث استعمل فيها الوثائق المكتوبة .

قدماء الجزائر ، لغتهم ، ديانتهم

لا يخفى وان هذه المجموعة البشرية ترجع فى نسبها حسب التقاليد المتواترة والنظرية الدينية الى آدم ونوح عليهما السلام ، وان الناس جميعا هم من ابناء نوح

الثلاثة : سام وحام وياث فمنهم وعنهم تفرع هذا الجنس البشرى القائم يومئذ - وجعلنا ذريته هم الباقين - وذكروا ان لياث ولذا - هو قطوبال - إليه - رجع نسب القدماء من سكان الشمال الافريقي، وقيل هم من السلالة الحامية ؟... على ان علماء العصر قد خالفوا هذه النظرية تماما وانكروا هذه العقيدة الشائعة وعدلوا عن هذا التقسيم الثلاثي القديم الى جعل الناس ثلاث طبقات : طبقة العصر الحجري ، وطبقة العصر الحديدي ، وطبقة عصر سكب الرمل ، وان تاريخ العصر الحجري وحده يرجع الى ما قبل اليوم نحو ١٢ ٠٠٠ سنة ، وانه مضى على وجود العائلة الانسانية على وجه الارض نحو ١٠٠ ٠٠٠ سنة وباع بعضهم الى ٢٤٠ ٠٠٠ سنة ؟... ولا يخفى ان التاريخ الدينى الذى يقول به النصارى واليهود لا يزيد على ان عمر البشرية خمسة او سبعة آلاف سنة ؟... كما ان هؤلاء العلماء قسموا الناس على حسب اختلاف مظاهرهم الطبيعية وتباين سحناتهم الى اربعة اشكال : الشكل القوقاسى وهم سكان اوربا وآسيا الغربية وشطوط البحر المتوسط : والشكل المغولى وهم سكان آسيا وامريكا من السلالة الصفراء ؛ والشكل الزنجى ؛ والشكل الامريكى القديم ؛ وجاؤوا فى تحليلهم لهذه التباين بين الاشكال بالعوامل الطبيعية والتغيرات الجوية واختلاف البيئة وتغير الطقس والهواء والماء والغذاء (١)

اما عن تاريخ اقدم سكان الجزائر او قل - شمال افريقية - (من غير البربر) فقد تضاربت اقوال المؤرخين فى ذلك ؛ يقال انهم مجموع طوائف ومزيج سلاسل تجمعت من الطارئى على هذا الشمال الافريقى من مختلف الاوطان فى غابر الازمان فتكونت منهم وحدة قومية وعنصر ممتاز هو العنصر الافريقى وعرف هؤلاء من بين الامم بالافارقة ، ومنهم كانت تلك الجاليات المؤلفة من المييد والارمن والفرس الذين نص عليهم المؤرخ اليونانى «سلسطس» فى كتابه

(١) انظر تعليقات الامير شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون ص ٤٥ والتى تليها ط مصر ١٩٣٦م

(حروب يوغورطة) قال ان هؤلاء جاؤوا مع «هيركوليس» هرقل احد ملوك
إيجيا - بجزر اليونان - كجند مستأجر لغزو «إيريا» - إسبانيا - ولما هلك
هرقل طرد هؤلاء الجند من إسبانيا فتفرقوا على البلاد المجاورة ؛ فعبر الميد
والارمن يومئذ بحر الزقاق الى شمال المغرب واختلطوا بسكانه من اللوبيين
واندجوا فيهم . واما الفرس فانهم ابحروا كذلك في طلب زملائهم فحولت
الرياح شراع سفنهم الى المحيط الاطلسي فأرسلوا على شواطئ الجنوب المغرب
فوجدوا هنالك قوما من (الجنوة) على بساطتهم الطبيعية فاندجوا فيهم واختلطوا
معهم بالمصاهرة كما اندمج الميد والارمن باللوبيين فتكون من هذا الاندماج ما تولد
عنهم من هذا الجيل (١) ومما يؤيد ذلك ما جاء في الجغرافية الافريقية القديمة
من ان الفاروسيين - الفرس - استعمروا هذه الارض في عصر متوغل في
القدم واختلطوا بسكانها واشتهروا فيها يومئذ باسم «توميدا» او «نوماد» ومعناه
بلغتهم الرمل وهو ما يطلق على سكان شرقي الجزائر ؛ كما اتنا نجد اسم «سوس»
او «سوسة» بمراكش وتونس هو كذلك عند الفرس (سوسانة) او - شوشانة -
يطلق على ناحية بالساحل الشرقي من الخليج الفارسي و(باحة) من بلاد اصبهان
كما هي بافريقية والاندلس الخ . فما معنى هذا الاتفاق ؟ فهل هو من قبيل
القضايا الاتفاقية والمصادفة فقط ؟ ام ماذا ؟ ...

على ان المنفق عليهما لدى المحققين من علماء التاريخ والآثار والجغرافية ايضا
ان سكان الشمال الافريقي القدماء هم من سلالة الجنس الابيض واضع اساس
المدنيات القديمة ، ويرى هؤلاء العلماء ان اول ما وجد الانسان ان وجد بشمال
افريقية فهو المهد الاول للجنس الابيض ، ومنه هاجر الى اوروبا ، ويرى
ابن خلدون في هؤلاء انهم من السلالة الآرية (٢)

(١) موجز الكعك ص ٢٨ ودائرة المعارف للبيستار ج ٤ لفظ افريقيا

(٢) ابن خلدون ج ١ ص ١٥

اما عن لغتهم ولهجاتهم فلم يحدثنا التاريخ عنها بشيء ؛ ولا يعد ان تكون
اخذت لغة قدماء المصريين والليبيين ، وخصوصا اذا اعتمدنا مقالة من يقول ان
قدماء المصريين هم من سلالة سكان الجزائر ومراكش ؟

واما ديانتهم فهي مؤسسة على عبادة مظاهر الطبيعة من الاجرام العلوية
العظيمة كالشمس والقمر ، وبعض الحيوانات كالقرد والتيس والافعى ، وقد وجد
الباحثون في جبل بنى راشد - قسنطينة - تمثال تيس على راسه هالة تمثل
دائرة الشمس يدعونه «أتون»

واذا حاولنا معرفة ما يسمى بالحضارة او المدنية الراهنة يومئذ فاننا نجد
القوم متأثرين بالحضارة «الايجية» حسبما تدل عليه تقارب اللغة القديمة والخط
ووحدة الشكل في البناء وصناعة الخزافة . ويقال ان سكان المغرب اخذوا عن
الايجيين زراعة التين والزيتون والكرم ، وبفضل هؤلاء ايضا راجت بالمغرب
صناعة التعدين والتصوير على الخزف . ويظن ان ذلك كان حوالى الالف الثالثة
قبل الميلاد . ولا يخفى ان هؤلاء الايجيين ينتسبون الى شعب ايض ممتاز بصفاء
الذهن والذكاء المفرط . كما يؤكد العلماء ان اصل هذا الشعب ايضا من شمال
افريقية ومنه ما نراه اليوم من بقية العنصر الاشقر في بعض النواحي من هذا
الوطن الكبير (المغرب العربي)

البربر

ان اوا، ما عرف التاريخ المسجل من سكان هذا الوطن انما عرف «البربر» في حين انه لم يكن ليعرف في تاريخ السلاسل او السلالات البشرية عامة ان هناك جيلا من الناس يعرف هكذا باسم البربر ، وانما هو لفظ وضعى يراد به عند اليونان «صوت الالثم» او هو كل انسان اجنبى عنهم لا يتكلم بلغتهم ، ومن ثمة اطلقه اليونان انفسهم على سكان هذا الوطن وعلى غيرهم ممن هو ليس يونانيا كآمة الطليان فانها كانت تسمى عندهم «برباريا» . وقد نهج الطليان انفسهم كذلك منهج اليونان في هذه التسمية فانهم اطلقوا اسم البربرى على كل من ليس يونانيا ولا ايطاليا او لم يكن خاضعا لسلطانهم ، وجعلوا اسم «رومانى» خاصا بمن شمله نفوذهم الايطالى ومن ذلك الوقت عرفت جميع البلاد التى خرجت عن طاعة الرومان باسم «بارباريكوم» اى بلاد البربر ، ومنها مدينة «بربرة» بالصومال الانكليزى ، وقبيلة «برباريسينى» او «برباحيا» بجزيرة سردانيا كما عرفت سواحل المانيا وما على ضفاف نهر الدانوب باسم «بارارياس» واطبقوا ايضا اسم «البحر البربرى» على البحر المحيط الهندى لانفصاله عن بلادهم الرومانية وهكذا عمت البربرية عندهم كل ما ليس رومانيا او يونانيا ؛ ثم جاء دور العرب في شمال افريقية فحافظوا على هذه التسمية ولم يشاؤوا تغييرها لذبوعها واشتعارها يومئذ .

على ان هؤلاء البربر وان اختلف الناس في اصل نشأتهم فهم ساميون من ابناء مازيغ بن كنعان ، فهم «الامازيغ» كما جاء في تصريحهم امام الخليفة عمر بن الخطاب حينما ذهب اليه الوفد بعد فتح مصر ، فانتسبوا امامه الى مازيغ ، وانهم اصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب «البحر الاحمر» والبحر المحيط ولم يقولوا لما انهم «بربر» ؛ ولا تزال الى اليوم لغتهم تعرف «بتازغت» وان موطنهم الاصلى هو جزيرة العرب ولقد حاول بعض المؤرخين ان يلحقوا

نسبهم بمر بن قيس بن عيلان ، فإن صح ذلك فهو من باب الاتفاق (١) ويقول بروكلمن المستشرق الألماني الكبير : ان اليهود هم الذين عملوا على اقضاء الكنعانيين عن جدول بنى سام والحاقيم بجدول آل حام الذي كان بزعمهم عاقا لوالده وما ذلك الا عن حقد وعداوة كانت بينهما نشأت عنها حروب وإحـن . ويزعم العالم دوبرا Duprat ان البربر هم من جنس آرى هاجر من نواحي الكنج بالهند ...

وعلى كل فإن من يطالع على تاريخ البربر يرى منهم امة عظيمة لها حضارتها ومدنيـتها المثلى ، نشأت على عز الجانب واباية الضيم والدفع عن الشرف مع كثرة عددها ؛ اتسقلت الى افريقية (٢) من آسيا - جنوب فلسطين - عن طريق مصر حوالى سنة ١٣٠٠ ق م ثم تابعت الجاليات الكنعانية الى هذا الوطن فى فترات مختلفة ودفعات متفرقة . كان منها هؤلاء الكنعانيون الذين اخرجوا من ديارهم بفلسطين حين تغلب عليهم العبريون فاجلـوهم الى المغرب حوالى سنة ١٣٠٠ ق م كما ذكرنا ؛ ويقول يوسف بن عبد البر القرطبي ان هذه الجالية الكنعانية نزلت اولـا بأرض مصر فمنعت من المكث بها وتصلب في وجهها يومئذ الفـراغة فواصلت لـسير الى ارض المغرب ؛ وهى تتألف من عدة عناصر منهم الـيشقـشـيون (٣) ، والعماليق (٤)

(١) راجع ابن خلدون ج ٦ ص ٨٩ وما يليها

(٢) لا زال أصل هذه الكلمة غامضا ، وان كل ما قيل فى شرح معناها او اصل مادتها فانما هو على سبيل الظن والتخمين فقط ؛ انظر تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٧٨ وفقوح افريقية ص ٤٤ والمؤنس ص ١٤ والمسالك ص ٢١ وفتح العرب للمغرب ص ١ وعندي ان اقرب ما قيل فيها الى الصواب هو قول من قال ان «أفري» كلمة اطلقها النبيـنـبـوت قديما على اهل البلاد الاصليين الذين كانوا يسكنون المغرب من حدود مصر الى المحيط ومن ثمة سميت هذه المنطقة «أفريكان» اى بلاد الافرى ويقال انها كانت قبل ذلك تعرف باسم «ليميا»

(٣) يقول ابن خلدون ج ١ ص ٥٨ ط مصر ١٩٣٦م ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بـقنـطـورة بنت يقطان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان فكان من نسله جيل البربر

(٤) هم اولاد عمليق بن لاوذ بن سام موطنهم الصحراء التى بين العراق والعقبة كانت لهم بها دولة عتيـدة وحضارة سامية

وغيرهم. وفي سنة ١٠٩٥ ق م تولى عرش العبرانيين الملك طالوت (شاوول) الذي باركه النبي صموئيل ، حيث كان اول ملك لبني اسرائيل بعد عصر القضاة ، فحارب اهل فلسطين وتغلب عليهم واجلى فريقا منهم ، فلما تولى بعده الملك النبي داود عليه السلام اخرج من بقى من الكنعانيين من ارض شنعار فكانت هجرتهم ايضا الى هذه الديار سنة ١٠٥٥ ق م .. وما عدا الصواب الحسن الوزان حيث قسم سكان افريقية الى اربعة اقسام : عنصر افريقى اصلى ، وعنصر فينيقى ، وعنصر عبرى ، وعنصر لاتينى

أوصاف بربر الجزائر وأخلاقهم

يمتاز البربرى الاهلى الجزائرى عن عموم البربر بأنه مستطيل الدماغ معتدل القامة والوجه ، بارز الحدين ، غير ناتئ العينين ، اسودهما متوسط العرض ، واسع الفم ، عريض الصدر والاكتاف ، ضيق الخصر ، اسود الشعر ، اسمر البشرة قوى البنية . وهناك صنف اشقر ازرق العينين مع رقة فى الانف والشفتين مسطح الجبهة ، وهذا الصنف هو اقدم العنصر البربرى بهذه البلاد وتوجد منه قلة بجبال جرجرة والاوراس وريف المغرب الاقصى .

والبربرى خلق حرا فخورا معتزا بعشيرته متعصبا لقبيلته وقومه ، ولعل ذلك الافراط فى التعصب والغرام بالانانية والمنافسة الى حد العداوة هى التى بلغت به الى تشتت الشمل اليوم وافتراق الكلمة واختلاف النزعات ؛ وهو مع ذلك نشأ حريسا شجاعا الى حد الجرأة شرسا يبلغ احيانا الى حد الوحشية ، حاذقا ، ذكى المشاعر منتقما من عدوة شفوفا بالضعفاء والمساكين محبا للعمل ذووبا عليه ، عدوا للبطالة مكثفيا بالقليل المتواضع من بسيط المعيشة ، تاجرا كنازا ، محافظا على جميع مميزاته وخصائصه كما هو عليه حاله الى الآن وتكاد تكون هذه الصفات عامة فى جميع البربر ، واعظم دليل على ما ذكرنا هو ما حاولته الدول المستعمرة التى توالى على هذا الوطن منذ قرون من العهد الفينيقي

والروماني الى يوم الناس هذا من عجزها عن تغيير مجرى حياة الاهلي في جميع الميادين ، في لغتها او عاداته الخ... وكل ذلك لا يمنعنا من ملاحظة ومراعاة تلك الحقيقة الناصعة التي نطق بها التاريخ على لسان موسى بن نصير حينما سئل من طرف الخلافة الاموية عن البربر، فقال يخاطب سليمان بن عبد الملك : يا امير المؤمنين هم اشبه الناس بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية ، غير انهم اغدر الناس لا وفاء لهم ! (١) ويشهد الله انه لصديق فيما قال ، وما كان تصديقي اياه الا عن تجربة واختبار طويل ودراسة عميقة لنفسية هذا الشعب في جميع مواقفه قديما وحديثا وما حملني على اثبات هذه الشهادة وتسليمها الا الاعتراف بالحقيقة رجاء تلافي هذه الهمة الشنيعة وعملا بالحكمة السائرة : من كتم داءه قتله

المواطن البربرية في الجزائر

ان الامة البربرية - كما علمت - قد عمرت هذا الشمال الافريقي من حدود آخر الايالة المصرية الى المحيط الاطلسيكي من ناحية الصحراء بـ أرض السودان ؛ وانه لمن العسير جدا تتبع جميع هذه القبائل وما تفرع منها من بطون وافخاذ مما لا يأتي عليه حصر ولا عد .. وانما نذكر منها بعض مشاهير هذه العشائر التي سكنت ارض الجزائر واتخذتها موطنها لها من قديم الزمن مع الالماع الى اماكنها ومراكز وجودها بهذا الوطن

هناك جذمان عظيمان يجتمع عندهما كل ما تفرق من الفروع البربرية المنتشرة في هذا الشمال الافريقي كله من اقصاه الى اقصاه وهذان الجذمان هما مادغيس الملقب بالابتر ، والمتنسبون اليه هم البتر ، وقسم ينتسب الى برنس بن بر ، قسموا بالبرانس ؛ وكل من مادغيس وبرنس اخوان لاب واحد هو برمن ولد مازيغ

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥٨ ط مصر ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م - وتحفة الانفس

لابن هذيل الاندلسي ص ١٧ ط باريس ١٩٣٦ م

ابن كنعان ، والبربر في انفسهم ينقسمون الى طائفتين اثنتين ، وهما طائفة البربر الحضرة الذين يسكنون النواحي الشمالية والسفوح المزروعة ، وطائفة البربر الرحل الذين يعمرّون الصحراء والواحات التي تلي ذلك جنوبا وشرقا والكل يرجع الى هذين الجذمين برنس ومدغيس ؛ ولقد تفرع عن الاول عشر قبائل عظيمة ، منها ثلاث سكنت بهذا القطر الجزائري الذي نؤرخه : كتامة وعجيسة ، وازداجة ولكل من هذه فروع لا يهمننا الآن شأنها

اما كتامة فهي من اكثر قبائل البربر عددا واشدهم بأسا وقوة ، وكانت تقطن الساحل البحري من بونة (عابة) الى بجاية ، وهي متوغلة في داخل الوطن الجزائري طولا وعرضا الى جبل اوراس ، ومن مدنها الشهيرة : حيجل ، والقل ، وسكيكدة ، وسطيف ، وقسنطينة

واما عجيسة فهي شرقي صنهاجة وجنوب زاوية بجبال المسيلة ، ولم نزل الى اليوم قرية بدوية هنالك في ارض تليلان - جبال بين قسنطينة والقل - تدعى عجيسة ، فلعل اهلها من بعض افخاذ هذه القبيلة الذين سكنوا ارض بني تليلان . واما ازداجة فهي كذلك قبيلة عظيمة تسكن في نواحي وهران .

اما الجذم الثاني - مادغيس الابتر - فتجتمع فروعه في اربع قبائل كبرى ... والتي سكنت الجزائر منها اثنتان فقط : لواته وضريسه ، اما لواته فهي قبيلة عظيمة تفرع عنها كثير من الشعوب ، وهي تنسب الى «لبوا» (١) الاصغر ولها بطون سبعة كان منها بجبال اوراس وضواحي تيهرت وبجاية امة عظيمة ، ومن بطونها المشهورة اثنان : زناتة (٢) وزواوة ؛ فنزاتة هي اكثر قبائل البربر حضارة وعمرانا وهي منتشرة في نواحي تلمسان وريغة والاغواط والزاب ، وكانت مواطنها الاولى وسط المغرب الاقصى والصحراء المحيطة به من الجنوب وزواوة هي موطن بلاد القبائل الآن

(١) لا يزال الى اليوم يوجد هذا الاسم في الزاب الغربي من بسكرة تسمى به قرية لبوا

(٢) أصل الكلمة هكذا : إيزيناتين ، ومعناها أبناء زناتة ، وهو اسم امرأة مشتق من

اوقانة بالقاف المعقودة وهو تحريف او تصحيف لكلمة «كنعان»

أهم مراكز البربر بالجزائر

ان من اشهر المدن والعواصم التي سكنها البربر بهذا القطر هي عاصمة القطر وام الوطن (الجزائر) كان فيها بنو مزغنى الصنهاجيون ، وجرجرة ببلاد زواوة ووارقلمة - بنو ورجلان - في جنوب صحراء الجزائر ، والمنيعه أو - القليعة - من واحات الجنوب الجزائري ، وندرومة ، وتهيرت وما حولها ، وتلمسان ، وما بين شرشال وتنس ، وجبال وانشريس ، ونواحي جبال عمور بعمالة وهران وبين ثنية الاحد وتينارت ، وسوق هراس بعمالة قسنطينة وجيلة وفج مزالة غرب قسنطينة ونواحي بلاد الشبكة مصاب او (ميزاب)

وان الغالب من هذه القبائل البربرية بالقطر الجزائري هو متفرع عن ثلاثة شعوب عظيمة : صناهجة ، وكثامة ، وزناتة ؛ فمن صناهجة بعمالة الجزائر : زواوة ، وفليسة ، وبنومسكلاث ، وعمور ، ومنها بعمالة قسنطينة : مزيتة ، وعجيسة وبنو يفرن - الشاوية - ؛ ومن كثامة بنفس العمالة : بنو سيلين ، وقبائل بني خطاب ، وعياد ، وجلمة ؛ ومن زناتة بعمالة الجزائر : مغراوة ومطماطة ، وسوماتة ، وبنو توجين ، وبنو مناصر ؛ ومنها بعمالة وهران : مديونة وولهاصة ، والطرارة ، وتيغرين ، وشقالة ويزناص

المجتمع البربري

ان نظام العشيرة - او قل هو نظام الحكم عندهم فانه كان ديموقراطيا ، ليس هنالك ملك ولا سلطان ولا عرش ، تنتخب القبيلة رئيسها بنفسها وتقلده الحكم وهي تختلف وترجع اليه في المهمات والملمات وكانوا يشترطون في الرئيس مزايا وفضائل يمتاز بها عن غيره ؛ ويرجع نظام الاسرة الداخلي الى المرأة فهي ربة المنزل وصاحبة النفوذ به : محترمة الجانب مسموعة الكلمة ، وكثيرا ما تنتسب القبيلة الى امراة ، وهذه زناتة تشهد بذلك ...

واما المسكن فانه كان ولا يزال عند بعض فقراء البادية من كوخ او «طابية» ومنه ما هو من خيام الوبر والشعر. اما ملابسهم فانها لم تنزل في الجملة كما كانت من قبل من صوف : برنس وقشابة، ومنهم من كان يستعمل اهاب الحيوان المدبوغ ويضعون على رؤوسهم «القنور» وهو لفظ قريب جدا من كلمة القنور العربية - بفتح النون وتشديد الواو - والمعنى واحد... ويرجع تاريخ القنور هذا الى الالف الثالثة قبل المسيح، وكانوا قليلا ما يخلقون رؤوسهم؛ وسراويلهم قصيرة؛ وحلبهم الخواتم والخلخل والاساور المتخذة من مختلف المعادن؛ وطعامهم لحوم الحيوانات الداجنة والطيور والصيد، ومن النبات البر والفول والكرم والزيتون؛ واطهر الوان اطعمتهم التاريخية هو «الكسكسو» ولا يعرف عند غيرهم الى الآن، وهم يستعملونه غالبا في العشاء

وكانت مكاسبهم البقر والغنم، وخيولهم تمتاز بالقصر مع سرعة العدو؛ وهي تركب عارية لا يملك الفارس بيده سوى قضيب خفيف؛ اما الابل فانها لم تعرف بهذا الوطن الا منذ سنة ٦٦ ق م. وكانت توجد عندهم بعض الحيوانات الضخمة مثل الفيل ووحيد القرن ثم اضمحلت وتلاشت

المعتقد البربرى

كان للمعتقد البربرى اتصال عظيم بمظاهر الطبيعة وما فيها من عظمة كالا جرام العلوية؛ فالكواكب عندهم مقدسة كما ان الثور والكبش والتميس والافعى والبوم والحمام والسلحفاة والضفدع والقرد والهر هي عندهم رموز مؤلهة كذلك كما ان للكهوف والمغارات عندهم مقاما رفيعا بسبب ما يعتقدون من حلول الارواح بها؛ فهم يتبركون بما فيها من مياه ساخنة او باردة ويقربون لها القرابين البشرية متوسلين اليها في قضاء حوائجهم؛ وان من واضح الادلة على تقديس البربرى للحيوان ذلك الرسم الذى عثر عليه في قرية «الزناقة» بمحدود الجزائر الجنوبية، بين بنى ونيف وواحة الفتيق وهو يمثل الرب آمون «عمون رع» احد آلهة

المصريين ، وهو على صورة كبش تحيط به الهالة ؛ وارى ان ذلك هو الاصل في احترام بعض عوام اليوم لقرون كبش الضحية واحتفاظهم بها ، وهم يدعون في ذلك دفع العين او النظرة عنهم

الثقافة والحضارة والعمران

انه مما لا شك فيه ان البربري فضلا عظيميا على المجتمع الافريقي وعلى المدنية الافريقية في القديم بما اخترعه من اشكال الحروف وابتكار الخط الذي يعبر به عما يختلج في صدره من المعاني والكلمات ، في حين ان الخط كان منعما والكتابة مجهولة وخاصة بهذه الاوطان . ومن تأمل الخط البربري واشكال الكتابة وجدها تشبه كثيرا الاوضاع الكونية والكائنات الطبيعية ، فهناك من الحروف ما يشبه الشمس والقمر والنجم والبرق الخ ... ولم تكن الحروف الاصلية لتزيد لديهم على اربعة عشر حرفا . يسمونها «تيفيناغ» ومعناها الحروف المنزلة ولها حركات وضوابط تسمى «تيدباكين» بمعنى الدليل على العمل والتوسع ، وهم يكتبونها بحربة تامة كيفما شاء الكاتب فاليكتب : من اليمين الى الشمال وبالعكس ومن اعلى الى اسفل او بالعكس ، حسب اصطلاح القبيلة ، ولم يبق لهذا الخط اثر بهذا الشمال الافريقي سوى بالصحراء عند الملمثمين من قبائل لتونة المشتهرين باسم (التوارك) (١) فانهم لا يزالون يستعملون في مكاباتهم خط «تيفيناغ» على قلة . ولقد نشأت لغة البربري تشبه خطه في البساطة والاضاع الطبيعية كما هو شأن الانسان في الاول ، وهي كغيرها من سائر لغات البشر ذات لهجات وصيغ مختلفة كما هو مشاهد من اهلها الى الآن بين سكان القطر الجزائري والمراكشي فهناك لهجة خاصة بزواوة - بلاد القبائل - تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية وبني مصاب (ميزاب) وبني صالح بجبل البليدة والشلوح والتوارك الخ .. ولا يزال يطلق اسم «تماشغت» او «تمازغت» على جميعها (٢) بمعنى اللغة المازيغية.

(١) قيل انهم سمو بذلك لتركهم المسيحية الى الاسلام ...؟

(٢) Louis Rin : les origines Berberes. Alger 1889

كما ان للبربرى فضلا عظيما في سبقه الى الاطلاع على معدن النحاس واستعماله والانتفاع به ؛ فقد اكتشف الاثريون بضواحي العاصمة بناحية «قائمة الفول» - سانت اوجين - عدة قطع وصفائح نحاسية فيها وفي غيرها كما وجد مثل ذلك قرب مدينة «صلداى» - بجاية - مما يدل على تيقظ البربر وميلهم الى العمل والصناعات .

اما سير الادب والعلم عندهم فانتى لم اقف على ادب بربرى بالمعنى الصحيح ، ولعل ذلك يرجع الى اختلاف لهجاتهم وعدم ضبط قواعدها اللغوية ضبطا محكما او لضيق لغتهم عن التعابير الفنية ؟ .. وان كل ما ظهر الى الآن من المقطوعات الشعرية والنثرية لا يكفي عندى فى الاستشهاد به على ادب امة وثقافة حيل عظيم كأمة البربر هذه . وغاية ما بلغنا عنهم فى الفن والزخرفة لم يتجاوز اشكالا وخطوطا هندسية مثل ما نشاهده من الوشم المزخرف على ظاهر اليد وفى الوجه والساق والذراع ، وهو يدل على تركيز الروح الفنية فيهم وتغلغلها فى المرأة بالخصوص مما جعلها تتحمل ألمه وتصبر على وخز الابر غير متبرمة ؛ وكان مما يراد بالوشم عندهم التمييز بين العشائر والقبائل حتى لا تختلط نساء الحي بغيرهن فى الحروب وفى مواطن الثورات والنزاع ايضا ، ومن مظاهر الفن البربرى كذلك تلك الزخارف المرسومة على منسوجاتهم واوانيهم فيما هى عليه من تناسب فى الالوان واتساق فى النظام . وقد ذكر احد الباحثين فى جريدة «الكوتيديان الباريسية» تحت عنوان : تاريخ الامم المغلوبة على امرها لم يكتب . قال فيه : ومن قرأ تاريخ افريقية الشمالية القديمة يعرف انه قامت حضارة زاهرة فى جبال الاطلس قبل الوف من السنين للميلاد ، وكان فى تلك الاصقاع مدينة بربرية قديمة ذات علم وفن تعجب المصريون والفينيقيون فى القضاء عليها ... ورغم انتشار جنس البربر بكامل سواحل هذا البحر الابيض المتوسط فانه لم يسجل لنا التاريخ مبلغ البحرية عندهم ومقدرتهم الخاصة فى شؤون الملاحة ؟ ...

الدولة الفينيقية

— القرطاجنية —

٨٨٠ - ١٤٦

ق. ٢

الفينيقيون امة شرقية متشعبة عن الفرع الكنعاني (١) السامي وهم يتسبون الى وطنهم «فينيقية» (٢) بآسيا الصغرى غرب بلاد الشام الى جبال «كارليل» بين جبل لبنان والبحر وهو مكان ضيق مستطيل يبلغ طوله ٢٠٠ كيلومترا وعرضه ٣٠ كم. واهم مراسيهم بيروت وطرابلس الشام وصيدا وصور سيدة البحار — لندن القديمة —

اما لغتهم فهي من اهم اللهجات الكنعانية بعد العبرانية وهي تطابقها بأصولها السواكن مطابقة تامة ؛ والفروق بينها وبين اللهجة العبرية في الحروف المتحركة اهم منها في الحروف السواكن، وكذلك النحو، وللفنيين بناء للفعل غير معروف في اللهجة العبرية ولكنه وجد بعد ذلك في اللغة العربية وهو صحة الدلالة على الازمان باستعمال فعل مساعد — هو كان — امام التام من الفعل لجعله غير تام ، واللغة الفينيقية في لهجتها تشبه لغة اهل (مالطة) اليوم ، فان هذه فيما رجعهم علماء اللغات فينيقية ايضا ، وبذلك كان للغة اهل مالطة اهمية عظيمة من الوجهة التاريخية، ومهما يكن من امر فاللغة الفينيقية لغة سامية هي اخت العربية وقد اقبل

١] تنقسم جموع الكنعانيين الى كتلتين عظيمتين كونت الاولى منهما الممالك الكنعانية في سورية وكونت الثانية دولة الكنعانيين ومستعمراتها بجزر البحر الابيض المتوسط وفي شمال افريقية وجنوب اوربا

٢) الكلمة يونانية (فنيكس) ولها معنيان : النخيل واللون الاحمر وذلك لاستعمال الفينيقيين هذا اللون في ملابسهم ورسم النخيل على ثيودهم

عليها البربر لما وجدوا فيها من القرب من لغتهم ومن الاتصال الجنسي الكنعاني بأهلها، وقد زادت الفينيقية هذا الوطن تأكيدا للعنصرية السامية وتمهيدا للعروبة والعربية .

اتصال الفينيقيين بشمال افريقية

نشأ الفينيقيون بطبيعة بلادهم وما تقتضيه وضعيتها ومساحتها الضيقة قوما تجارا مولعين بالاسفار وركوب البحار فبرعوا في الملاحة حتى اصبحت لهم السيادة فيها كما هي الحال عند انكلترا وامريكا اليوم ، ولذلك دعيت عاصمتهم «صيدا» بلندن القديمة ؛ وذلك بفضل اسطولهم الضخم العتيق ، وكانت لهم مغامرات بالاقطار النائية الشاسعة جلب ما هم في حاجة اليه مما يصلح بصناعاتهم ، وللتجارة واكتساب الرزق ايضا ، فكانوا يحملون الفضة من اسبانيا والقصدير من انكلترا وغير ذلك من المعادن والاشياء الضرورية التي لا بد لهم منها فانتقلوا بذلك في بلاد الله الى ان دخلوا مصر متعاهدين مع اهلها فأسسوا هنالك شركات تجارية وخاضوا غمار البحر (البحر الابيض المتوسط) في سبيل مقاصدهم التجارية ؛ وهكذا الى ان حلت سنة ١٥٠٠ ق. م. فظهرت هنالك سفن لبعض الامم التي كان ان اقتبست حضارتها من هؤلاء الفينيقيين فأصبحت تزاحمهم يومئذ - سنة الكون - ومن بينها امة الاغريق التي اخذت في مضايقة فينيقية وحملتها على الانتقال او بالاحرى على الالتجاء بسفنها الى بلاد المغرب .

وفي سنة ١٢١٥ ق. م. انتصر الاسرائيليون على الكنعانيين الذين كانوا بفلسطين وارغموهم على الجلاء فانتقل بعضهم الى ارض فينيقية ومنها الى افريقية فنزلوا على اخوانهم الكنعانيين الاقدمين . وكان سلوكهم الى هذه البلاد ومحيثهم اليها على طريقين : برا وبحرا ، اما طريقهم البرى فكانت بواسطة برزخ السويس وصادف ان كان المجتمع المصرى يومئذ يتخبط في فوضى عامة واضطراب سياسى عظيم؛ فاهتبل المصريون هذه الفرصة وخرج الكثير منهم صحبة الفينيقيين وجاؤوا

معهم الى هذه البلاد فنشأ منهم جيل خاص مختلط يعرف بالفينيقي اللوبي ؛ له لغته الخاصة وخطه الخاص وهو المعروف بالمسند اللوبي. كما انهم مروا في طريقهم البحرية بايطاليا وصقلية فصحبهم يومئذ «الترسك والاوز» وجاء معهم آخرون من «الصيقل» سكان صقلية ، كما اصطحبهم آخرون ايضا من اوروبا مثل «الليغويين» الخ وذلك ما نشاهد اثره الى الآن بين ابناء هذه البلاد من اختلاف الناس في سحناتهم وعواطفهم واجسامهم وعقولهم ايضا ... وذلك الاختلاط نفسه هو الذي مكن من اقدام الفنيقيين - بعد ذلك - في هذا القطر الافريقي .

وتقدم القوم اولا الى ليبيا وانتشروا بأكمل الساحل الافريقي فأسسوا به نحو الثلاثمائة مركز ما بين مستودع تجارى ونحو المائتى مدينة ، كان منها بالقطر الجزائرى مدينة ايكوسيم - الجزائر - وصدادى - بجاية - وروسكادى - سكيكدة - وهبو بشد يدالباء معناه الاب - بونة (١) - ورسجوتنا - ماتيغو - وشولو - القل - وبول - شرشال - واطيججلى - جيغل - وروسقور ، وتاقسبت - وتادلش - دلس - وتنس ، وتيقزيرت ؛ الخ وكان من مراكزهم التجارية بداخل القطر : مدروس - مداورش - وتقاست - سوق اهراس - وتيفيست - تبسة - ؛ ومنها بالساحل التونسي ايضا سوسة وبنزرت وبالمغرب تنجيس - طنجة - وروسادير - مليلة - وجدير - اكادير - وهلم جرا ... وبهذه المواطن نشروا بضاعتهم وظهرت براعتهم فى صناعة الخزف والطين والزجاج والمنسوجات الحمراء والاسلحة الخ ... وكان الرواج والبيع فى جميع هذه البضائع والسلع وكل الصناعات بطريق المعارضة والمبادلة بمنتجات هذه البلاد المغربية من صوف ووبر وجلد وريش النعام والانعام والعاج الخ

(١) يلاحظ ان المدينة الحالية بنيت نحو سنة ٥٣٥٠ - ٩٦١م - وهى على نحو ٢ كيلومتر من موضع بونة (عنابة) القديمة

وبهذه الطريقة التجارية - والديبلوماسية ايضا - تم لهؤلاء الوافدين الاستحواذ على اقتصاديات البلاد واتسع لهم نطاق المعاملة فاضطروا بعد ذلك الى ضرب النقود (١) فكان لهم الاستيلاء السياسى بذلك . فالفينيقيون هم الذين ابتدعوا فكرة الاستيلاء على البلاد بطريقة تأسيس الشركات التجارية ، وهى الطريقة نفسها التى سلكتها هولاندة وانكلترة فى الهند وبلاد الشرق .

تأسيس قرطاجنة

كان لشدة توغل تاريخ قرطاجنة فى القدم - حتى كاد ان يتصل بفجر التاريخ - ان احاطت به اقوال وآراء كثيرة وروايات متناقضة مضطربة ضربنا عنها صفحا واقتصرنا على ما اشتهر لدينا رجحانه حسبما رواه لنا الشاعر اللاتينى فيرجيل .
ففى سنة ٨٨٠ قبل الميلاد خرجت الاميرة (جونو) - بإمالة النون الى الضم والفتح - ارملة (اسرباس) رئيس كهننة مدينة صور الفينيقية فارة من ظلم اخيها (بيغماليون) المستبد بالملك دونها والمستأثر بكنوز زوجها وترائها ، فكرهت الاميرة المقام على الضيم هنالك وجاءت الى هذا الشمال الافريقى حيث تقدمها اليه قومها الفينيقيون ، فنزلت بساحل تونس فابتاعت من ملك البلاد البربرى (ايارباس) قطعة من ارض جبل (برسة) وشرعت فيمن معها من الاتباع فى تأسيس المدينة المسماة باسمها : (كرت جونو) التى اصبحت معروفة فيما بعد بقرطاجنة (٢) عاصمة شمال افريقيا الى الفتح الاسلامى : ويقال ان هذا المكان كان يعرف باسم (قمبي) وانه كان قبل ذلك مستعمرة انشأها اهالي صيدا الفينيقيون ايام مجدهم ؟... وبذلك لفتت الاميرة انظار الناس الى هذه

(١) يرجح ان اختراع العملة كان فى القرن السابع ق.م. وينسب اختراعها الى ملوك (ليذا)

(٢) يقول بعض الناس ان اسم قرطاجنة محرف عن اللفظ الفتيق «كرت هدشت» بمعنى القرية الحديثة وهذا عندى بعيد بالنسبة الى قواعد التعريب ، فابن لفظ - جنه - من هدشت =

العاصمة الجديدة فأما الناس من كل فج عميق ، والتحق بها الكثير من سكان سواحل البحر الايض المتوسط من اهل الشام والشمال الافريقى وغيرهم فى مناسبات مختلفة

فعمرت المدينة واتسع بها العمران والمدنية فبلغ عدد سكانها الى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة وهنالك من بلغ بهم الى المليون ؟ ... ثم كانت بعد ذلك مركزا لبث العمارة بكامل هذا الساحل الافريقى على سيف البحر فانشئت المدن والمراسي وكثر عددها حتى فاق المآت ٠٠٠٠ (ثم اضمحلت بعد ذلك الا القليل) ويومئذ أصبحت قرطاجنة عاصمة الحوض الغربى وحامية حمى الفينيقيين من طرابلس الشام الى بوغاز جبل طارق. ونشأت بذلك فى افريقيا دولة شرقية الاصل مغربية الموقع

نظامها الحكومى

كان من الضرورى بل الواجب السياسى على هذه الدولة الناشئة بهذه البلاد ان تسعى فى تأسيس حكومتها المركزية للمحافظة على النظام والدفاع عن شرفها وحقوقها والذود عن مراكزها ومستودعاتها الاقتصادية ومؤسساتها المنتشرة بهذا الوطن ، وقد كان ذلك بالفعل فانشأت لها نظاما جمهوريا تحت رئاسة شيخين ينتخبهما الشعب مباشرة ، احدهما للإدارة العسكرية والآخر للإدارة المدنية ، ويطلق على كل واحد منهما لقب «شفط» بمعنى سبط بالعبرانية ، وهو الحاكم

== او حدثت ؟ بل الصواب هو ما ذكرنا : كرت جونو - قرية جونو - وهذا اقرب الى اللفظ الحادث قرطاجنة من كرت هشت . ويقولون ان اسم الاميرة هذه هو ايليسا او «عليشه ديدو» ؟ وهو اسم مركب من جزئين كما ترى ، ولست مرتابا فى الجزء الثانى من هذه التسمية لكونه وصفا بمعنى الالائه قد يصدق هذا على الاميرة ، غير اننى متوقف كثيرا فى الجزء الاول : ايليسا ، او عليشه فمن اين لهم ذلك ؟ ...

ولم يكن لاحدهما - قانونا - الاستقلال بالامر دون صاحبه ، فلا بد من اطلاق زميله واتفاقهما على اي موقف كان . ولهما الحق في تحرير نصوص القوانين الدولية بمساعدة لجنة خاصة تعين من طرف مجلس الشيوخ ، وان جميع الولاية وممثلي الحكومة في سائر المناطق المحتلة يعينون من طبقة التجار وارباب الصناعة وقد كان هؤلاء غالبا ينظرون الى مصالحهم الشخصية ويعملون لحسابهم اكثر مما ينظرون الى مصالح الدولة العمومية وبذلك ساءت العلاقات بين الحكومة والرعية فيما بعد - نظرا لسوء سلوك هؤلاء .

وكان هنالك ثلاثة مجالس : مجلس النواب وهو يحتوى على ٣٠٠ عضو ومجلس الشيوخ فيه ٢٨ عضوا لمدة حياتهم ؛ ومجلس القضاء المسمي عندهم بمجلس المائة والاربعة ، واعضاؤه كلهم من الطبقة الارستوقراطية (الاشراف) وهو يستمد سلطته من دينك المجلسين الاولين ، وبهذا النظام اشتهرت دولة قرطاجنة بكونها اول من سن في العالم نظام الحياة النيابية والحكم الجمهوري . وذلك ما حمل الفيلسوف العظيم ارسطو على ارسال شهادته بتزكية النظام الاداري القرطاجني في التاريخ حيث قال : « ان لقرطاجنة دستورا انفردت بكمالها عن سائر الدول ، ولها شرائع غاية في الحسن ، ومن الدليل على ما وعته من الحكمة انها مع ما للامة عندها من السلطان لم نجدها قط بدلت شكل الحكم ولا نشبت فيها فتنة ... » ثم قال : ان القضاء عند القرطاجنيين افضل منه عند اليونان لانهم لا يرضون له أغفال الناس ، بل يولونه احسنهم طريقة واحمدهم سيرة .

واما الجيش عندهم فانه في الغالب كان من المأجورين ومرتزة البربر وغيرهم ويبلغ عدده الى خمسين الفا ، وقد بلغوا في البحرية وحربية الاساطيل الالوج فانطلقوا يجهزون البحار ويكتشفون مجاهل المعمورة الى ان بلغوا البحر المحيط الاطلسي واوغلوا فيه حتى اطلعوا على قارة امريكا عرفوها قبل ان يعرفها كريستوف كولومب ستة عشر قرنا ولهم فيها آثار عثر عليها الباحثون فيما بعد ، على ان سطوتهم

في الحكم كانت لا تتجاوز الشواطىء والسواحل الافريقية اذ لم تكن خطتهم المرسومة لترمي الى اكثر من اخضاع ما حازوه من مراسى وموانى هذا الوطن، فلم يكن التوغل في داخل الوطن من شأنهم بل كانت ادارة شؤونه بيد اهله الافارقة، وبالجملة فقد كان نظام الحكم القرطاجني على العموم متساعها سهلا مع الاهالي، فهو لا يعمل على ازالة الزعامات وامانة الرجولة وابادتها كما فعل الرومان ومن سار على شاكلتهم بعد ذلك من المستعمرين!... نعم كانت هناك وقائع وحروب بينهم وبين الاهالي ولكنها كانت على خلاف النزعات الاستعمارية الدنيئة الاخرى؛ ورغم ذلك فالحكومة كانت تعامل رعيتهما بالحسنى الانادرا فانها تعاقب عقوبة عفيفة شادة واما الخزينة فانها متكونة من الضرائب والمغارم وربح المحصولات.

المعتقد القرطاجني

اشتهر الفينيقيون بميلهم الى النظر في الطبيعة وما اشتملت عليه من اسرار وغموض وما كان فيها من الغاز الالهية وباقبالهم على التفكير والاجتهاد في ادراك غوامض الدين الروحية فاداهم اجتهادهم هذا وحرصهم على العبادة الى الخضوع للشمس تحت اسم «بعل» وتانيث - القمر - وقد وجدت قرية قريبة من قرطاجنة تسمى باسم هذا المعبود، وعمون كذلك هو من آلهتهم ايضا، وكانت القرابين تقدم من قرطاجنة الى اإلهة صيدا «عشرت» المعروفة عند الاشوريين والبابليين باسم «عشرت» او «اشتر» ولها اسماء اخرى تقارب هذه عند الاراميين، وهو صنم يمثل زوجة بعل المعروف عند اليمينين باسم «عنتار» (مذكر لامؤنث) ولهم هياكل ضخمة للعبادة وهي مستودع تماثيل آلهتهم واليها تقرب القرابين وتقدم الضحايا البشرية ايضا!... وقد سرى نوع من هذه التقاليد بين الاهالي فقلدوهم فيها.

الوسط القرطاجني

بلغ من امتزاج الشعب المغربي بالقرطاجني ان تكونت بينهما وحدة كاملة. فاندمج الكل في الكل ، واثقوا روابط الاتصال هذا بالزواج بين الخاصة والعامه فكان اشراف الاهالي وامراؤهم يتزوجون من نبيلات فينيقية والعكس، وباعتناق الاهالي لعقائد قرطاجنة والاقبال على مصنوعاتنا ايضا تاكدت العلاقة واصبح الكل امته واحدة، وكفينا في ذلك حجة انتقال عرش المملكة الفينيقية من آسيا الى هذه القارة ويمتاز الوسط القرطاجني بانهماكم في العمل والتفاني في حب الصناعة والفلاحة والاكثار من الاسفار وعقد الرحلات في سبيل التجارة. وبظهور حركة التأليف ونشاطها بينهم ، ونرى القرطاجني في جميع مراحلها محبا للسلم عقيفا.

الجالية اليهودية

كان ابتداء مقدم اليهود الى شمال افريقيا منذ سنة ٥٨٨ ق م. اي في الوقت الذي فتح فيه الملك البابلي «بختنصر» (١) Nebuchadrezzar مدينة اورشليم (١) - بيت المقدس - وشرّد اليهود منها فخرجوا مضطهدين لاجئين الى ابناء عمومتهم الكنعانيين بهذا الوطن - البربر والفينيقيين - واشتهر هذا التشريد اليهودي بين المؤرخين باسم : جلاء بابل ؛ ثم كان الجلاء الثاني عندما حاول اليهود الخروج عن طاعة الرومان، فقضى عليهم الامبراطور طيطوش بن فسباسيان سنة ٧٠ م وشتت شملهم في العالم وخرب بيت المقدس الحراب الثاني ، فالتجأ يومئذ هؤلاء اليهود الى افريقيا ايضا ، ثم توالى بعد ذلك الهجرة اليهودية من المشرق الى هذا الوطن في مناسبات مختلفة واوقات متفرقة وقد كانت قبيلة جبراة المخيمة بجبل اوراس ونقوسة ومديونة كلها تدين بدين اليهودية الى عهد الدولة

(١) كان استيلاؤه على بيت المقدس وتخريبه ونهبه له في ثلاث دقات الاولى سنة ٦٠٦ ق م في سنة ٥٩٦ ق م في سنة ٥٨٨ قبل الميلاد

الادريسة فاعتنقت الاسلام ، ولا ندرى اكان ذلك التهود في هذه القبائل عن عقيدة وايمان ام عن تقليد ام عن وراثة جنسية ؟...

غوائل الغرب

كانت الناحية الشرقية من الجزائر - نوميديا - مصيليا (عمالة قسنطينة) هادئة مطمئنة تسير تحت طاعة ملكها البربري (غولا) الموالي يومئذ لقرطاجنة ، وكانت الناحية الغربية من الجزائر - موريطانيا الغربية - ومعها مراکش مصيليا تحت نفوذ الملك البربري (صيفاقص) ؛ وقد كانت انظار رومة وقتئذ متجهة نحو هذا القطر الاقليمي ، فحاولت هذه الدولة يومئذ التدخل في شؤونه بطريق التغريب والوعود الكاذبة وجاءته بدءا المنافسة كما هو شأن الغرب مع الشرق الى الآن !... فأوهمت صيفاقص بالمساعدة على ضم نوميديا اليه ان هو عمل على انتزاعها من غولا حليف قرطاجنة ، وبذلك يتم له الاستيلاء على كامل القطر الجزائري من الشرق الى الغرب ؛ فاغتر صيفاقص بتدجيل رومة وخرج من عاصمته صيفتا - ارشقول - لمهاجمة مملكة غولا فكانت الحرب بين الفريقين سنة ٢١٢ ق م. وكان على جيش غولا ولده ماسينيسا الذي لم يتجاوز يومئذ السابعة عشرة من عمره ، واخيرا انهزم صيفاقص متقهقرا الى موريطانيا ؛ ثم اعاد الكرة ثانيا على نوميديا في السنة التالية فخاب ايضا ، ويومئذ اتسع نطاق المملكة الجزائرية وتوحدت ادارتها تحت نفوذ الملك غولا ثم بعد وفاته نشأت فتن ومنازعات بين ولده ماسينيسا ومزاحمييه على ملك ابيه ، ومنهم عمه ؛ ولم تشأ قرطاجنة يومئذ ان تتدخل في شأن هذا الخلاف ، ولكن ماسينيسا غضب لذلك ، وكان يعتقد مناصرة قرطاجنة !... وبعد حروب سنة ٢٠٦ ق م. اقتسم هو وعمه مملكة مصيليا واعلن مخالفة قرطاجنة ومخالفة رومة واذ ذاك عملت قرطاجنة على استمالة خصمه صيفاقص واخذت تغريه بشتى المغريات ومنها مصاهرته بيت الملك فاصبح صيفاقص بجانب قرطاجنة مناوئا لماسينيسا ، وفعلا

انتصر على خصمه وشرده في الجبال وانتصب صيفاقس على عرش نوميديا واحتل سيرتا - قسنطينة - سنة ٢٠٤ ق م. ونشر نفوذه على القطر الجزائري من اقصى الى اقصى ويومئذ اختفى ماسنيسا يرقب الفرص المواتية حتى اذا تهيأت له واحدق الخطر الروماني بقرطاجنة نهض يلتهب غيضا على عدوه ومنافسه صيفاقس ، فانضم له يومئذ بعض اشقات من البربر ومن ورائهم رومة وكانت ، هنالك المعارك الشديدة والهزائم المريرة كاد ان يخفق فيها ماسنيسا ايضا لولا القدر واخيرا دخل هذا عاصمته سيرتا منتصرا فقبض على عدوه وبعث به مكبلا الى رومة ، يرسف في قيوده وبقي الملك صيفاقس في اسره حتى مات هنالك غيضا واسفا سنة ٢٠١ ق م. وهكذا مال سياسة من يحمى بالاجنبى على مواطنيه وابناء جنسه فان هلكه يكون على يده لا محالة وكم في التاريخ من عبر وآيات على ذلك . ولما اندحرت قرطاجنة في حروبها ضد الرومان في وقعة (جاما) سنة ٢٠٢ ق م. اضطرت الى اداء غرامة حرية لماسنيسا والاعتراف به ملكا شرعيا على عرش اسلافه وذلك جزاء الصابرين

الحروب الصقلية والبونيقية

ان كل من تتبّع تاريخ هذه الدولة يعلم انها ما دخلت في حرب قط ولا اعلنتها الا مرغمة مدفوعة اليها دفعا ، ومن ذلك ما اشتهر في التاريخ باسم الحروب الصقلية ، والحروب البونيقية (١) ، اما الاولى وقد دامت اكثر من قرنين (٥٣٦ - ٣٠٦ ق م) فانها كانت ضد اليونان بسبب مزاحمة هؤلاء للحكومة الفينيقيّة في متوجات البلاد الخاضعة لنفوذهما ، وكان النصر فيها لقرطاجنة ؛ واما الثانية فانها كانت ضد الرومان الذين اعتدوا على سيادتها وحاولوا التدخل في شؤون الوطن والتصرف في اقتصادياته ؛ فنهضت قرطاجنة مدافعة عن شرفها

(١) نسبة الى البونيقين *Poeni* الفينيقيون في لسان الرومان

فخاضت عباب هذا البحر وقطعت جبال الالب وحصرت رومة حتى كادت ان تذهب بدولة الرومان ، ويومئذ اشتد تكالب هؤلاء الاعداء واثارت ثائرة حقدهم فهاجموا قرطاجنة في ثلاث دفعات ، كانت الحملة الاولى ما بين سنة ٢٦٤ و٢٤١ ق.م. وانتهت باستيلاء الرومان على صقلية واهم جزر البحر الابيض المتوسط التي كانت سبب هذا النزاع ، ثم كانت الحملة الثانية فيما بين سنة ٢١٩ و٢٠٢ ق.م خسرت فيها قرطاجنة جميع مستعمراتها في اسبانيا وجزر هذا البحر ، وكان سبب ذلك رغبة قرطاجنة في استرجاع ما سلبته منها رومة والانتقام للشرف . اما الثالثة فانها كانت من الرومان خشية انتشار نفوذ الملك البربرى الجزائرى - ماسنيسا - وحب الاستئثار بهذا القطر والقضاء على دولة الفينيقيين ، وقد دامت هذه الحرب الثالثة من سنة ١٤٩ الى سنة ١٤٦ ق.م. وفيها تم للرومان القضاء على دولة قرطاجنة والاستيلاء على مملكتها الافريقية ، ولقد رد المؤرخون جميع اسباب الانهزام التى لحقت قرطاجنة الى انقسام الحكومة يومئذ الى حزبين اثنين : حزب الرسمالين الذين يعملون للسلم ابتغاء الثروة وجمع المال ، وحزب المحاربين ؛ فذهبت الدولة ضحية الخلاف ! والكل راجع الى المنافسة والتزاحم وحب الاستئثار ؛ اما امنية الرومان فهى حب السيطرة والاستعمار .

وليس هنالك من الوقائع والحروب غير هذا سوى ما كانت تثيره قرطاجنة احيانا من الملاحم او المكافحة لقمع الثائرين من ابناء البلاد فان ذلك لا يعد حربا ، او ما ذكره احمد زكى فى تاريخ الشرق ومحمد بك دياب فى خلاصة تاريخ مصر من ان هناك غزوا وقع من كميز او ، -- قمبراسوس - (بهرسب) - الفارسى (٥٢٩ - ٥٢٢ ق م) على بلاد المغرب بعد ما فتح مصر سنة ٥٢٥ ق م ولكنه لم يستطع اتمام المشروع فرجع خائبا

انشاء الممالك الوطنية بالجزائر

كان القطر الجزائري على عهد قرطاجنة مجزءا الى جزئين شرقي وغربي ، فالشرقي منه يسمى بمملكة «المسيلان» وحدودها من وادي الرمل بعمالة قسنطينة الى الحد الغربي من القطر التونسي ، وقاعدته مدينة (بونة) - عنابة - والقسم الغربي وهو من مملكة «المسيلان» ما بين وادي الرمل والمالوية وقاعدته سيرطة - او (قرتة) بمعنى القرية وهي قسنطينة ؛ وجميع سكان هاتين المملكتين يعرفون في التاريخ باسم (النوميد) ومعناه الرعي والتقل في سبيله ، وذلك ما يدلنا على ان سكان هذه المناطق هم رعاة قبل كل شيء وهو ما دعا بعد ذلك الى تسميتهم بالشاوية ايضا؛ ويومئذ لم يكن لهؤلاء الناس ملك او نظام مملكة حتى اذا اذن ملك قرطاجنة بالذهاب وتوالت الخيبة عليها في الحروب البونيقية الثانية سنة ٢٠٢ ق م شرع الجزائريون بالخصوص في تأسيس ممالكهم اغتناما لهذه الفرصة السانحة فتكونت ممالك وطنية نظامية تحميها قوة الرومان الجائئة

فكان اول ملوك الجزائر في هذه الآونة (فارمينا). وكان على بلاد نوميديا شرقي مقاطعة قسنطينة الملك (ماسنيسا) و(نرفالس) ٢٣٨ ق م و(صيفاقس) ٢٣٠-٢٠٢ ق م وعاصمته صيغة - ارشقول - باحواز تلمسان على ضفة البحر عند مصب نهر التافنا ، ومنهم كذلك (مصيبسا) وعاصمة سرطة - قسنطينة ١٤٩ - ١١٩ ق م و(ماصيته) كان على ناحية سطيف ، و(عراييون) كان على ولاية نوميديا السطيفية ، و(يوبالاول) وعاصمته هبون - بونة - (يوبال الثاني) ٢٥ ق م - ٢٣ ق م - وقاعدته قيسرية - يول - شرشال وقد كان لبعض هؤلاء الملوك حق سك العملة باسمه وضرب النقود بعاصمته

الثقافة والحضارة والعمران

لا نكران!... فان للامة الفينيقية الفضل الاوفر على العالم المتمدن اجمع ، اذهى اول من ابتكر طريقة رسم الحروف الابجدية المنتشرة في العالم اليوم وجعلها حسب النطق بعد ما كانت مسمارية - وهيروغليفية - (تصويرية) كما انها اول من وضع نظام الاشكال الحسائية ، فجميع خطوط الامم اليوم مدينة الى الخط الفينيقي القديم ، وتلك مفخرة ممتازة يفتخر بها الجنس السامي على سواه .

واشتهر الفينيقيون ايضا بالمحافظة التامة على مميزاتهم وخصائصهم الجنسية وكل ما يربطهم بحياتهم العامة ومعيشتهم الشرقية فلم يتأثروا بالحياة الافريقية يومئذ ولا بغيرها من تقاليد الامم الاخرى ولم ياتفتوا كذلك للحركة الفلسفية التي اشتهر بها اليونان ... فقد غلبت عليهم المادة في كل شيء ، ولا يظهر عليهم اثر التقليد الا في فن المعمار فانا نرى فيه اثر المحاكاة نوعا ما في بعض مظاهره بالفن اليوناني ، ويرى ذلك جليا في المقابر والمعابد وفي اواني الطين والمجوهرات ولقد برع الفينيقيون في شتى فنون الصناعة كنجحت العاج واستخراج العطور

والمواد الدهنية وصنع الزجاج والبلور الملون والنقش على الصخور والخشب وتعددين المعادن والنسج بكيفية ممتازة لا تزال الى اليوم تستعمل في بعض جزر الارخبيل من سواحل اليونان التي كانوا يجلبون منها العندم . كما اشتهروا كذلك في البحرية بسفنهم العجيبة واتقان بناء الموانئ والمرافق بها ، فقد كانت مرسى قرطاجنة تسع نحو ٢٢٠ مركبا حربية . كما كانت لهم القدم الراسخة في التجارة والفلاحة ، فعسوا كثيرا بغراسة انواع النخيل والزيتون والرمال والتين والارز والجوز ، وقلدهم في ذلك الافارقة والرومان ايضا فترجموا كتاب (ماقون Magon) القرطاجني في الفلاحة وانتفعوا به كثيرا ، وكثرت يومئذ المؤسسات والمباني العظيمة والاجنة والقصور والملاعب ونفقت على عهدهم سوق العلم والادب ؛ كما انهم انشأوا طرقا

واسعة تربط ما بين اطراف افريقية الشمالية والوسطى فكانت القوافل مثل السفن أيضا غادية رائحة بضائعها ، فنفت التجارة بين الاقطار ، وكان لأمراء البلاد قوافل وشركات خاصة ، فانتشر بذلك العمران والمدنية القرطاجنية في كامل الساحل الإفريقي بل تخطياه الى الضفة الاخرى من جزر هذا البحر وسواحله فازدهرت الحياة العامة على ضفاف هذا الحوض وكانت لهم السيادة المطلقة فيه على غيرهم سواء من جاورهم من الامم الاخرى او من بعد عنهم . وجاءت امّة الرومان بعدهم فقضت بدافع الحقد والضعف على جميع هذه المدنية الزاهرة واتعبت نفسها في ذلك فاضاعت جميع الاثار التي كانت تدل ببهجتها على ما للقرطاجنيين من الرقي والتقدم في الحضارة ... وكل ما عثر عليه الباحثون اليوم من آثار هذه الامة هو لا يتجاوز بعض نقوش ورسوم لا تزيد فائدتها عن دراسة لغة القوم ولهجة التخاطب بينهم ، والى هؤلاء الفينيقيين يرجع الفضل في تطور هذه البلاد واخذها بأسباب المدنية من جديد في الحرب وفي السلم

انهيار الجزائر الفينيقية

لا نطيل على القارئ بتحليل المواقف الحربية وذكر تفاصيل الوقائع والملاحم التي قضت بسقوط قرطاجنة وانتصار رومة عليها فان ذلك يعود الى دراسة تاريخ الجندية والحروب ، وهو موضوع مستقل افردنا له بالتأليف ، وانما يهمنا منه مواضع العبرة واسباب ذلك ؛ وهو ما يجده القارئ امامه في هذا الباب

ان اهم الاسباب الاساسية التي يرجع اليها سقوط هذه الدولة وتقلب الرمان عليها . تنحصر في اربع نقط : اولا تنافس الاحزاب السياسية وانقسامها على نفسها الى ثلاثة اقسام ؛ ثانيا اندفاع الدولة وراء التقدم المادى واهمال الجانب الروحي بالمرّة ، ولا يخفى ما للروح من الاثر والتأثير في كل شيء ... وثالثا عدم شعور الجند بالمسؤولية العظمى في هذه الحية حيث انه اجنبى عن الوطن

لا غيرة له وطنية ولا حمية وانما هو يسعى وراء الدرهم والمغرم ، فهو اخلاط من المتطوعين والمترزقين فلا اخلاص له ولا وفاء ؛ والرابعة وهى الحالقة المنسقد سوء سلوك الحكومة بالرعية فكلما زادت ايام اقبالها الا وامعنت في الظلم والجور ، وذلك مؤذن بالزوال لا محالة ويومئذ ظهر شبوح رومة بمظهر المنسقد الاعظم وتظاهرت امام البربر بالعطف والرحمة والعدل فانخدع لها الناس وانجذبوا اليها ، فاستعملت رومة حيثئذ قاعدة الاستعمار العامة : فرق تسد وسعت في توسيع شقة الخلاف بين الراعى والرعية واورقت بينهما العداوة والبغضاء ثم تقدمت الى ملوك البربر انفسهم ففرقتهم عن بعضهم - وهى في كل ذلك متظاهرة بالعمل على نصر المظلوم والانتصار من الظالم - فاشتد بذلك تصلب قرطاجنة وزادت في قساوتها وكان ذلك سببا في انفجار الحروب البونيقية تلك الحروب الطاحنة الهوجاء ... وما كانت رومة لتقوى على مقاومة قرطاجنة لو لا انظام البربر اليها ونقمتهم على عدوتها وطموحهم الى الاستقلال والحرية فاغتنم الرومان كل هذه الفرص المواتية وضربوا طولهم على هذه النعمة فالتهب الشعب البربرى حماسا ونهض يومئذ ملك سيرته - قسنطينة - (ماصنيسا) وفي عمره وقتئذ ٨٨ سنة فانضم بقومه الى الجيوش الرومانية الجاثمة حول العاصمة (قرطاجنة) وحاصروها مدة سنة كاملة فقطعوا عنها الميرة وكانت هنالك الغارة الشعواء وتكرر الهجوم من الرومان والبربر على المدن والعواصم فخربت البلاد وهدمت الاسوار وسبى النساء والذرارى وتشنت شمل احزاب قرطاجنة وتمزق القوم شرم ممزق فتبددوا في البلاد وقتلوا تفتيلا ، ويومئذ اظهر النساء القرطاجنيات من البسالة والبطولة النادرة والشجاعة في المقاومة ما يذكرن به فيشكرن وظفرن شعورهن جبلا مفتولة تبرعن بها على سفن المقاومة لاستعمالها في مكان الجبال المنعدمة يومئذ فقاومت قرطاجنة برجالها ونسائها الى الرمح الاخير وليس هنالك ما يقبها شرسقطتها او من يأخذ بيدها ، وتلك هى نتيجة ما زرعه يدها في

قلوب الالهالى من دواعى السخط والحقد عليها ، فأحل بها الدهر بأسه وصب عليها الشعب نقمه ، وسقطت بيد الرومان سنة - ١٤٦ ق.م - واصبحت احدى سائرته ، وعظمة زاجرة . وتم هذا النضال بين قرطاجنة الفينيقية وبين الرومان الذى هو فى الحقيقة والواقع نضال بين العنصرين : السامى والآرى وقضت صروف الدهر وطوارقه بانهمزام العنصر السامى الى مدة قرون فى هذه القارة لافريقية الى عهد الفتح العربى فتجدد له حيثذ نشاطه تحت لواء الاسلام ، ويعتبر القارئ البصير بأن انهمزام قرطاجنة لم يكن - فى الحقيقة - عن قصور او تقصير منها فى الدفاع عن نفسها وانما هو اثر لذلك الاستعلاء والتجبر والمعاملة السيئة التى سلكتها مع الرعية فأحدث فيها نفورا وانزعاجا ، سنة الله فى كونه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وسقوط هذه الدولة تحولت زعامة العالم من يد شمال افريقية الى جنوب اوروبا وتعطل بذلك سير التمدن بضعة قرون

مشاهير ملوك الوطن الجزائري

.....

٢٣٨ ق م	نوميديا الوسطى	نرهفاس
٢٣٠-٢٠٢ ق م	نوميديا الشرقية	صيفاقس
« ٢٠١	نوميديا الوسطى	غولا بن نرهفاس
» ١٤٩-٢٢٧	نوميديا الوسطى	مصينيسا
« ٢٤٩	نوميديا الشرقية	مصيصا وغولوصا ومناص بعل
« ٢٠١	نوميديا الشرقية	ماسينيسا وفارمينا
...؟		إصالس بن نرهفاس
...؟		لكومسيس

مشاهير الجزائريين

مصينيسا

٢٢٧ - ١٤٩

ق ٢٠

مصينيسا او ماسينيسا ، هو من اشهر ملوك البربر الجزائريين المعدودين ، ومن اعظم زعمائهم على الاطلاق ؛ ابوه (غولا) ملك نوميديا وعاصمته سيرته (قسنطينة) . نشأ مصينيسا هذا محبا لوطنه غيورا عليه مدافعا عنه ، وقد شارك في محاربة خصم والده ومنافسه الملك (صيفاقس) وسنه حينذاك لم يتجاوز ١٧ سنة ومن ذلك الحين تألق نجمه في السماء بين ابطال التاريخ الجزائري فخلف ابيه بعد وفاته على العرش وكان في اول امره مواليا للفنيقيين ، ولما رأى من قرطاجنة تها ونها بشأنه وعدم مبالاتها بحقوقه الشرعية في الولاية على عرش ابيه حتى كاد الا جانب ان يستولوا عليه ايام خروجه غازيا مدافعا عن حياض قرطاجنة ، غضب لذلك وعاد من فوره مطالبا بملك ابيه الضائع واحتل في ذلك مشاقا عظيمة واهوالا شديدة وكان ذلك سببا في خروجه عن طاعة قرطاجنة واعلانه باستقلال الجزائر وتحرير الوطن من اغلال قرطاجنة . وكان يحضر المعارك الحربية بنفسه رغم تقدمه في السن ، واستمر على الكفاح ضد الاستبداد الفنيقي حتى ظفر بالنصر واستقل بعرش الجزائر سنة ١٥٨ ق . م ودانت له البلاد الى الحدود التونسية ، وكان مصينيسا هذا حريصا على ربط صلته بالرومان واليونان ابتغاء وصوله الى غايته التي يرمى اليها من القضاء على نير قرطاجنة فكان ما اراد . والى هذا الملك البربري يعود الفضل في اختراع لغة (ليبية) على نمط الحروف الهجائية الفينيقية ، وهو الذي عمل على استقرار البدو في نواحيهم

بالبادية واتخاذ الزراعة حرفة لهم بدل الرعى ، وجعلها عمدة الحضارة القديمة ، كما انه عني كثيرا بالاقتصاد والتجارة . وكان من تيقظه الحربى وشدة حذره انشاؤه لاسطول ضخم وجيش منظم ، وضرب السكة باسمه وقد اجمع اهل التاريخ على مدحه والثناء على اخلاقه وسجاياه . توفي سنة ١٤٩ ق.م عن سن عالية تنيف على المائة عام ودفن في قبره المعروف به الى الآن بالحروب على ١٦ كيلومترا بالجنوب الشرقى من قسنطينة

جدول تاريخى

تاريخ الحوادث	اهم حوادث الجزائر في العهد الفينيقي
٨٨٠ ق.م	مقدم الاميرة «جونو» (١) وتأسيس قرطاجنة
٥٨٨ ق.م	الهجرة اليهودية الى افريقية
٥٣٦-٣٠٦ » »	حروب صقلية
٢٦٤-١٤٦ » »	الحروب البونيقية وسقوط قرطاجنة
١٥٨ » »	استقلال الملك البربرى الجزائرى مصينيسا
١٤٩ » »	وفاة مصينيسا

(١) من المحتمل جدا ان يكون اسم الاميرة هذا ناتجا عن اسم الالهة «جونون» ربة الفينيقيين ومعبودتهم ؟ ... وقد يكون كذلك اسم المدينة (قرطاجنة) مضافا الى نفس هذه الربة «جونون» ؟ ... انظر صفحة ٦٠ من الكتاب

الدولة الرومانية

١٤٦ ق. م - ٤٣١ م

الرومان امة آرية متكونة من شعوب وامم مختلفة ، منها امة الغال والاتروسك والاغريق واللاطين ... ومسكنها ارض ايطاليا بجبالها وسهولها ؛ وهي منسوبة الى باني رومته ومؤسسها «رومولوس» حفيد «نوروكاش» ملك اللطين ، وكان تاريخ بناء هذه العاصمة التاريخية سنة ٧٥٤ ق م

نظامها الحكومي

استمرت رومته على حكمها الامبراطوري بمرافقة مجلس الشيوخ الذي كان يحتوى اولا على مائة عضو ثم زيد فيه بعد ذلك ؛ وفي سنة ٥٠٩ ق. م انقلب الحكم جمهوريا فكان عدد اعضاء مجلسها حينئذ يفوق الثلاثمائة عضو ينتخبون لمدة حياتهم ، ومن بين هؤلاء ينتخب عضوان بارزان هما اللذان يشاران اعمال الحكومة العليا ورئاسة الدين لمدة سنة ويلقب كل منهما بلقب قنصل ؛ وقد كان لرومته على هذا العهد ولايتان بافريقية وخمس بآسيا وعشر باروبا ، وبقي الامر على ذلك الى سنة ٣١ ق م حيث تغلب الامبراطور اغسطس اوكتافيوس على منافسه انطونيوس وتبوا عرش رومته واصبح يومئذ صاحب الامر والنهاى فسعى في تغيير نظام الحكم الجمهورى واعاد البلاد الى نظامها الامبراطورى السابق وفوض الاعمال لولاية اتخذهم في البلاد ويومئذ سقطت الجمهورية الرومانية وعادت السلطة الاستبدادية تحت نفوذ الاباطرة من ملوك الرومان ؛ وقد كانت حالة ابن البلاد الاهلى المستعمر على عهد هذه الجمهورية انعكس منها على عهد الامبراطورية .

وكانت العاصمة الاولى الرومانية بافريقية (عوتيقة) ثم انتقل منها حاكم الامبراطور الى (جنونيا) التي هي قرطاجنة ، و«بروقنصل» - الحاكم - النظر

المطلق في كلتا السلطتين : العسكرية والمدنية ، ولكل من هاتين الناحيتين منظمة ادارية يديرها موظفون تحت اشراف رئيس . وتستمر ولاية « البروقنصل » الى تمام السنة من ولايته ، ثم انه اذا احسن السير والتدبير في سياسته يعين للمرة الثانية والثالثة وهكذا . ويتقاضى هؤلاء الموظفون مرتباتهم مما يستخلص من الشعب من ضرائب فادحة على اختلاف انواعها ومقاديرها ، من ذكور الامة واناثها . وتستخلص هذه المغارم والجبايات بواسطة الاعيان فهم الذين يدفعون اولا من عندهم للخزينة ما تلزمهم به الحكومة ثم هم يتولون الاستخلاص من الرعية من غير مرحة ولا شفقة ... وقد كان مرتب « البروقنصل » لا يقل عن مليون « سيسترس » سنويا ، والسيسترس هو عبارة عن قطعة من فضة رومانية ، ولنائب الامبراطور موريطانيا القيصريّة مرتب يقدر بنحو اربعين الف فرنك .

اما عدد الجند فانه كان لا يزيد في جميعه او مجموعهم عن خمسة عشر الفا ، وهو عدد ضئيل كما رايت بالنسبة الى سعة المساحة التي يسيطر عليها الرومان ، وهذا يدلنا بلا شك على كمال نجاح الحكومة وتوفيقها في السياسة ودهائها الدبلوماسي الذي تمكنت به من التحكم في البلاد . ثم ان هذا الجند في نفسه مختلط ، ففيه البربري والروماني والاسباني وغيرهم من الجند المستأجر ، ولقد تزايد فيه عدد البربر حتى كان له التفوق على الجيش تماما . وكانت مراكزه بالجزائر مدينة تبسة ومليس ؛ فلاحامية تبسة مراقبة البر وقنصلية - تونس - ونوميديا - اعمال قسنطينة ، وهي نفسها التي نقلت بعد ذلك الى لميس ، وهناك حامية اخرى لمراقبة موريطانيا الشرقية - الجزائر ووهران - وحامية بقرطاجنة يبلغ عددها الالف

وللاسطول الروماني امتياز بسطوته الجبارة على هذا البحر ، وكان مقره بالجزائر مدينة شرشال ، وتونس : قرطاجنة . اما الخزينة فهي دائما مستمدة من اموال الشعب من مغارم وضرائب متنوعة ؛ والرعية تحت رحمة القوانين

الاستثنائه ليس لها حق الرومانى مطلقا!... فالناس فى نظر القانون الرومانى طبقان : احرار وعبيد ؛ وقد حدث مرة ان الامبراطور البربرى سبتيموس سويس اصدر امره سنة ٢١٦ م بمساواة الرعية فى نظر القانون وان اختلفت اجناسها وحالاتها السياسية ، ومنح البربر حريتهم الشخصية فما كاد الامر هذا يتصل بهذه الديار حتى سعى المستعمرون فى عرقلته ، وبالفعل رفض ولم ينفذ.... فالاستعمار ايها القارىء الكريم كما انت تراه اليوم بعينك وتلمسه بيدك هو هو!... فكما اشاع الاستعمار وتغنى بصور قوانين عادلة تشتمل رعاياه بالجزائر ، ولكنها عند التطبيق يأخذ الولاة ومن ييدهم تسيير دفة المستعمرة فى تأويلها وشرحها محرقة حسبما تقتضيه قواعد الاستعمار العامة من بقاء ابن البلاد دائما تحت الضغط الشديد وبالجملته فلقد بقي الاهلى طيلة الاحتلال الرومانى فى شقاء وعناء .

وضعية شمال افريقية على عهد الرومان

لقد كانت هذه الجزيرة المغربية او قل افريقية الصغرى كما يعبر عنها بعض اهل الجغرافية من المعاصرين جزءا واحدا فى جميع اعتباراتها السياسية وفى جميع نظمها الداخلية والخارجية كما هى عليه حالتها الطبيعية وشكلها الجغرافى ، الى ان جاء دور الرومان هذا فقسبوها الى ثلاث مقاطعات : افريكا ، ونوميديا ، وموريطانيا ، وهى تقريبا هذه الاوطان الثلاثة التى يشماها اسم المغرب العربى اليوم : تونس والجزائر ومراكش ، وكان يطلق عليها جميعها ايضا اسم موريطانيا ما عدا طرابلس . وفى سنة ٢٧ ق . م اندمجت نوميديا فى افريكا القديمة وصار الحد من الوادى الكبير قرب جيجل الى برقة ، وفى سنة ٢٠٠ م سمي الجميع باسم نوميديا القسنطينية تميزا لها عن نوميديا الجديدة .

وفى عهد الامبراطور كلوديو جزئت موريطانيا هذه ايضا الى ناحيتين اثنتين :

موريطانيا النطجية - مراكش - نسبة الى عاصمتها يومئذ طنجة ، وموريطانيا القيصرية وهي تشمل ارض الجزائر وتونس ؛ ثم كان في سنة ٤٠ م تقسيم موريطانيا القيصرية الى قسمين : موريطانيا السطيفانية نسبة الى مدينة سطيف او سطيفي ، - وهي ارض الجزائر - وبقيت الاخرى باسمها القديم ، وهي من وادي مولوية الى البحر المحيط الاطلسي . وايا ما كان فان النفوذ الروماني لم يشمل جميع بلاد هذا الشمال الافريقي ، بل كان مقتصرًا على الساحل بما فيه من مدن وعواصم وقرى مركزية ذات شأن اقتصادي . ولقد ضبط الرومان ذلك بخط «الليميس» وهو عبارة عن طريق معبدة هائلة او خندق عميق او سلسلة ثكنات لسكنى الجند المحارب محافظة منهم على الامن ؛ وكان هذا الخط يذهب من طرابلس الى جنوب مدينة الرباط ، ولا تزال منه بقية بمراكش ؛ وجعل الباقي من تراب هذا الشمال تحت الحماية السياسية العامة ، وبذلك استمر سكان شواطئ الجبال والتخوم محافظين على استقلالهم ؛ وكان هؤلاء دائما هم مبعث الثورات ضد النفوذ الروماني ونواة الحرية والاستقلال

الرومان بالجزائر

كان ابتداء علاقة الرومان بالقطر الجزائري منذ سنة ٢١٣ ق.م وامتدت اليه ندهم فتصرفوا فيه منذ سنة ١٠٤ ق.م ووضعوا قدمهم بنوميديا سنة ٤٦ ق.م - ٤٢ م ، ولم يكن للرومان ان يستولوا على بلاد القبائل الا بعد سنة ٢٩٧ وجعلوا عاصمتها بلدة جمعة صهريج . وكثيرا ما تغير نظام الجزائر الاداري فقسمت وجزئت الى اوضاع واشكال مختلفة ؛ فقد كانت مجزأة الى اربع ولايات او مقاطعات : ولاية ندرومة ، وقسنطينة ، وسطيف ، وشرشال ، وفي سنة ٣٧ م جعلت ناحية نوميديا وحدة ادارية تحت اشراف ضابط عسكري في رتبة عضو بمجلس الشيوخ وهو تحت طاعة الامبراطور نفسه .

ولقد كان من النظم المتبعة في العواصم والمدن انتخاب المجالس البلدية لسلك ولاية وان لهذا المجلس النظر في مصالح منطقته كما هو الشأن المتعارف اليوم في البلديات، وان اوسع بلدية كانت بالقطر الجزائري في هذا العصر هي بلدية بونة - غنابة - فان نفوذها الاداري يمتد غربا نحو ثلاثين كيلومترا وشرقا نحو ٥٠ كم كما انه لا ينبغي ان ننسى نظام المدن الخمس: قسنطينة، وميلة، وسكيكدة، والقل، وجيلة وما الحق بها من المدن والقرى وما كانت عليه من الحرية والاستقلال الداخلي وما بلغته الرعية في ضلها من الرفاهية والبذخ؛ وبالجملة فان خط حدود الجزائر الرومانية يمر بجنوب اوراس والشاطئ الايمن لوادي جدى ثم يصعد على حدود الشمال الغربى فيمر وسط جبال الزاب ويقطع وادي الشعير فيضم الحضنة من جهتها الغربية ثم يتجه نحو سور الغزلان ويمر ببوغاز وتيهرت وفرندة، ويمتد الخط غربا الى تلمسان ولاامغنية وبالجملة فانه لم يكن للرومان بالجزائر سوى التلول، اما الصحراء فانهم لم يطرقوها الا من ناحية اوراس

المعتقد الروماني

كان الرومان صابئة يعبدون الاوثان والشمائل التي تصنع للجواهر العلوية والاجرام السماوية، ويعبدون النار والموتى من اسلافهم ويجعلون ذلك كله في زعمهم وساطة بين العلة الاولى والخلق. وقد كان لهم الهة متعددة فللحرب اله، وللسلم اله، وللمطر اله (١) وهلم جرا.... واشتهر من بين هذه الآلهة الوثن

(١) ان فكرة تعدد الآلهة هي عقيدة اشورية قديمة اخذها حكماء اليونان عن هؤلاء واذا عوها بين قومهم احتيالا منهم على الطغاة من ملوكهم المستبدين وبها توصلوا الى منازعتهم الملك ومشاركتهم في سلطتهم المطلقة فصح لهم بذلك مطالبة جبايرتهم بالنزول عن مقام الانفراد والوحداية، وهكذا فعل عقلاء الرومان بعدئذ، ولا يزال هذا الاصل القديم في العقائد هو القاعدة السياسية العامة في توزيع الادارة بالحكومات وتنوع السلط الملكية والجمهورية ايضا

المعروف باسم (جوبيتير) فهو اله الالهة ، له حق النظارة على جميع اربابهم ، وله الحق كذلك في الترحيح عند اختلافهم ؛ وهم يجعلون له صورا واشكالا متنوعة تميزه عن غيره من آلهتهم . ومنهم من كان يتمثل معبوده في الديدان فيطعمونها القول الاسود ، وغايتهم من العبادة كلها الفوز بالانتصار في المعارك والحروب ودرء المصائب عنهم . وقد اندمجت هذه العقائد بغيرها من عقائد البربر واسبغت عليها البربرية طابعها الخاص

الحياة الرومانية

كانت معيشة الروماني او حياته البدائية بسيطة لا رفاهية فيها ولا نعيم ، فهو يستعمل الخشن في ملابسه ، وليس له من الثياب سوى قميص سابغ بألوان تارة بغير ألوان ، وسراويل ، ويتنعل خفا غليظا . وكان للخاصة قمصان ذوات حواش حمراء ، ولطبقة الاحرار منهم حلل من الملف الابيض ، ويمتاز القضاة بالحفاف الأحمر ، وكان للنساء ولوع ومبالغة في ضروب الزينة والتجمل بأنواع الحلى ؛ اما المسكن فانه كان قبل استعمالهم للحجارة من خشب لا نافذة فيه لجهلهم بصناعة الزجاج يومئذ ؛ وكانت الانهج والسكك وممرات الطرق ضيقة عديمة النظافة لا ضوء فيها ليلا ، وكل ذلك لم يمنع تقدمهم في الحضارة بعد ذلك ورقمهم المادى والادبى فكانت هنالك المسارح والمعابد والهياكل الضخمة الخ ... وهم اخذوا ذلك عن الاغريق وقرطاجنة وغيرهما ممن جعلتهم الاقدار تحت سلطتهم وشملهم نفوذهم الامبراطورى واشتهروا بعد ذلك بنظامهم القضائى الذى لا تزال الامم الراقية اليوم تستمد منه روح التشريع . اما لغتهم فهى لغة اللاتين وادبهم هو وليد الادب الاغريقى

الجزائر والرومان

كان لسوء سلوك الرومان مع الاهالي وفساد سيرتهم وضغطهم على حرية الافكار تأثير عظيم على احرار الجزائر وابادة الضيم منهم ، فمصفت برؤوسهم نخوة الشهامة الوطنية واثارت بهم حمية الانفة فنهضوا نهضة رجل واحد بزعامه القائد البطل يوغورطة واندلع لسان الثورة ضد الطغيان الرومانى سنة ١١٠ ق م. ويومئذ اخذ القائد المذكور في توحيد الطوائف البربرية وجمع كلمتهم ضد الاستعمار الرومانى فكانت ثورة عنيفة وحربا عوانا تصارع فيها الحق والباطل وكانت الغلبة في جانب الحق الذى يعلو ولا يعلو عليه ، وتكرر على رومة الانهزام في عدة وقائع ، وتبوأ يوغورطة عرش سيرتا - قسنطينة سنة ١١٢ ق م واطلن استقلال الجزائر التام ؛ وحشد لجأت رومة الى المخادعة والمراوغة وتفتنت في انواع المكر والدهاء واستعانت في ذلك ببعض الخونة الاندال من رؤس البربر مثل يوبا الثانى وبوكوس - ملك موريطانيا - فتمهدت لها السبيل يومئذ باضطراب حبل الاهالي واختلافهم على بعضهم وفعلا تغلب بوكوس على يوغورطة - وهو صهره - والد زوجته ، فقبض عليه واسلمه الى الرومان سنة ١٠٦ ق م فذهب به هؤلاء الى سجن رومة فمات بها ؛ وحشد اضاف الرومان منطقة نوميديا الغربية - عمالة الجزائر ووهران - الى الملك بوكوس مكافأة له على نصره لهم ضد صهره وزيد في مملكته جميع التراب الذى بين ملوية وبجاية وبهذه السياسة اوقل الدسيمة انتصر الرومان بالجزائر وانكسر جند المقاومة الاهلي بين قوتين عظيمتين : قوة جيش العدو المهاجم الذى كان يبلغ ٣٤٠٠٠ محاربا ، وقوة الخصوم الداخلية والمنازعات التى كان من رؤسائها بوكوس ويومئذ تمكن الرومان من الجزائر بعد محاولة دامت اكثر من ٨٨ سنة .

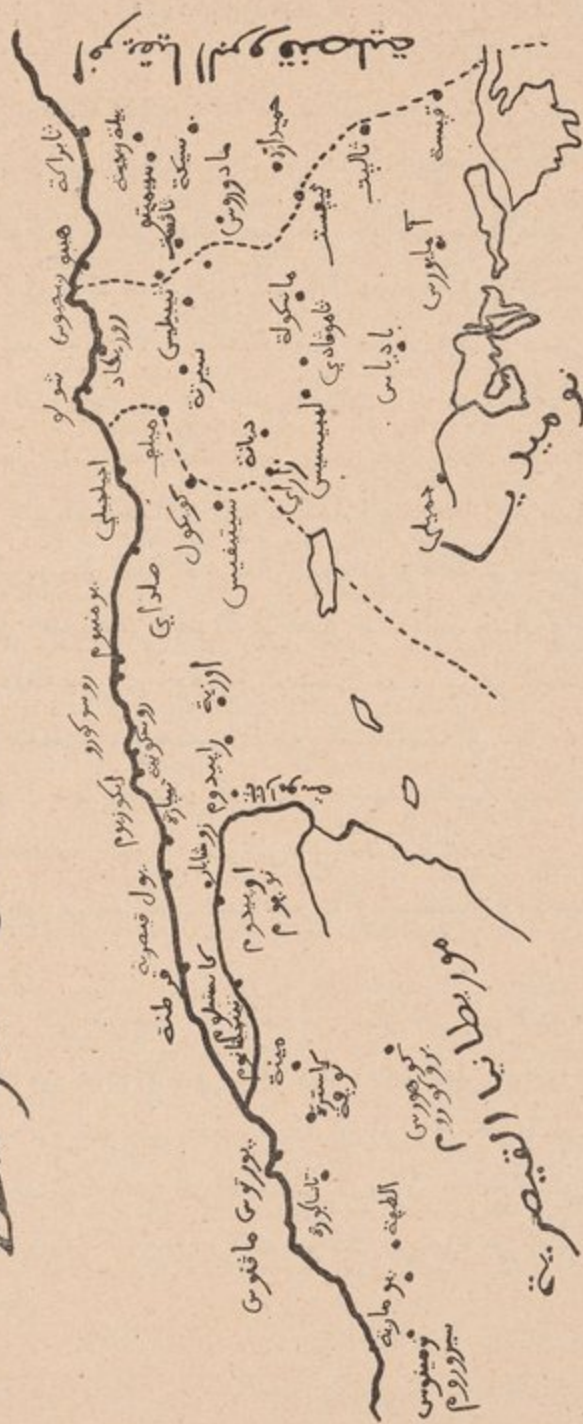
وكان يومئذ من بقايا ملوك الجزائر الاحرار الملك قودا : اخ يوغورطة ، وبعد وفاته اقتسم ولداه هيامسال وبارباس مملكته فحاز الاول جميع التراب الذى يسن

وادی الرمل وتونس وامتلك الثاني الناحية الغربية الى حدود بجاية ثم كان بينهما من الخلاف والشقاق ما أدى الى قتل يارباس واستقلال اخيه بمملكته

وان من شهر الوقائع والفتن بهذا العصر هي حوادث ثورة القائد البربري طاكفاريناس سنة ١٧م فلقد عمت هذه الثورة السهل والجبل واتت بذلك على الاخضر واليابس فانتصر فيها اولاً هذا القائد عدة انتصارات وقضى على القوات الرومانية في عدة مواقع وحاربهم في مختلف الجهات ، ثم بعد مقاومة طويلة دامت نحو سبع سنين انهزم هذا القائد البطل ومات قتيلًا بمكان يقال له (اوزية) - صور الغزلان - ولم تقف حوادث المقاومة الشعبية عند هذا الحد بل استمرت وتكررت من الجزائريين الى نهاية الاستعمار الروماني ، ولذلك لم يتمكن الرومان من بسط نفوذهم على جميع القطر الجزائري فخرجت عنهم جبال وانشريس واوراس وصحراء عمالة الجزائر ووهران وسلمت من نيرهم كذلك جبال جرجرة وزاوة فاحتفظت جميع هذه الاوطان باستقلالها الى سنة ٢٩٧م حيث انتصر على بعض الجهات منها يوقلطناس الروماني ؛ وبهذه المناسبة احدثت الادارة الرومانية تغييراً في تخطيط الحدود الجزائرية وجعلت الناحية التي بين دلس ووادی الرمل شبه وطن مستقل تحت اسم (موريطاني سيطيفيان) وقاعدتها مدينة سيطيف .

وان هذه الاماكن التي خرجت عن طاعة الرومان هي التي كانت النواة في تحرير الوطن واتقاذه من سيادة الاجنبي عليه ، وهؤلاء هم الذين اوقعوا بالرومان في حوادث سنة ٢٦٥م بنواحي ميلّة وجبال اوراس وفي مجموعة الجبال التي بين قسنطينة وسيطيف ثم اوقدوا نار الفتنة على الرومان بعمامة الوطن في مدة لا تزيد عن تسع سنين (٢٨٨-٢٩٧م) وكانت حوادث جرجرة هي اشجع الحوادث ضد الاستعمار الروماني

البحر الأبيض المتوسط



تأسيس مدينة قسطنطينة

لقد كان المكان الذي هي عليه مدينة قسطنطينة يدعى من قبل قرطة ، اوسيرطة، وقد اتفق ان الامبراطور «ديوكليطيان» خاع نفسه ونزل عن عرش رومة سنة ٣٠٥ م فنهضت جماعة مطالبة بالعرش ، وكان من بينها الزارع اليكساندر، فبايعه الجند المقيم بنوميديا - القطر الجزائري - فزحف اليه خصمه ماكسانص احد المطالبين بالملك ايضا فانهمزم امامه اليكساندر ملتجئاً الى سيرطة فحاصرها خصمه المذكور وضاق اهلها وشدد عليهم الخناق حتى استولى عليها ماكسانص وقتل اليكساندر وهدمت المدينة وكثير غيرها من البلاد الجزائرية التي بويج فيها اليكساندر ؛ ويومئذ نشأ الخلاف والنزاع على الملك بين ماكسانص وقسطنطين فاتصر الثاني واستقل بالملك ومات خصمه في الحرب فجاء يومئذ قسطنطين الى افريقية سنة ٣٢٥ م وعمل على تطمين خاطر الشعب وتهدة روعه ، واصلاح ما دمرته الحرب وخربته يد الخلاف ويومئذ شرع في ترميم مدينة سيرطة وبنائها من جديد وسمها باسمه قسطنطينة - قسطنطينة - ويقال ان هناك نواحى من المدينة بنيت على حنايا مستحكمة ...؟

المسيحية بالجزائر

كان مولد المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته في السنة الثالثة والاربعين من ولاية الامبراطور اغسطس بيت لحم في فلسطين ... وخلاصة تعاليمه عليه الصلاة والسلام ترمي الى بث الرحمة في القلوب وربط صلة المودة والمحبة بين الناس وفشو السلام والايحاء بينهم ايضا وقد لاقى اتباع هذا الدين الكريمة من رؤساء الوثنية وممن يعتقدون العصمة في شخص الامبراطور وينزهونه عن عوارض البشرية من الاضطهاد مالاقوا ... وذلك محافظة من هؤلاء السادة على تفوذهم السياسي ودفاعا عن مقاصدهم الشخصية الانتفاعية فلقد اصاب المؤمنين يومئذ من

الوثنيين في سبيل تبليغ الدعوة الوان من التثكيل والتعذيب ... وسارت قافلة المسيحية تبشر بهذا الدين في جميع الجهات التي وطئتها اقدامها ، ومنها هذا الوطن الجزائري (١) فطالما بحث اهله عما يخلصهم من الاضطهاد الروماني فبادروا حيثئذ الى اعتناق هذا الدين الجديد تخلصا من نير استعباد الوثنية والوثنيين ... وبقي امر هذا الدين بين اتباعه وخصومهم في مد وجزر ؛ حتى استتب الامر الى الامبراطور قسطنطين واستولى على عرش رومة سنة ٣١٢ م فاعتنق المسيحية واعلامن شأنها في البلاد وجعلها دين الحكومة الرسمي وأمر ببناء المعابد والكنائس في انحاء الامبراطورية الرومانية واعلن برفض دين الصابئة ، واصدر مرسوما اطلق عليه الناس يومئذ اسم (مرسوم ميلان) يمنح به الحرية المطلقة في الاعتقاد ؛ ولقد عاشت هذه الحرية مدة حكم قسطنطين الى حد ما . وذلك عندما كان هذا الامبراطور في نفس الوقت حاميا للمسيحيين وقسا وثنيا في ان واحد ... ولكن الرومان بعد ذلك عندما اصبحوا كلهم يدينون بالمسيحية في القرن الرابع ام يلبثوا ان الغوا تلك الحرية الممنوحة على عهد قسطنطين واعدوا قوانين صارمة للضرب بها على ايدي الوثنيين والمارقين (وهم في نظرهم القوم الذين لا يرون ما تراه السلطة القائمة يومئذ من راي)

واذا كان اليهود الاسعدون حظا من الوثنيين قد احتفظوا بحقوقهم الدينية في مزاوله عبادتهم ، فانه قد حظر عليهم ان يتزوجوا المسيحيات او يفتحوا معابد جديدة لهم ومن خالف هذا حكم عليه بالاعدام ، كما قد حظر عليهم ايضا تهويد المسيحي والا عوقبوا بنفس العقوبة ؛ ورغم هذه المحاولات والتشديدات كلها

(١) ان الذي بشر من الخواريين بافريقية هو فيليس ، وان الذي جاء الى ارض البربر وبرقة هو شمعون القانوني ، وان الذي ارسل الى الحبشة وارض السودان هو متى العشار وتمتاز الاسر والعائلات البربرية القديمة انى اعتنق آباؤها هذا الدين برسمه شكل صليب بين اعينهم كما هو عليه حالهم الى الآن

فانه قد دخل على الدين المسيحى من عوائد الوثنية وغيرها ما امتزج به في اغلب مظاهرها ، وحدث القول بالثلث فقبله من قبله ورفضه جماعة كان على راسهم القس الراهب اريوس الاسكندراني المولود سنة ٢٧٠م وكما اشتهر بينهم يومئذ مذهب الراهب دونا الذى كان يدعو اليه سنة ٣٠٥م بمدينة كازنوار - الديار السود - بالقطر الجزائرى - شمال اوراس - فاختلفت يومئذ ككلية اتباع المسيحية واضطربت عقيدتهم فيما بينهم فدعا الامبراطور قسطنطين الى عقد مؤتمر دينى لتقرير العقيدة الرسمية وتوحيد الكلمة بين النصارى جميعا ، فكان يومئذ مؤتمر نيقية (١) من بلاد الروم سنة ٣٢٥م . وهو اول اجتماع عقده رؤساء المسيحية في العالم ، اجتمع فيه ماينيف على ثلاثمائة رئيس دينى ، وذلك بمحضر القيصر قسطنطين نفسه ، وكتبوا في ذلك وثيقة سموها بعقيدة الامانة (٢) وحملوا الناس عليها اعتقادا وعملا . ثم اختلفت انظار هؤلاء الرؤساء انفسهم الغائمين بتسيير دفة الدين بسبب اختلاف النظريات الفلسفية الدخيلة يومئذ على الدين ، وكان اول من عمل على مزج هذه الدراسات الفلسفية بالتعاليم الدينية الفيلسوف امونيوس الاسكندراني Ammonius (٢٤١م) ، فتشعبت يومئذ المذاهب وانتصبت محاكم التفتيش للحكم على اصحاب المذاهب الاخرى وطردهم من الكنيسة وحرمانهم ؛ وافترقت النصرانية يومئذ الى فرق وطوائف كثيرة انقسمت بها الكنيسة على نفسها ، اشتهر منها اصحاب هذه المذاهب الاربعة : الملكانية Melchites نسبة الى ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها ، وهو مذهب جميع ملوك النصارى وعامتهم ، واليعقوية Monophysites اصحاب يعقوب البرذعاني

(١) هي مدينة (ازنيق) من بلاد الاناضول وموقعها على بحر مرمرة ، كانت هي العاصمة الثانية لمملكة الروم

(٢) انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٦٣ ط مصر سنة ١٣٢٠ هـ وابن خلدون ج ١ ص ٢٢١ ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ

راهب القسطنطينية ، وهو مذهب غالب الارمن والاقباط وجميع الحبشة والنوبة ، والنسطورية اصحاب نسطور بطريرك القسطنطينية (٤٢٨م) وهو المذهب الغالب على نصارى الموصل والعراق وفارس وخراسان ؛ والمارونية نسبة الى الراهب مارون (٤٣٣م) ومذهبه قريب من المذاهب الثلاثة المتقدمة . ولقد ترتب عن ظهور هذه المذاهب مشاحنات ومجادلات دينية واضطرابات نشأت عنها مذاهب اخرى الى هاهنا جريا ... وعن هذا السبب نفسه نشأت الفرق والطوائف الاسلامية بعد ذلك وكثر الجدل الدينى الفلسفى واختلفت المذاهب الاعتقادية في عام الكلام ، والتاريخ يعيد نفسه ...

وكان حظ الجزائر من هذه المذاهب المسيحية هو مذهب دوتوس اسقف الديار السود (كازا نوار) - شمال اوراس - ٣٠٥م فقد اخذ هذا المذهب ينتشر بسرعة في كامل القطر الجزائري رغم مقاومة السلطة له ، وذلك لما احتوى عليه من مبادئ التحرير . وقد كثرت اتباعه حتى كادوا في سنة ٣٣٠م ان يستحوذوا على اكثر كنائس افريقية ، فقد بلغ عدد المراكز المسيحية بها سنة ٤١١م سبعة وثمانين ومائة كنيسة . منها ٨٧ دوناتية والبقية موزعة وموقوفة على مختلف المذاهب الاخرى ؛ ثم ان اهل هذا المذهب نفسه انشقوا الى طائفتين اثنتين كانت احدهما مقيمة بمدينة تيمقادى . ويعتبر هذا المذهب بحسب مبادئ الاعتقادية نائرا على نظام الحكم السائد يومئذ على هذه الديار ، وطالما اصدرت الحكومة اوامرها الصارمة على اتباعه فلم يحفلوا لها ؛ وما تمذهب الجزائريون بهذا المذهب الا لما احتوت عليه تعاليمه من الثورة على قواعد الحكم ؛ وذلك لما انهم كانوا يرون فيه خلاصهم من اسر الاستعباد والاستعمار ؛ وهذا هو السر فيما نراه اليوم وقبل اليوم من تدخل الحكومات الاستعمارية في شؤون الاديان والمعتقدات ووضع يدها على العناصر الحيوية منها ؛ وذلك لما تتوجسه من النهضة الدينية التحريرية

راهب القسطنطينية ، وهو مذهب غالب الارمن والاقباط وجميع الحبشة والنوبة ، والنسطورية اصحاب نسطور بطريرك القسطنطينية (٤٢٨م) وهو المذهب الغالب على نصارى الموصل والعراق وفارس وخراسان ؛ والمارونية نسبة الى الراهب مارون (٤٣٣م) ومذهبه قريب من المذاهب الثلاثة المتقدمة . ولقد ترتب عن ظهور هذه المذاهب مشاحنات ومجادلات دينية واضطهادات نشأت عنها مذاهب اخرى الى هام جرا ! ... وعن هذا السبب نفسه نشأت الفرق والطوائف الاسلامية بعد ذلك وكثر الجدل الديني الفلسفي واختلقت المذاهب الاعتقادية في عام الكلام ، والتاريخ يعيد نفسه ...

وكان حظ الجزائر من هذه المذاهب المسيحية هو مذهب دوتوس اسقف الديار السود (كازا نوار) - شمال اوراس - ٣٠٥م فقد اخذ هذا المذهب ينتشر بسرعة في كامل القطر الجزائري رغم مقاومة السلطة له ، وذلك لما احتوى عليه من مبادئ التحرير . وقد كثر اتباعه حتى كادوا في سنة ٣٣٠م ان يستحوذوا على اكثر كنائس افريقية ، فقد بلغ عدد المراكز المسيحية بها سنة ٤١١م سبعة وثمانين ومائة كنيسة . منها ٨٧ دوناتية والبقية موزعة وموقوفة على مختلف المذاهب الاخرى ؛ ثم ان اهل هذا المذهب نفسه انشقوا الى طائفتين اثنتين كانت احدهما مقيمة بمدينة تيمقادى . ويعتبر هذا المذهب بحسب مبادئه الاعتقادية نائرا على نظام الحكم السائد يومئذ على هذه الديار ، وطالما اصدرت الحكومة اوامرها الصارمة على اتباعه فلم يحفلوا لها ؛ وما تمذهب الجزائريون بهذا المذهب الا لما احتوت عليه تعاليمه من الثورة على قواعد الحكم ؛ وذلك لما انهم كانوا يرون فيه خلاصهم من اسر الاستعباد والاستعمار ؛ وهذا هو السر فيما نراه اليوم وقبل اليوم من تدخل الحكومات الاستعمارية في شؤون الاديان والمعتقدات ووضع يدها على العناصر الحيوية منها ؛ وذلك لما تتوجسه من النهضة الدينية التحريرية



نهضة الجزائر التحريرية

ما فتئت الديانة المسيحية تنتشر بهذا الوطن وتأخذ مكانها - على مذهب دوناء - بهذه البلاد حتى اخذ اتباع هذا المذهب الدينى الوطنى فى مطاردة اهل المذاهب الاخرى ، فنبشأت عن ذلك فتن واهوال ، ادت الى خلع طاعة الرومان ونبذ سلطانهم ؛ وتعددت الوقائع يومئذ ، فاتهز المناوئون للدولة فرصة هذا النزاع واخذوا فى عقد اجتماعاتهم بمدينة تيمقادى وغيرها للنظر والتدبير فى احداث انقلاب سياسى عام ، وهم فى كل ذلك يتظاهرون بالبحث والنقاش الدينى ، وقد كان على راس هذه الحركة الثورية الرئيس الوطنى فيرموس بن الملك البربرى نوبيل ، احد زعماء زواوة وجرجرة ؛ فانجاز اليه اتباع مذهب الدوناتيست واندم يومئذ لهيب الثورة الوطنية التحريرية فى البلاد ٣٧١ م وكان يبلغ عدد جنود فيرموس نحو العشرين الفا جاءت كلها محاصرة للعاصمة يول القيصرية يول شرشال. وشددت عليها الحناق حتى فتحتها واحرقتها ونادت باسم فيرموس ملكا على البلاد ؛ ويومئذ جاءت الحامية الرومانية بقيادة ثاودوسيوس الرومانى فنزلت بمرسى جيجل - ٣٧٣ م - فانضم اليها - طوعا او كرها - جيلدون اخو فيرموس فكانت الدائرة على فيرموس بنواحي سطيف ، وقضى القوم على هذه النهضة التحريرية وانعقد الصلح بين الرومان وفيرموس على هذه الشروط :

١ - تنازل فيرموس عن ملكه

ب - منح مدينة الجزائر للقائد الرومانى ثاودوسيوس

ج - اداء اموال طائلة لهذا القائد ايضا

د - وضع رجال من الوطنيين رهنا تحت رقابة الرومان

وحينئذ اضاف الرومان امارة افريقية بمغاربها الثلاث الى جيلدون مكافأة له على انتصاره لرومة وخيائنه لآخيه ... وصاهره الامبراطور ايضا فى بنته ، وفى هذه الآونة اختفى فيرموس بنواحي الشرق الجزائرى ريثما تسنح له فرصة النهوض الى

المقاومة مرة أخرى فاحقق ؛ ولكنه لم يأس فأعاد الكرة على العدو للمرة الثالثة وجاء يومئذ بعدد اوفر من الجند قضى بهم على قوة ثاودوسيوس الرومانية ، فانهمز القائد الروماني هذا الى ناحية عيون بسام وسعى هنالك في ارتشاء ملك فليسة - ايغماسن - للقبض على فيرموس ، ولما شعر فيرموس بضعفه امام جميع هذه القوات المحيطة به وادرك انه يروم امرا معضلا لا تصل اليه مقدرته انتحر ، ولم يظفر ايغماسن الا بجثته فوجهها على بعير الى قائد القوات الرومانية وفي سنة ٣٩٥ م ثارت في نفس جيلدون عوامل الغيرة الوطنية وعصفت في راسه حفيظة الانتقام لاخيه فيرموس المنتحر من اجل الرومان ، فنهض مطالبا باستقلال ارض الجزائر عن الرومان فرماه هؤلاء بأخيه مسيزل الذي كان ملتجئا عندهم في رومة منذ انتحار اخيه فيرموس ، وجاء مسيزل لمقاتلة اخيه جيلدون وكانت المعارك بينهم بين مدينة اميدرة - حيدرة وتيفيست - تبسة - فانهمز جيلدون وفر هاربا نحو البحر فركب متوجها الى القسطنطينية وكان البحر يومئذ مضطربا فرمى بمركبه على شاطئ طبرقة فحطمه ووقع جيلدون في قبضة والى المدينة فسجنه وهنالك انتحر جيلدون سنة ٣٩٨ م بعد ما ملك ١٢ عاما . واخيرا كان جزاء اخيه مسيزل جزاء سنمار فألقاه الرومان انفسهم في لجة نهر مخافة تأسيه واقتدائه بأخويه : فيرموس وجيلدون في بث روح الثورة الوطنية في البلاد ، وهكذا شأن الاستعمار في سياسته مع المستعمرين : مغالطات وتخدير وتغريثم إجهاز !....

المجتمع الجزائري

لقد ذهب المؤرخون في تقرير عدد سكان شمال افريقية على عهد الرومان الى نحو سبعة ملايين ، واذا نظرنا الى عدد الرومان بالنسبة الى هذا القدر وجدنا ما يقرب من نحو الثلث منه طاليان وهم بالجزائر والمغرب الاقصى اقل منهم في تونس وطرابلس ؛ وان اغلب الرومان الذين وجدوا بالجزائر كان يحثهم على عهد الاباطرة : نربا ٩٦ - ٩٨ م. اسبسيان ٦٩ - ٧٩ م. وقلودوس ٤١ - ٥٤ م. واوكتافوس اغسطس ٢٧ ق م - ١٤ م. وكانت المدن التي نزلتها هذه الامة من الجزائر : قرطنة : تنس - واجلجلى : جيجل - وصدای : بجاية - وروسقونيا : مطيفو - وزكبار : مليانة - وتبوسكوت : تسكلات - ثم توال الجاليات والافواج بعد ذلك ، فمنهم من نزل في ابدوم نفوم : وادى الدفلة - ومنهم بمداوروش ، وسيطيفس : سطيف - الخ وان اغلب من وجد بأرض الجزائر من هؤلاء الرومان انما هم من ابناء الجند.

ولقد كان الباعث الاول لمجيء هذه الجاليات الى هذا الوطن هو كثرة العاطلين يومئذ برومة واشتداد الازمة عليهم هنالك بداعي الفاقة والحاجة ؛ ولقد ارتفع عنهم كل ذلك بما وجدوه امامهم في هذا القطر من خصب التربة وما انفتح امامهم من الاعمال التجارية وغيرها

وكان الناس في المعاملة امام القانون ثلاث طبقات : فالطبقة الاولى هي طبقة رجال الحكم وولاة الادارة الرومانية ، ثم تليهم طبقة بقية الامة اللاتينية جمعاء ، ثم تأتي بعدهم طبقة الشعب من جميع الاهالي الوطنيين ، وهم يعبرون عنهم بالاجانب *Pérégrims* ؟! ... وليس لهذه الطبقة الثالثة ادنى اعتبار ، ولقد عم هذا التقسيم البلاد نفسها فقسمتها السلطة الى مدن رومانية ، لاهلها التمتع بجميع حقوق الرومان ، فهي معفوة تماما من جميع الضرائب ومن الانتخابات العامة ؛ ومدن

بربرية ليس لها من الامتيازات الرومانية شيء ، واهلها خاضعون لسلطة رئيس بربرى تحت اشراف ومراقبة رومة ؛ وذلك شأن الاستعمار فى كل زمان ومكان فهو دائما يعمل على اذلال المستعمر واهائه واحتقاره ، والا فاما معنى هذه الضجة العالمية - قديما وحديثا - ضد الاستعمار ؟ ...

ورغم ما شهرة التاريخ من نشر الرومان للسلام مدة قرنين كاملين فى جميع انحاء الامبراطورية فقد ظلت الثورات الوطنية التحريرية متوالية بهذه البلاد ؛ وايا ما كان فان سير الحياة الاجتماعية العام كان منحطاً عن مستوى الذى تركته عليه قرطاجنة الفينيقية .

الحياة الاقتصادية

ان اقل نظرة يلقىها الانسان على سير الحياة الاقتصادية العامة بهذه البلاد يراها قائمة على كواهل ابناء الوطن بتسخير رومة لهم فى اقامة جميع هذه العمارات الضخمة والمؤسسات الفخمة العظيمة ومشاركتهم الفعالة فى تضخيم الخزينة بأداء المغارم الباهضة وتمويل رومة بجميع الضروريات الاقتصادية من حبوب وفواكه وخمور وصوف واخشاب ورخام ومعادن وزيت وحيوانات النقل وغيرها من المحصولات مع شدة العناية بجلب المياه حسبما تدل عليه آثارهم فى عدة اماكن ، كل ذلك يجعلنا على ثقة من حسن حالة البلاد الاقتصادية ويسرها يومئذ ؛ ولقد عبر الرومان انفسهم على خصوبة البلاد هذه بذلك الرمز الذى رسموه على قطع النقود المضروبة بهذا الوطن ، فانها كلها كانت تحمل صورة امرأة حاملة سنبلة ، ويزيدنا تأكيدا لهذه الحقيقة التاريخية قوالهم فى وصف افريقية *Roæmm granierum* اى هى خزينة رومة ؛ وكانوا اذا ارادوا ان يصفوا شخصا بسعة الثروة قالوا : فى مخازنه قمح افريقية ؛ ويقدر العلماء مبلغ ما كانت تستورده رومة من افريقية من مختلف انواع صادراتها سنويا بما يبلغ احيانا

٣٤٨ ٠٠٠ طن ؛ وقد كان لليد الاهلية العاملة في ذلك فضل عظيم ، ولا شك ان البربر قد استفادوا شيئاً من هذه الحركة الاقتصادية التي كانت تجرى في بلادهم على مرأى ومسمع منهم مما جعل سير البلاد الاقتصادى مطرداً في سبيل الرفاهية ورخاء العيش لفائدة غيرهم .

الثقافة والحضارة والعمران

ان من يتتبع سير الاستعمار الرومانى بهذا الوطن يراه قد استعمل جميع وسائله ومجهوداته لبسط نفوذه على العنصر الاهلى ماديا واديبا ، فقد كان التعليم اجباريا بلغتهم ، ورغم ذلك فان الاهلى لم ينس لغته بلاده فقلد برع فيهما معا ؛ قال المؤرخ م تيرى : لقد كانت العلوم تدرس بمدينة مادور ؛ وحدرموت ؛ سوسة - ولبتيس ؛ وسيرتا : قسنطينة - وحتى في داخل نوميديا ، وكانت الدراسة فيها باللاتينية انما هى لاتينية مركبة على البونيقية التى مكثت حية ، ومن هذه المدارس التى كانت تعلم اليونانية واللاتينية والبونيقية تألف ذوق جديد مركب من كل ذلك ؛ وانما كانت تغلب عليه الصبغة البونيقية . وكانت هنالك مدارس اخرى بشرشال ومدوروش الخ ... وكما استعملها الرومان في نشر لغتهم كما فعلوا كذلك بالمحاكم والمسارح والمستديات الخاصة والعامة ؛ وبذلك تيسر لانباء البلاد اتقان لغته الدولة الحاكمة مع المحافظة التامة على لغتهم ؛ فلا جرم حينئذ اذا شاهدنا في طبقة الشعب من بلغ ارقى درجات الخطابة والكتابة وبرز في علوم الحكمة والفلسفة ؛ فهذا يوبا الثانى ملك القيصرية : شرشال - وقد دام في الحكم نحو خمسين سنة ؛ كان شغوقا بالعلم لا يفتقر عن الكتابة ؛ فله مؤلفات نفيسة في التاريخ والجغرافية والفلسفة والتمثيل والموسيقى وهو مشهور بتوقد الذهن والذكاء المفرط وله ولوع خاص بدرس الهندسة ووضع التصميمات العمرانية وقد جلب الى عاصمته من مصر واليونان طائفة من الفنانين والكتاب والشعراء

والفلاسفة ؛ وأشاد بها القصور الجميلة والهياكل الفخمة ؛ وانتشرت يومئذ بين
الاهالى صناعة الاقمشة الغليظة واوانى الطين على اختلافها ؛ وكانت صناعة المصاييح
الزيتية بشرشال متشهرة وتجارها راجحة ؛ والفنون الجميلة يومئذ مزدهرة كما
يشهد بذلك ما تركه الرومان بعدهم من مظاهر العظمة الهائلة المزينة بالفسيفساء
وصنع التماثيل الفخمة ونقوش المرمر والرخام وزخرفة الهياكل واقامة الحنايا لجلب
المياه من بعيد وحفر الآبار والسدود والصهاريج العديدة ؛ وكان منها بالجزائر
سدود الحضنة وهي سدود ثلاثة بواد واحد ، الكبير منها يحمل نحو ١ ٢٠٠ ٠٠٠
ليترا ؛ وكانت مدينة قرطبة : قسنطينة - تشتمل على مدينتين : داخلية يحيط
بها سور ، وخارجية وهي اوسع نطاقا من الاولى ومساحتها تمتد
غربا الى جنان الزيتون ومقبرة السلام وبالجنوب الغربى الى قشلة باردو ،
وشمالا الى ضفة وادى الرمل الشمالية قال بارس : وذكر ابطات قديس ميله :
انه كان ملاصقا لقرطبة حارة عظيمة تدعى «موغاي» والظاهر انه المكان
المعروف اليوم بسيدي مبروك . وتمتد هذه الحارة التى ناحية المنصورة ؛ الى ان
قال : وبضواحيها نزلات منقطعة وقد عثر على آثار ذات بال بعضها بناحية الحامة .
وسعى القوم يومئذ فى توسيع عمارة مدينة ميله وسكيدة والقل وجميلة
فأصبحت هذه كلها عواصم جميلة فسيحة بعد ما كانت قرى صغيرة ومثلها فى
ذلك باغايتة ؛ ومسكولمة : خنشلة - ولميس وتيمغادى ؛ وبادى - بادس -
ولقد بلغت هذه المنشآت الرومانية بافريقية الى نحو الستين مستعمرة ما بين
مدن وقرى وحصون ؛ وكانت كلها على غاية الرقى فى الحضارة والعمران ؛ وكان
يبلغ عدد سكان البلدة الواحدة منها ما بين العشرة آلاف نفس الى نيف وثلاثين
الفا وكان لكل بلدة منها ساحة عمومية كبرى لعقد الاجتماعات واقامة الحفلات
فيها تدعى «فوروم» وكانوا يعتنون على الاخض بانشاء المسارح والملاعب وهياكل
العبادة والحمامات ، ولا يزال البحث عليها مستمر بين اكوام الرمال والحجارة وفى

غضون التراب الى اليوم وان ما ظهر من ذلك حتى الآن لهو اعظم دليل على نشاط الحركة الفكرية ومظهر جلى من مظاهر الثقافة العامة التى كان عليها الرومان يومئذ بهذه البلاد .

كما عبت الطرق الواسعة بين العواصم والبلاد الشهيرة كالتى بين قرطاجنة وتبسة ؛ وبين شرشال وقرطاجنة ؛ والتى بين بوننة وطرابلس والطريق التى بين ميله وخنشلة الخ . . . ويكفينا شاهدا على تقدم هذا العصر نبوغ امثال ابوليوس : اصله من مداوروش - الذى يقول فيه بيروني : هو من اكمل الرجال واعظمهم فائدة فى عصره ، واحسن وصف له واصدقه هو ان تقول فيه : رجل مخترع مؤسس لمباد كثيرة ، ومثله الفنان المهندس القسنطينى فرنطوس استاذ الامبراطور مرقس اوراليوس ٣٦٠ م ، هذا وانا اذا نظرنا جيدا فى حقيقة هذه الحضارة والثقافة الرومانية وجدناها مقتبسة عن الاغريق والفينيقيين ؛ فهى عن تقليد محض ، ومع تقليد رومة لغيرها فى المدينة فانها رفعت لواء الجندية فاحتلت به مركز قيادة العالم يومئذ واحكمت النظم السياسية والقضائية كذلك ، فهى لا تزال محتداً للامم الراقية الى اليوم .

ويقول بعض المؤرخين ان حضارة الرومان بالجزائر كانت شبيهة بحضارة رومة ؛ وهم يستدلون على ذلك بأنه كان فى زمن الامبراطور طريانس ٩٨ م - ١٧٠ م كل من يحكم عليه بالنفى من رومة يمنع من الحلول بافريقية وذلك لما بين المواطنين من المشابهة فى الحياة والرفاهية .

وان الذى يؤسف له هو عدم انتفاع الاهلى واستثماره كما يجب لكامل هذه الحضارة الرومانية الجبارة ! . . . وما ذاك الا لاقصاء الرومان له وترفعهم عنه مثل ما هو مشاهد عند امم الاستعمار الى اليوم

انهيار الجزائر الرومانية

كان لتلك النظم الادارية القاهرة التي فرضها الرومان على ابناء البلاد القاضية بسلب جميع حقوق الوطنى الاهلى واهائته ؛ وتسخير مواهبه فى منفعة غيره واحتقاره وفرض المغارم الباهضة عليه ، كل ذلك كان له اثره السىء فى نفوس المحكومين ، فكانوا لذلك دائما وابدا يتوقون الى الثورة ضد هذه السلطة الخائفة ، فعلا لقد نهض اباء الضيم من ابطال هذا الشعب الجرىء واعلنوها حربا عوانا فى وجه هؤلاء الطغاة المتسلطين ، ونادوا باستقلال بلادهم عن الرومان ... فتعددت الثورات وكثرت الاضطرابات الداخلية مما دعا عتاة الرومان الى المبالغة فى الاستبداد والاستعباد وظهرت الانانية والتنافس بين الحكام وتدهورت اخلاق الولاة فبطروا منهمكين فى ملذاتهم ، واخذل الرؤساء الى الراحة والتنعيم مقبلين على الملاعب والمسارح مدبرين عما يتطلبه الموقف من الحزم والعدل وشدة الشكيمة . فتدخل يومئذ الجند واغلبه اجنبى مستأجر فاستحوذ على تسيير دفعة المملكة الافريقية فعمل فيها برايه ... واشتد يومئذ ذلك النزاع المذهبى الدينى الذى شرحنا اسبابه ونتائجها فيما سبق ، فزاد بذلك اختلال نظام المجتمع الرومانى بافريقية وبغيرها ايضا ، واخذت الدسائس السياسية تلعب دورها بين رومة وقرطاجنة فساءت العلاقات بين القائد الرومانى (الكونت بونيفاس) وبين حكومته فسعى به أعداؤه لدى الامبراطورة (بيلاسيديت) فعزلته سنة ٤٢٧م ولكن القائد لم يبال بامر المملكة واستمر فى مكانه الى ان هاجمته رومة زاحفة على هذا المملكة سنة ٤٢٩م فصمد الكونت لرد حملات رومة عن هذا الوطن وانتصر عليها فى ثلاث دفعات ؛ ولما شعر بضعفه امام الزحف الرومانى استجاش بأصهاره الفانداىلى ان يقاسمهم ملك هذا الوطن ويتنازل لهم تماما عن جميع غرب المملكة الرومانية بهذه الديار ،

فاجتاز حينئذ الفندال بوغاز جبل طارق يقودهم رئيسهم (جنسريق) (١) وهم في نحو ٨٠.٠٠٠ نفس فنزلوا بموريطانيا في شهر ماي ٤٢٩ م واكتسحوها الى الساحل الجزائري فاحتلوا منه مدينة الغزوات *Ad Frates* ، ويومئذ انقسم جند الاحتلال الى فئتين فئة منه احتضت بادارة الشؤون الحربية وهي خمسون الفا، واشتغل الباقي بالشؤون المدنية ؛ واذا ذكرنا المدينة هنا فانما هي مدينة هنا فندالية ... ولما رأى الكونت بونيفاس سوء سلوكهم المتوحش ندم على ما صدر منه من الغدر بحكومته في سبيل اشباع نهمته وتنجيز غرضه الشخصي فسعى بكل جهوده في طلب العفو من الامبراطورة بواسطة القديس اوغسطين ، فعفت عنه واتقلب هو يومئذ على الفندال وحاربهم في نواحي قلعة من الوطن الجزائري فانهمزم واندحرامام قوات الفاندال التي وجد فيها البربر منيتهم المنشودة في القضاء على الاستعمار الروماني والتشفي منه . ففر بونيفاس منهزما الى هبونة - عانة - حيث يقيم هنالك الوطني الحر والفيلسوف العالم القديس اغسطين فاضم اليه الكونت مدافعا عن الوطن . ويومئذ رأى امبراطور بزنطة شبح الخطر يتهدد الامبراطورية الرومانية في الشرق وفي الغرب فبعث من حينه بالحامية لانقاذ موقف رومة الحرج امام حملة الفاندال ، فنشبت الحرب من جديد انهزم فيها الروم البيزنطيون ايضا ، واحتل الفاندال مدينة بونة آخر معقل للرومان بالجزائر (ديسمبر ٤٣١م) وعاث الفاندال في هذه البلدة المنكوبة بما شاءوا من انواع الهدم والنهب والتخريب ولم يبق فيها شيء الا اتوا عليه سوى دار القديس ومكتبته ... وسقطت الجزائر يومئذ بيد الفاندال وتم استيلاؤهم على القطر الجزائري بقسميه : نوميديا وموريطانيا، وذلك على عهد الامبراطور «ولتينيانس الثالث» وبذلك ارتفع نير الاستعمار الروماني عن الجزائر بعد ما اتاخ بكلكله واثقاله عليها مدة ٣٨٠ سنة وهكذا الدنيا دوايك ، ولكل بداية نهاية

(١) ينطق به الجرمات هكذا : جوزريتش ، ومعناه امير الروح

ولما تحقق الرومان خطورة موقف منطقة افريكا - المملكة التونسية - امام احتلال الفاندال بادروا بعقد معاهدة صلح معهم مدة ثلاثين سنة اعترف لهم الرومان فيها بالاستيلاء على القطر الجزائري والمغرب ما عدا ولاية تونس ؛ وان لا يعتدى على حدود هذه الولاية ، وامضى جنسريق هذه المعاهدة ، وقدم ولده هنريق رهنا للرومان وتحمل مع ذلك ضريبة سنوية يؤديها لرومة ، وتم عقد الصلح بينهم على ذلك سنة ٤٣٥م . وجلس جنسريق على ولاية المغربين الاوسط والاقصى متخذا لكرسيه مدينة هبوتة : غابة ثم انتقل منها بعد ذلك الى مدينة صلدای : بجاية - واستمر في خطته السياسية على وفق ما قرره بنود المعاهدة الى ان اطمأن له الامبراطور واذن لهنريق بالعودة الى والده ...

وبعدها بقليل طمح الفاندال الى ضم بقية مملكة افريقية لمطانيهم فانقضوا على عاصمة قرطاجنة فهدموا اسوارها وكسروا حصونها وفتحوها عنوة يوم ١٩ اكتوبر ٤٣٩م وطردها منها الرومان فكان ذلك آخر عهدهم بافريقية بعدما استعمروها مدة ٥٧٦ سنة ؛ غير ان الجشع الفاندالي والجنون الاستعماري لم يكن ليعرف في تاريخه حدا ولا نهاية ! . فاهم بعد ما قضوا على مملكة الرومان بافريقية توجهوا اتوا الى رومة نفسها فأحاطوا بها وفتحوها عنوة ايضا سنة ٤٥٥م وانزلوها عن حصانتها ومناعتها منذ ١٢٢٩ سنة ثم عادوا بعد ذلك الى المغرب يحرقون وراءهم ذخائر رومة ونفائس مقتنيات الثمنية فعاؤوا بها خزائهم بافريقية ، ويومئذ انقطعت آمال الرومان ومطامعهم تجاة هذا الوطن ، ولم تتمكن لهم العودة اليه بعد ذلك الا في القرن العشرين م . حيث استولى الطليان على جزء منه : طرابلس ، وذلك ما ينيف على ثلاثين سنة ، قدحره الحلفاء ...

واستقر الفاندال بافريقية متخذين قرطاجنة عاصمة لهم ؛ ومحو كل اثر كان للرومان بها غير اطلال دوارسي بقيت هنا وهناك متفرقة في انحاء هذا الشمال

ولاية الجزائر وزعمائها

كان ممن اشتهر من ولاية الجزائر في هذا العصر الرئيس «كومودوس» زعيم اتحاد المدن الثلاث : ميلوم : ميديا - وروسقاد : سكيكدة - وشولو : القل - وهو آخر من تولى رئاسة هذه الجمهورية الصغيرة وكان مقره ببلده ميله ؛ والرئيس الروماني «ستيوس» كان على هذه الولاية قبل انفصال المدن الثلاث عن قرطبة : قسنطينة - وكويكلوم : جميلة - اى حينما كانت جمهورية هذه المدن الخمس في اوجها . وقد كانت ولاية ستيوس هذا سنة ٤٦ ق . م واطلق الرومان على هذه الولاية اسم «مستعمرة ستيوس» ، ومات هذا القائد الروماني قتيلا على يد البطل الجزائري «عراييون» وقد كان جانب من نويميديا تحت ولاية «سالوست» ، كما تولاهما ايضا «سكستوس» نائب اكتافيوس ، ثم عزل نفسه وجعل مكانه «فانغو» وتولى هو على البروقنصلية ، وكما اشتهر ايام الرومان بالجزائر الزعيم «اغماسن» رئيس قبيلة جزائرية كانت تسكن بجنوب جرجرة ؛ ولهذا الرئيس الجزائري مواقف شريفة سلكها مع البطل فيرموس في ثورته على الرومان بجمال جرجرة سنة ٣٧٢ م حسبما مرت الاشارة اليه ، وكان من الزعماء ايضا «طاكفريناس» الذي اعلن الثورة على الرومان سنة ١٧ م . وقد انضم اليه يومئذ بربر جبال اوراس وامده زعماء الصحراء بالفرسان ..

وكان ممن اشتهر في ميدان العلم والعرفان يومئذ القديس الفيلسوف «أوغسطين» زعيم النهضة الدينية والسياسية ايضا ببنونته ، ومثلها «دوتوس» اسقف مدينة باغاية وهو مؤسس مذهب الدوناتية ، والعلامة الفنان الدائع الصيت «فرنطوس» القسنطيني الاصل واستاذ الامبراطور مرقس اوراليوس - ٢٦٠ م - وكان مبرزا في الفنون الهندسية ؛ وكذلك العالم «ابوليوس» من اهل مدينة مداوروش ، قال عنه بيروني : انه من اكمل الرجال واعظمهم فائدة في عصره ، واحسن ما يطلق عليه من الاوصاف ان يقال فيه انه رجل مبتكر مؤسس لمبادئ كثيرة .

وكذلك الاسقف المصلح «ابطات» راهب مدينة ميلتة فان له من التآليف الهامة كثير ، ومن اهمها تاريخ مذهب «دنتوس» . واسقف قلعة القس «بوسديوس» مؤرخ حياة اوغسطين . الخ... وقد كان للجزائر مثل هؤلاء ممن ذكرنا كثير فحق لها ان تفتخر بهم في جميع اطوار تاريخها وحياتها العامة .

مشاهير ملوك الوطن الجزائري

تاريخ الولاية من - الى	المملكة	
١١٨-١٠٤ ق م	نوميديا الشرقية	يوغورطة
١١٨-١٠٢ »	نوميديا الغربية	آذربعل
١٠٤-٨٠ »	نوميديا الغربية	بوكوس الاول
١٠٢-٥٠ »	نوميديا الغربية	حصال الثاني
١٠٢-٨١ »	نوميديا الوسطى والشرقية	يارباس
٨٨-٨١ »	نوميديا الغربية	ماصينطا
٥٠-٤٦ »	نوميديا الشرقية والوسطى	يوبا الاول
٥٠-٤٦ »	نوميديا الغربية	مازاناسيس
٨٠-٤٠ »	موريطانيا الشرقية	بوكوس الثاني
٤٤-...؟ »	نوميديا الغربية	عرايون
٤٤-٣٣ »	جميع موريطانيا	بوكوس الثالث (١)
٢٥ ق م - ٢٣ م	موريطانيا الشرقية	يوبا الثاني (٢)
٢٣-٤٠ »	موريطانيا الشرقية	بطليموس
٣٧١-...؟ »	موريطانيا القيصرية	فيرموس
...؟-٣٧٠ »	القبائل الخمس (٣)	نوبال

- (١) آخر من تملك من الجزائريين على موريطانيا الشرقية ، وبعد وفاته ألحقها الرومان
بمستعمراتهم
- (٢) هو صاحب الهيكل العظيم والضرخ المشهور شرقي مدينة شرشال المعروف بقبر
الرومية ، وهي زوجته «سيليني» ويقال انه مدفون الى جانبها هنالك
- (٣) هي ميلوم : ميله - وروسقاد : سكيكدة - وشولو : القل وكويكوم : جيلة - وقرطة
- قسنطينة -

اباطرة الدولة الرومانية

تاريخ الولاية

-من - الى-

٢٧ ق م - ١٤ م	اكتافوس
» ٣٧ - ١٤	طير يوس
» ٤١ - ٣٧	غانيس
» ٥٤ - ٤١	قلوديس
» ٦٨ - ٥٤	نيررون
» ٦٩ - ٦٨	غلبان
» ٦٩ - ٦٩	اتون
» ٦٩ - ٦٩	ويتليوس
» ٧٩ - ٦٩	وسيسيان
» ٨١ - ٧٩	طيطش
» ٩٦ - ٨١	دومتيان
» ٩٨ - ٩٦	نربا
» ١١٧ - ٩٨	طريانس
» ١٣٨ - ١١٧	اندر يانوس
» ١٦١ - ١٣٨	انطونيس
» ١٧٨ - ١٦١	اوراليانس
» ١٩٢ - ١٧٨	كمودة
» ١٩٢ - ...؟	برطانوس
» ١٩٣ - ؟...	يوليانس

تاريخ الولاية

— من — الى —

١٩٣-٢١١ م	سيبتيم سيفير
» ٢١١-٢١٧	اقطونيس
» ٢١٧-٢١٨	مقرين
» ٢١٨-٢٢٢	انطونين
» ٢٢٢-٢٣٥	اسكندروس
» ٢٣٥-٢٣٨	مكسمنس
» ٢٣٨-٢٤٤	عرديانوس
» ٢٤٤-٢٤٩	فليس
» ٢٤٩-٢٥١	دقيانوس
» ٢٦٠-....٢	اورليوس
» ٢٦٠-٢٦٨	غلينوس
» ٢٦٨-٢٧٠	قلوديس الثاني
» ٢٧٠-٢٧٤	اورليانس
» ٢٧٤-٢٧٦	تاكيتس
» ٢٧٦-٢٨٢	بروبش
» ٢٨٢-٣٠٥	ديوقلطيانس
» ٣٠٥-٣١١	غلاريس
» ٣١٢-٣٣٧	قسطنطين
» ٣٣٧-٣٥٠	قسطوس
» ٣٥٠-٣٦٠	قسطنطيوس
» ٣٦٠-٣٦٣	يوليانوش

تاريخ الولاية

من - الى

م ٣٦٤-٣٦٣

يوبنيانوس

» ٣٧٥-٣٦٤

واليطينوس

» ٣٧٨-٣٧٥

واليس

» ٣٨٣-٣٧٨

غراطيانس

» ٣٩٥-٣٩٢

ثاداسيوس

» ٤٢٣-٣٩٥

هنوريوس

» ٤٥٤-٤٢٤

ولنتيانس الثالث (١)

(١) انتصب تحت كفالة والدته الامبراطورة «بيلاسيدي» اخت هنوريوس السابق المتوفاه



فيسفاه يرجم تاريخها الى حوالي القرن الاول او الثاني م. وفيها يظهر المشتغلون بالزراعة وفلاحة الكروم بملابسهم التي لم تتغير - تقريبا - منذ ذلك العهد الى الآن

مشاهير الجزائريين

القديس اوغسطين

٣٥٤-٤٣٠

٢

لقد ولد هذا القديس الجزائري العظيم ببلدة «تاجيسته» على نحو مائة كيلومترا جنوب مدينة بونة - عنابة - من ام مسيحية واب لم يدخل في المسيحية الا في اواخر عمره . نشأ «اوغسطين» وتعلم بمدينة مداوروش ، وقد شب غير متقيد بالدين ولا بقيود العفة واخذ يتنقل في البلاد فدخل قرطاجنة وجال في مدن ايطاليا وهناك تعمق في الدرس فأحاطت به ظروف كان فيها ما نوبا يتتقد العقائد ، ثم وقع تحت تأثير مذهب الشكك ، وفي رومة تمكن من دراسة آراء شيشرون ، وتفهم المذهب الافلانطوني الجديد ؛ ثم انه كان يرى غيره يتأثر بالدين المسيحي فيخجل من نفسه لانه يتعلم ويدرس الفلسفة ويزعم انه يحتقر الماديات ؛ وفي ذات يوم دعاه ضميره وناداه وجدانه الى الايمان والتدين الصبح فعاد من ايطاليا الى الجزائر سنة ٣٨٨ م واتخذ ببلده تاجيسته ديرا للتعبد والدرس ، ومنذ ذلك الحين عمت السكينة قلب اوغسطين فانزوى بديره يتعبد على مذهب الاورثودوكس - السلفيين - وقد تخرج على يده عدد وافر من علماء اللاهوت واصبح ديرة كعبته عالم وفلسفة ودين ، واصبح بتأليفه وشهرته ومكاته من اكبر رجال الكنيسة فعين على رأس اسقفية بونة سنة ٣٩١ م ويومئذ تصدى لقمع المخالفين والمنافقين لمذهبه الاورثودوكسي فكتب عدة تأليف نفسية ، منها «اعترافاتي Mes confessions ومدينة الاله La cité de Dieu ذكر فيه مزية وفضل الحياة الاخرى عن الحياة الدنيا . وكان يعد في زمانه اخطب خطباء عصره واكثرهم تأثيرا في مستمعيه قويا في الحجاج والجدل والمناظرة ،

فحارب بكل ما اوتيته من قوة بقلبه ولسانه جميع المذاهب التي من شأنها ان تقف حجر عثرة في تقدم الديانة المسيحية، وبفضله اصبحت مدينة بونة كعبة طلاب العلم اللاهوتي فالتفتت اليها الانظار، وفيها انعقدت مجامع المطارنة الشهيرة التي كانت سنة

٣٩٣ و ٣٩٥ و ٤٢٦ م

ولاوغسطين هذا موقف سياسي شريف يدل على تضحيته ووفائه لقومه ووطنه، تلك هي مواقف الشهيرة تجاه المعتدين من الفاندال على الوطن الجزائري فانه بمجرد ما بلغه سعي اعداء القائد الروماني العام «الكونت بونيفاس» به الى روم سنة ٤٤٧ م وعزله من منصبه؛ نهض القديس مدافعا عنه امام الامبراطورة «بلاسيديا» وعمل جهده على تحسين العلائق بين الطرفين فتأثرت الامبراطورة لكلام القديس وعدلت عن رأيها في عزل الكونت. وكان اوغسطين ايام حوادث الهجوم الفاندالي على الوطن يقاوم ويحارب بنفسه، فقد دافع الفاندال عن وطنه دفاع الابطال، فانه لما انكسر الكونت بونيفاس منهزما الى بونة نهض القديس بأعباء المقاومة واخلص في دفاعه حتى النهاية وقد امكنته الفرص مرارا من الفرار بنفسه امام همجية الفاندال الوحشية ولكنه ابى ... ووقف في صف المحاربين الاحرار مدة اربعة عشر شهرا صابراً لحوادث التدمير والتخريب الى ان ادركه حماته فمات مكافحا شهيد الوطنية والعقيدة يوم ٢٩ اوط سنة ٤٣٠ م وبموته سقطت الجزائر بيد الفاندال، فكان اوغسطين بحق احد زعماء الفكر بالجزائر ومن عباقرة الوطنيين الاحرار.

جدول تاريخي

١٤٦ ق.م ٤٣١ م

تاريخ الحوادث	اهم حوادث الجزائر على عهد الرومان
١٤٦ ق.م	استيلاء الرومان على افريكا — ولاية تونس —
» ١١٠	ثورة الملك يوغورطة عدو الرومان اللدود ودفاع الاحرار الجزائريين تحت لوائه
» ٤٦	استعمار ولاية نوميديا : عمالة قسنطينة —
٢٧٠-٢٤٤ م	ثورة الرئيس «ارادبون» بالساحل الجزائري
» ٢٩٧	سقوط ناحية جرجرة بيد الرومان وتوزع السلطة بينهم
» ٢٨٨-٢٩٧ م	اندفاع الثورات التحريرية في وجه الرومان
» ٤٠٠	تأسيس مدينتي جميلة وتيمقادى على يد الجالية الرومانية ..
	وانتشار مذهب الدوناتية بالجزائر
» ٤٣١	انهيار الجزائر الرومانية على يد الفاندال

الدولة الفاندالية

٤٣١-٥٣٤

٢

اصل الفاندال

الفاندال شعب قديم من شعوب امة القوط الغربية التي سكنت شمال نهر الدانوب ، وموطنهم - في القرن الثالث قبل الميلاد - بشمال جيرمانيا ما بين وادي فيستول ونهر اوزير *L'oder et la Vistule* على سواحل بحر البلطيق ؛ منحدرين من السلالة الصقلبية - السلافية - ولقد امتد هذا الشعب وانتشر في جنوب المانيا ، ومنها تدفق على العالم الغربي - في القرن الخامس والسادس الميلادى - فاستولى حينئذ على ارض الغول *La Goul* - فرنسا - واتصل بجبال الالبيز - البرينيات - *Pyrénées* ثم انحدر الى اسبانيا فاحتلها سنة ٤٠٩ م ونزل بجنوبها فسكن نواحي غرناطة وحيان وهنالك اشتهر اسمه بها ونسبت اليه فصارت تدعى تلك الناحية «فاندلوسيا» ومنها جاء اسم الاندلس بعد ذلك على عهد العرب الفاتحين .

ونظرا لخصوبة موقع بلاد الشمال الافريقى ويسر الحياة الاقتصادية به تسلط عليه هؤلاء الفاندال بمساعدة اهله فكانت تلك السرعة العجيبة منهم فى الاستيلاء على هذا الوطن واسسوا به يومئذ دولتهم الملكية سنة ٤٣١ م ، ثم استولوا على البروقنصلية - ولاية تونس - واحتلوا قرطاجنة سنة ٤٣٩ م

نظامها الحكيم

هذه اول دولة ملكية وراثية تأسست بأرض افريقية توارث عرشها ستة ملوك من آل «جنسريق» ، وكانت اول عاصمة لهم بهذا الوطن مدينة بونة - عناية - ٤٣١ م ثم انتقلوا الى مدينة صلدای - بجاية - الى ان فتحوا قرطاجنة سنة ٤٣٩ م فانتقلوا اليها سنة ٤٥٥ م .

ونظرا لما كان عليه الفاندال من البعد عن مسيطرة المدينة والحضارة فانهم تركوا ما كان من النظم الادارية بهذه البلاد على حاله من قبل وام يحدثوا فيها اى تغيير سوى فرض سلطانهم على الاهالى واستبدادهم فى توزيع اراضى الوطن الخصبه على الخاصة الاسرة المالكة وارباب الدولة ورؤسائها الممتازين . وما تركته الدولة يومئذ من التراب تحت تصرف اهله انما كان فى مقابلة ضرائب واتاوات فاهضة ... وكان ما سنه المستعمرون بعد ذلك من قانون *ex propriation* متزعج من هذا ...! وذلك مادعى الكثير من الرومان وحملهم على الهجرة الى بيزنطة . نعم كان سعى الفاندال مع الاهالى او لا سعيا فيه نوع من اللين والسهولة بخفضوا لهم مبلغ الضرائب التى كانت عليهم ، ولكن ذلك فعملوه استمالة لقلوب القوم ليستعينوا بهم على اعدائهم الرومان ، وفعلا نجحت سياستهم فى ذلك وانقاد لهم رؤساء البربر ومدوا لهم يد المساعدة بقصد التشفى من اعدائهم الرومان الذين ارهقوهم مدة قرون ... وتطلعا منهم كذلك الى التحرر من نير الاستعمار ... فدخل الكثير منهم فى نظام الجيش الفاندالى الذى كان يبلغ يومئذ نحو الثمانين فرقة بما فيها من جنود البحرية ، وكان اغلب هذه الفرق موزعا على حفظ الامن وحراسة البلاد . وقد عمل الفاندال على استمالة اليهود اليهم وتقريبهم منهم للاستعانة بهم فى الاقتصادات استدرارا لخيرات البلاد . وكان للاسطول الفاندالى السيادة على غربى حوض هذا البحر الابيض المتوسط . ولهذه الدولة تقود مسكوكة مضروبة باسمها

حدود الجزائر الفاندالية

كان لمجرد استيلاء الفاندال على القطر الاقربى هذا ان شرعوا فى تقسيمه الى ست مناطق مختلفة فى الاعتبار والمساحة ؛ ثلاث منها هى بالمملكة التونسية اليوم ، والمقاطعة الرابعة هى عبارة عن منطقة نوميديا - عمالة قسنطينة - والخامسة عمل تبسة ، وهم بهاتين الولايتين اقلية بالنسبة الى المقاطعات الاربع الاخرى ؛ والسادسة هى عبارة عن ارض المغرب الاقصى

معتقد الفاندال

كانت الامة الفاندالية وثنية تعبد «دونار» الرعد ، و«تير» الحسام ، وتخضع للشمس والقمر وغيرهما من الاجرام العلوية ؛ وتضيف الى ذلك آلهة اخرى من معبودات الوثنية : ومنهم من تمسح على مذهب اريوس Arius الاسكندري وهو مذهب الحكومة ، ولم يلبث الفاندال ان اقبلوا فأنشؤوا يضطهدون الدوناتين وغيرهم من اهل المذاهب الاخرى ووافقهم على ذلك اليهود ايضا وذلك ما حمل رجال الكنيسة الارثوذكسية على التضرع الى امبراطور بيزنطة فى انشاء حملة على افريقية ، ولم يشمل اضطهادهم الدينى هذا اهالى الجزائر لقلة من كان فيها على هذا المذهب

البربر والفاندال

ان المتأمل جيدا فى موقف البربر وحركاتهم تجاه الفاندال يجدهم غير خاضعين تمام الخضوع لهذه السلطة القاسية التى تسلطت على بلادهم ، بل اسنمروا مستعصمين بمراكزهم الجبلية الشاهقة ، عاملين على استقلالهم واتسظامهم بها ، وقد استعادوا بفضل خطتهم هذه ما انتزعتها السلطة الرومانية منهم ، وكل ما ظهر منهم من مساعدة الفاندال على احتلال البلاد انما كان وراءه حب الانتقام

والنشى من اعدائهم الرومان كما قلنا ، وهم فى ذلك يتأهبون دوما للفرص ويتحفزون للوثوب نحو الاستقلال ، فكانت لهم هذه الظاهرة اول خطوة سياسية خطوها البربر فى سبيل تحرير بلادهم ، ولو انهم فى الظاهر استبدلوا استعماراً باستعمار ... وفعلا لقد استرد البربر سلطانهم شيئاً فشيئاً حتى كاد ان يتحقق لديهم غرضهم المنشود لو لا ان فاجأتهم القوات البيزنطية بمهاجمتها

حركة الجزائر التحريرية

كان لوفاة الملك الفاندالى «جنسريق» سنة ٤٧٧م اثر كبير فى تغيير السياسة الفاندالية بهذه البلاد ، فلقد ساء سلوك خلفائه من بعده ، ولم يحسنوا صنعا فى تدبير شؤون المملكة وتسيير نظام الجيش والجنديّة ، فظهر بذلك انحلال عظيم فى الحكومة فى حين ان العالم كان متجها نحو تاريخ جديد ، وحياة جديدة : ذلك هو عصر ابتداء تاريخ القرون الوسطى ؛ ففي نفس الوقت تحرك البربر منتهزين فرصة ضعف السلطة الفاندالية ونهضوا لاستعادة مجدهم الضائع واعلنوا الثورة على الفاندال سنة ٤٨٠م واندلع لهيبها من جبل اوراس وجبل راشد غربا الى طرابلس شرقا ، واستمرت الوقائع والمعارك ما بين مد وجزر الى سنة ٤٨٣م فانتصر البربر على اعدائهم وتحررت نواحي مدينة تيمقادى وباغاية وتقيست وغيرها بغالب الوطن الجزائرى ، وبقيت مدينة سيرته - قسنطينة - محافظة على سيادتها كما كانت من قبل ، اذ لم يقو الفاندال على فتحها ، وبذلك كان الاستعمار الفاندالى لم يشمل جميع البلاد ، وانما كان محله السواحل فقط

الثقافة والحضارة والعمران

اننى بكل اسى لا استطيع ان اتحدث الى قارىء الكتاب بشيء جديد مما يتضمنه عنوان هذا الفصل !... واننى اصارح حضرة المطالع بأنه لا يستفيد من مطالعة هذا الفصل اكثر مما وسعه عليه من قبل ... اذ لم يظفر التاريخ في دراسة هذا العصر بما يسمى هنالك علما او ادبا او فنا ، ولا لغة كذلك ولا اثرا معماريا يصلح لان يكون مادة للاستنتاج والدراسة والبحث ، وان كل ما فاز به التاريخ في هذا الميدان هو بعض قطع من نقود : فضة وبرونز مضروبة باسم ملوك هذه الدولة ، وعليها نقوش رمزية ؛ او كلمات والفاظ استخرجها علماء اللغات من لهجات القوم الذين مازجوا هذا العصر او خالطوا اهله ، وهذا كما رايت لا يسمن ولا يغنى من جوع !... وما اشتهرت به هذه الدولة الا انها امة تخریب وتحطيم وانحلال في الاخلاق وذلك ما جعل لاسمها معنى مرادفا للهدم والنقض ، فقالوا *Vandalisme* . واتنا اذا نظرنا الى بعض اقوال مؤرخى ذلك العصر ممن كتب عن مشاهدة وعيان امثال المؤرخ البيزنطى المشهور «بروكوب» اصابنا ذهول عظيم فان هذا لما نزل بافريقية سنة ٥٣٣ م صجبة القائد البيزنطى الفاتح «بليزارىوس» بصفته كاتبه الخاص عجب مما وجد به من العمران ونشاط التجارة ونفاق الاسواق وخصوبة الفلاحة ؛ وانما بعد ما غاب عنها ثم عاد اليها بعد عشرين سنة - من استقرار الرومان بها - وجدها على خلاف ذلك ! .. فمن الصادق يا ترى ؟ . ونرى التاريخ كذلك يحط من قيمة الفانдал تجاه التعليم ايضا ، فيقول انهم كانوا يعدونه جريمة ينكل بصاحبها ؛ وهم يعلمون ذلك بعفاء آثارهم ومحو لغتهم اذ لم تكن لغتهم مستعملة الا فى التخاطب كلغة عامة لا تصلح للتعبير عن المعاني الدقيقة ؛ ولم يبق هنالك سوى اللغة اللاتينية وهى لغة الدولة الذاهبة

وان عدد امة الفاندال بهذه الديار كان لا يتجاوز المائتي الف نسمة وانهم كانوا يضبطون الحوادث والوقائع التاريخية بعدد ايام ملوكهم وهكذا مر الفاندال ببلادنا بدون ان يكون لهم فيها اى اثر يذكر سوى ما وصمهم به التاريخ الذى كتبهم اعداؤهم الرومان والبيزنطيون وعليه سار الباحثون الى اليوم

انهيار الجزائر الفاندالية

بدهشة ان امة مثل هذه منحلة في اخلاقها ساقطة في نظمها العسكرية والمدنية لا تعمر كثيرا ؛ فلقد امضى الفاندال معظم حياتهم بافريقية منهمكين في انواع من العيث والفساد منغمسين في احضان الخلاعة وسوء السيرة ، معرضين عن حياة الجد والحزم غير مباليين بما تتطلبه سياسة الامم من العدالة والاستقامة ، ذلك ما كان باعسا للاهالى على اثاره الحروب ضد هذه الادارة الغاشمة ومقاومة هذه الفوضى السائدة في الاخلاق وفي الحكم ، وفعلا نشبت الثورات بين الراعى والرعية ، وكانت المقاومة الشعبية عنيفة فسقطت امامها الحكومة منهزمة واحرزت بعض النواحي من الجزائر على استقلالها مثل اوراس ؛ ويومئذ توحش القائد الفاندالى «جاليمار» واستعمل في مواقفه الحرية جميع وسائل القهر والارهاب وتجراً على مقام ملكه «هلديريك» (١) فعزله عن عرشه سنة ٥٣١م وجلس هو مكانه ، ويومئذ استنجد هلديريك بقيصر الروم في بيزنطة «يوسيتيانوس» ، فصادف ذلك هوى من نفس القيصر حيث انتفتحت له طريق الانتقام ممن سلبوا مملكة دولة الرومان الغربية بافريقية ؛ واخذت الدسائس تحوم حول دولة الفاندال المحتضرة ودبرت في ذلك خطط املتتها عليهم دواعى الاقتصاد والثأر من الفاندال وملكهم الجديد جاليمار وبلغوا بدهائهم السياسى ان شغلوا الدولة عن نفسها باثارة العصبية المذهبية والخلافات الدينية حتى فوجئت بالاسطول

(١) وعلى عهده كان ابتداء اطلاق اسم «الموروس» على السكان الاصليين لشمال غرب افريقية

البيزنطى فى خمسمائة قطعة حرية تحمل ١٥٠٠٠ نسمة ، وهم على ثلاثة اصناف ، نصفهم مشاة ، وخمسة آلاف فارس ، والباقى بحارة ، ولباسهم بومئذ درع سابغ على الصدر يبلغ الساقين وخوذة على الرأس ، وسلاحهم السيف والرمح والسهام تحركت هذه الحملة البيزنطية العتيدة من بيزنطة - القسطنطينية - يوم ٢٢ جوان ٥٣٣ م ، اى قبل الهجرة ب ٨٩ سنة ؛ ودولة الفاندال يومئذ مشغولة بغزوة بحرية حيث كان اسطولها محاصرا لجزيرة سردينيا ، فأرست هذه الحملة بمياه صقلية ، ثم انتقلت الى مرسى قابس ، واتفق ان كان اهل صقلية وقابس ثائرين على الفاندال ، فكانت فرصة سانحة للروم البيزنطيين على مواصلة الغزو ، وليس للفاندال يومئذ ما يضمن لهم الانتصار بسبب ان قوتهم الحربية مشتتة فى البلاد والاثرية منها فى الغزو مع تعذر تجنيد الاهالي لعدم اتصالهم بهم واحتلال الروابط بينهم وحلول العداوة والبغضاء مكانها ، فكانت هذه الظروف كلها مساعدة للغزو البيزنطى على استمراره فى الفتح ، وقد جاء ذلك مصرحا به على لسان قائد الحملة البيزنطية « بليزاريوس » فقال : لست اعتد بعدد جندى ولا بشجاعتهم اكثر من اعتدادى بحب الاهلين وعطفهم علينا وكرهم للفاندال .

واحتدمت الحرب بين الفريقين بنواحي تونس فانتصر البيزنطيون على الفاندال ، واحتل القائد بليزاريوس عاصمة قرطاجنة فى شهر اوط من نفس السنة ، وفر منها جاليمار ملتجئا الى جبل « تاوريرت » من جبال زواوة وبقي هنالك معتصما بالشعاف والشواحق الى ان احاط به الروم وضربوا عليه الحصار مدة ثلاثة اشهر ، ثم كانت المعركة الاخيرة بينهم يوم ١٣ سبتمبر بقرية « اريانة » - تونس - انكسر فيها الفاندال شر انكسار ، وقد حاول جاليمار الفرار امام العدو المرة الثانية ذاهبا الى « فاندالوسيا » فلم يفلح بل وقع اسيرا فى قبضة الروم ، فحملوه الى بيزنطة وانموا بعده عملية الفتح بتطهير التراب الافريقى من كل اثر فاندالي ؛ فخلص الوطن يومئذ - ديسمبر ٥٣٤ م - للروم البيزنطيين ، وكان بذلك القضاء النهائى على دولة الفاندال فى العالم ، وذلك بعدما عاشت ١٠٣ سنة بهذا الوطن الافريقى .

ملوك الفاندال بافريقية

٤٢٩-٤٧٧ م	جنسريق
» ٤٧٧-٤٨٤	هوندريق
» ٤٨٤-٤٩٦	غونداموند
» ٤٩٦-٥٢٣	ثراسيموند
» ٥٢٣-٥٣١	هيلدريق
» ٥٣١-٥٣٤	جاليمار

جدول تاريخي

٤٣١-٥٣٤ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث على عهد الفانдал
٤٣١ م	انتصاب دولة الفانдал بالجزائر
» ٤٣٥	انعقاد الصلح بين الفانдал والروم
» ٤٣٩	الاستيلاء على قرطاجنة
» ٤٧٧	وفاة الملك الفاندا الى «جنسريق» وتغير السياسة بوفاته
» ٤٨٠	نشوب ثورات البربر ضد المحتلين
» ٤٨٣	انتصار البربر وتحرير بعض النواحي الجزائرية
» ٥٣١	سقوط الملك «هلدريق» وانتصاب «جاليمار» مكانه
» ٥٣٣	غزوة الاسطول البيزنطي لافريقية
» ٥٣٤	انهيار مملكة الفانдал وسقوط دولتهم

الدولة البيزنطية

٥٣٤ - ٦٤٧ م

لقد كان من اتساع رقعة مملكة رومة بما فتحته من البلاد في الشرق وفي الغرب واتسار ساطانها بمنتأى بعيد عنها وهناك ان فكر الامبراطور « دقلتيانوس » - ٢٩٦ م - في توزيع سلطنته على مركزين : احدهما حيث هو بالغرب ، والثاني بالشرق ليكون له معقلا حصينا هناك ، وجعل مقر ذلك مدينة « نيقوميديا » - ازمير - بالاناضول - فكانت هذه يومئذ عاصمة الرومان الشرقية ، وكانت مدينة ميلانو بالغرب هي عاصمة المملكة بقسميها ، واستقر الامر على ذلك الى عهد الامبراطور (قسطنطين) الكبير ، فانه ادرك ذهاب هبة رومة وضعف نفوذها بسبب ما لحقها اخيرا من القوضى والاضطرابات في كلتا السلطتين المدنية والعسكرية ، وتحقق لديه بانها لا تصلح الآن مقر الرئاسة الامبراطورية العظيمة المتراصة الاطراف ، فحول يومئذ مقر حكومته الى المشرق سنة ٣٣٠ م واتخذ عاصمته هنالك مدينة (بيزنطة) [١] وجددها ونسبها اليه -- القسطنطينية - فنشأ عن ذلك للمملكة الرومانية يومئذ عاصمتان شرقية وغربية ، والى الشرقية (بيزنطة) تنسب هذه الدولة التي تؤرخ استيلاءها على الجزائر .

وفي سنة ٣٩٥ م ، توفي الامبراطور (طيودوس) واوصى بقسم المملكة بين ولديه ؛ فجعل الملكة الشرقية لولده (اركاديوس) وعاصمتها بيزنطة ؛ والغربية لاختيه (اونوريوس) فنفذت الوصية على ما هي عليه ، وبذلك اصبح ملك الرومان منقسما الى دولتين كل واحدة منهما مستقلة عن اختها ، وقد قدر للمملكة بيزنطة ان ترث عرش رومة الى الفتح التركي العثماني (٢٠ جمادى الاولى

(١) نسبة الى مؤسسها الاول « بيزانس » رئيس الماغريين ١٢٠٠ م. ق وقيل بنيت سنة ٦٥٨ م. وعلى انقاضها بنى قسطنطين عاصمته

سنة ٨٥٧ هـ - ٢٩ مايو ١٤٥٣ م) واضحت هذه عاصمة الخلافة الاسلامية الى حين .
ولما كان اهل هذه المملكة الشرقية الحديثة مزيجاً من الرومان واللطيين واليونان وهم الافرنج ، تسموا فيما اصطلاح عليه المؤرخون العرب باسم (الروم)
تغليبا لجنسية الامبراطور وتمييزا لهم عن دولة الرومان الغربية ، فهم الروم البيزنطيون .

نظامها الحكومي

لم تكد بشائر الفتح البيزنطي ترد على الامبراطور «جستنيان» حتى اسرع الى جعل افريقية ولاية من ولايات الدولة الكبرى ، واقام على حكومتها عاملا مدنيا لا عسكريا كما كانت على عهد الرومان من قبل ، فكانت بذلك افريقية مثل بيزنطة يحكمها مدير او عامل يتمتع بنفوذ واسع ، ومقره مدينة قرطاجنة ، ولم يتحول هذا النظام الا في سنة ٥٨٧ م حيث استطاع «جناريوس» اخذ ثورة البربر فكان بهذا اول حاكم عام عسكري لقب بالبطريق ؛ وكان يبلغ مرتب الحاكم العام سنويا الى ما ينيف على ١١٠ . ٠٠٠ فرنكا تقريبا ؛ وعنده تجتمع جميع السلط على اختلافها ووراءه جيش من الموظفين منتشر على كامل البلاد والعواصم والقرى واكثره مختص بالتحصيل وجمع المال حيث ان الحكومة البيزنطية تركز في سياستها على نهب المال ، وقد كان مبلغ ما تنفقه السلطة على هؤلاء الموظفين ٧٣٧ ٢٩٩ ١٠ ، من الفرنكات (بتقدير ما قبل الحرب العالمية الاولى) وهذا غير ما يرسل الى الامبراطور نفسه من الاموال وما يجمع من القمح وما يدفع جعالات لرؤساء البربر ، ثم ما يتبع ذلك من نفقات الدولة ... وللحكومة جنود ممتزج من الاهالي والبيزنطيين وفيهم الماجور وكلهم تحت تصرف رئاسة القائد العام المدعو : أكسارك .

حدود الجزائر البيزنطية

لا تتجاوز مملكة البيزنطيين بأفريقية على ان تكون جزءا صغيرا يبدأ من حدود مصر الى جبل اوراس ثم يأخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة ، اما في الجنوب فانه لا يتعدى نصف امتداد افريقية الرومانية . وكانت البلاد منقسمة الى سبعة اقسام ادارية ، ثلاثة منها بالقطر الجزائري :
(١) نويميا وقاعدتها قسنطينة .

(٢) القيصرية الشرقية ، او موريطانيا السطيفية ومركزها مدينة سطيف .
(٣) القيصرية الغربية او موريطانيا القيصرية ومركزها مدينة قيصرية : شرشال ويحكم هذه الاقسام عمال ، ثم تليها اربعة مناطق تشتمل على بقية مملكة القطرين الشقيقتين : تونس والمغرب الأقصى ، على ان نفوذ البيزنطيين بالمغرب كان ضئيلا هنالك لا يتعدى المنطقة الشمالية منه وقاعدتهم فيه مدينة سبتة .

وفي ايام الامبراطور «موريس» (٥٨٢-٦٠٢ م) ظمت موريطانيا السطيفية الى ما بقى من موريطانيا القيصرية ، فتدونت منهما معا ولاية واحدة ، كما حدث تغيير آخر في بقية املاك البيزنطيين

استيلاء الروم على الجزائر

تقدم وصف حملة البيزنطيين على حكومة الفاندال بأفريقية ، وكيف كان استيلائهم على ولاية تونس اولا (صيف سنة ٥٣٣ م) ولما رسخت قدمهم بها تقدموا في الفتح غربا الى ولاية الجزائر ؛ ففتحوا هبونة : عناية ؛ وسيرتا او قرطبة : قسنطينة سنة ٥٣٩ م وقلمة وناحية الحصنة ونواحي سطيف واوراس وزابى : المسيلة ، وبلغوا الى قيصرية : شرشال وقرطنة : تنس وحيجل وبجاية وما اتصل بهذه البلاد من السواحل الجزائرية ، وهنالك ابنتى الروم سلسلة من الاستحكامات والحصون والرباطات التى تفصل القسم الساحلى الذى يظهر فيه الحكم البيزنطى

واضحاً جلياً عن القسم الداخلى الذى باعدت السياسة الرومية البيزنطية بينه وبينها ؛ فكان اقصى ما بلغ اتساع هذه الحدود التحصينية : سهل مجردة وهضبة الاوراس ؛ ووقفت حدوده الجنوبية عند تبسة ومسكولا : خنشلة وتيمقادى ، ولبيس ، وطبنة ، والمسيلة ، اما فيما عدا ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل لا تكاد تتعدى ارباض الموانى من امثال تيفش : تيارزا ، وقيصرية : شرشال ، وتنس ، ووهران

الحياة الاجتماعية

رحم الله من قال : ان السياسة لا وجه لها ؛... ذلك ان الروم لما نزلوا اول مرة بأرض افريقية استعملوا انواعا واساليب من الدهاء الديبلوماسى فى استرضاء الاهالى فلم تلبث سياستهم هذه ان كسبت ودهؤلاء البيزنطة فاستفادت ما ارادته منهم من طاعة وجنود ، وذلك لثقة البربر بالروم ظنا منهم ان خلاصهم من فوضى الفانдал يكون على ايدي هؤلاء البيزنطيين ، وما انكك الاهالى فى غمرتهم هذه لاهون حتى فاجأتهم «انديجينة سوداء» من بيزنطة بما لا يتفق وطبيعة البلاد ، فكانت هذه قوانين جور فاصلة بين الحاكم والمحكوم لا وجه فيها للاتصال بين الشعبين ؛ فكان طبيعيا وجديرا ان تضع الامة هذه الاثقال عنها وتتعد عن الحكومة التى لم تحسن وضع نظام يسجج مع طبيعة البلاد ، ويومئذ تسارع الروم اليهم يعاملونهم معاملة العبيد ويرغمونهم على الطاعة ، وكانهم بذلك اوروانار الفتنة واذكوا لهيب الشحنة فى قلوب الرعية ، فبدأ النزاع الذى اصبح خصومة مشبوبة لا يكاد يخمد اوارها بين الروم واهل البلاد ، واستعمل الروم يومئذ الشدة والعنف فى معاملة الرعية والقوا بينهم العداوة والبغضاء بقصد التفرقة ، وارهقوهم بالضرائب والاتاوات الفادحة وحملوهم فى ذلك مشاق عظيمة مما جعل الناس يومئذ يعلنون كراهيتهم وحقدهم على الحكومة باعلان الثورة والعصيان فى وجه الحكام وفيهم من هاجر



مكة - مكة المكرمة



رداء لقمية • قنينة نالكة لا وله روية بالحفة

وترك موطنه وبلاده ، ومنهم - من شدة الفقر والحاجة - من اضطر الى اللصوصية وقطع الطرق. وقد اجمع المؤرخون على ان سياسة البيزنطيين بافريقية كانت سياسة شعاء خرقاء... فهي لا تبعد كثيرا عن سياسة الفاندال ان لم تكن من متمماتها. واقد كان لهذه المعاملة العنيفة اثر بعيد في مستقبل الحكم البيزنطى بهذه البلاد

الحالة الدينية

لقد جرى مجرى الامثال السائرة عند جميع الامم قولهم في تشبيه النزاع والخلاف الفارغ مهما كان نوعه بمنازعات بيزنطة الدينية ، نعم هو كذلك... فما جر بيزنطة الى حتفها الا هذه الخلافات والمناقشات الدينية الفارغة ؛ فقد كان مما عملت عليه هنا بافريقية - كما فعلته ببقية امبراطوريتها ايضا بالشرق - ان سعت في اذكاء الخلاف الدينى واثارة النقاش بين الناس في ذلك وبعث التعصب المذهبى من مرقده ، وذلك يوم ان اعلن الامبراطور جستينميان وجوب اعتناق المذهب الكاثوليكي والغاء غيره - ٥٣٥ م - وكان الجزائريون يومئذ على المذاهب الارثوذكسى - السلفى - والمسيحية يومئذ بالجزائر منتشرة كثيرا بنواحي نو ميديا وبجهات وادى شلف وتلمسان والاوراس وفي الزاب ؛ واخذت هذه الجهات يومئذ تهتز وتضطرب لهذه المناقشات الدينية واتسعت شقة الخلاف بين سائر الاوساط وكان هنالك الجدل العنيف بين الطوائف المسيحية وارباب المذاهب ؛ وما برحوا كذلك ان فاجأهم صدور قانون من هرقل الاول سنة ٦٣١ م يعلن فيه تعاليم جديدة ينبغي اتخاذها كمذهب آخر جديد ، فقابلت الرعية بالرفض ، وهنالك من حمله ذلك على اتخاذ الوثنية دينا وحدثت يومئذ انقسامات دينية واختلاف كبير بين الكنيسة الشرقية والغربية واخذت الحكومة في اضطهاد المخالفين لها وخاصة اليهود انتقاما منهم حيث اعانوا الفاندال على مقاومة مذهب الروم فيما سبق ، وكسر يومئذ الخلاف والمشاغبات الدينية مما عرف في التاريخ باسم المناقشات البيزنطية

ثورات البربر القهرية

كان بعد سفر الحاكم العام البيزنطي (بيليسير) الى بيزنطة اضطراب عظيم في القطر الافريقي كله ، وخاصة منه بالجزائر ، فقد ساء سلوك الولاة والعمال فيها بعد سفر الحاكم المذكور ، وانتشر الظلم والطغيان من الحكام الذين خافوا بيليسير على راس الادارة الافريقية وتفتنوا في تنويع العذاب المنصب على الاهالي وغيرهم من سكان هذه البلاد ، وهم في ذلك يستترون بالدفاع عن العقيدة والدين ؛ ويا ما اكثر المغرضين في كل زمان - الذين اتخذوا هذه المظاهر الدينية لاشباع نهمهم والتوصل الى غايتهم التي لاتعدوا ان تكون انانية محضة او آراء وخصومات لقصد سياسى تافه هو بعيد كل البعد عن التدين والعقيدة ...

ويومئذ انفجرت الثورة العامة من ملوك البربر المستقلين المنتشرين في انحاء الجزائر وغيرها من شمال افريقية . وكانت هنالك حروب ووقائع متسلسلة اضطرت القوات البيزنطية الى التسليم والخضوع للاهلين وتحررت يومئذ مراكز كثيرة من القطر الجزائري كانت تحت نفوذ الروم ، وكان من ابرز الشخصيات الجزائرية التي قاومت الاستعمار البيزنطي يومئذ الزعيم (يابداس) رئيس قبائل جبل اوراس ؛ بمساعدة الرئيسين «كوتسينا واورتاياس» وقد اجتمع حولهم يومئذ اربعون الف مقاتل وسار الكل تحت زعامة يابداس فغزوا نوميديا ونهبوا وسلبوا واحرقوا البلاد وخربوها وفيها كان خراب مدينة تيمقادى ؛ ويومئذ انهزم البيزنطيون والتجأوا الى انشاء خط ثان من الحصون المتسلسلة اتقاء هجمات البربر على قلاعهم وحصونهم الداخلية ؛ وكان من اهمها حصون قسنطينة وقلمة ، وكان اعتماد الروم في اقامة هذه الحصون والقلاع على ماكان قائما من قبل من المنشآت الرومانية كالحمامات والملاعب والمعابد . ولقد اوجز المؤرخ جوليان في وصف هذا النظام الدفاعى بقوله : انشأ البيزنطيون سلسلتين من الحصون ، اما الاولى فسلسلة من الاستحكامات تربط المحارس بعضها بعض ، وخلفها سلسلة من المدائن

الحصينة التي كانت تستعمل دائما ملاجئ للناس

ورغم ذلك كله فالبربر دائما سائرون في خطتهم هذه الى الامام فما وهنوا ولا استكانوا بل ما زادهم ذلك الاتحسا في مقاومة الطغيان البيزنطي ، فاغاروا على الروم في جميع الجهات وتقدموا منتصرين الى ابواب قرطاجنه فضربوا عليها الحصار سنة ٥٩٧ م ثم كانت هدنة ، وما برح القوم واثقين بهدنة الروم حتى فوجئوا بغزاة تشتمل على نواحي هضبة اوراس كلها ؛ وقتل يومئذ الزعيم يابباس (٥٤٠ م) واحتل الروم معقله (اوراسيوس) على ارتفاع ١٥٠٠ ميترًا واحتلوا كذلك المسيلة واخضعوا معها الزاب ،

فخضع يومئذ الجزائريون الى قوات الروم المهاجمة ريثما استعدوا من جديد للقضاء على خصمهم ؛ واشتد يومئذ الخلاف وزادت الشحنة بين الفريقين وبلغ الروم في تهورهم واعاد الاهالي ثورتهم فعظم الهيجان في الوطن واصبحت البلاد تموج في بحر من الفوضى وعدم النظام، وهكذا الى الفتح العربي الاسلامي

الثقافة والحضارة والعمران

لم ينبئنا التاريخ بذكر حالة البلاد الادبية والثقافية في العهد البيزنطي ، اما فن المعمار فانه لم يكن لهم بالجزائر يومئذ سوى تشييد بعض الكنائس واقامة الاسوار حول المدن كاسوار قرطنة : تنس ، وقصرية : شرشال ، وسطيف ، وميلة ، وتمقادي ، وقصر الصبيحي ، وقالمة ، ومداوروش وتبسة ؛ ويقول المؤرخ غزال عن آثار البيزنطيين بالجزائر : وآثار هؤلاء باقية بنوميديا ما عدا التحاصين فانها تدل على بؤس شديد ، وقال ميرسبي : كان المؤرخ بروكوب - البيزنطي - لما نزل افريقية مع بيليسير - الفاتح البيزنطي - دهش من عمرانها ونشاط تجارتها ونفاق اسواقها وسعادة فلاحتها ،

ولكن بعد عشرين سنة لم يبق شيء من ذلك وعم الحراب جميع افريقية ، ويقال ان الحرب وحكومة يستينان حملتا افريقية خسارة خمسة ملايين من الانفس ... ورغم ذلك ، فانه لا مانع من ان يكون هنالك بقايا معمارية خاصة بالفن البيزنطي الجميل الذي يمتاز به عصر الروم بافريقية عن بقية العصور الاخرى ، ونحن نشاهد اثره فيما اتخذته المسلمون بعد ذلك من النقوش المزخرفة من نوع القاشاني الملون بالتصاوير المرسومة الدالة على براعة الصناع الافريقيين من روم او بربر ، وقد بلغ تأثر العرب بهذا الفن الجميل ان جعلوه في مساجدهم ومعابدهم الخ... ويذكر لنا ابن فضل الله العمري مدينة شرشال فيصفها بقوله : انها مدينة تزيد على الوصف في اتساع الافنية ، وارتفاع الابنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والاقبية المعقودة ، والقواعد المشيدة ، والجدر السميك ، مما يشهد له جوال الارض وسفار الافاق وسمار الحديث بانها لا شبيه لها في تحسين بنائها وتحسين صناعتها (١) ولا شك في ان آثار مدينة شرشال هي من بقايا ما شادته دولة الروم الدابرة ، وما حظ الرومان منها الا حظ المحافظ عليها من الضياع والحامى لحماها

اما ثراء البلاد ونشاطها الاقتصادي فان مؤرخي شمال افريقية كادوا ان يتفقوا على ان العرب وجدوا البلاد ساعة دخولهم كثيرة الزرع وافرة الثمرات ؛ ويؤكد «ديل» ان في السهول الواسعة المهجورة التي تمتد جنوبي هضبة الاوراس وفي الاقليم الجبلي الذي يتوسط سهل تونس ، في كل هذه النواحي يجد الانسان في كل خطوة آثار مدن كبيرة او صغيرة وقرى أهلة وارضى مزروعة على امتداد عظيم

واننى لا ارى فى ذلك تناقرا او تناقضا فيما قررناه من حالة البلاد الشقية البئسة طيلة عهد الروم . فان ذلك يعود الى اعتبار اختلاف الاوساط ؛ فالوسط المعمر هو دائما وابدا يستمتع بفساد البلاد وما فيها من مرافق ثقافية او معمارية او اقتصادية او غيرها ، والاهلون هم دائما كذلك فى ضيق وضيق وجهل مطبق وفقر مدقع ؛ فالجزائر مثلا اليوم ؛ من يراها عند المعمرين يراها جنة عدن عالية ، ومن ينظر الى اهلها يراها فى جحيم وسعير ، وكذلك حال افريقية على عهد البيزنطيين ؛ ومنهاج الاستعمار دائما واحد .

انهيار الجزائر البيزنطية

كلما تدبر الانسان فى الاسباب والنتائج التى ادت بالجزائر بل بافريقية البيزنطية الى السقوط والانهيار الا ووجدها ترجع الى سوء الادارة ونظام الحكم الجائر ، وعدم حسن السياسة مع الاهالى باحتقارهم ومعاملتهم معاملة العبيد ، وكثرة الحروب والثورات والفتن والاهوال الناشئة عن ذلك مع التعصبات المذهبية والحصام الدينى ، وضعف السلطة الرومية بابتعادها عن الجزائر مع بعد مركز الحكومة العليا عن افريقية ، ومشغبة الجند الذى لم يكن يتصل بجرايته ، واشتغال الاباطرة بانفسهم فى قصف ولهو مع ما كانوا فى حاجة اليه من الاستعداد لحرب القرس ؛ وتدخل قساوسة رومة يومئذ فى الحكم وتسلطهم على الحكم وغير ذلك مما دعا الى ضعف سلطان بيزنطة فى هذه البلاد شيئا فشيئا ، فأخذت الحكومة تنسحب من الشمال حتى لم يبق من املاكها آخر الامر الا ساحل ضيق ، واحتل البربر ما خلا ذلك من البلاد والحصون ، ويومئذ افترقت الكلمة وظهر الانحلال التام فى الادارة والاخلاق وضعت الحكومة عن القيادة بفتورهم القادة وقلة خبرتهم واغترار بعضهم بنفسه كما وقع للطريق جرجوريوس الثانى ، او «جرجير» كما يسميه العرب ، فانه عمل على انفصال افريقية عن بيزنطة بقطع العلائق بينه وبين

الامبراطورية الشرقية وتحصن بعاصمته «سيطلة» بالجنوب الغربي من ولاية تونس واعلن ثورته على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم (٦٠٧ م) وحيث اندلع لهيب نار الخلاف والفوضى واشتبكت الثورات في انحاء المغرب الثلاث واستمر الحال على هذا الى ان اذن نور الاسلام بالشروق فسطع نوره بالشرق وتمهدت السبل للعرب الفاتحين ففتحوا افريقية سنة ٢٧ هـ - ٦٤٧ م - وقضوا على تلك الاضطرابات كلها وقتل جرجير في حديث طويل سأحدثك عنه في محله قريبا ، وبموته انقرضت دولة اليزنطيين من افريقية بعدما قضت بها ١١٣ سنة

ولاية الجزائر وزعمائها

لم يشتهر - فيما نعلم - من ولاية الجزائر وزعمائها في هذا العصر الا كولومبوس اسقف نوميدية ، الذي كان له اثر فعال في انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية ؛ والرئيسان : كوتسينا واوتياس المساعدان للزعيم يابدياس في حروبه وثورته على الروم بهضبة اوراس «وماسوناس» الذي كان سلطانه يشمل كل منطقة وهران ، وامتد نفوذه الى الاوراس و«كسيلة» الاوربي الذي سنجدثك عنه فيما يأتي ، و«الكاهنة» الشهيرة التي كان لها من الاثر في مقاومة العرب الفاتحين ما ستقف عليه بنفسك.

مشاهير ملوك الوطن الجزائري

المملكة

شط الحضنة	اورثينة
موريطانيا	مصيناس (١)
قبائل الولايات الداخلية	انطالاس
موريطانيا بأقسامها	ماسونا ماستيجاس
شرقي اوراس	قزطيناس (٢)
غربي اوراس	ارثياس
آوراس	ايدباس
»	بيداس
»	ايعبدة (٣)
»	افسدياس

(١) يلقب بملك القبائل الموريطانية والرومان

(٢) قتله الروم غدرا سنة ٥٦٣ م

(٣) اعظم ملوك الجزائر

اباطرة الدولة البيزنطية

تاريخ الولاية

م	٥٦٦-٥٢٧	جستيان
	٥٧٨-٥٦٦	جستين الثاني
	٥٨٢-٥٧٨	تييريوس الثاني
	٦٠٢-٥٨٢	موريس
	٦١٠-٥٠٢	فوكس
	٦٤١-٦١٠	هرقل الاول
	٦٤١	هرقل الثاني
	٦٤١	هرقل الصغير (هرقلوناس)
	٦٦٨-٦٤١	قسطنط الثاني

مشاهير الجزائريين

بيداس

هو أشهر ملوك الجزائر وزعمائها المستقلين بجبل أوراس ؛ قاوم الاستعمار البيزنطي بكل جهوده وذاقهم بأسه وبلغ من الدهاء والسياسة ان وحد كلمة البربر وجمع شملهم وخاض بهم المعارك ضد الروم واقد احيط به ووقع في الحصر مرارا ولكنه نجا وتخلص من العدو في كثير من الوقائع .

جدول تاريخي

٥٣٤ - ٦٤٧

٢

تاريخ الحوادث | اهم الحوادث على عهد البيزنطيين

الاستيلاء البيزنطي على افريقية وتحتّم اعتناق المذهب الكاثوليكي	٥٣٥ م
الاستيلاء على ولاية الجزائر	» ٥٣٩
سقوط الزعيم الجزائري «يابداس» في ميدان الدفاع الوطني	» ٥٤٠
اغتيال الروم غدرًا زعيم شرق الاوراس «قزطيناس»	» ٥٦٣
حصار الاهالي لقرطاجنة - البيزنطية -	» ٥٩٧
انفصال «جرجير» عن بيزنطة وتحصنه بمدينة «سيبلة»	» ٦٠٨
تعاليم هرقل الدينية الجديدة	» ٦٣١
فتح العرب المسلمين لافريقية - ٢٢ هجرية -	» ٦٤٣

القسم الثاني

الجزائر العربية المسلمة

الأمة العربية

العرب جيل من الناس يسكن الجزيرة او شبه الجزيرة الواقعة بالجنوب الغرب من قارة آسيا ، تحدها شمالا فلسطين وبلاد الشام ، وجنوبا البحر المحيط الهندي وخليج عدن ، وشرقا الحيرة والخليج الفارسي ، وغربا بحر القلزم - البحر الاحمر ؛ وهم من اقدم الامم وجودا واعرقها اصولا واكثرها في ادوار التاريخ ذكرا ؛ فهم امة سامية سكنت في اول امرها ارض العربات او العربية ، في تهامة - غرب الجزيرة - انحدرت اليها من وادي الفرات او ما بين النهرين...؟ واليها نسبت وبها عرفت (١) ، ثم تفرقت هذه الامة في الجزيرة وتفرعت الى ثلاث طبقات وهي : العرب البائدة ، والعاربة ، والمستعربة ، فالبائدة بادت واندثرت وهم قوم عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة ومن جاورهم من سكان الاحقاف ، والطبقة الثانية هم بنو قحطان في اليمن ، واشتهرت منهم دولتان : سبأ وحمر ؛ والطبقة الثالثة هم العدنانيون بنوا اسماعيل نشؤوا بمكة والحجاز ثم انتشروا ببادية الجزيرة

ولغتهم هي من اغنى اللغات واغزرها مادة والفاظا واوسعها تعبيرا واعرقها في القدم واروعها لهجة ، فهي تقاوة لغات الشعوب التي سكنت هذه الجزيرة من عهد بعيد وخلاصة ما تكلم به الساميون ، وهي تمتاز كذلك عن اخواتها بكونها اقرب الى اصلها السامي من غيرها ، ذات لهجات مختلفة المظهر ، متحدة المخبر ، ولها من الخصائص اللغوية ما تفتخر به على سواها من جميع اللغات

(١) لقد ذهب العلماء في اصل اشتقاق كلمة «العرب» مذاهب شتى ، والذي رجحه المناخرون منهم انها مشتقة من كلمة (اوربي) الشمرية ، ومعناها سكان الحيام او الرحل ، وذلك لما بيننا وبين كلمة [عبر] من الاتصال الوثيق ثم اصبحت الكلمة هذه في عهد البابليين والاشوريين بمعنى : مدينة

اخلاق العرب وعاداتهم

اشتهر العرب بالاخلاق الكريمة والسيجايا الحميدة كالوفاء والاباء والشجاعة والشهامة والبطولة والكرم وقوة البأس وحفظ الجوار مع طلاقة في اللسان، وفصاحة في البيان، وفيهم من خرج عن هذه الصفات شذوذاً وكانوا لا يهثون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ، او فرس تتج، ولا يفتخرون الا بالسيف والضيف والبلاغة، ولم تكن الكتابة منتشرة فيهم، بل كانوا يعتمدون الحفظ في كل شيء، وقد جاء الاسلام وليس يكتب فيهم الا بضعة عشر شخصاً؛ وعلومهم النسب والاخبار والشعر والكهانة، ولهم دراية بالانواء والنجوم اكتسبوها بتجارهم وممارستهم للاسفار؛ وليست لهم مدينة مادية كمدينة مصر وبابل واشور اذ اكثرهم يعيش عيشة النجوع وربما كانت لهم في القديم حضارة ومدنية بلغوا فيهما شأواً عظيماً

المجتمع العربي

الامة العربية كما عرفها التاريخ امة بدوية رحالة، غير ان ما في لغتها من الالفاظ والكلمات والمواد والاوزان المتعددة الدالة على المعاني الاقتصادية والصناعية والسياسية والاجتماعية والعمرانية كل ذلك يدلنا على مبلغ الرقي العقلي والمادى عند العرب وان كانوا لا يألون الحياة الحضرية ولا يأنسون بالمقام والاستقرار في مكان، ذلك لتشبعهم بالحرية وبغضهم للقيود مهما كان نوعها: فكثرت فيهم الاسفار والانتقالات والغزو والمغامرات طلباً للمعاش وترفعاً عن المقام على الذل والهوان؛ ولهم عناية واهتمام بتربية المواشى والانعام، ولمعاملاتهم مع الاجانب كالفرس والروم والحبشة والهند صبغة تجارية خاصة، وهم دائماً في طليعة المحافظين على شرف العائلة وعز القبيلة واحترام الشخصية.

المعتقد العربي

لم يكن للعرب في جاهليتها دين مقرر يدينون به جميعا ، بل كان شأن العقيدة عندهم فوضى ، فمنهم من كان على ملة ابراهيم ، ومنهم من كان يعبد الاصنام والاولئان والنصب والحيوان ، ومنهم من كان على الفطرة ، ومنهم من كان من اهل الكتاب الى ايام البعثة

اعقل الامم ؟ ...

لقد أحرز العرب على مكانة سامية في ميدان النشاط العقلي، وفي صفاء النفس ولطافة الحس مما جعل الاجانب عنهم والدخلاء فيهم يشهدون لهم بذلك ؛ فقد روى شيب بن شبة - وهو المؤرخ الحجة - عن ابن المقفع (١) قال : كنا في مجلس عظيم فوجد علينا ابن المقفع ، وكان من اشراف الفرس وحكمائهم ، فقال لنا : من اعقل الامم ؟ ... فنظر بعضنا الى بعض وقلنا لعله يميل الى اصله ، فقلنا : الفرس ، قال ليسوا هناك ، ملكوا كثيرا من الارض وحووا عظيمها من الملك ، فما استنبطوا بعقولهم شيئا ... فقلنا : الروم . فقال اصحاب صنعة ، فقلنا : الصين ، فقال اصحاب طرفة ، فقلنا : الهند ، فقال اصحاب فلسفة ، فقلنا : السودان ، فقال شر خلق الله ... فقلنا : الحزر ، فقال نعم سائمة ... فقلنا : فمن ؟ ... قال : العرب . فضحكنا ... فقال ما اردت موافقتكم ، ولكن اذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة ؛ ان العرب حكمت على غير مثال ، وجود احدهم بقوة ، ويفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسورة ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصر حجة ، ويحسن ماشاء فيحسن

(١) اول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق ، ومن اشهر أئمة الكتاب في العصر العباسي الاول ، اصله فارسي ولد في العراق . ونشأ بمجوسيا واسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ؛ كانت وفاته سنة ١٤٢ هـ - ٧٥٩ م -

ويقبح ماشاء فيقبح ، رفعتهم عقولهم وأعزتهم همهم حتى نالوا أكرم الفخر وبلغوا اشرف الذكر ، فلما شرفهم الله بالرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهم على هذه الاخلاق الجميلة ، والفضائل الجليلة ، تنافسوا في زيادة الفضائل، وتسابقوا الى نيل العلوم والمعارف ، فاكتسبوا منها ما لم يكتسبه الاوائل وآثروا الآثار العظيمة في اقرب مدة من بناء المدائن وعمل القناطر وفتح الخلدجان، فقد اجري موسى بن نصير البحر اثني عشر ميلا الى دار الصناعة بتونس ، وصنع مائة مركب وغزا صقلية واخذها ، ووصل عمرو بن العاص بين النيل وبحر القلزم في مدة سنة ، وجرت فيه السفن من خلافة عمر بن الخطاب الى ما بعد خلافة عمر بن عبد العزيز ، احتقره من الخلدج الذي في ناحية الفسطاط ، وقال له خليج امير المؤمنين وساقه الى القلزم ثم ضيعه الولاة وترك وغلب عليه الرمل واقطع وصار متناه الى ذنب التمساح ؛ ويسر لهم من التصنيف في انواع العلوم ما لم يتيسر لاحد قبلهم . ولقد صدق من قال : ان هذا التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الامم التي بلغت رسالات الله بالخير والجمال والحق الا اربعا : العبران في الدين والسلم ، واليونان في الفن والعلم ، والرومان في النظام والحكم ، والعرب في كل اولئك جميعا .

ظهور الاسلام

قضت حكمة الباري جل جلاله بانقضاء ايام الفوضى والجور المخيمين على العالم يومئذ ، وبانقشاع غشاوة الجهل الضاربة اطنابها على الناس كي يسود العدل ويظهر العلم ؛ فانبت نور النبوة والوحي على راس القرن السابع الميلادي ، فأرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولورده الكافرون . هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ؛ وهو عليه الصلاة والسلام من جنس العرب يعرفون نسبه وفضله وصدقه واماته وعفاقه ، فدعاهم الى عبادة الله

وحده . وخلم ما كان يعبد آباؤهم من الحجارة والاثوان ، وأمرهم بالصدق والوفاء والعفاف واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم وسفك الدماء ونهاهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم وقذف المحصنات الغافلات ، وجاءهم بقواعد الاسلام الخمس ؛ فانجذبت اليه النفوس الطاهرة فثامت به وصدقته

الفنوحات الاسلامية

لا يخفى ما كانت عليه دولتا الفرس والروم قبيل الاسلام من النزاع والتطاحن في الحروب واستعمال العرب وتسخيرهم في حروبهم ، وكلتا الدولتين كانت تستعمل في مصلحتها ما يليها ويجاورها من الامة العربية ، وقد فاتهما ان الالحاح على الفريسة قد يخلق منها مفترسا ، وكذلك كان الامر فكان استمرار هذه الحروب سببا قويا في ضعف الحكومتين معا ، وتمهيدا للعرب في انشاء دولتهم وتدريبهم على النظم الحربية والتراتب العسكرية ، وذلك ما ساعدهم فيما بعد على فتوحاتهم المتزامية الاطراف وبسط نفوذهم على القارات الثلاث : آسيا وافريقية واروبا . وقضوا بالفعل على هاتين الدولتين العظيمتين في الشرق والغرب : فارس والروم ، فاستبدل الله منهما هذه الامة العربية المسلمة ؛ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون .

وبعد ما فتح الله على نبيه الجزيرة ونشر عليها بنوده والويته وتم فتح العراق والشام والموصل وفارس على عهد الخليفة الاول ابي بكر الصديق (ض) ثم كان تمام فتح العراقيين ومصر وطرابلس الغرب (لويبا) على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ض) وامتلك المسلمون اهم مراكز الدنيا يومئذ في اقل من نصف قرن ، فاتخذوا من مصر بالاختصاص مركزاً لتتبع الفتوح بشمال افريقية .

العرب في شمال افريقية

قبل ان نخوض في تفاصيل الفتح العربي الاسلامي ، وجب علينا تأدية لمانة التاريخ ان نلقى بنظرة تمهيدية خاطفة الى ما اشيع من تلك النظرية المتعلقة بتاريخ العرب القديم القائلة باتصال هؤلاء بشمال افريقية منذ احقاب طوال كما قد كنا اشرنا الى ذلك في اوئل الكتاب ؛ ولما جاء دور العرب الآن كان حقا علينا ان نحقق المقام بما نستطيع مما اتصلنا به من المصادر التاريخية ، وذلك ما يدفعنا الى العود بالقارئ الكريم الى دراسة موجزة عن تاريخ العرب بشمال افريقية قديما

دولة حمير وسبأ بالمغرب ١١٢.

ان موطن هذه الدولة العربية كما هو معلوم باليمن ، تلك البلاد التي اشتهرت عند الرومان باسم البلاد السعيدة ، كما هي معروفة عند اهلها باليمن الخضراء ، وذلك لما بلغته هذه المملكة من التفوق العجيب في الحضارة والحضب وان ملوك هذه الدولة مشهورون في التاريخ باسم الاقيال والاذواء او التبابعة ، وفي كتب التاريخ خلط كبير بين ملوك سبأ وحمير . وفي عددهم وسنينهم ايضا ، وشوب تاريخهم بكثير من الخرافات

واياما كان فان اول من تملك من ولد قحطان : حمير بن سبأ وقد توارث بنوه الملك من بعده حتى صار الى الحارث الرايش الذي يرجع تاريخ حكمه الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وقد اجتمع له ملك اليمن كله ، وهو تبسع الاول بلغ في غزواته الى الهند ثم غزا بعدها الترك في اذربيجان ؛ وكان الرابع من هؤلاء التبابعة هو افريقس بن أبرهة ، وهو الذي يقال عنه انه غزا بلاد المغرب كما عند ابن خلدون قال : واتفق المؤرخون على غزو افريقس صيفي من التبابعة الى المغرب

كما ذكرنا في اخبار الروم (١) ... ويقول ايضا : وسار افريقس بن شمر الى افريقية بالبربر وكنعان فملكها (٢) وان المعروف من تاريخ افريقس هذا انه تملك مدة عشرين سنة (٣٠٠-٣٢٠ م). ويذكر ابن خلدون- ايضا انه وصل ملك هذه الدولة العربية بالمغرب الى طنجة ؟ ... وينقل عن ابن الكلبي ان حمير ابا القبائل اليمنية ملك المغرب مائة سنة ؟ ... وان صنهاجة وكتامة من حمير؛ ثم اتنا نرى المؤرخ نفسه في مكان آخر من تاريخه يحكم بتزييف كل هذه الروايات، فانظر الى قوله في المقدمة: ومن الاخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة - مثله !- في اخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب ، انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب ... ثم انه هو نفسه يعود الى الموضوع هذا في صلب تاريخه كمستدرك لما زيفه هنا فيقول عن هؤلاء التبابعة : وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة (٣) ... ربلا ما هذا الاضطراب ؟ ... وفي كتاب المعارف لابن قتيبة الذي قال عنه (وستفيلد) : انه من اقدم الكتب التاريخية المحضنة التي بقيت الى الآن من مؤلفات العرب ، ما يثبت ذلك ويؤيده ، قال: ان ياسر بن عمرو ملك اليمن الملقب بياسر انعم لانعامه عليهم لما سار غازيا نحو المغرب بلغ واديا يقال له وادي الرمل فلما انتهى اليه لم يجد فيه مجازا لكثرة الرمل وعبر بعض اصحابه فلم يرجعوا فامر بنصب صنم من نحاس على صخرة في شفير الوادي وكتب على صدره بالخط المسند : هذا الصنم لياسر انعم الحميري ، ليس وراءه مذهب، فلا يتكلفن احد ذلك فيعطب. ورجع (٤) ، ولقد اثبت ابن خلدون نفسه ما نقلناه عن ابن قتيبة (ج اص ٧٩) ومثله ابن الاثير في كامله (ج اص ١٥٦) او بعد هذه النصوص كلها يصبح تاريخ العرب القديم بشمال افريقية قضية ملغاة ؟ ..

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٥١ وج ٦ ص ١٠٦

(٢) ابن خلدون ج ١ ص ٨٨

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٧٠-٧٦ وج من تاريخه ص ٧٧-٧٨-٧٩-٨٨-١٣٢ وج ص ٩٦-٩٧-١٠٦-١٠٧

(٤) المعارف لابن قتيبة ص ٢٧٣ ط مصر ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

وسواء اصح خبر اتصال هؤلاء العرب التبابعة بشمال افريقية ام لم يصح ، فانه قد ثبت يقينا بان ملوك الرعاة - الفراعنة - المعروفين باسم (الشاسو) او - الهكسوس - وهم من العرب كما لا يخفى ، اتصلوا بمصر من برزخ السويس في القرن الثالث والعشرين قبل المسيح . واستمر سلطانهم على الديار المصرية الى سنة ١٥٨٠ ق. م. امتد نفوذهم الى ارض افريقية بدون ان تكون لهم فيها دولة منظمة ، ولذلك لم يكن لهم بها ذكر يحفل بتدوينه المؤرخون . ونقل (بوسيفوس) وهو احد المعتمدين من مؤرخى اليهود الاقدمين : ان (افرون) بن مدان بن ابراهيم الخليل - بين اوائل القرن ١٨ واواخر ١٩ ق. م. - جرد حملة على لوبيا واحتلها ، وان ابناء ابنائه اقاموا هناك وسموا الارض باسم افريقيا ، ولقد اثبتت البحوث والكشوف العصرية الحديثة بان ابراهيم - الخليل - كان عربيا ، وانه كان يتكلم العربية ؛ وهى طبعا غير العربية التى نعرفها اليوم او نكتبها وتخطب بها ، ولاهى كذلك التى بالشعر الجاهلي (١) أليست الكلدانية؟ كما انه قد صح فى التاريخ بان الساميين جاؤوا الى افريقية من جزيرة العرب فى ثلاث دفعات ، وطريقهم اليها فى كل مرة كان من طريقين : شمالية عن طريق برزخ السويس ومصر ، وجنوبية عن طريق باب المندب ، وكانت الدفعة الاولى فى زمن قديم جداً لا يعرف مبدؤه ، فاختلطوا باهل البلاد الاصليين وامتزجوا بهم ، فتولدت منهم امم هى الامة المصرية القديمة ، وقبائل البربر فى المغرب ... والمرة الثانية كانت حوالى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا ، او فى عصور اخرى ترجع الى ما بين القرن العاشر والقرن الاول قبل الميلاد؟ . وهؤلاء العرب هم الذين اتوا بالجمال معهم الى هذه البلاد اذ لم يكن الجمل معروفا بها قبل هذا التاريخ ، كما انهم جاؤوا قبل ذلك بالخليل ؛ اما المرة الثالثة فهى التى كانت فى قصة الهجرة الاولى الى الحبشة فى صدر الاسلام .

ولقد اكتشف الدكتور (استاني تيمبور) على مقربة من نهر (زمبر) في مقاطعة (رودسيا) من جنوب افريقية آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدل بها الدكتور على ان العرب قد استثمروا مناجم الذهب التي كان استثمروها اسلافهم «عرب اليمن» قبل ذلك بعهد طويل. وكما ظفر الحفريون بنقوش حميرية بعض قرى افريقية. فكل ذلك يجعلنا نحتفل لخبر هؤلاء العرب من التبابعة الحميريين في شمال افريقية، وقد يكون الضريح الموجود الى اليوم بالجنوب الغربي من بسكرة المنسوب الى خالد بن سنان العبسي (١) هو لاحد اعضاء هذه الجاليات العربية القديمة التي ارتادت هذه الاوطان، هذا ان لم يكن قبرا لاحد المبشرين بالمسيحية ممن ذكرنا اسماءهم في صفحة ٨٦ من كتابنا هذا؛ او قد يكون كذلك لاحد رجال الكنيسة واعيان مذهبها الشهيرة؟... والمستقبل كشف

(١) راجع الحيوانات للجاحظ ج ٣ ص ٦، ونهاية الارب للنويري ج ١ ص ١٠٦ - ١١٠ والجمهرة لابن حزم ص ٢٤٠ والكامل لابن الاثير ج ١ ص ٢٧٠ ومعجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ١٩٣ وعيون الاخبار للصدقي (مخطوط) ورقة ١٣ ومحاضرات الادباء الاصفهاني ج ٢ ص ٢٧٨ والاصابة لابن حجر ج ١ ص ٤٦٧ والمؤنس لابن ابي دينار ص ١٧ ورحلة العياشي ج ٢ ص ٢١٤

فتح افريقية

٥٢٢ - ٦٤٣ م

افريقية - المغرب

اتسع مدلول لفظ افريقية على عهد البيزنطيين فشمل كل ما دخل تحت نفوذهم من هذه القارة : من برقة الى طنجة ؛ وبهذا المعنى استعمله العرب في اول الامر ؛ ثم بعد ذلك اخذ لفظ افريقية يضيق شيئاً فشيئاً وبدأ لفظ المغرب في الظهور ، فاقصر اسم افريقية على ما يلي مصر غرباً الى بحاية من مقاطعة قسنطينة - الجزائر - ثم يلي ذلك المغرب حتى المحيط ، وربما ادخل فيه بعضهم الاندلس ؛ ولا شك ان لفظ المغرب حسب مدلول معناه هو ما يقابل الشرق ، ولهذا ادخل فيه بعضهم مصر والاندلس ، وقصرة آخرون على المغرب العربي الحالي وهو الاقليم الذي يلي مصر غرباً حتى المحيط ، ثم هم يقسمونه اجزاءاً بحسب الحكومات والولايات كبرقة وطرابلس وافريقية - تونس - والمغرب الاوسط - الجزائر - والمغرب الاقصى والسوس

مقدمات الفتح

كان من الطبيعي المعقول ان يتابع العرب فتوحاتهم بشمال افريقية بعد ما فتحوا مصر والشام وغيرهما من ممتلكات امبراطورية بيزنطة ، والجزائر يومئذ هي ضمن هذه الامبراطورية التي غزاها العرب في الشرق ، فكان لزاماً على الدولة العربية الناشئة ومن واجبها السياسي ان تستمر على خطتها في الفتح وتتابع ممالك الدولة المغزوة حيثما انتشرت في الارض وانبسط سلطانها في المعمورة ، وذلك توطيداً للامبراطورية الاسلامية الناشئة يومئذ في الشرق ، واتماماً لسلسلة

الفتوحات العربية ، فقد كتب على العرب الفاتحين ان يصطدموا بالروم في المغرب كما اصطدموا بهم في الشرق

من المعقول جداً ان يفكر فاتح مصر : عمرو بن العاص رضى الله عنه في متابعة الفتح والاستيلاء على هذا الشمال الافريقي بعد فراغه من الاستيلاء على القطر المصرى وتعام جلاء الروم عنه ؛ ولا شك انه بلغته اخباره واتصل بها وهو يومئذ على فتح مصر ، فعرف انه من بلاد الروم البيزنطيين وان لهم فيه منعة وعزة ، وانه جزء من مصر ، وكان اهل برقة وطرابلس اذ ذاك على علاقات قوية موصولة مع اهل مصر ، حتى ان بعض قبائلها كان يحسب من قبطها . وكانت الطرق بينهما مطروقة مأنوسة ، فلما فرغ عمرو من فتح الاسكندرية وجد الطريق الى برقة سهلة ميسورة ؛ فخشى من وثبة تسكون من الروم يهاجمون بها مصر ، او تدبير يحكمه روم يزنظمة بها ، فبعث اولاً بالطلائع تستطلع له احوال البلاد وبعد ان اتصل بالمعلومات الكافية سار هو بنفسه فغزا برقة وطرابلس ثم صبرة او - سبرت Sabrata - ففتحها عنوة سنة ٢٢ هـ - ٦٤٣ م ؛ ومن هناك بعث ابن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه في فتح افريقية فأوقفه عمر ونهاه عن التمدادى في الفتح قائلاً له في كتابه الذى ارسله اليه : انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة (الغادرة) مغدور بها ، وذلك ان اهلها كانوا يؤدون الى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً (١) ، وكان ملك الاندلس صالحهم ثم غدر بهم ؛ لا يغزوها احداً ما بقيت ، او قال : لا اوجه اليها احداً ما مقلت عيني الماء . ويبدو من كلام الخليفة انه كان على خبرة تامة واطلاع واسع على احوال الممالك وخاصة افريقية فانه كان على بصيرة منها ومن تاريخها وطبيعتها اهلها فعرف انها ليست مأمنة الجانب ولا

(١) و كان كلمة موسى بن نصير التى تقدمت في صفحة ٥٠ من الكتاب مقتبسة من هذا ، او هي من قبيل توارد الخواطر ؟... فانظرها

ميسورة الفتح ولا قربة الطاعة ، فعجل بايقاف عمرو . ولا شك ان عمرا رأى من قوات جريجوريوس المتحصنة المعدة لدفع العرب ومقاومتهم ما يحتاج معها الى المدد ، ولما اتصل بكلية الخليفة خشى من الهزيمة اذ ليس لديه من قوة الجيش ما يكفي لمهاجمة البربر والروم في بلادهم فلم يجد عمرو اذا بدا من الانسحاب والتراجع ، فطوى كعبه وانصرف عائدا الى مصر بعد ان صالح اهل برقة على ثلاثة عشر الف دينار ، وقد الحقت هذه الناحية بولاية مصر فاعتبرت جزءا منها يحكمها عامل مصر ، يجبى خراجها ويقود جندها .

حملة ابن أبي سرح

لقد أصبح عبد الله بن سعد بن أبي سرح عاملا على مصر منذ سنة ٢٥ هـ - ٦٤٦ م . وما كاد يستتب له الامر حتى فاتح الخليفة يومئذ عثمان بن عفان رضى الله عنه يخبره بقرب الروم من حوز المسلمين ويستأذنه في غزو افريقية ؛ وبعد ما تدبر الخليفة في الامر كتب الى عبد الله سنة ٢٧ ويقال سنة ٢٨ ويقال سنة ٢٩ هجرية ، يأمره بغزوها ؛ وتقاطر المسلمون من مختلف القبائل على الخليفة يريدون المشاركة في هذا الفتح وعلى راس كل قوم نفر من كبرائهم ، وكان جيش هذه الحملة يتجمع بـ «الجرف» وهو مكان يبعد عن المدينة المنورة بثلاثة اميال ، والخليفة نفسه لا يبنى ان يشجع الناس على التطوع ، فأعان الجيش بألف بعير من ماله : يحمل عليها ضعفاء الناس ، وحمل على الخيل ، وفرق السلاح وامر للناس بأعطياتهم ؛ واندمج في سلك الغزوة نفر غفير من مشاهير الصحابة واولادهم ، وقد عرف هذا الجيش بجيش العبادلة . ولما اكتمل القوم خطب فيهم الخليفة مرغا لهم في الجهاد ، قائلا : لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم الى ان تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الامر اليه ، واستودعكم الله . فارتحل الجيش من المدينة في المحرم سنة ٢٧ هـ - اكتوبر ٦٤٧ م

ولما صار الجيش الى عبد الله بن سعد واتصل بقوات الخليفة اخذ عدته وجمع امره واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني ، وبعث امامه بالطلائع ، ثم فصل عن مصر وخرج بنفسه للفتح في عشرين الف جندي ما بين عرب من الجزيرة وقبط من مصر وبربر من افريقية ؛ وسار حتى باغ قمونية او قمودة (ولعلها كابوت فاذا *Caput vada* الميناء البيزنطي المعروف) وهناك وقف وبدأت المفاوضات بينه وبين البطريق (١) جريجوريوس (جرجير) حاكم افريقية وامبراطورها المستبد ، المتربص يومئذ بمدينة سبطلة - على مائة وخمسين ميلا جنوب قرطاجنة - ، وهناك عرض عليه عبد الله الاسلام او الجزية وطالت المفاوضات ١٣ يوما (٢) وكانت المناوشات طوال هذه المدة تدور بين القوم بفتور ؛ وجرجير يومئذ مصر على الرفض ، وكان المسلمين يومئذ ادركهم شيء من الفتور فمالوا الى طلب الامداد من الشرق ؛ فجاءتهم بعثة عبد الله بن الزبير فهلأوها وكبروا وتحمسوا لمقاتلة الروم فتقدموا من قمونية الى حيث البطريق جرجير رابضا في مائة وعشرين الف مقاتل ؛ ويقول الساجي : في مائتي الف مقاتل (٣) ...؟ فدارت المعركة بين الطرفين على مقربة من حصن عقوبة - فحصد متسع ، بينه وبين دار الملك : سبطلة ٣٦ كيلومترا - فانهزم الروم شر هزيمة وقتل فيها جرجير ، فأقام الافارقة عليهم مكانه « جناحة *Ghenaha* » فهو الذي عقد الصلح مع العرب بعد ذلك ، فأصبحت ولاية افريقية يومئذ تحت نفوذ العرب وانتشر الفاتحون بكامل الولاية يغنمون وينهبون وانحاز اغلب المنهزمين الى الشرق في

(١) لقب مدني سياسي *Patrice, Patrique* وهو غير البطريرك *Patriache* المختص برؤساء الدين.

(٢) وفيها تلقب عبد الله بن عباس رضي الله عنه بحجر العرب من طرف جرجير ، حيث قال لعبد الله : ما ينبغي الا ان تكون حجر العرب .

(٣) يقدر الرواة ان عدد سكان شمال افريقية يومئذ نحو ١٩ مليوناً ...؟

حصن الحِمْ (العجم-الاعجام) فأحاط به العرب وحاصروه بمن فيه ففتحوه؛ ويومئذ لجأ رؤساء البربر الى طلب الصلح من ابن ابي سرح وتعاقدوا معه على ان ينصرف عن بلادهم لقاء مبلغ يقدره البعض بمليونين وخمسمائة الف دينار، ويقدره البعض الاخر بثلاثمائة قنطار من الذهب (١) ويروى مائة الف رطل ذهب؟.. وزاد ابن ابي سرح فاشترط عليهم بأن ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما اصابه بعد الترداد رد عليهم؛ فوقع الاتفاق على ذلك، واقتسمت الغنائم بين الغزاة، فأصاب كل فارس ثلاثة آلاف مثقال - دينار - والراجل منهم الف وعاد البشير (عبد الله بن الزبير) الى المدينة ليقص خبر الفتح على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتب ابن ابي سرح الى نائبه بمصر يأمره بانفاذ المراكب اليه ليحمل عليها الغنائم وانتقال المسلمين خشية انقلاب الروم عليه، فكان ذلك، وعاد ابن ابي سرح الى مصر من غير ان يولى على افريقية احدا ولم يتخذ بها معسكرا، ولقد دامت هذه الغارة خمسة عشر شهرا، ثم كانت بعدها الاحداث التي عصفت بالبلاد العربية عقب اغتيال الخليفة عثمان، فتأخر اتمام الفتح الى ايام معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما

ينتقد بعض المؤرخين عودة عبد الله بن سعد هذه وانفصاله عن افريقية بعد ما انتصر ذلك الانتصار الباهر على الروم وفاز المسلمون بمغانم كثيرة... وقد رد بعضهم اسباب هذه العودة الى أحداث اضطرت قائد الحملة الى التعجيل بالمسلمين قبل انقلاب الروم عليهم فيسلبوهم ما غنموا وقد لاحت له مخايل المقاومة التي ابداهها اهل الساحل يومئذ، وخصوصا اذا لاحظنا كذلك ما كان من التوتر بين قادة الجيش العربي مع ضعف الجند امام قوات الروم والبربر المتكاثرة واقطاع العرب عن المدد؛ مع اضطراب حبل الخلافة بالمشرق. فاذا لاحظنا

(١) حاول ياقوت تقدير القنطار فقال انه يبلغ ثمانية آلاف دينار وهو عدد تقريبي وقددر «دوسلان» الدينار في ذلك العصر بعشرة فرنكات

ذلك كله فلا نستبعد هذه العجالة في رجوع القائد بحملته الى مركز ولايته مصر. ولو ساعدت الظروف بيزنطة وكانت على شيء من القوات لاستعادت البلاد في هذه الفترة ، ولكنها كانت تعاني ما تعانيه الدولة الاسلامية الناشئة من الضعف واضطراب الحال

اضطراب افريقية

ما كاد يتصل الامبراطور البيزنطي بخبر انعقاد الصلح على الصيغة المتقدمة مع العرب وبما نال العرب من مال ونسب حتى ثارت ثائرتة واستشرف هو ايضا الى مثل ذلك او اكثر ، فاسرع الى تعبئة بعثة عسكرية الى افريقية وجعل قيادتها لاحد بطارقتهم ، فجاءت الحملة واظهرت رغائب الامبراطور ومطالبه الفادحة وارغمت الشعب على ذلك ، فنار الافارقة لهذا واشتد الهيجان وكانت بين الفريقين حوادث دامية واخيرا تغلب البطريق على حاكم افريقية - خليفة جرجير - فعزلهم وجلس هو مكانهم ؛ ويومئذ انسل هذا الحاكم المعزول الى الشرق ملتجئاً الى الخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان فحرضه على عودة العرب الى افريقية على ان يكون هو دليلهم على عورات القوم ، وما شعر الخليفة بالامر حتى فاجأهم اسطول بيزنطة مهاجماً الاسكندرية فكانت هنالك واقعة ذات الصواري المشهورة ٣١ هـ - ٦٥١ م انهزم فيها الروم ايضا

حملة معاوية بن حديج

يذكر كثير من المؤرخين ان في اثناء هذه الفترة التي اعقبت رجوع عبد الله ابن سعد والتي دامت نحو السبعة عشر سنة هناك من اتصل من زعماء البربر بالعرب في المشرق يحشونهم على العودة الى افريقية واستئناف الفتح تخلصاً من الارهاق الذي حصل لهم والاضطراب ، وهذا صحيح تؤيده المعاملة الحسنة التي كان يجدها الجيش الفاتح من الاهالي ، وقصة الحاكم المعزول .

اصدر امره الخليفة بغزو افريقية الى عامله على مصر وكان يومئذ معاوية بن حديج ؛ فخرج الجيش الاسلامي سنة ٤٥٥ هـ - ٦٦٦م في عشرة آلاف مجاهد ، وفيهم الكثير من اعيان الصحابة من المهاجرين والانصار ، وجاء معهم يومئذ حاكم افريقية المخلوع وهو الذي كان عند الخليفة يحثه على الغزو ومات في الطريق وسار ابن حديج في طريقه الى افريقية ففتح بعض موطنها مثل بنزرت وجلولاء وجربة وسوسة ؛ ثم عاد من غير سبب معقول ودون ان يخاف اي اثر يذكر ؟...

حملة عقبة بن نافع الاولى

لقد سبق لعقبة ان عرفته افريقية وعرفها فمارسها منذ كان مع عمرو بن العاص في فتوحاته وبعوثه الاولى فأقام بها اميراً على ما فتح منها ، ومتجولاً مغيراً تارة ودارساً ومبشراً ونذيراً تارة اخرى ، ولبت مقيماً بالنواحي حتى استعمله معاوية بن ابي سفيان على ولايتها هذه المرة سنة ٥٠ هـ - ٦٧٠م فسار اليها على رأس عشرة آلاف جندي وانضم اليه من كان اسلم من اهل البلاد . ففتح بهم اماكن اغلبها بولاية تونس وكان سيره هذا بالداخل متجنباً السواحل لما فيها من الحصون والمحارس البيزنطية .

ويشهد التاريخ لحملة عقبة هذه بانها حملة موفقة جدية بان تعد فتحا حقيقية لافريقية ، كما انه هوا حق واجدو الملقب الفاتح من غيره ممن سبقه ، وذلك لما فكر فيه عقبة يومئذ واهمه من اقامة مدينة للمسلمين في افريقية اذ قال : ان افريقية اذا دخلها امام تحوموا بالاسلام فاذا خرج منها رجع من كان اسلم بها وارتد الى الكفر ، وارى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكريا وتكون عز الاسلام الى (اول) الدهر . وبذلك وضع عقبة الحجر الاساسي لابتناء افريقية الاسلامية فانشاء مدينة «القيروان» فلعمري انه قد وفق في ذلك الى شيء لم يوفق اليه غيره من الفاتحين السابقين وهو امر ضروري في انشاء الممالك واتخاذ الحصون بها.

كان الجند قبل حملة عقبة هذه يخرج من مصر مغيرا على ما يستطيع من بلاد افريقية ثم يعود الى مصر او برقة بالغنائم او من غير غنائم دون ان يخلف في البلاد اثرا ودرن ان يكون في غاراته معنى للفتح... فاصبحت افريقية بصنيع عقبة مقرا يقيم به المسلمون مطمئنين فيه دون ان يعودوا الى مصر بعد كل غزوة ؛ وكأن افريقية بذلك استقلت بعض الشيء - رغم تبعيتها لمصر - فاصبحت ولاية اسلامية ثانية ، وهذه هي الخطوة الاولى نحو ظهور ولاية افريقية اسلامية بهذه البلاد .

ثم ان حسن اختيار عقبة لموقع مدينة القيروان كان في غاية الاحكام الحربي اذ كان الحاكم الذي يتخذ هذا الموضع مركزا لاعماله - كما قال المؤرخ كودل - : يستطيع ان يرى العدو من بعيد ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر ، واذا اراد ان يطاردهم الى هضابهم وجد الطريق مفتحة امامه ، اذ كان ستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول الى اعالي الهضاب ، عن طريق وادي زرود ووادي مرجل ومسلك جبل بارحوه ومن اعالي الهضاب كان يستطيع الاشراف على ما يجاورها ، فيتيسر له حكمها اذا كانت لديه القوة الكافية لذلك . ولقد لاحظ عقبة نفسه هذه الملاحظة الحربية لتحصين مركز القيادة الاسلامية هذا بقوله لاصحابه المؤسسين الفاتحين : اني اخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها صاحب البحر اجعلوا بينها وبين البحر ما لا تقصر فيه الصلاة ، واحاط عقبة المدينة بسور يبلغ دوره اثني عشر ميلا ؛ وبعد ان مكث عقبة بافريقية ما يقرب من خمس سنوات استخلف باي المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد (والى مصر) ولا نعلم عن اسباب هذا الاستخلاف او العزل شيئا... والظاهر انه كان بسعي من مسلمة .

فتح المغرب الاوسط — الجزائر —

اتصب مسلمة بن مخلد على ولاية افريقية وتحتها يومئذ مدينة مصر ، وقد جمع له الخليفة في ولايته هذه ما بين مصر وافريقية والمغرب والصلاة ، فشق عليه القيام بجميع هذه الاعمال الهامة كلها ، فبعث به ولاة ابى المهاجر دينار الى المغرب وقال : ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ، ولا كبير ميل ، فنحن نحب ان نكافئه . فلم يلبث دينار ان اصبح اميرا على افريقية سنة ٥٥ هـ واستمر على ولايتها مدى سبع سنوات تنتهى سنة ٦٢ هـ (٦٧٤-٦٨٢ م)

خرج عقبة من افريقية مهاجرا من طرف ابى المهاجر فذهب الى الخليفة بالشام يشكو اليه حاله ، فما زاده معاوية على ان قال له : « قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم (١) وتقديمه اياه وقيامه بدمه وبذله مهجته وقد رددتكم الى عملكم » ؟ ... ولكن مسلمة يأتى ذلك ...! فالى ما بعد وفاته ... اتصل ابو المهاجر بافريقية واسس بها مركزا هو غير قيسروان عقبة ولكن بجانبه على مسافة مياين « تيكروان » وسار في خطته غربا الى المغرب الاوسط او بلاد الجزائر ، حيث يخيم ملك البربر « كسيلة » بجبال اوراس ، فاتخذ مسلكه الى هنالك بوابة بسكرة المنخفضة التى تمثل فجوة فى الاطلس فتمكن من الانتصار على اعمال قسنطينة سنة ٥٩ هـ - ٦٧٨ م وجعل مركز قيادته العليا مدينة ميله فابتنى بها دار الامارة وجعلها ملاصقة للجامع كما شاهدها البكرى بنفسه ومكث هناك سنتين ، وقد احرزت الجزائر بذلك - طيلة هذه المدة - شرف اماره افريقية الاسلامية ، وبذلك كان ابو المهاجر اول امير مسلم وطئت خيله المغرب الاوسط ، واول من حمل الاسلام الى هذه الديار الجزائرية ؛ ومنها تقدم فى فتوحه الى احواز تلمسان ففضى بها زمنا طويلا احتفر فيه آبارا لجندة تسمت باسمه

(١) يعنى عثمان بن عفان رضى الله عنه

«عيون ابى المهاجر» وهنالك ظفر بخصمه كسيلة فحمل عليه حملة شديدة وعرض عليه الاسلام فاعتصم به ، وحينئذ خلى عنه الامير وابقاه معه ؛ ثم كان بعد ذلك حصار الروم بقرطاجنة فنزلوا له عن شبه الجزيرة «شريك» .

اتفق المؤرخون لاعمال ابى المهاجر في الفتوح بأنها كانت على جانب عظيم من الاهمية والخطورة ، فانه اول من جعل غايته الاخيرة فتح البلاد وتثبيت قدم العرب والاسلام فيها ، فهو لم يعاهد الروم على ان ينصرف على قرطاجنة كما فعل غيره لقاء فدية من المال وانما طلب اليهم ان يتنازلوا له عن جزء من البلاد لانه لم يطلب الغنم والعودة ، وانما كان يرغب في اتمام فتح البلاد ؛ وان سياسته كانت ترمى الى تقريب البربر وكسبهم بالمودة وحسن المعاملة

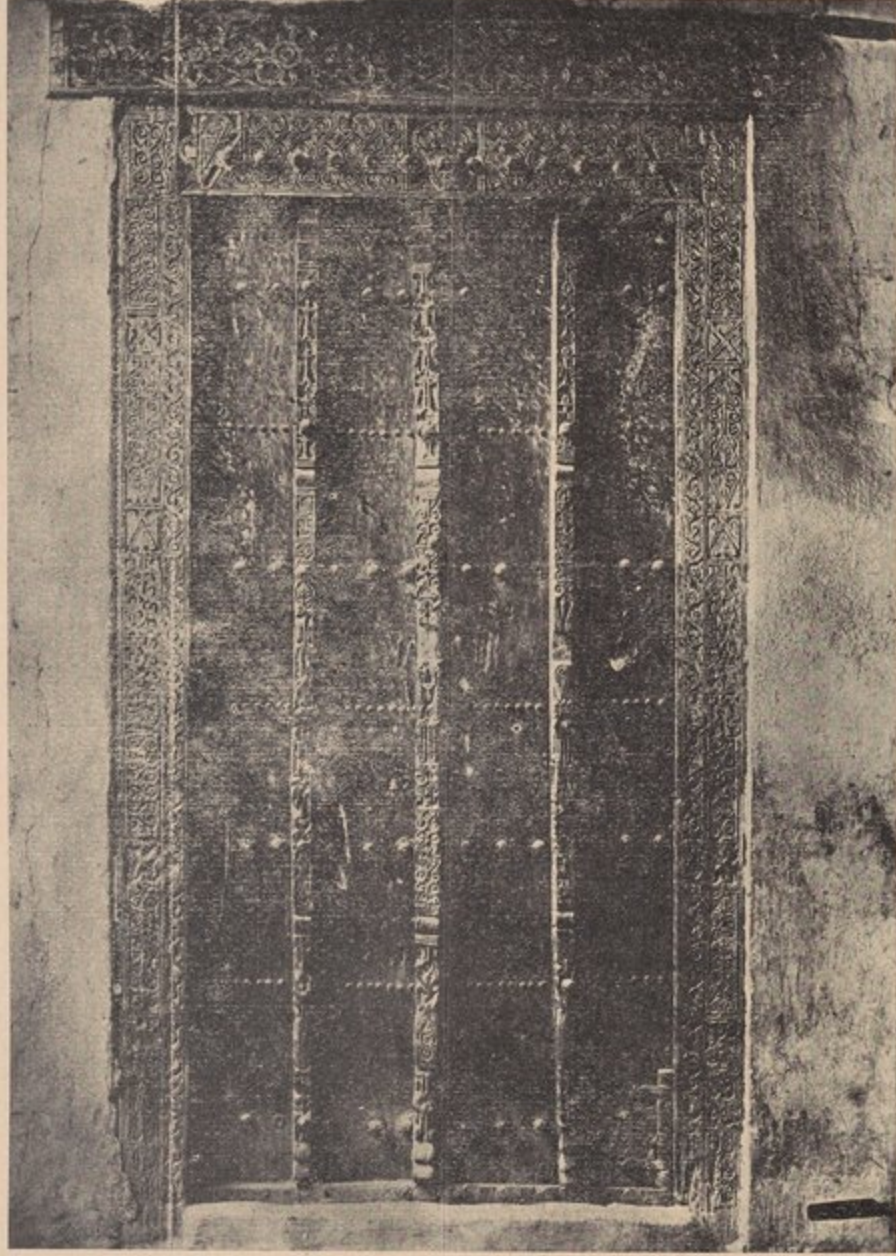
حملة عقبة بن نافع الثانية

قضت حكمة البارى ان يبقى وعد معاوية لعقبة معلقا حتى بعد وفاة الخليفة نفسه ووفاة والى مصر مسلمة بن مخلد ايضا. وما كان لعقبة ان ييأس من مجيء ساعة ينفذ فيها وعد معاوية ، وقد حان الوقت الآن فرجع عقبة الى عمله بأمر صدر من اليزيد بن معاوية وقدمات المعارض - مسلمة - فبدأ عمله بافريقية سنة ٦٢ هـ - ٦٨٢م وان اول ما قام به من الاعمال هو الاعتناء بمؤسسة القيروان فأعاد عمرانها واقتص من مهينة ابى المهاجر فأوثق بالحديد ، ويقال انه وجد بخزنته مائة الف دينار ؛ واخذة معه هو وكسيلة (الملك البربرى) وتوجه بها فى خمسة عشر الفا من جنوده الى فتح البلاد وتدويج اهلها ، فتبع طريق السهل وتجنب المسير على الهضبة الوعرة ففتح فى طريقه مدينة «باغاية» - شرق جبل اوراس قرب خنشلة - وذلك حيث تحصن له البربر والروم لمقاومتهم ، فقاتلهم قتالا شديدا وغنم منهم خيلا لم ير اصلب منها ولا اسرع فبهى من نتاج خيل اوراس ، ومنها توجه الى مدينة لميس - لميز ذلك الحصن البيزنطى المعروف

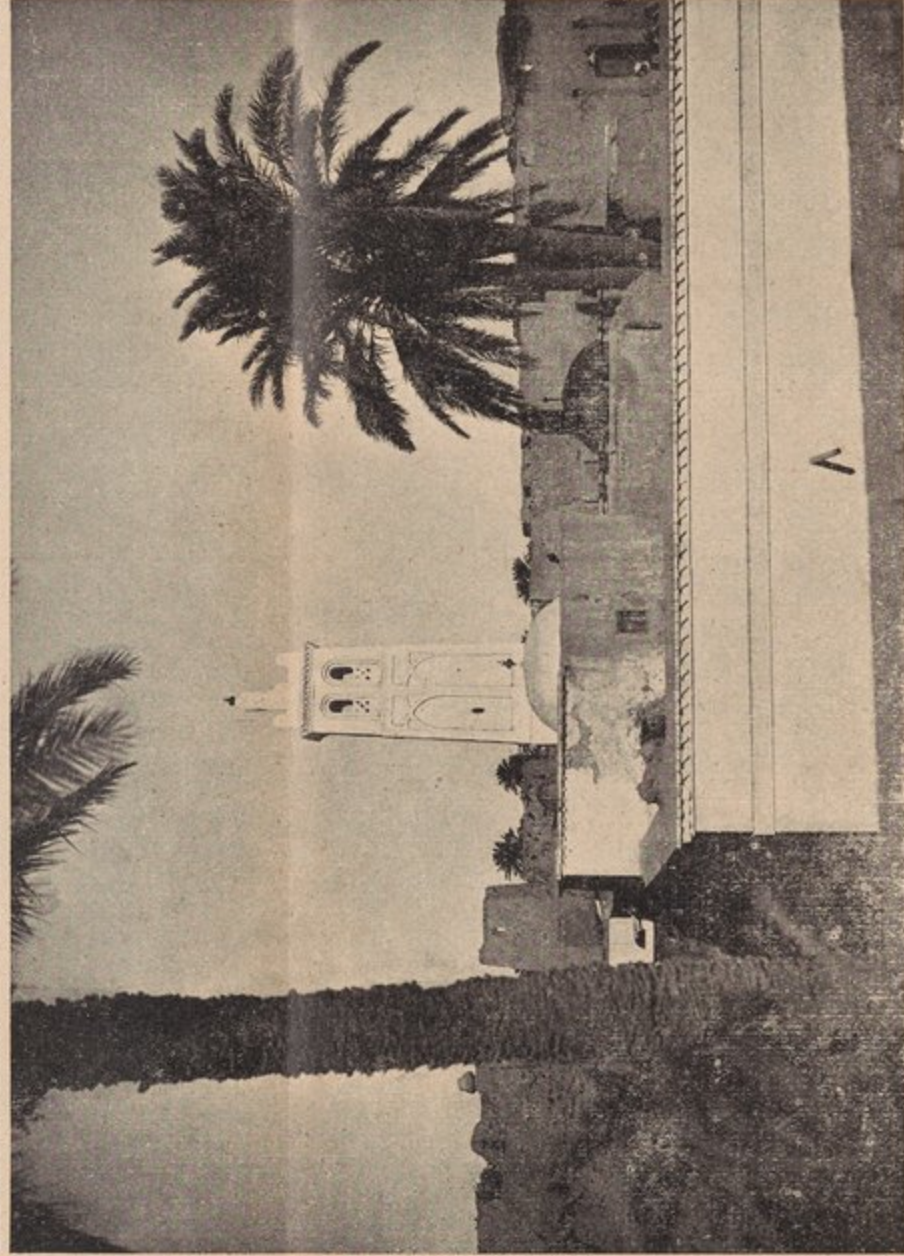
وكانت المقاتلة هنالك اشد واعظم واصاب بها مغنم كثيرة ، وكره المقام عليها فوصل الى الزاب واحاط بعاصمتها يومئذ «ازبة» على مرحلة شرق المسيلة وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة ، وهنالك احتشد له جيش العدو فقاتلهم بها قتالا عنيفا وما زال بهم حتى بدد شملهم فأطاعوه ؛ ومنها توجه الى «تيهت» وكان بها حصن بيزنطى قديم اقتتل فيه العرب والروم والبربر فلم يكن لهذين طاقة بالعرب الا ان الامر اشتد على المسلمين اكثر من ذى قبل لقتلهم امام جيوش العدو الجرارة ، ومن هناك انحدر عقبة من الهضبة الى السهل الساحلى وسار الى المغرب الاقصى وعرج في طريقه على تلمسان ودخل طنجة ففتحها واحتل مدن المغرب وتقدم الى التخوم حتى بلغ المحيط الاطلسى وكان بصحبته ابو المهاجر وقد حكى هذا عن اميره فقال : فبلغ عقبة بن نافع في غزواته الى السوس الادنى والسوس الاقصى والبحر المحيط وادخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لبس فرسه وشهر سيفه ورفع بصره الى السماء وهو يقول بأعلى صوته : يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ...!

واقعة تيمودة

عاد عقبة ادراجا بعد ان اعترضه البحر عن التقدم في الغزو والفتح راجعا الى القيروان ؛ وكان معه اسيره كسيلة فحبسه في مهانة وذل وعلم به ابو المهاجر المكبل يومئذ بالحديد فنهى عقبة عن إهانة الملك البربرى قائلا له : «ما هذا الذى صنعت ؟ ..» كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جابرة العرب كالاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ، وانت تجيء الى رجل هو خيار قومك في دار عزه قريب عهد بالكفر فنفسد قلبه ! .. توثق من الرجل فاني اخاف فتكمه !» فلم يلتفت عقبة لنصيحة دينار واستمر على إهانة كسيلة ؛ واستطاع هذا ان يفر دون ان يشعر به عقبة وقد عرف الطريق الذى يسلكه عقبة في مسيره الى القيروان



(٢)



(١)

(١) ضريح عقبة بن نافع الفهري قرب بسكرة

(٢) باب ضريح عقبة - يرجع تاريخ صنعه الى القرن الرابع او الخامس الهجري (العاشر او الحادي عشر الميلادي)

من قوله للجند قبل ذلك : امر الى مدينة تهودة والى مدينة بادس اعرف ما يكفيهما من العدة والخيوش - وكانا في ذلك الوقت من اعظم بلاد الجزائر - فاعترضه هنالك كسيلة في قومه وقد نكثوا ما كانوا عليه ، واستمر عقبة متوجها الى القيروان وقد دبرت له مكيدة اخرى في طريقه حينما كان سائرا الى المغرب الاقصى فكان هناك من تعقبه بردم الابار خلفه ليقطع عليه سبيل العودة ؛ ويضل عليه الطريق ؛ وما بلغ عقبة مدينة طبة : بريكة ؛ حتى اطمأن على نفسه فأذن لبعض الفرق من الجند بالتقدم امامه والسبق الى دار الامارة : القيروان ، ولم يسبق مع عقبة يومئذ من الجند سوى نحو ثلاثمائة فقط ؛ وحينئذ اسرع اليه البربر والروم وقد سنحت لهم الفرصة يومئذ لقتاله وظهر كسيلة على راس الجند المحارب .

ويذكر ابن الاثير ان ابا المهاجر حين رأى تحفز كسيلة ومسيره نحو المسلمين قال لعقبة : «عاجله قبل ان يقوى جمعه» ثم يقول «فزحف عقبة فتنجى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه» ولقد سئل كسيلة من طرف قومه عن انحرافه عن طريق عقبة فقيل له لم تنجى من بين يديه ونحن في خمسة آلاف ؟ فقال «انكم كل يوم في زيادة وهم في نقصان ، ومدد الرجل قد افترق عنه فاذا طلب افريقية زحفت اليه» ولما رأى ذلك ابو المهاجر تمثل بقول ابى محجن الثقفي

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالفنا واترك مشدودا علي وثاقيته
اذا قمت عناني الحديد واغلقت مصارع من دوني تصم المنادية

وحينئذ ادرك عقبة خطأه في سياسته مع العاهل البربري كسيلة ولات حين مناص... فأسرع الى ابى المهاجر فأطلقه وقال له «الحق بالمسلمين وقم بأمرهم وانا اغتنم الشهادة فأنف دينار من قول عقبة واجابه بقوله : وانا ايضا اغتنم الشهادة ! . ووقفنا جنبا لجنب مستبسلين في كفاح العدو وترجل القوم وكسروا جفان سيوفهم ونزل الصبر واستلحم عقبة واصحابه رضى الله عنهم ولم يفلت منهم احد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد وفيهم ابو المهاجر

(تركه) اصحابه في اعتقاله فأبلى رضى الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن واجداث الصحابة رضى الله عنهم اولئك الشهداء عقبة واصحابه بمكانهم ذلك من ارض الزاب لهذا العهد (بالجنوب الشرقى من مدينة بسكرة - الجزائر -) وقد جعل على قبر عقبة اسمة ثم حصص واتخذ عليه مسجد عرف باسمه وهو في عدد المزارات ومظان البركة بل هو اشرف مزور من الاجداث في بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصفه ، (١) وكان استشهادهم رضى الله عنهم سنة ٦٣ هـ - ٦٨٢ م

تملك كسيلة

بعد ما انتصر كسيلة على الفاتح العربى عقبة في واقعة تهودة المشهورة ، ذهب توا الى مركز القيادة العربية وعاصمة الاسلام الجديدة بافريقية : القيروان ، وكان بها يومئذ زهير بن قيس البلوى خليفة عقبة ؛ فاعتزم هذا اولا على المقاومة ثم عدل عنها نزولا عند راي الجماعة وتدير اولى الشورى ؛ فانتقل منها سنة ٦٥ هـ - ٦٨٤ م مرتحلا الى برقة . وترك افريقية نارا تلظى ، فغشت الردة وكشرت المنازعات والمشاغبات السياسية وبقي الامر على ذلك الى اتمام الفتح على عهد حسان ابن النعمان .

وبخروج زهير من القيروان خرجت افريقية عن ايدى المسلمين ووقعت بيد كسيلة البربرى النصرانى ، فلبث فيها ملكا طيلة هذه الفترة التى بين استشهاد عقبة وعودة زهير بن قيس البلوى ، اى مدة اربع سنوات ، مما دعا العرب الى فتحها من جديد والزحف اليها سنة ٦٩ هـ - ٦٨٨ م.

أمراء إفريقية وحكامها

- عمر بن العاص ٥٢٢ — ٦٤٣ م
عبد الله بن سعد بن أبي سرح ٥٢٧ — ٦٤٨ م
معاوية بن حديج الكندي ٥٤٥ — ٦٦٥ م
عقبة بن نافع الفهري ٥٤٩ — ٦٧٠ م
أبو المهاجر دينار ٥٥٥ — ٦٧٥ م
عقبة بن نافع (للمرة الثانية) ٥٦٢ — ٦٨٢ م

الخلفاء

١٣ - ٢٣ هـ	٦٣٤ - ٦٤٤ م	عمر بن الخطاب
٢٣ - ٣٥ هـ	٦٤٤ - ٦٥٦ م	عثمان بن عفان
٣٥ - ٤٠ هـ	٦٥٦ - ٦٦١ م	علي بن أبي طالب
٤٠ - ٦٠ هـ	٦٦١ - ٦٨٠ م	معاوية بن أبي سفيان
٦٠ - ٦٣ هـ	٦٨٠ - ٦٨٣ م	يزيد بن معاوية
٦٣ هـ	٦٨٣ م	معاوية الثاني

جدول تاريخي

١١-٦٣ هـ

٦٤٢-٦٨٢ م

تاريخ الحوادث	ام الحوادث على عهد الفتح الاسلامي
٥٢١-٦٤٢ م	طلبة عقبة بن نافع الفهري بافريقية، في شهر ذي القعدة - سبتمبر -
٥٢٢-٦٤٣ م	سير عمرو بن العاص الى برقة وفتحها وفتح فزان
٥٢٣ هـ «	فتح طرابلس وصبرة - بعث ودان - عود عمرو من افريقية
٥٢٧-٦٤٧ م	حملة عبد الله بن سعد بن ابي سرح على افريقية
٥٢٨ هـ «	موقعة سيظلة
٥٤١-٦٦٣ م	بعث عقبة التمهيدي الى الصحراء
٥٤٥-٦٦٥ م	حملة معاوية بن حديج على افريقية
٥٤٩-٧٦٩ م	حملة عقبة بن نافع الاولى على افريقية
٥٥٠-٦٧٠ م	اختطاط القيروان
٥٥٥-٦٧٤ م	ولاية ابن المهاجر دينار على افريقية وفتح المغرب الاوسط : الجزائر
٥٥٩-٦٧٨ م	حصار ابي المهاجر لقرطاجنة
٥٦٢-٦٨٢ م	بدء ولاية عقبة بن نافع الثانية ، الكبرى وحملة على الشمال
٥٦٣ هـ «	موقعة تهودة واستشهاد عقبة - انتصاب كسيلة على عرش القيروان -

مواصلة الفتح

حملة زهير بن قيس البلوى

إذا كان أولوا الامر في الدولة الاسلامية مخبرين فيما مضى بسن ان يواصلوا الفتوح او ينصرفوا عنها ، وإذا كانت الغزوات على المغرب قد ظلت الى الآن رهنا برغبة الخليفة او الحاج عامل مصر ، فقد أصبحت إعادة ما كان قد تم فتحه الى الطاعة ، واتمام فتح بقية البلاد كما قال الاستاذ حسين مؤنس : ضرورة لا بد منها ، لا للمسلمين وحدهم بل للمغرب واهله كذلك ؛ فلقد ظل رجال الامبراطورية البيزنطية بعد استشهاد عقبة يحتلون الولاية القنصاية احتلالا قويا ، والشريط الساحلي من الولاية الداخلية والجزء الاكبر من نواميا وظل الروم على اتصال بالملك البربري كسيلة وقد عاد اليهم نشاطهم لاستعادة مملكتهم بهذه البلاد فتنبه لذلك كله الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ، ورغم ما كان يحيط به في الشرق من ثورة ابن الزبير واضطرابات الشيعة فلقد امر بتولية زهير بن قيس البلوى اميرا على افريقية ، سنة ٦٦٩ - ٦٨٨ م وبعث اليه اربعة آلاف جندي عربي انضمت الى جيوش زهير التي تبلغ الالفين من البربر ؛ وكان زهير بعد منصرفه من القيروان مقبعا ببرقة فسار على طريق الساحل حتى افضى الى جوار القيروان وعسكر بجوارها ؛ وما كاد كسيلة يتصل بخبر حملة زهير هذه حتى جمع اليه قومه وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال : « قد رايت ان ارحل (من القيروان) الى ممش (١) فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخوف ان قاتلنا زهيرا ان يشب هؤلاء من ورائنا ؛ فاذا

(١) ممش او مسم Mamma مدينة بيزنطية قديمة تقع بجنوب القيروان كانت من محارس الرباط الثاني الكبرى

نزلنا ممش امناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرونا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا ، فأجابوه الى ذلك ورحل الى « ممش . » وخرج زهير زاحفا بجنوده الى ممش فكانت هناك المعركة الحاسمة التي انجلت عن قتل كسياسة في اديابه وفرار من بقي منهم معتصما بالجبال فأدركهم جيش العرب فقتلوه ، وبعد ما جال زهير في ارجاء اعمال القيروان ورأى ان مهمته قد انتهت بأخذ الثأر من قاتل عقبة وتخليص المسلمين من عدوهم ولى مسرعا الى برقة قائلا : انى ما قدمت الا للجهاد وأخاف على نفسى ان تميل بي الى الدنيا فأهلك ، ولست ارضى بالدنيا لاجل ملكها ورغد عيشها ؛ وتنازل عن ولايته عن طوعية من نفسه ولكن الروم اغنموا خلو البلاد من امير وتوغل المسلمين فى النواحي الغربية بجهاى ملوية فبادروا الى استمداد قيصر القسطنطينية فأمدهم بأسطول ضخم عرجوا بـ على برقة فأبصرهم زهير هناك بأيديهم الاسرى من المسلمين ، فأقام على محاربتهم حتى استشهد هو واصحابه فى حومة الوغى رحمهم الله .

حملة حسان بن النعمان

كانت مقاومة زهير بافريقية متجهة فى الغالب الى ناحية بربر الشمال ، وهم أقوى عناصر المقاومة يومئذ ، وهم الذين اسقطوا عقبة فى الميدان ، ولكنه مع ذلك اغفل ناحية الروم وهم عنصر المقاومة الثانى فلم يحفل بهم لان ريحهم كانت قد سكنت منذ زمن طويل ولم يكن يتوقع ان يستيقظ الروم مرة اخرى كما قال حسين مؤنس ويعودوا الى محاولة استعادة البلاد ، ففاجأوه هذه المفاجأة التي استشهد فيها ببرقة ، لهذا كان مقتله منبها خلفه من بعده الى انه لا يتم هذا الفتح الا اذا عمل على استئصال العنصر البيزنطى من البلاد ومن هنا كان على الفاتح الجديد ان يتوجه بهمة نحو الروم .

يذكر المؤرخون من العرب حملة حسان هذه عدة تواريخ فهم مختلفون ما بين سنة ٧٣ الى سنة ٧٩ هـ على ان الراجح من تلك الروايات كلها هو سنة ٧٦ هـ ٦٩٥ م حسبما يؤيد ذلك مؤرخوا الروم ايضا فهم متفقون على ان حسان هاجم قرطاجنة هجومه الاول في هذه السنة .

سار حسان مسرعا الى افريقية بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان وكان عدد جيشه اربعين الفا وهو اعظم عدد عرفته افريقية لجيش العرب منذ ابتداء الفتح ، ولم يشهد الا فرقة جيشا اسلاميا عظيما قبل هذا ، فاجتاز ببرقة وطرابلس وهناك وجد نفرا من المسلمين - ما بين عرب وبربر - فأخذهم معه وسار اولا الى القيروان ومنها حمل على قرطاجنة اذ لم تنزل يومئذ بيد الروم لم يغزها المسلمون بعد لحصاتها واتصالها بالبحر وقربها من صقلية حيث كانت الامداد تأتيها بسرعة ، فحاصرها حسان مرتين فاستعاث الروم بملك اسبانيا القوطي (١) الذي ازعجه اقتراب العرب من بلاده ، فرجع اليهم حسان للمرة الثالثة ف قضى عليهم القضاء الاخير وامر بهدم المدينة وتخريبها حتى لا يبقى للروم ولا للبربر مطمع في التستر بجدرانها وحصونها ، وبذلك قضى على آخر معقل للروم بهذه البلاد ثم عاد الى القيروان ، وانطلق الروم على وجوههم ملتجئين مشردين في البلاد فدخلوا بونة - من القطر الجزائري - وغيرها مما وراء البحر كصقلية وسردينيا والاندلس ...

(١) القوط قوم من الشعوب البربرية الجرمانية التي هبطت من شمال اوروبا في اوائل القرن الخامس الميلادي فقوضت صرح الامبراطورية الرومانية وكان من نصيبها اسبانيا

يوم البلاء ١٠٠١

اطلق المؤرخون هذا الوصف على ذلك اليوم الذي التقى فيه حسان بالكاهنة وما كان إطلاق . المؤرخين ذلك من تلقاء انفسهم ، كلا ، وانما هي تسمية اتصلت بهذا اليوم منذ جريان تلك الحوادث الهائلة فيه : حوادث الكاهنة وحسان ، وذلك - لا شك - لهول الموقف وما لحق الناس يؤمئذ من الفزع الاكبر

ما كادت الكاهنة تتحقق من اتصال العرب بالجزائر ، وما كادت تتسامع بمسير حسان اليها حتى رحلت من الجبل - الاوراس - في عدد لا يحصى من قومها جراوة ، - وجراوة - هذه هي احدى قبائل البتر الحضر المقيمين في الاوراس - فحطت رحالها عند باغاية ، وهي مدينة حصينة على سفح الاوراس قرب خنشلة ، تقوم من الجبال مقام الباب من الدار ، وهي لا شك تقصد من ذلك ان تكون على مقربة من مواطن جراوة الاصلية في الاوراس لكي تستمد منها العون او تطلب النجاة فيها اذا دارت الدائرة عليها ، وكان لمجرد وصولها الى باغاية ان امرت بهدم اسوارها وحصونها خشية من تحصن العرب بها ، ولو انها استبقتها لقومها لكان اولى بها في سياستها الحربية من ذلك التخطيط ، فقد ظهر منها بذلك انها لا تحسن التخطيط الحربية ؛ ثم سارت من هنالك الى مدينة (سكتاتة) (مسكيانة) على مرحلة من باغاية ومحانة بعمالة قسنطينة .

وسار حسان من القيروان حتى دخل تبسة ومنها اتجه نحو الشمال الشرق في واد كثير النهرات والاخوار والزرروع حتى ادرك وادي نيني وهو الذي سماه ابن عذارى بوادي سكتاتة ، ويسميه ابن خلدون مسكيانة ؛ اي بين عين البيضاء وتبسة ويقول ياقوت ان نيني واد شهير في طرف افرقية ، وهناك عسكر حسان وجعل ينتظر الكاهنة ؛ وكانت المعركة خسارة على العرب وهم بعد مجهودون من آثار حملة قرطاجنة وماتلها فانهزموا انهزاما شنيعا واسرت منهم الكاهنة ثمانين رجلا ، ثم اطلقتهم الاواحدا خالد بن يزيد القيسي وقيل العبسي فقتلته لما راته عليه من الجمال والشجاعة ؛ ولم

تكتف الكاهنة بهزيمة العرب في قلب الاوراس بل تتبعت حسان حتى اخرجته من حدود افريقية واطمأنت على سلطانها منه ثم عادت ادراجها .

حسان ببرقة

تقهقر حسان الى برقة ، وبنى هناك قصورا سميت بقصور حسان ، ومنها كتب الى الخليفة يعرض حاله عليه ويبسط له ما حدث ، ومما جاء في رسالته هذه قوله : ان امم الغرب ليس لها غاية ، ولا يقف احد منها على نهاية ، كلما بدت امة خلقتها امم ، وهم من الحفل والكثرة كسائمة النعم ... فعاد اليه الجواب من امير المؤمنين يأمره بالاقامة حيث وافاه الجواب . فذلك ما حمل حسان على المكث يومئذ ببرقة ثلاث سنوات وبضع شهور «وملكت الكاهنة افريقية كلها واساءت السيرة في قومها وعسفتهم وظلمتهم»

الكاهنة في تحطيم وتخريب البلاد

لم تدرك الكاهنة تطور سياسة الفتح بعد مقتل عقبة وبعد قيام مدينة القيروان ، فانها كانت ترى ان العرب لا يزالون يريدون من الفتوح الا امرا واحدا : الاموال والغنائم والاسلاب فقط ؛ وقد فاتها انهم اليوم غيرهم بالامس وان خطتهم السياسية في الفتح تغيرت منذ انشأ عقبة القيروان وسقط هوشهيدا في الميدان ، فانهم اصبحوا لا يريدون من مغازيهم الا استكمال الفتح بادخال الاسلام على اهل البلاد ؛ ولكن الكاهنة لم تشعر بذلك رغم كهاتها !... فلما رأت ابطاء العرب عنها قالت للبربر ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ؛ ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى ، فلا نرى لكم الا خراب بلاد افريقية كلها حتى يئأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر ، فوجهت قومها يقطعون الشجر ويهدمون الحصون وذلك ما يسمى بسياسة الارض المحترقة

La Terre Brulée مثل ما فعلت روسيا في حوادث نابوليون (١٨١٢م) ... وقد كانت افريقية على ما يروى ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة مسيرة الف ميل في مثله، كلها مدائن منتظمة وقرى متصلة حتى انه لم يكن في اقليم الدنيا اكثر خيرات ولا اوصل بركات ولا اكثر مدائن وحصونا منها ...؟

اتمام الفتح

لقد اثار صنيع الكاهنة هذا احقاد الكثيرين من اهل البلاد وادركوا انها سياسة خرقاء ، ففهم من اظهر الاعتراض فأرهمته ، وفيهم من سالم على مضض ، وعم الاستياء البلاد ، الامر الذي بلغ ببعضهم ان سعى في استقدام حسان ونصره ، وجاءت الحامية من دار الخلافة سنة ٨١١ هـ - ٧٠٠ م فكانت حسان يومئذ خالد بن يزيد في ذلك ، فأجابه في ظهر الكتاب : ان البربر متفرقون لا نظام لهم ولا رأى عندهم فاطو المراحل وجد في المسير ؛ مما يدل على ان خالدا بقي عند الكاهنة عينا على البربر ويومئذ سار حسان قاصداً معقل الكاهنة بالاوراس ، فلما قرب من البلاد لقيه جمع من اهلها يستغيثون به من الكاهنة فقدموا اليه الاموال والطاعة ، فسر ذلك ، وكانت له هذه اول خطوة في تحقيق النجاح من غزوته

ولما رأت الكاهنة ما اصبغ عليه اهل البلاد من النفور عنها والاقبال على الفاتحين العرب ، تحققت الحنية وتوقعت السقوط بيد حسان فاستحيت ان تسلم نفسها ووجدت ذلك عار عليها فاستأمنت لولديها من حسان بواسطة خالد واخذت هي في اعداد ما جاء لها بجبل اوراس ، وهناك كانت المقاتلة بين الفريقين في جيوش عظيمة من كلا الطرفين ، فانتصرت يومئذ الجيوش العربية وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بسر تتحصن بها فأصبحت القلعة لاصقه بالارض فمضت تريد جبال اوراس ومعها صنم كبير من خشب تعبد به فتبعها حسان حتى ادركها واتصر عليها وقتلها عند بئر الكاهنة ، ونزل الموضع الذي قتلت فيه ؛ ويقول ابن

خلدون انها قتلت : بمكان السر المعروف بها لهذا العهد بجبل اوراس واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة ، وعلى ان يكون منهم اثنا عشر الفا مجاهدين معه فاجابوا واسلخوا وحسن اسلامهم ؛ وعقد للاكبر من ولد الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل أوراس (١) وكان الفسراغ من وقائع الكاهنة في رمضان سنة ٨٢ هـ (اكتوبر ٧٠١ م)

تبكير البربر بالاسلام والعروبة

يبدو من دراسة تاريخ الفتح العربي للمغرب ان هناك طوائف وقبائل كثيرة من البربر اقبلت على اعتناق الاسلام من اول وهامة بدون كبير عناء ولا مشقة ، وان اغلب هذه القبائل هي من فصيلة البتر كقبيلة زناتة وبرغواطية ونفوسمة ولواتة وهوارة الخ واكثرهم من اهل الجنوب ؛ وذلك لشدة الشبه بين هذه القبائل الجنوبية والجليات العربية ، سواء ذلك في حياتهم البسيطة الساذجة ام في ادواقهم وميولهم واتجاهاتهم السياسية ؛ وقد لاحظ البربر في المسلمين الاستقامة والعدل ، فراوا فيهم المنقذ الوحيد مما هم فيه من الجور السياسي والاضطهاد الديني والفوضى الشاملة ؛ ومصدق ذلك ما لقيته العرب في البربر من النصرة والنجدة في حوادث كسيلة بتهودة والكاهنة بالاوراس ؛ فان الذي حتمى الاسرى المسلمين عند استشهاد عقبة ، هو ابن مصاد صاحب قفصة والذي تقدم في طليعة جيش حسان الذي ارسله على الكاهنة هو هلال بن شروال اللواتي مع محمد بن ابي بكر في جماعة من البتر ؛ والذي وفد على الخليفة عثمان بن عفان واسلم على يديه منذ الساعة الاولى هو رئيس مغراوة وسائر زناتة : الملك صولات بن وزمار ، واسلام كسيلة ملك اوربة بجبال الاوراس لاول ملاقاته مع ابي المهاجر ، وكاد الاسلام يومئذ نعم افريقية اجمع لولا تلك الاساءة التي اساءها عقبة لكسيلة التي انتجت قتله ووقف

(١) معالم الايمان ج ١ ص ٦٠-٦١ وتاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٩

معها سير الفتح العربى اياما ... واسلام ولدى الكاهنة الخ وضرورة ان اسلام هؤلاء الرؤساء والملوك : ابن مصاد ، وصولات ، وكسيلة تبعه اسلام قومهم معهم اذ الناس على دين ملوكهم ؛ وللبلاذرى رواية في ذلك تؤيد لنا هذا التبكير فى البربر للاسلام منذ ايام الفتح الاولى ؛ قال : ان عمرو بن العاص ارسل الى عمر بن الخطاب كتابا يعلمه فيه انه قد ولى عقبة بن نافع الفهري المغرب ، فبلغ زويلة ، وان من بين زويلة وبرقة اسلم كلهم ، (فتوح البلدان ص ٢٢٤) فكل ذلك وغيره .. علمنا على يقين من اقبال البربر على الاسلام من اول مرة ؛ وهذا لا يمنع مما رواه ابن خلدون عن محمد بن ابي زيد من ارتداد البربر عن الاسلام اثنتى عشرة مرة ؛ وانهم لم يستقروا على الاسلام الا فى عهد موسى بن نصير ، اجل قد يكون ذلك صحيحا بالاضافة الى الفترات التى تخللت ايام الفتح والاضطرابات التى كانت تحدث اثناء ذلك مما لا يخلو منه عصر من عصور الغزوات والحروب ؛ مع خلو الوطن يومئذ من مرشد او آمر ، فكثيرا ما راينا الغزاة الفاتحين يعودون الى اوطانهم بسرعة بدون ان يبقى فى البلاد احد منهم ! ... ولا ننس بعد المسافة بين افريقية وبلاد الاسلام ؛ ولا ينكر كذلك ما كان يصيب البربر احيانا من بعض الولاة من العنف والارهاق ؛ فسواء اكانوا البربر ام غيرهم على هذه الحال فانهم - حتما - يرتدون ، ولكن ذلك كلما لم يؤثر فى البربر من ناحية الدين ؛ بل كانت اغلب ثوراتهم سياسية اكثر منها دينية . اما المسيحية فقد تضائل شأنها حتى كاد امرها ان يذهب . واما عن التبكير بالعروبة فاننا لا نستطيع ان نأتى ببرهان اوضح مما ظهر من معجزات البيان على لسان القائد البربرى طارق بن زياد النقرى فى تلك الخطبة المؤثرة البليغة التى سجلها التاريخ للعظة والاعتبار ؛ هى خطبته امام جيشه المغوار يوم تقدم به لفتح الاندلس (١) ؛ وكان مما عمل على تثبيت قدم العروبة فى البربر

(١) انظرها فى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ ص ١١٧ ط القاهرة ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م ووفيات الاعيان لابن خلکان ج ٢ ص ١٧٧ ط بولاق ١٢٩٩ هـ

ما انتشر بينهم من طوائف الجند العربي واختلاطهم بالوافدين عليهم من عرب المدينة وعرب الشام لغزو الاندلس؛ وما بشه الامراء في القبائل من معلمي القرآن والفقه، فقد حكى الدباغ في معالمه عن غياث بن شيب قال كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر علينا ونحن غلطة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد ارخاها من خلفه (١). فاذا علمنا ان سفيان بن وهب هذا دخل افريقية سنة ٧٨ هـ عرفنا ان الكتاتيب كانت قائمة قبل ذلك التاريخ بالقيروان؛ ولا تنس كذلك ما كان للبعثة العلمية التي بعث بها عمر بن عبد العزيز الى افريقية من الاثر الحسن في نشر العروبة وخدمة الاسلام بين البربر. قال يبروني: احتاركل المؤرخين من سرعة تأثير العرب على البربر في ديانتهم وعاداتهم واخلاقهم؛ ويوجه ذلك بعضهم بأن العرب والفتحيين متقاربون في اللغة، ومتحدون في الاصل الذي ينشأ عنه تقارب في الطباع.

النظام والادارة

قضى المغرب مدة وجيزة من الزمن تابعا في ادارته لولاية مصر الى ان تولاه معاوية بن حديج فأصبح ولاية مستقلة ملحقة رأسا بدار الخلافة. وفي ولاية حسان بن النعمان اختطت الخطط والتراتيب والنظم السياسية والادارية، فهو الذي دون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من اقام معهم على دين النصرانية، فكان العرب اعتبروا الاراضي التي كانت للروم فتحت عنوة فاستحلوها واعتبروا اهلها ومن وجدوه عليها موالى لهم يتصرفون في شؤونهم كما يريدون؛ في حين اعتبروا الاراضي التي كانت للبربر مفتوحة صلحا فتركوها في ايدي اصحابها يؤدون عنها المال للدولة، واعتبروا البربر انفسهم احرارا لهم ما للعرب من الحقوق وعليهم ما عليهم من

الواجبات ؛ فكان حسان يعاملهم على قاعدة المساواة التامة ليس هناك شعب حاكم وآخر محكوم فالكل امام القانون الاسلامي سواء ؛ فالاحكام تجري بينهم بالعدل والاحسان ، ويظهر ان منصب القضاء كان للخليفة وحده فهو الذي يعين القاضي كما ثبت عن عمر بن عبد العزيز فانه هو الذي اختار لقضاء افريقية عبد الله بن المغيرة بن بردة الكناني .

ولم يقتصر حسان في نظام الجندي على الجيش العربي فقط ، بل اشرك فيه البربر ايضا . فضم اليه منهم اثني عشر الفا واتخذ منهم طائفة بمثابة الحرس المتنقل تتجول في اقطار المغرب لبسط الامن العام ، على انهم لا يفرقونه جميعا في مواطن الجهاد ، وكانت لهم ارزاق ومنح غير ما يصيبونه في الحروب ؛ وكان الوالى يومئذ مكلفا باعطاء الجند والعمال من مال الجباية وما يفيئه الله عليه من الغنائم ، وتؤكد التواريخ العربية على ان ولدي الكاهنة نالا الولاية على قومهما في ادارة حسان بعد اسلامهما ، فكان احدهما رئيسا مدنيا على قبيلة جراوة والآخر على الجيش ، وبذلك وضع حسان اساس الحكومة الاسلامية بهذه البلاد وجعل خططها الفرعية للبربر ، كما اشتغل بانشاء ميناء بحري جديد تشرف منه ولاية المغرب على البحر الابيض المتوسط فاخطت محرس تونس واستخدم الاهالى في صناعة الخشب لانشاء المراكب ، وجاء بألف عائلة مصرية تحسن الصناعات فأسكنها هنالك واسس لهم دار الصناعة بتونس فكانت هذه اول دار اسست للصناعة في الاسلام ؛ وفيها صنع بعد ذلك بأمر موسى بن نصير مائة مركب ؛ وظلت العملة الرومية رائجة بين المتعاملين في افريقية الى ان ضرب موسى بن نصير نقودا بها سنة ٩٢ هـ - ٧١٠ م وبهذا كانت السياسة الاسلامية في افريقية اساسا لهذا التطور العظيم في تاريخ هذه البلاد ، فلم تعد شريطا ساحليا يسكنه جماعة من المستعمرين المتحضرين ، وفيما يلى ذلك «اهال» متوحشون على درجة يسيرة جدا من الرقي ، وانما اصبحت بلادا واحدة يسكنها شعب مسلم قوى متحضر

ينشئ الدولة ويساهم في العلم والحضارة الانسانية بنصيب مشكور (١)

رفاهية افريقية

اتنا اذا نظرنا الى ما قيل عن افريقية وبلاد المغرب كلها يومئذ من انها كانت ظلا واحدا من برقة الى طانجة : قرى متصلة ومدائن منتظمة ، وما قيل ايضا عن قرى الزاب وحده من انها كانت تبلغ ثلاثمائة وستين قرية كلها آهلة عامرة؛ وما صالح عليه الولاة اهل البلاد من تلك الاموال الطائلة والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والحلح المسومة والانعام والحراث (٢) وما ظفر به الغزاة من عظم الغنيمة ، وما استصعبه معهم القادة والامراء الى الخلفاء من الهدايا والتحف النفيسة ... جزمنا بخصب هذه البلاد ورفاهيتها وسعة رزقها ...

فلقد اهدى حسان الى امير مصر وهو يومئذ عبد العزيز بن مروان مائتي جارية من ابناء ملوك الروم والبربر وجمالا وخيلا وامتعة ووصائف ووصفان . وذهب الى الخليفة الوليد بشيء كثير من الذهب والفضة والجواهر والياواقيت فاستعظمه الوليد وعجب من امرة ؛ وقد كان سهم الفارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف الخ ... فبكل هذه دلائل على عظمة ثروة البلاد ويسارها ، وليس من التناقض ما قدمه عبد الرحمن بن حبيب للخليفة العباسي المنصور بعد ذلك من هدية فيها بزاة وكلاب وذهب قليل واعتذرله عن ضعف هديته بأن المغرب اليوم بلاد اسلامية لا سبي فيها ؛ فلعل ذلك كان في ظروف خاصة احاطت بالبلاد لقحط او جذب او لنظرة سياسية هنالك ؟ ...

(١) انظر فتح العرب للمغرب ص ٢٧٨

(٢) يذكر انه لما أصاب عبد الله بن سعد بن ابي سرح من تلك الاموال الطائلة التي صالح عليها اهل المغرب ؛ كانت هنالك من العرب من أظهر العجب والدهش من كثرة هذا المال ووفرة الغنيمة وحينئذ تقدم اليه اهلي يحمل في يده زيتونة ، يرمز بذلك الى انهم حصلوا على هذه الثروة من فلاحه الزيتون .

ولاية الجزائر وزعماؤها

كان من اشهر ولاية الجزائر وزعمائها في هذا العصر زعيم مغراوة ورئيسها العظيم صولات بن وزمار بن صقلاب ، وقبيلته من اشهر القبائل البربرية العتيقة المتفرعة من زناته ، وموطنها بشمال وانشريس ووادي شلف الى البحر ، وينتهي شرقا الى وادي السبت قرب متيجة ، وغربا الى البطحاء بناحية نهر مينة من عمالة الجزائر ، ومن بلادها بالجزائر : الاغواط والحضنة وريغة .

وفد هذا الرئيس الجزائري الجليل على الخليفة عثمان بن عفان واسلم على يده وقيل كانت وفادته على الخليفة صحبة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ، وعقد له الخليفة علي قومه وابقاه رئيسا عليهم ؛ قال ابن خلدون : فاخص صولات وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان واهل بيته من بني امية ، وكانوا خالصة لهم دون غيرهم من سائر قريش ، وذلك ما كان سببا في مظاهرة هذه القبيلة للدعوة المروانية بالاندلس بعد ذلك ، رعا لهذا الولاء .

استمر صولات على رئاسته الى وفاته فورثها عنه ولده حفص فكان من اعظم ملوك زناته ، ثم خلفه من بعده ابنه خزر فاشتهر ملك مغراوة على عهده وعرف بعد ذلك ملوهم ببني خزر الى ان قضى عليهم المرابطون سنة ٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م

ملوك الوطن الجزائري

مترديد - كسيلة

لم اقف في هذا الدور من تاريخ الجزائر على كثير من اسماء الملوك سوى اربعة : صولة ملك مغراوة ، والكاهنة ملكة جراوة ؛ وسترديد ، وكسيلة ؛ يقول ابن خلدون : وكانت البطون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر البتر كلهم لعهد الفتح ، اوربة وهوار و صنهاجة من البرانس ونفوسة وزناتمة ومطغرة ونقزاوة من البتر وكان التقدم لعهد الفتح لاوربة هؤلاء بما كانوا اكثر عددا واشد بأسا وقوة ، وكان اميرهم بين يدي الفتح : سترديد ابن رومي بن بارزت بن برزيات ؛ ولى عليهم مدة ثلاث وسبعين سنة وادرك الفتح الاسلامي ومات سنة احدى وسبعين هجرية (١) وولى عليهم كسيلة بن لرم الاوربي فكان اميرا على البرانس كلهم (٢)

اما كسيلة (٣) فلقد ذهب ما سكرى الى انه كان واسع الملك ، وان ملكه امتد الى الاوراس والى ما يليها غربا ؛ ومعلوم ان مركز قوته الحربية ايام الفتح كان المنطقة الجبلية الواقعة بين تاهرت ووهران ؛ وكانت وفاته في واقعة معش Mems - جنوب القيروان قتله زهير بن قيس البلوى سنة ٧٠ هـ - ٦٨٩ م ٢٠٢

(١) ينهب فورناي Fournel الى ان ابن خلدون اراد ان يقول سنة ٥١ هـ فأخطأ النسخ ورسموه ٧١ هـ ، ورجحه حسين مؤنس فقال : وهذا تعليل معقول لان الحوادث تستقيم به .

(٢) انظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٦

(٣) ضبطه ابن الاثير بفتح الكاف وكسر السين المهملة ، انظر اسد الغابة ج ٣ ص ٣٢١

ط القاهرة ١٢٨٠ هـ

أمراء إفريقية وحكامها

الامويون

تاريخ التولية

٥٦٩ — ٦٨٨ م

زهير بن قيس البلوي

٥٧٣ — ٦٩٢ م

حسان بن النعمان

٥٨٦ — ٧٠٥ م

موسى بن نصير (١)

(١) هو الذي تم على يده فتح بلاد هوارة وكنامة وصنهاجة ومجاعة من بلاد الجزائر وغيرها من بلاد المغرب والاندلس

الخلفاء الأمويون

تاريخ التولية

٥٦٤ - ٦٧٣ م

٥٦٥ - ٦٨٥ م

٥٨٦ - ٧٠٥ م

مروان بن الحكم

عبد الملك بن مروان

الوليد بن عبد الملك

مشاهير الجزائريين

الكاهنة

هى ملكة بربرية كانت زوجا لرئيس من رؤساء قبيلة جراوة احدى قبائل البتر المقيمين في الاوراس - جنوب مدينة قسنطينة - واسمها دها بنت ثابت بن تيفان وينتهى نسبها الى «جراو» جد القبيلة المذكورة كانت هذه الزعيمة البربرية مقيمة بعاصمتها «تيسدروس» قرب خنشلة ولها ابنان احدهما بربرى والآخر يونانى كما حدثنا بذلك ابن عذارى (١) وكانت تدعى الاطلاع على احوال الغيب والتكهن للناس فعرفت بذلك في قومها واشتهرت يومئذ بلقب «الكاهنة» ويقال انه كان لها صنم عظيم من الخشب يحمل بين يديها على حمل ، وهناك من المؤرخين من يقول انها كانت على دين اليهودية ؟ ... واستبدت بالملك بعد زوجها فتملكت كما يقول ابن خلدون خمسا وعشرين سنة ، وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة ، ويقال ان قتل عقبة كان بايعاز وتدبير منها . وهى التى هزمت حسان بن النعمان في غزاته الاولى فتقهقر الى برقة ، واسرت طائفة من جنده فبنت منهم خالد بن يزيد القيسى واطلقت البقية وعملت يومئذ على تخريب افريقية وهدم البلاد والحصون تبيطا لعزائم العرب عن الفتح حتى لا يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا ، اعلمهم يرجعون ؟ ... ولكن العرب استمروا مقيمين بطرابلس ينتظرون المدد من دار الخلافة حتى جاءهم النجدة فحملوا على البلاد فاقتحموها واشتد الخناق يومئذ على الكاهنة وانفت ان تسلم نفسها لحسان ووجدت ذلك عارا عليها ، وربما خشيت ان ياسرها العرب ويحملوها سبية الى دمشق ففضلت ان تستأمن لولديها عند حسان وان تظل هى - ومن بقى على الولاة لها - على حرب العرب فاستقدمت خالد بن يزيد وقالت له انما كنت تبنيك لمثل هذا اليوم فأوصيك

بأخويك هذين خيرا فقال خالد : انى اخاف ان كان ما تقولين حقا ! ان لا يستبقيا ؟ ... قالت بلى ويكون احدهما عند العرب اعظم شأننا من اليوم ، فانطلق فيخذلهم بامانا ، فانطلق خالد الى حسان فاخبره خبرها واخذ لابنيها امانا ، وكان مع حسان جماعة من البربر البتر فولى عليهم الاكبر من ابني الكاهنة وقربه (١) وتقول المصادر انها اطلمت بطريق الكهانة على انها مقتولة فاخبرت خالدا بذلك فقال لها اذا فارحلى وخلي البلاد ! فقالت : وكيف افروانا ملكة ؟ ... والملوك لا تفر من الموت فأقلد قومي عارا الى آخر الدهر . وهكذا استمرت هذه الملكة الصنييدة الجزائرية على كفاحها حتى دخل عليها حسان الحصن ففرت امامه الى حيث ادركها حسان فقتلها بمكان السر المعروف بجبل اوراس عند بئر العطر التي سميت بعد ذلك ببئر الكاهنة ويقال انها قتلت بطبرقة ؟ بحدود الجزائر الشمالية الشرقية ؛ وذلك في رمضان سنة ٨٢ هـ - ٧٠١ م وبموتها تم فتح المغرب للعرب - وخاصة الجزائر - وقد كان فتحا لالافتوح السياسية والانتصارات الحربية العامة بل هو فتح من فتوح الحضارة الشرقية بما فيها من مادة وروح ؛ ذلك لان الاسلام ليس هو مجموعة من طقوس او عبادات وقرب يتقرب بها الانسان الى مولاه فحسب انما هو فوق ذلك مجموع من قواعد ونظم سياسية واجتماعية يستطيع الناس ان يعيشوا بمقتضاها ؛ فالأؤمن لا يجد في الاسلام حلا لمسألة الآخرة فقط بل سبيلا للعيش في الدنيا سيدا ايضا .

جدول تاريخي

٦٩ - ٥٨٢

٦٨٨ - ٧٠١ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث على عهد الفتح الاسلامي
٥٦٥-٦٨٤ م	انسحاب زهير بن قيس الى برقة واخلاء افريقية
٥٦٩-٦٨٨ م	انتصار زهير بن قيس في حملته على كسيلة وقتله
٥٧٠-٦٨٩ م	وقعة ممس بجنوب القيروان
٥٧١-٦٩٠ م	مقتل زهير في برقة
٥٧٦-٦٩٥ م	مسير حسان بن النعمان الى افريقية وانتصاره على الروم بقرطاجنة
٥٧٧-٦٩٦ م	واقعة نينى - وادى مسكينة - وارتداد حسان عن افريقية
٥٨٠-٦٩٩ م	الكاهنة تخرب افريقية
٥٨١-٧٠٠ م	مسير حسان الثانى الى افريقية
٥٨٢-٧٠١ م	انتصار حسان على الكاهنة وقتلها (رمضان - اكتوبر)

الخوارج بافريقية

١٢٢-١٥٧هـ

٧٤٠-٧٧٤م

الخوارج في التاريخ سم لطائفة او طوائف كانت بايعت على بن ابي طالب بالخلافة ثم خرجت عنه ونقضت بيعتها في قضية التحكيم المشهورة ؛ وهى في مبايعتها هذه كانت ترمى الى غرضين : فمنها من بايع الامام لكونه يراه احق بذلك من غيره يومئذ ، ومنهم من تقدم الى ذلك اعتزازا به وبغضا للعثمانيين الامويين ؛ وكثيرا ما سمع هذا الفريق الثانى من الخليفة اللعن منصبا على قتلة عثمان وخزبه لهم ؛ فكان ذلك من بواعث الحذر عند هؤلاء خشية اتفاق الكلمة بين الحزبين فعملوا جهدهم على توسيع شقة الخلاف بين معاوية وعلى رضى الله عنهما وكان ذلك سببا في وقعة الجمل المشهورة (١٠ جمادى الثانية ٣٦ هـ - ٥ ديسامبر ٦٥٦ م) وهم الذين ايضا حملوا عليا على قبول التحكيم والنزول عنده (الجمعة ١٠ صفر ٣٧ هـ ٢٩ جولييت ٦٥٧ م) ثم عملوا على نقض ذلك وحاولوا عليا في رفضه ودعوه الى اعلان ذلك بنفسه فامتنع كرم الله وجهه من مجاراتهم على هذا التلاعب الذى لم يظهر له وجه معقول ، وحيث سخط عليه القوم واعلنوا خروجهم عن طاعته والانعزال عن الجماعة ، ثم عاد فريق منهم الى الطاعة واصر آخرون على الخلاف والمعصية ، وغادر الفريق الثانى الكوفة وهى يومئذ مركز الخلافة العلوية وسكن بظاهر قرية قريبة منها تعرف بحروراء ؛ وكل ذلك وعلى يعمل على رفع الخلاف وجمع الشمل فبعث اليهم رسلا بذلك فقتلوههم وتجاهروا بالعصيان ، وبعد ما انذر الخليفة واعذر حمل على اهل النهروان فأتى عليهم قتلا ؛ ويومئذ تكونت بذرة الخارجية في الاسلام واصبحت بعد ذلك فكرة مستقلة ومبدأ سياسيا خاصا ، ثم تطورت الى عقيدة

دينية وطريقة متبعة ، ثم كانت مذهباً مدوناً باصوله وفروعه عقيدة وفقها ؛ ثم نشأت عنه فرق **كثيرة** بلغت العشرين وكلها تنطوى تحت اسم الخوارج ؛ والى ايجاء هؤلاء الخوارج وتعاليمهم السياسية يرجع السبب الاكبر فى ثورات البربر التى عمت المغرب العربى يومئذ او كادت .

الحركات الخارجية بالمغرب

كانت منازعات الاحزاب السياسية بالمشرق على اشدها طوال العصر الاموى ، وعصفت برجال الدولة ثارات العصبية ، فكثرت الاضطهاد وتعددت الخصومات ، وكان للامويين طائفة عظيمة من الاعداء السياسيين لا يكفون عن الشغب ولا يكف الامويون عن تعقبهم بالاذى ، فكثرت فرار هؤلاء من البلاد والتماسهم الامان فى ناحية بعيدة عن مركز الدولة ، وكان المغرب من النواحي التى كثر التماس هؤلاء الفارين للامان فيها لاتساعها وتشعب مسالكها وكثرة قبائلها ، وكان الكثير من هذه القبائل ينطوى على السخط على العمال لما يصيبها من الاذى على ايديهم فكانت ترحب بهؤلاء الاجئين لانهم واياها على هوى واحد ، ولهذا **كثرت** وفودهم على المغرب والتجأؤهم الى قبائله (١)

ولقد حاول البربر التماس سناد لهم يتقون به السلطة العربية فلم يجدوا لهم خيراً من الاخذ بدعوة الخوارج التى ينص دستورهما على علم اشتراط القرشية فى الخلافة ، وبقوا ينتظرون الفرصة لذلك حتى سنحت لهم على عهد امير افريقية عبيد الله بن الحبحاب الذى كان وقتئذ مهتما ومشغلاً بتجهيز جيش الفتح الى صقلية ؛ فاندفع البربر يومئذ نحو تكوين دولة لهم مستقلة عن الحكومة المركزية ، فانتحلوا

(١) انظر فتح العرب للمغرب ص ٢٩٢ و ٢٩٣

مذهب الصفرية والاباضية (١) من الحوارج وترقبوا خروج الجيش العربي وفراغ الجو فانفق يوما ان شخص الجند الى مدينة طبة عاصمة الزاب (غربى اوراس) ، فنهض البربر في نحو الاربعين الفا من الصفرية وخمسة وعشرين الفا من الاباضية ملتفين حول رئيسهم ميسرة المطغرى (٢) الصفري الحارجي ، واوقدوا ثوراتهم بالمغرب الاقصى فاجتلوا طنجة فعزلوا عنها عاملها يومئذ عمر بن عبد الله المرادى وبايعوا بها صاحبهم ميسرة خليفة سنة ١٢٢هـ - ٧٤٠م فكان هذا اول من دعى باسم الخلافة بالمغرب من البربر ثم انقلبوا عليه فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتى ، فقام هذا بشأنهم وزحف بهم فيما بين المغربين : الاوسط والاقصى ، وجاءت عساكر الامير ابن الحبحاب لرد هجمات البربر والدقى الجمعان بوادى شلف فانهزم فيها الجند العربى وقتل قائده يومئذ خالد بن حبيب وهى الواقعة المشهورة بواقعة الاشراف (١١٤هـ - ٧٣٢م)

وفى سنة ١٢٣هـ - ٧٤١م تدمرت الرعية من عسف الامير كلثوم بن عياض حيث كان يعاملها معاملة الرعايا الملزمين بأداء الجزية على الرغم من كونهم مسلمين قائمين بجميع الواجبات ، فاشتكت امرها الى حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع المقيم يومئذ بتلمسان ، فكان هذا الى كلثوم ينهائه عن ذلك ويتهدده ، فبعث كلثوم بالاعتذار الى حبيب تصنعا ، ثم زحف بجنوده على تلمسان فقاتل

- (١) هما من اشهر واكبر فرق الحوارج الستة ، فالصفرية هم اتباع زياد بن الاصغر ، وقيل يعقوب بن ليتس الصفري نسبة الى صناعة الصفر - النحاس - ، وقيل هم اتباع عبد الله بن صفار السعدى وهو احد بنى مقاعس الحارث بن عمرو ، وقيل عبد الله بن صفار من بنى صويمر بن مقاعس ؛ وزعم بعضهم ان الصفرية بكسر الصاد... ويقال لهم زيادية والتكارية . والاباضية هم اتباع عبد الله بن اباض - بكسر الهمزة - المقةسى التميمى الصريمى المتوفى سنة ١٣٠هـ - ٧٤٨م . ويقال انهم ينتسبون الى اباض - بضم الهمزة - وهى قرية بالعرض من ارض اليمامة لم ير اطول من نخلها ، نزل بها نجد بن عامر الحارجي وتسمى بأمر المؤمنين .
- (٢) ويقال ايضا المدغرى بالدال لا بالطاء نسبة الى المداغر الذين هم بأزاء ندرومة .

حبيا... وهكذا وجد رسل الخوارج المقبلون من المشرق واكثرهم من المنهزمين في حروب العصيات امام المروانيين ؛ مرتعا خصبا لبذر تعليمهم حيث كانت الفوس مستعدة للثورة ، فحرصوا البربر على الخروج عن الخليفة الاموى وحركوهم لرفع راية العصيان ، حتى اذا تقدم البربر الى الخليفة بالشكوى فلم يستجب لهم ولم يسمح لهم حتى بالثول امامه ، فاندلعت بافريقية حينئذ نيران الثورة من كل جهة ، وتوالى بعد ذلك الفتن وبقيادة هؤلاء الخوارج فدخلوا القيروان مرارا ؛ وهكذا حتى جاء حظلة بن صفوان اميرا على افريقية سنة ١١٢ هـ - ٧٤٢ م فحارب الخوارج واجلاهم وشرذمهم في مقتلة عظيمة ، قيل انه ما علم في الارض مقتلة كانت اعظم منها ، وانتشرت الفوضى والاضرابات فعمت المغرب كلها من اقصاه الى اقصاه ويومئذ ظهر الفهريون احفاد عقبة بن نافع على مسرح تاريخ المغرب منهم عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذى غزا تلمسان سنة ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م وظفر بالبربر ودوخ افريقية كلها وذلك من بها من القبائل البربرية ؛ واستبد هؤلاء الفهريون بالادارة فبان ضعفهم وظهر عجزهم امام الخوارج الذين تغطرسوا على الحكومة العربية الى ان جهز لهم الخليفة ابو جعفر المنصور جيشا يشتمل على خمسين الف جندي موزعا تحت رعاية ثمانية وعشرين رجلا من خيرة القادة والرؤساء والكل تحت امرة واشراف القائد الاعلى محمد بن الاشعث امير مصر: فجاءت الجنود الى افريقية صيف سنة ١٤٤ هـ - ٧٦١ م فقضت اولاً على ربح الثوار بطرابلس ومات يومئذ قائد الثوار ابو الخطاب بن السمع الاباضى في شهر صفر - ماي - ، فظن ابن الاشعث بذلك انه قد قضى على الفتنة بقتل ابى الخطاب ، وان الخوارج سينتهون عن خطتهم ويعودون الى الطاعة ، وسرعان ما علم ان هناك ستة عشر الف نائر تنتظر امر رئيسها ابى هريرة الزناتى ، فتقدم الى هؤلاء فقاتلهم في شهر ربيع الاول ، صيف سنة ١٤٤ هـ - ٧٦١ م وتقلب عليهم فدخل القيروان عاصمة الامارة فجدد سورها واتمها في سنة ١٤٦ هـ - ٧٦٣ م وما

كاد يستقر على عرشها حتى نهض بعض النداد والشراد الى مقاومة جيش الامارة العربية تحت قيادة احدهم يدعى هاشم بن الشاحج فهزموا جند الامير وتفرقوا في البلاد وذهب رئيسهم الى تاهرت وقد كان معه من الاتباع نحو العشرين الفا ، ومنها ذهب الى تهودة بالزاب الجزائري وهناك قهرتهم الجنود العربية فاندحروا منهزمين ، وماكاد الامير يستريح من هذه الفتنة القائمة حتى فاجأه شائر آخر من الجند يدعى عيسى بن عجلان الخراساني ومعه طائفة من القادة العصاة فشنوا على الاماوة العربية حربا عوانا اعجزت ابن الاشعث عن المقاومة حيث تكررت ضده الوقائع والفتن ، وان هو في اقلية من الحامية والعساكر بسبب كثرة من مات منهم في تلك الحروب ، وحينئذ خرج ابن الاشعث من المغرب عائدا الى ولايته ومنصبه بمصر ؛ وكان على ولاية الزاب يومئذ الاغلب بن سالم التميمي فعينه الخليفة اميرا على افريقية ؛ فخرج يومئذ من دار عمالته طنبية ، وذهب الى القيروان ، وذلك في اواخر جمادى الثانية سنة ١٤٨ هـ جولييط ٧٦٥ م وخلفه على الزاب يومئذ عمر بن حفص بن قبيصة المهلبى المعروف بهزار مرد وبأبى الدوانق

ثورة ابى قررة بتلمسان

اتفق ان قبائل من البربر منهم مغيلة وبنو يفرن قد نقضوا بيعتهم ونهضوا بنواحي تلمسان فخرجوا عن الطاعة وبايعوا صاحبهم ابا قررة اليفرنى الصفرى (١) بالخلافة حوالى سنة ١٤٠ هـ - ٧٥٧ م وثار الحرب ضد الحكومة العربية فنهض اليهم الامير الاغلب بن سالم فشقت شملهم من غير قتال ، ثم كانت الهزائم والحروب بينهم سجالا ، ومات الاغلب فيها في شهر شعبان سنة ١٥٠ هـ - سبتمبر ٧٦٧ م . فخلفه على الامارة ايضا عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزار مرد والمشهور بأبى الدوانق وكانت بداية تاريخ امارته في صفر ١٥١ هـ - فيفريي ٧٦٨ م . وبعد ثلاث

(١) هو الذى نزل عليه صقر قريش عبد الرحمن الداخل مقدمه من الشرق واختفى عنده

سنوات وأشهر من امارته أمر من طرف الخلافة بالمسير إلى مدينة طبة عاصمة الزاب الجزائرى لتجديد بنائها وترميمها ؛ وقد بلغ سبيلها يومئذ عشرين الفا ، فخرج عمر من القيروان واستخلف عليها حبيب بن حبيب المهلبى وبينما الامير منكبا على عمله في تعمير طبة اذ انتقض عليه المغرب كله وجاءته الجموع الثائرة من كل جانب فاحاطت بالزاب وخاصة حيث الامير بطبة ؛ وبلغ عدد جند الثورة يومئذ واحدا وسبعين الفا ؛ فكان مع ابى قرة منهم اربعون الفا ، ومع عبد الرحمن بن رستم خمسة عشر الفا ، ومع عاصم السدراتى ستة آلاف ، ومع المسعود الزناتى عشرة آلاف فارس ، وغيرهم من الاتباع كثير ، ولما تحقق الامير منهم الخطر عزم على محاربتهم والخروج اليهم بنفسه فمنعه الخاصة من اهل مشورته وقالوا له : اخرج منا من اردت الى عدوك ولا تبرح مكانك من طبة ، فانك ان اصبحت تلف المغرب وفسد ، وحشيد لجأ الى الحيلة والدهاء واهتدى الى انقاذ الموقف بتقديم الاموال والحلل الفاخرة والهدايا الثمينة الى كل من ابى قرة واخيه فصانعهما بذلك ، فعملا حيثئذ على سحب الجنود من يومهما ، ثم لحقتهم جيوش الامير بتهودة فقطت على فئة عبد الرحمن بن رستم وهزمته الى تيهرت . ويومئذ اخذ امر الخوارج فى الضعف والانحلال واستمرت الوقائع تكرر وتتجدد بين الخوارج والحكومة العربية ما بين مد وجزر الى ان قضى عليهم الامير يزيد بن حاتم المهلبى سنة ١٥٧ هـ - ٧٧٤ م فاستكانوا حيثئذ للغلب واطاعوا للدين ؛ وقد بلغت وقائعهم نحو ثلاثمائة وخمس وسبعين وقعة فى مدة لا تزيد عن خمس وثلاثين سنة ؛ وكل هذه الوقائع نشأت كما ذكرنا آنفا عما جبلت عليه اخلاق البربر وما تركز فى غريزتهم من حب الحرية الى حد الفوضى وكراهية السلطة عليهم كيفما كان نوعها ، وما تهدف اليه عقيدة الخوارج من وجوب القيام على الحكومات الوراثية ، وكان الحافز الاكبر فى ذلك ما كان عليه بعض ولاة المغرب يومئذ من العسف والجور ، فهذا مادفع باهل المغرب الى احضان الدعوة الخارجية .

امارات الخوارج بالجزائر

كانت الحركة الخارجية بالمغرب عاملا قويا في استقلال بعض القبائل الجزائرية تحت امارات اباضية ، فمنها امارة بنى مسرة وهم فخذ من زناتة ، وعاصمتهم «اوزكا» بنواحي سعيدة بعمالة وهران على ثلاث مراحل بجنوب تيبهت ورئيسهم عبد الرحمن بن اودموت بن سنان ثم تنقلت الرئاسة في نبيهم من بعده . وامارة بنى دمر بنواحي قصر البخاري من عمالة الجزائر وعاصمتهم فيها «تيمطلاس» ورئيسهم مصادف بن حرتيل ، كان بين حصنه وبلد متيجة مسير ثلاثة ايام مما على البحر ، وامارة هواة بنواحي وادي شلف حوالى نهر مينة شرقا ومدينة سيق غربا من عمالة وهران ، وعاصمتها «قلعة مغيلة دلول» على مسافة يومين من مستغانم - بتقديرهم وهو ما يبلغ نحو المائة كيلومترا ؟ - ، وكانت رئاسة هؤلاء لرجل يقال له ابن مسالة الاباضى ، وهو مخالف الائمة الرستميين بتيهت

المجتمع المغربي

ان اعظم واجل مظهر برزت به افريقية العربية المسلمة في هذا العصر هو اتجاه شمالها الى الشرق في اقتباس حضارته ومدنيته ؛ فالى مركز الوحي كان التفاته في تصحيح عقائده وعباداته ؛ والى عواصم الشرق الالامعة كان اتجاهه في ثقافته العلمية الفنية ، لو لا ما نشأ يومئذ عن بعض الواردين عليه من المشرق من دعاة الحزبية والطائفية والسياسة المفرقة فجاد عن جادة الاسلام حتى كاد يكون ان لا اسلام ... فنشأت عن ذلك تلك الفتن والاضطرابات التى شملت المغرب العربى كله وكانت منها تلك الوقائع التى فصلناها فيما تقدم وكلها نشأت عن سوء التوجيه فى نشر تعاليم الاسلام مع ما يمازجها من النزعات السياسية والمذهبية وقد نشأ عن ذلك نفور فى النفوس من اهل التأويل والاحتكام الى العقل من المشاركة ، فابتعدوا لذلك عن مذهب ابي حنيفة الذى اشتهر اهلها بالرأى والقياس وتركوا فقهم

ونبذوا عقائد المعتزلة نتيجة لما اصاب بلادهم وما تعرضت له من المتاعب بسبب اصحاب الآراء والتأويلات من دعوات الآراء المتطرفة وتمسكوا بالكتاب والسنة تمسكا شديدا حتى انهم رفضوا القياس والاجماع ؛ واقبلوا يومئذ على الاخذ بما جاءهم به من حضر محالس مالك بن انس بالمدينة ممن قصد الحجاز من طلبة العلم الافارقة حيث علموا فيه التزام القرآن والحديث والابتعاد عن التأويل والقول بالرأى مع الاقتصاد فى القياس ما امكن وان كان جل اعتماد امراء افريقية من العرب فى هذه الفترة الى آخر عهد الاغلبة على العراقيين من فقهاء المذهب الحنفى ، وبذلك انقسم اهل المغرب الى قسمين ، فالحكام كانوا على مذهب اهل العراق ، والافريقيون وزعمائهم من الفقهاء كانوا مالكية ، وقد شعر الحكام والامراء بهذه المعارضة القوية الخطرة التي يتزعمها اولئك الفقهاء ، فبطشوا ببعضهم وقتلوا البعض الآخر ، فزاد ذلك من تقدير الناس اياهم ، ولم يصبحوا مجرد فقهاء ذوى دين وخلق متينين فحسب ؛ بل شهداء لقوا الاذى والخوف ايضا فى سبيل العقيدة الصحيحة وفى سبيل الضعفاء والمظلومين من اهل البلاد ، وانتقلوا - بهذه الصفة المزدوجة - الى مقام الاولياء ، وارتبط فى اذهان الناس معنى الولى بصورة الزعيم القومى ، وهكذا نرى مبادئ العقيدة التي اشتهر بها اهل المغرب فى الاولياء والصالحين ، ونستطيع ان نفسر تفانى المغاربة فى سبيل الصالحين وكبار الفقهاء ، ذلك لان الولاية ارتبطت فى اذهانهم بمعنى الدفاع عن الحق وحماية الرعية من الحكم الاجانب ، ومن هنا نضع ايدينا على عصب ثان من اعصاب التاريخ المغربى الاسلامى ، عصب الايمان فى الزهاد والاولياء الذى ما زال ينبض حتى قامت بفضل الدول المغربية الاصلية ، وغير غريب فى هذه الحالة ان نجد الذين وضعوا اسس دولتي المغرب الكبيرتين - المرابطين والموحدين - كانوا من الفقهاء المالكيين على وجه التحديد (١) ، وبذلك عم

تقليد المذهب المالكي وصاحبه في سيرته ، وحتى في حياته الخاصة التي كان يعيشها الامام لنفسه ، سواء ذلك في مأكله ومشربه وملبسه وفي مشيته وحديثه الخ ... وبذلك نستطيع ان نقول ان حضارة المغرب العربي وتهذيبه كانا على يدى مالك كما ان تمدن الاندلس كان على يدى زرياب

ولاية الجزائر وزعمائها

كان من اشهر من عرفه التاريخ من ولاية الجزائر في صدر الاسلام ؛ الاغلب بن سالم التميمي عامل طبة - عاصمة الزاب الجزائري - قبل ولايته الامارة ؛ كما عرفنا المهنا بن المخارق الذي استخلفه عليها ايضا عمر بن حفص سنة ١٥٤ هـ - ٧٧١ م ، وعاصم السدراتي ، والمنصور الزناتي ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري والفضل بن روح قبل امارته وهو آخر المهالبة بها ، فكل هؤلاء كان على ولاية طبة ؛ وكان على ولاية تلمسان ابو قررة اليفرنى ، وموسى بن ابي خالد مولى معاوية بن حديج ، عزله ابن الجباج وولى مكانه حبيب بن ابي عبيدة ، وكان على ولاية وطن زناتة بهذا المغرب الاوسط عبد الجبار بن قيس المرادى ، وامير ورفجومة النفزاوية بجبل اوراس عاصم بن جميل الكاهن

امراء افريقية وحكامها

الامويون

تاريخ التولية

٧١٤هـ - ٩٥هـ	عبد الله بن موسى بن نصير (اثناء تغيب والده بالاندلس)
٧١٥هـ - ٩٦هـ	محمد بن يزيد ، مولى قریش (١)
٧١٨هـ - ٩٩هـ	اسماعيل بن عبد الله بن ابي المهاجر دينار
٧٢٠هـ - ١٠١هـ	يزيد بن ابي مسلم دينار الثقفي
٧٢١هـ - ١٠٢هـ	محمد بن اوس الانصارى
٧٢١هـ - ١٠٢هـ	بشر بن صفوان الكلبي
٧٢٩هـ - ١١٠هـ	عبدة بن عبد الرحمن (بن ابي الاغر) السلمي (ربيع الال - جوان)
٧٣٥هـ - ١١٦هـ	عبدة الله بن الحبحاب الموصلی (ربيع الثاني - ماي)
٧٤١هـ - ١٢٣هـ	كلثوم بن عياض القيسی (القشیری؟) (رمضان - جوليطة)
٧٤٢هـ - ١٢٤هـ	حنظلة بن صفوان الكلبي (ربيع الثاني - فيفري)
٧٤٥هـ - ١٢٧هـ	عبد الرحمن بن حبيب الفهري
٧٥٦هـ - ١٣٨هـ	الياس بن حبيب الفهري

الخلفاء الامويون

تاريخ التولية

٩٦ هـ - ٧١٥ م	سليمان بن عبد الملك
٩٩ هـ - ٧١٧ م	عمر بن عبد العزيز
١٠١ هـ - ٧٢٠ م	يزيد بن عبد الملك
١٠٥ هـ - ٧٢٤ م	هشام بن عبد الملك
١٢٥ هـ - ٧٤٣ م	الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٢٦ هـ - ٧٤٤ م	يزيد بن الوليد
١٢٦ هـ - ٧٤٤ م	ابراهيم بن الوليد
١٢٧ هـ - ٧٤٤ م	مروان بن محمد الجعدي

امراء افريقية وحكامها

العباسيون

تاريخ التولية

حبيب بن عبد الرحمن	(رجب - ديسمبر) ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م
عاصم بن جميل الوركجومي (نائر)	(محرم - ماي) ١٤٠ هـ - ٧٥٧ م
عبد الملك بن ابي الجعد اليفرنى (نائر)	١٤٠ هـ - ٧٥٨ م
ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الاباضى	١٤١ هـ - ٧٥٩ م
محمد بن الاشعث الخزاعى	١٤٣ هـ - ٧٦٣ م
عيسى بن يوسف (او موسى) الخراسامانى	(ربيع الاول - افريل) ١٤٨ هـ - ٧٦٦ م
على بن موسى الخراسانى (نائر)	١٤٨ هـ - ٧٦٦ م
الاغلب بن سالم بن عقال التميمى	(جمادى الثانية - جولييط) ١٤٨ هـ - ٧٦٦ م
الحسن بن حرب الكندى	١٤٩ هـ - ٧٦٦ م
الاغلب (للمرة الثانية)	١٥١ هـ - ٧٦٧ م
بنو المهلب	

ابو جعفر عمر بن حفص هزار مرد المهلبى (١)	(صفر - فيفري) ١٥١ هـ - ٧٦٨ م
ابو خالد يزيد (٢)	بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

- (١) ضرب العملة باسمه
- (٢) استمر ابو خالد على إمارته بافريقية الى ان توفي يوم ١٨ رمضان سنة ١٧٠ هـ - ٨ ماي ٧٨٧ م وقد ضرب العملة باسمه ، وفى عهده تأسست الدولة الرستميه بقيهت سنة ١٦٠ هـ - ٧٧٦ م وهى اول دولة مسلمة تأسست مستقلة بالجزائر

الخلفاء العباسيون

تاريخ التولية

٧٥٠-٨٣٢ م

أبو العباس السفاح

٧٥٤-٨٣٦ م

أبو جعفر المنصور

٧٧٥-٨٥٨ م

المهدي بن المنصور

٧٨٥-١٦٩ م

المهدي بن المهدي

٧٨٦-١٧٠ م

هارون الرشيد

مشاهير الجنائريين

سمكو بن واسول

هو بربري من قبيلة مكناسة من اهل موطن ملوية ، كان يعد من تابعي التابعين ، وهو جد ملوك سجلماسة من بني مدرار كان من حملة العلم الذين اخذوا عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، وناهيك بعكرمة ، فقد قيل لسعيد بن جبير هل تعلم احدا اعلم منك ؟ ... فقال : عكرمة ؛ وجزم ابن خلكان في تاريخه بان عكرمة من برابرة المغرب

ابو الوليد مروان المسيلي

ترجم له ابو العرب في طبقات علماء افريقية وقال عنه انه كان ثقة مستجابا فاضلا في مثل سن سحنون بن سعد ، وكان سحنون يقول : مروان رجل صالح وهو مولى آل عمر بن نافع سمع من عبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح الذي قال فيه احمد بن حنبل : ما رايت احدا اوعى من وكيع ولا احفظ ، وكيع امام المسلمين . وكان سحنون يعرف فضله ، وحدث عن ابي الوليد هذا ولده عبد الرحمن فقال : كان ابي يعمل الطوب بيده ، فيتصدق بثاث ما يربح ، ويتفق الثلث ويرد ثلثا في الطين والتبن وفيما يصلح به عمل الطوب . قال : ولم يكن له سرير يرقد عليه ، انما كان قد نصب طوبا فعليه ينام في بيته . وكان يرمى بالتشبيح ، فقيل لسحنون ان مروان يرى التشبيح فلم يقبل ذلك وقال : مروان لا يقول الاماروي ؛ ونمى ذلك الى الامير محمد بن الاغلب فوجه في طلبه فوافي قبل دخوله عليه خصيا بيده عود او طنبور فأخذه مروان من يده بنزع

الدولة الرستمية

١٦٠-٢٩٦هـ

٨٧٦-٩٠٩م

نشأتها

خرج ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمع المعافري امام الاباضية من القيروان سنة ١٤١هـ - ٧٥٨م لقمع شوكة قبيلة وفرجومة المقيمة طرابلس، واستخلف عنه القاضي عبد الرحمن بن رستم، وبقي ابو الخطاب هنالك الى سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م حيث بعث لابن رستم ليلتحق به في وقائع الامير محمد بن الاشعث؛ وماكاد ابن رستم يتصل في جنوده وعساكره الجراراة بأبى الخطاب حتى بلغه نعيه وانهزام جيشه؛ وشاهد يومئذ ابن رستم في قابس حوادث ثورات الاهالي على العامل بها؛ فما وسعه الا الرجوع الى القيروان فصادفها كذلك في ثورة عامة فتسلل منها في اهله وولده وخرج مختفيا عن الاعين الى ان حل بالمغرب الاوسط فنزل على قبيلة (لماية) بجبل منيع يسمى سوفجج، فاقتبله اهالي الجبل بما يليق به من الاكرام، وشاع يومئذ ذكره في الآفاق فوفدت عليه وجوه الاباضية من العلماء والاعيان واخذوا حينئذ في تدبير امرهم وتنظيم شؤونهم من رفع شأن الخوارج بإنشاء دولة لهم؛ وبينما القوم يخوضون في ذلك اذ فاجأتهم جنود ابن الاشعث فأحاطت بالجبل ثم ارتدوا عنه بأمر اميرهم؛ ويومئذ خرج ابن رستم في اصحابه يطلبون مكانا منيعا يتخذونه كمركز لبث دعوتهم ونشر مبادئهم فيه، فكان ذلك المكان بعمالة وهران على غيضة بين ثلاثة انهر عند سفح جبل جزول، هو (تيهت) المعروفة اليوم بتاقدمت غرب المدينة الرومانية (تيارت) الحالية اي على نحو خمسة اميال منها،

وكان شرووعهم في ذلك سنة ١٤٨هـ - ٧٦٥م ؛ ثم كانت بيعته عبد الرحمن بن رستم بالامامة فيه سنة ١٦٠هـ - ٧٧٦م فكان بذلك عبد الرحمن اول مؤسس لدولة اسلامية جزائرية مستقلة ، ويبدو من عدم مقاومة الامير العباسي بالقيروان لهذه الدولة الجزائرية الناشئة ان الامارة العربية كانت ضعيفة بالمغرب العربي يومئذ ؛ كما ان اهمال الاغالبية لها هو كذلك من بواعث نشاطها في توطيد ملكها بهذه الديار . ولقد نجحت هذه الدولة في تأسيس مركزها هذا فوفقت فيه غاية التوفيق فإن قرب تيهرت من الصحراء يمنعها من الوقوع في يد العدو في الحرب ، كما ان موقعها هذا بين جبال الاطلس الى بلاد التل الحصبية جعلها تهيم على بلاد المغرب من جهاتها الاربع ، فلا هي متطرفة جنوبا ولا شمالا ، ثم انها كانت حسب موقعها الجغرافي ايضا متوسطة بين ولاية تونس والمغرب الاقصى .

نظامها الحكومي

يرتكز محور هذه الدولة على قواعد الكتاب والسنة حسب اجتهاد ائمة المذهب الاباضي تحت ادارة واشراف رئيسها الاعلى الملقب بالامام - اذ لا خلافة وراثية عندهم - والامام يتعين في منصبه هذا بالانتخاب والكفاءة او العهد اليه من سلفه ؛ وله مستشارون ومحاسبون وامناء بيت المال ؛ وللقاضي السلطة المطلقة في تنفيذ الاحكام الشرعية وهو في الغالب يكون من غير اهل البلد ليها به الناس ، وهناك شرطية لحماية الامن العام وجند مختلط من العرب والعجم والبربر . وماليتها متكونة مما يتجمع في خزينتها من مال الزكاة والحزبة والخراج (١) مع ما كان يتجمع لديها من تبرعات خوارج المشرق ايضا . فكانت الحكومة تتفق منها بالعدل وما فضل عنها رده على الفقراء والمساكين اما لغتها الرسمية نهى العربية وبجانبها

(١) الحزبة مال يتقاضى من أهل الكتاب ، والخراج مال يؤخذ من ارض الصلح ومما فتح عنوة (فهرأ وقسرا) بخلاف الفيء . فانه لا يؤخذ الا من ارض العنوة فقط

البربرية وكثيرا ما ترجمت اليها كتب العلم والدين والدواوين ايضا وحتى القرآن الكريم ؛ ولقد تعاقب على ملك هذه الدولة ثمانية من الائمة.

حدود المملكة الرسمية

يحد هذه المملكة شمالا تلول منداس الى قرب غيليزان ، ويذهب الخط جنوبا من هناك الى فرندة وينعطف شرق جبل عمور ، ومن هنالك الى وطن ميزاب والى وارجلة ، وينبعث الخط من الناحية الشرقية الى تيسميسل والسرسو ، ويذهب صعداً الى ثنية الاحد والى قصر البخارى مشرقا واعالى وادى شلف ؛ ويذهب جنوبا شرقى الاغواط الى تقرت ووادى ريغ ؛ وبالجملة فإن هذه الدولة قد استولت على جميع التراب الجزائرى الحاضر ما عدا ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا .

الامام عبد الرحمن بن رستم

اصل هذا الامام فارسى وينسب الى الاسرة الملكية الكسروية... وهو من موالى عثمان بن عفان ، بويغ بالامامة سنة ١٦٠ هـ - ٧٧٦ م بتاهرت وكان على جانب عظيم من العلم والعمل والعدل والزهد ؛ وكانت له عناية كبرى باعلاء شأن دولته ، وله اهتمام خاص بفن المعمار ، مشغول بشؤون الرعية والسهر على مصالحها ؛ وبلغ من زهده ان رد على اهل المشرق ما بعثوا به اليه من عشرة اجمال ذهبا ، وقد سبق ان قبل منهم مثلها قبل ذلك حيث كانت الدولة فى حاجة اليه أيام التأسيس ، وكانت إيامه كلها سلما وأمنا ، وله من التأليف تفسير للقرآن العظيم وديوان خطب ، ورسائل اخوانيات كاتب بها اخوانه واصدقاءه ، وكانت وفاته سنة ١٧١ هـ - ٧٨٧ م وقد عهد بالامر بعده الى سبعة من الاعيان منهم ولده عبد الوهاب فبايعه الناس بعده

الامام عبد الوهاب

بويح اثر وفاة والده بشهر ، وهو من اعلم علماء الاباضية في وقته ، كان متضلعا في علوم الشريعة وله في الفقه كتاب اشتهر باسم «مسائل نفوسة» ما عدا فتاوى ورسائل في مسائل شتى . واشتهر بقوة الشكيمة والدهاء السياسى والحزم والثروة الطائلة ؛ وان اول ما قام به من الاعمال السياسية ان عمل على موادعة امير القيروان روح بن حاتم وربط صلته به ، فاطمأن الناس الى ذلك وتأكدوا من رسوخ قدم الدولة الرستمية في الملك

ثورة ابن فندين

هو احد الرجال السبعة الذين عهد اليهم عبد الرحمن بن رستم بأمر الشورى بعده ، فطمح اولا الى الملك وتطلع الى منصب الامامة ، وبعد ما تحقق اخفاقه بمبايعة عبد الوهاب تشوف الى تبوأ المناصب الممتازة في الدولة فلم ينجح كذلك ، ويومئذ عمل على ايقاد نار الفتنة ضد الحكومة القائمة ودبر مكيده لاغتيال الامام وجاء بشيعته من النكارية - وهم من الخوارج ايضا - فكانت بينه وبين الحكومة وقائع عديدة سفكت فيها الدماء انهارا فاضطرت الحكومة الى مهادنته حقنا للدماء ؛ وبقي ابن فندين مع ذلك يتربق الفرصة للوثوب مرة ثانية على الدولة ؛ فاتفق يوما ان صادف تغيب الامام عن العاصمة - تاهرت - فزحف هذا الثائر باتباعه على المدينة فكان فيها حتفهم على يد افلح بن عبد الوهاب ، ويقدر عدد القتلى في هذه الواقعة باثنى عشر الفا ، فاستثار ذلك دفين حقد النكارية وكمين ضغيتهم فهاجموا العاصمة وقتلوا ميمون بن عبد الوهاب ثم انهزموا واندحروا

عصيان زناتة (١)

رفضت هذه القبيلة الجزائرية مبايعة الدولة الرستمية واعلنت عصيانها سنة ١٧٣ هـ - ٧٨٩ م ومدت يدها الى دولة الادارسة القائمة يومئذ بالمغرب الأقصى وتلمسان ؛ فنهضت اليها الحكومة الجزائرية لردها الى الطاعة وسعت لديها بكل وسيلة فلم تنجح ويومئذ اعلنت الدولة الحرب في وجه القبيلة وخاصة منها بطن مغراوة وبنى يفرن فلم يجد الحكومة ذلك نفعا واستمرت زناتة على عصيانها خاضعة للادارسة الى النهاية

ثورة بنى مسالة

كانت رآسة قبيلة هواوة التي تحتل الساحل من برقة الى قابس ، لهؤلاء من بنى مسالة فاتفق ان خطب احد رؤسائها يد بنت رئيس من رؤساء قبائل البربر بالجزائر بقصد الالتحام مع هذه القبيلة تعزيزا لقيادته ؛ فحال بينهما الامام الرستمي خشية تحزب القبيلتين ضده وعقد هذه ، المصاهرة لنفسه ، فغضب لذلك بنو مسالة فهاجموا المغرب الاوسط وحملوا على الرستميين السلاح فانتصر عليهم الامام عبد الوهاب وطاردتهم جيوشه الى ناحية تلمسان

(١) قبيلة بربرية عريقة في القدم منتشرة في كامل الشمال الافريقي وهي تسكن على الاخص المغرب الاوسط - الجزائر - بحيث انه ينسب اليها ويعرف بها ، فيقال وطن زناتة ومنها بطن مغراوة وجراوة قوم الكاهنة ، بنو يفرن وورجله بالجنوب الجزائري ، وكانت الرآسة فهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة وبنى يفرن وموطنهما بنواحي تلمسان الى وهران وشاف ستالا والى غريس من ناحية المعسكر جنوبا . ويقول الادريسي ان زناتة عرب صرح وانما تبربروا بالمجاورة والمخالفة للبربر من المصاميد ؟... ويؤثر عن حسان بن النعمان انه كان يقول بعروبتهم ؟... ومن زناتة بنو ورسيفن ملوك مليانه ، وبنو مندبل ملوك مازونه ، وبنو خزر ملوك وهران

امتداد المملكة الرستمية

اشتد سعيير التنافس بين امراء افريقية من الاغلبة ورؤساء هواراة ، فادى ذلك الخلاف والنزاع الى اتقاد الحرب بينهما وكاد النصران يكون حليف الامارة الاغلبية لولا استنجاد هواراة بالدولة الرستمية واستنصارها بها ويومئذ راي الامام عبد الوهاب ان الفرصة سنحت له لبسط نفوذه على النواحي الشرقية ففتح منها طرابلس وقابس وجزيرة جربة ؛ وقضى نحيبه سنة ١٩٠هـ - ٨٠٥م . فبويع بعده لابنه افلاح

الامام افلاح

هو اطول ائمة هذه الدولة مدة في الملك ، فانه بويع اثر وفاة والده عبد الوهاب سنة ١٩٠هـ - ٨٠٥م الى ان توفي سنة ٢٤٠هـ - ٨٥٤م اى مدة خمسين سنة ، وكانت ايامه كلها ايام رغد ويسر ؛ وهو احد افضاذا ائمة الدولة البارزين والعلماء العارفين ذا ادب جم واطلاع واسع وشعر رقيق ومثانة في الدين ؛ كانت له مواقف حاسمة ردها على ثوار جبل نفوسة ، وهو تارة يسلك معهم مسلك اللين واللطف ، وتارة يأخذهم بالشدة والعنف وكان الانتصار حليفه دائما .

اما علاقته بالخارج ، فانه كان على صفاء واتصال ودى مع خلفاء الاندلس الامويين ومع السودان ايضا تربط بينهم جميعا او اصر التجارة ووحدته الهوى ايضا ؛ ويظهر ذلك جليا في حفاء الامام للدولة الاغلبية المجاورة التى هى من صنائع الدولة العباسية : فانه لما بنى ابو العباس محمد بن الاغلب مدينة «العباسية» بقرب تيهرت سنة ٢٢٧هـ - ٨٤١م هدمها الامام افلاح واحرقها وكتب في ذلك الى صاحب الاندلس يتقرب اليه ، فبعث اليه هذا بمائة الف درهم ؛ فانتقم لذلك العباسيون بالقبض على ابنه ابي اليقظان حين قدم الى الحج وادعوه السجن ببغداد ، فحزن الامام

على ولده ولم يزل محزوناً مهموماً الى ان توفي سنة ٢٤٠هـ - ٨٥٤م . وتولى بعده ولده الثاني ابوبكر

الامام ابوبكر بن افلح

اشتهر الامام ابوبكر بخصال الكرم والجود ولين العريكة والتسامح وسهولة الخلق ميالا الى الدعة والرفاهية ، تاركا امر ملكه وادارة شؤون دولته الى صهره ابن عرفة التيهرتي الذي اصبح بسعاية من الوشاة والحسدة ينافس الامام في ملكه فحصلت بينهما من ذلك وحشة ادت الى اغتيال ابن عرفة واضطراب جبل الحكومة بقيام اصحابه على الامام واستمرت الفتن تبهرت الى ان عاد ابو اليقظان من الشرق واستلم زمام الدولة من اخيه فقهر الثائرين وقضى على الخصوم فسكنت البلاد مدة ثم نشأت حركات ثورية ايضا من الاعاجم المزاحمين لآل ابن رستم في الرآسة، انتصر فيها هؤلاء مرارا على الحكومة كما اذاقهم الجند بأسه ايضا في كثير من مواقع القتال ، وعمت الفتنة اباضية جبل نفوسة فانظم اليهم ابو اليقظان وتعددت المعارك بين الطائفتين وكان النصر فيها سجالا ، ولم يزل شأن ابي بكر يضعف امام خصومه واعدائه حتى لاذ بالفرار بنفسه بعد عامين من ولايته فقط، واحتل المدينة محمد بن مسالة الهواري فقبض على دفة الحكم وأجلى عن المدينة من كان فيها من أهل لواتة ثم أجمع الناس على مبايعة أبي اليقظان

الامام ابو اليقظان

هو محمد بن افلح بويج بحصن لواتة على قرب من تاسلونت حيث تنفجر عيون نهر مينة الجاري قبله تيهرت ، وكانت مبايعته اثر خروج اخيه الامام ابي بكر سنة ٢٤١هـ - ٨٥٥م . وقد حفظ لنا التاريخ من صفاته الخلقية انه كان ربعة ايض الراس واللحية ؛ ومن الخليفة انه كان ذا علم وورع متعقفا ناسكا زاهدا فإن كل

ما وجد في تركته بعد موته هو سبعة عشر دينارا فقط ...! وقد سبقت منا الإشارة الى حجه ايام ولاية والده افلح وقبض العباسيين عليه الى خلافة المتوكل حيث رفع عنه القبض فعاد الى الجزائر ، فوافها نائرة على اخيه فحاول القبض على زمام الدولة فلم ينجح واستمرت حوادث اصحاب ابن عرفة والمنافسين من الاعاجم حتى انضم ابو اليقظان الى اباضية نفوسة فاعانوه على القضاء على الثورة وفتح تيهرت صلحا واستقر بها اماما مطاعا الى وفاته سنة ٢٨١هـ - ٨٩٤م عن سن تناهز المائة سنة قضى منها زهاء اربعين سنة في الولاية

مجاعة ووباء ...!

اشد القحط بالناس وعت المجاعة جميع بلاد المغرب والاندلس من سنة ٢٥٣ الى ٢٦٥هـ (٨٦٧ - ٨٧٨م) ثم اعقب ذلك وباء وموت مئات سنة ٢٨٥هـ - ٨٩٨م وقد عم ذلك بلاد مصر والحجاز ايضا

ظهور الدعوة الشيعية بالجزائر

ظهرت هذه الدعوة الشيعية بالجزائر لأول مرة في وادي الرمل (سوق حمار) بنواحي قسنطينة ومرمجة (ما بين مجة وسببة) وكان ظهورها على يدي رجلين كلاهما جاء من الشرق سنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م موفدا من طرف جعفر الصادق لبث الدعاية ضد الخلافة العباسية القائمة يومئذ ببغداد ، وخلافة الامويين بالاندلس والمغرب ، ونشر مبادئ الشيعة التي ترمي الى اقامة الخلافة الاسلامية في آل البيت ، فقاما بهذه الاوساط المغربية يعملان على تنفيذ خطتهما الى وفاتهما فخلفهما من بعد ابو عبد الله الشيعي بكتامة ، وهو الذي قضى على مملكة الاغالبة شرقا وبنى رستم غربا

الامام ابو حاتم

هو يوسف بن ابي اليقظان جاءته البيعة اثر وفاة والده سنة ٢٨١هـ - ٨٩٤م وهو متغيب بجيشه في حماية القوافل فعاد الى العاصمة مسرعا لتحمل اعباء المملكة وكان رجلا وسيما حيا كريمة السجايا والاخلاق مدربا على ادارة شؤون الدولة وتنظيم شأن الحكومة ، وبعد سنة من ولايته خرج عليه عمه يعقوب بن افلح وكان يكره الاباضية مع شذوذ فيه وجمع حوله طائفة من اهل تيهرت ومشيوخها فأقصاهم الامام عن العاصمة ثم عادوا فاحتجموها عليه وأثاروا بها قنيتهم؛ ويومئذ خرج أبو حاتم عن عاصمته فاجتمع اليه انصاره فزحف بهم الى العاصمة وضرب عليها الحصار مشددا عليها الخناق الى ان اضطر اهلها الى طلب الكف عنهم والمهادنة، فكف عنهم الامام على ان يسلموا اليه رؤساءهم وكباراءهم ، فأبوا ، وحينئذ عادت الحرب الى ما كانت عليه من قبل وبايعوا عمه يعقوب بن افلح

الامام يعقوب بن افلح

بويح وهو بأرض زواغة غربي طرابلس ، فاسرع من حينه الى العاصمة تيهرت فقاتل بها ابا حاتم ودامت الحال على ذلك مدة اربع سنوات الى ان سعى ذووا الوجهة والفضل في الصلح بين الطرفين فانتشر السلم بالمملكة اربعة اشهر . وفي اثناها عمل ابو حاتم على استمالة القلوب اليه واكتساب مودة القوم فمالت اليه الرعية وانقلبت على عمه يعقوب فخاضته ، فذهب حينئذ الى حيث كان بجبهات طرابلس ، وطال به اجله الى ان شاهد سقوط تيهرت بيد الشيعة العبيدين ، فارتحل اثرها الى بني وارجلان - وارقله - وهناك عرضت عليه البيعة فأبى لما عليه من ضعف الرستمين امام الشيعة وقال يومئذ كلمته المشهورة التي ارسلها مثلا : لا يستتر الجمل بالغنم ... ومات هنالك .

عودة أبي حاتم

تصدى ابوحاتم في هذه المرة الى قمع الفتن وتسكين الثوار ورفع شأن العلماء على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم والعناية باصلاح البلاد ونشر العدل والامن بين الناس ، فجاءته وفود الخطباء والشعراء قائمة بين يديه تعدد اياديه وتتنشر مناقبه ، واخيرا ائتمر عليه منافسوه من بنى عمه واخوته فقتلوه غيلة سنة ٢٩٤هـ - ٩٠٦م وبايعوا اخاه اليقظان

الامام اليقظان

هو ابن اليقظان محمد تولى الامامة وايام دولته ذاهبة والحكومة مضطربة ، فعاش مهدد الجانب محتل النظام ولم تطل ايامه حتى دخل عليه ابو عبد الله الشيعي فقتله في خاصته وجماعة من اهل بيته في شوال سنة ٢٩٦هـ - جوان ٩٠٩م وذلك بايعاز ومؤامرة من وجوه الرعية

المذاهب والعقائد

كان المغرب العربي في صدر الاسلام يسير في عقائده وعباداته حسبما يرشد اليه الكتاب والسنة وما ورد في ذلك من الآثار عن الساف الصالح من غير انتماء الى اهل مذهب او طائفة او فرقة او نحلة الى ان قدم عليه جماعة من المشرق ممن تشبعوا بآراء اهل العراق فكانوا يرون راي ابي حنيفة واصحابه مثل عبد الله بن فروخ الفارسي واسد بن الفرات قاضي افريقية فنشروا مذهب الكوفيين بافريقية الى ان تولى سحنون بن سعد القضاء فنشر مذهب مالك ؛ وكان الخوارج يومئذ ممن وفدوا على المغرب مختفين فنشروا هم كذلك عقائدهم ومذاهبهم من نكارية وصفرية واباضية الخ ... وكان ابن رستم مؤسس هذه الدولة من الاباضية (١)

فوضع قواعد دولته على اسس مذهب الخارجي وكان مع ذلك هو وجميع من خلفه على عرش تيهرت متساحا مع جميع اهل المذاهب الاخرى من اهل الراي وغيرهم ، فقد كانت المناظرات والمباحثات العلمية تعقد بين ايدي الائمة للنظر والجدل في مسائل الاعتقاد وغيرها وذلك بصدر رحب قال ابن الصغير المالكي مؤرخ هذه الدولة ومن اتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه لطف مناظرة ، وكذلك من اتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك (١) ورغم ذلك فانه وقع شيء من التنازع المذهبي بين النكارية والاباضية على عهد الامام عبد الوهاب وهو في حقيقة امره نزاع سياسى لا دينى سببه التهاكك على الراسة من اصحاب المقاصد والمنافع الشخصية وهو الذى كان سببا في فتح باب الطعن في الامام والانكار عليه ، وقد ادى ذلك الى وقائم دامية ، وهكذا حب الراسة مهما دخل شيئا الا وافسده

(١) لا تزيد مسائل الخلاف بين الاباضية وغيرهم من المسلمين اهل المذاهب الاخرى عن بضع مسائل اجتهادية ؛ أهمها مسألة الصفات فغير الاباضية يقولون انها غير الذات المقدسة وانها قديمة بقدمه عز وجل ، والاباضية يقولون بأنها عين الذات. ومسألة رؤية الباري سبحانه فغير الاباضية يثبتونها كما يليق بجلاله ، وهم ينكرونها . ومسألة القرآن فغير الاباضية ينكرون خلقه ، وهم يقولون بأنه مخلوق محدث . ومسألة الايمان فهو عند الاباضية لا يتم الا بالعمل ، وعند غيرهم انما هو مجرد اعتقاد يصحبه النطق. ومسألة الخلود في النار فغير الاباضية لا يقولون بخلود العصاة المؤمنين ، اما عندهم فيخلدون . ومسألة المكفر فانه لا يطلق عند الاشاعرة الا على من كفر بالله او اشرك ، وعند الاباضية يطلق ايضا على المنافق وعلى من كفر بالنعمة . ومسألة الشفاعة فلا يتأهل عند الاباضية اصحاب الكبائر ، اما عند غيرهم فنعمة . الخ... وهناك مسائل اخرى لا تختلف كثيرا عما هو موجود ومعروف كذلك بين الاشاعرة والماتريديين من الخلافات اللفظية والمعنوية ؛ كما ان هنالك ايضا مسائل خلافية في الفروع الفقهية هي من قبيل ما هو مستفيض وشائع بين سائر المذاهب الاسلامية ؛ ولكل وجهة ، ولكل مجتهد أجر .

الثقافة والحضارة والعمران

ليست هنالك دولة من الدول الاسلامية الجزائرية تدانى حضارة هذه الدولة فيما بلغته من الرقي والازدهار المادى والادبى سوى حضارة الدولة الحمادية التي تلاءمت بالقلمة وبجاية كما سنجدك عنها فيما ياتى ؛ فلقد بلغت تيهرت يومئذ شأوا عظيما من المدنية والعمران ومن توفر اسباب الحضارة والرفاهية حتى انها كانت تشبه وتقاس بقرطبة وبغداد ودمشق من عواصم الشرق اللامعة ، وانها كانت تدعى بعراق المغرب وكان بها من القصور العالية والمنازل الرفيعة والحصون الحصينة والعمارات والمساجد والمنزهات ما يشبه منشآت هذه البلاد وسكن بها من اهل الكوفة والبصرة والقيروان والاندلس وبلاد العجم وغيرهم من ارباب الصناعات والحرف والفنون الجميلة عدد وافر ، وبها من العلماء والادباء ما يحق لها ان تفخر بهم يومئذ على البلاد ويكفيها فى الاستدلال على ذلك نبوغ امثال يهوذا ابن قريش التاهرتى - فى القرن الرابع الهجرى - فانه كان متضلعا فى كل من اللغات العربية والعبرانية والآرامية والفارسية والبربرية ، وحاول المقاربة بين بعضها ، فهو الواضع لاساس النحو التنظيرى ، وله فى ذلك كتاب موجود بمكتبة او كسفورد من بلاد الانكليز هو من انفس ما كتب فى الموضوع . وقد كان ائمة هذه الدولة ورؤساؤها يعقدون مجالس العلم والتعليم يعلون الناس ويلقون عليهم بانفسهم دروسا عامة بالمساجد فى فنون من العلم مختلفة ؛ وفيهم من يقول الشعر ايضا ؛ فمن ذلك قول الامام افلح فى العلم :

يربك اشخاصهم روحا وابكارا
مامات عبد قضى من ذاك اوطارا
كميت قد ثوى فى الرمس اعصارا
فضلا على الناس غيابا وحضارا

العلم ابقى لاهل العلم آثارا
حى وان مات ذو علم وذو ورع
وذو حياة على جهل ومنقصته
لله عصبة اهل العلم ان لهم

. وهي قصيدة طويلة تنيف على الاربعين بيتا وكلها على هذا المنوال في مدح العلم وبيان فضله ومزايا العلماء.. ولهؤلاء الائمة والولاة عناية شديدة يجمع الكتب النادرة وجلبها من اى مكان كانت فتكونت لهم بذلك خزانة دار الامارة المشهورة بمكتبة قصبة المعصومة وكان فيها من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب ما يؤسف لفقده اليوم...! ولقد فقدت هذه الخزانة العامرة في حوادث الاحتلال الفاطمي .

وبينا الحال على ما وصفنا في الجزائر اذ كان شارلمان امبراطور فرانسا الاكبر- في القرن الثانى الهجرى ، والثامن الميلادى - يحاول ان يتعلم ويتجرب الى الاداب تحببا ساذجا كما يجب غير المتعلمين ان يروا احيانا السطور المكتوبة ، وكانت تشبه آداب عصره ادب صبيان المدارس وتعارينهم اليوم ، بل لم يكن في غالبا - فرانسا - شىء يشبه الادب ، ولقد فقد منها على عهد شارلمان وبعده بزمن طويل كل اهتمام بشىء يقال الثقافة العامة

اما عن الحياة الاقتصادية من فلاحه وتجارة وحركة الصادرات والواردات فان مملكة تيهرت كانت تعد احدى محطات العالم الاقتصادية الكبرى فهي واسعة الاخذ والعطاء فكانت الحبوب انواعها تزرع بارض الجزائر والاسواق ملائى بمختلف البضائع والمصنوعات ، وكانت طرق القوافل معبدة متصلة بصحراء افريقية وبلاد السودان شرقا وغربا ، كما ان السفن تغدوا وتروح بين بر العدو ومراسى الجزائر مشحونة بشتى اصناف السلع... ولقد خست اخبار تيهرت بالتدوين ، فأفردها بالتأليف ابو عبد الله محمد بن يوسف التاريخى الاندلسى فى كتاب خاص لاندري اين هو اليوم

انهيار الدولة الرستمية

ان اكبر عامل في سقوط هذه الدولة هو اختلاف الكلية بين الحكومة والشعب وما انتشر عن ذلك يومئذ من الفتن والاضطرابات التي اضعفت الدولة امام رعيّتها فتضعفت بفقد جندها الحامى . واخذت احزاب الامة يومئذ في حبك المؤامرات ضد الحكومة فقتل الامام ابو حاتم ؛ وقامت «دوسرا» بنت اليقظان - الامام نفسه - تشارك في حملة ابى عبد الله الشيعى للقضاء على الدولة وقتل الامام ...! وكانت الدعوة الشيعية يومئذ قد اطبقت البلاد وذاع خبر انتصارها على الدولة الاغلبية المجاورة فخرج الامام اليقظان مستسلما للعبيدين فقتلوا عليه وعلى دولته سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٩م فكان ذلك كله من عوامل تيسير الاستيلاء الشيعى على البلاد فسقطت بيد العبيدين من غير قتال ولا حرب .

تأسيس بلاد ميزاب

كان لسقوط هذه الدولة وقع عظيم في نفوس اولى الغيرة الوطنية والحماس الدينى فهاجروا تيهرت الى الجنوب فمعهم من هاجر الى الجنوب الغربى ، ومنهم من هاجر مع الامام يعقوب الى نواحي وادى مينة فأسسوا مدينة الكريمة ، ودخلوا مدينة بنى وجلان - وارقلة - وهناك على بعد اربعة عشر كيلومترا جنوبا اخذوا في تأسيس عاصمتهم الجميلة «سدراتة» المعروفة عند البربر بإسدراتن ذات المدينة العظيمة ، فأنشئوا بها قصورهم البديعة والمنازل الرفيعة واقاموا بها البساتين والمزارع والمنشآت الضخمة ونشروا فيها من الرفاهية والحضارة ما عجب له العلماء اليوم . ولقد شرع الباحثون من علماء الآثار والحفريات منذ ربيع سنة ١٩٥١م في الكشف عن هذه المدينة التي غطتها الرمال وتراكت عليها الكثبان ؛ فعثروا في بحوثهم الحفرية على آثار جليله قيمة من مبان عجيبة ونقوش مزخرفة وخطوط كوفية واشكال هندسية واوان متنوعة ذات اهمية كبرى في تاريخ الجزائر

الحافل ولا يزال البحث مستمرا حول هذه المدينة التي يبلغ طولها اكثر من كيلومترين ، وعرضها نحو كيلومتر واحد ؛ فهي حقا احدى ذخائر وكنوز الفن الجزائري باتم معناه ؛ وبالمتحف الجزائري اليوم بعض تحف ثمينة وقطع نفيسة عثر عليها بهذه المدينة فهي موضوعة هناك معروضة للجمهور ، آية ناطقة بعبقريّة الجزائري وتقدم الفن الاسلامي بالجزائر منذ اكثر من ألف سنة ؛ قال الشريف الادريسي عن مدينة «وارقلان» - وارقلة - : هي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار اغنياء يتجولون في بلاد السودان الى بلاد غانة وبلاد وتقارة - هكارة ؟ - فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلدهم - عملة مسكوكة - باسم بلدهم ، وهم وهبة اباضية .

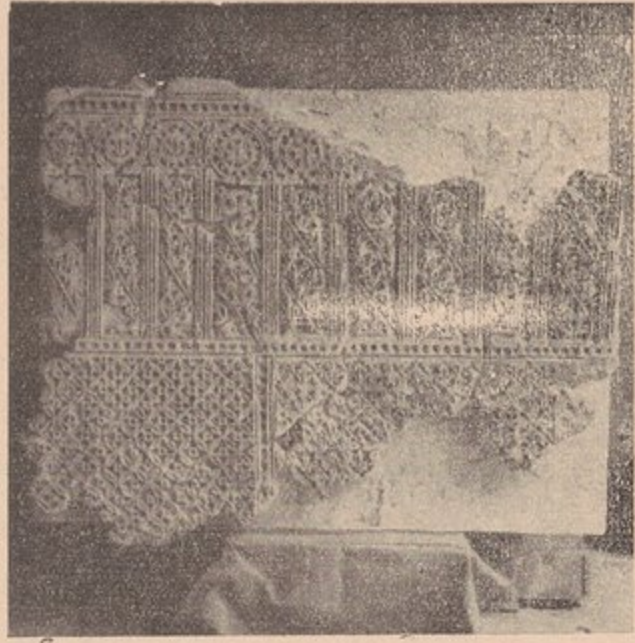
وبعد ما اظهر القوم هنالك نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي هابهم اهل وارقلة وتوجسوا منهم خيفة وخشوا منهم المنافسة والمزاحمة ، فأجلوهم عنها وحل محلهم الزنوج . فخرج الاباضية منها يومئذ الى جبال بني مصاب ، اومزاب (١) بالشمال الغربي من وارقلة فسكنوا اولا الحيام ثم اخذوا في تأسيس المدن والقرى ، فكان اول ما اسسوا هنالك مدينة العطب اختطها رئيسهم خليفة بن آغور سنة ٤٠٢هـ - ١٠١١م . وفي سنة ٤٣٧هـ - ١٠٤٥م تأسست مدينة بونورة ، ثم العاصمة غرداية سنة ٤٧٧هـ - ١٠٨٤م اسسها ثلاثة من زعماء الاباضية : سليمان بن يحيى وعيسى بن علوان ، وابو جمعة ، واصبحت هذه المدينة مركزا لتلك القصور الاباضية السبعة ثم انشئت بعدها بقية القصور : بني يسقن ، ومليكة ، واخيرا القرارة وبريان . ومن الاباضيين من توجه بعد الجلاء من تيهرت وسدراتة الى البلاد الطرابلسية والتونسية فهم فيها الى الآن

(١) بالماد او بالزاي ، فانهما بتقاربان مخرجا في لغة البربر ، وهم فخذ من بطن بادين من زناته ويسكن بتلك الجهة من غير هؤلاء قوم من صنهاجة ولماية من بني قاتن وغيرهم

من اكتشافات (ماركوبريت فنان برشم) في حفرياتها بسدرة سنة ١٩٥٣



الطلال دار عرية بسدرة اكتشفت سنة ١٩٥١



تفاصيل من الزخارف الحصية اكتشفت بسدرة سنة ١٩٥٣

ولاية الجزائر وزعمائها

كان ممن حافظ التاريخ على اسمائهم من ولاية هذا العصر وزعمائهم : محمد بن مسالة امير هواراة المستبد بتيهت ايام ابي بكر بن افلح ، ومحمد بن عرقه التيهرتي مفوض حكومة ابي بكر ، ويزيد بن فندين مناض بنى رستم ، وشيخ المدينة ابو مسعود ، وعبد الرحمن بن صواب النفوسي امين بيت المال ، ومحكم الهواري الاوراسي قاضي تيهت على عهد الامام افلح ، ومثله القاضيان : ابو عبد الله محمد بن ابي الشيخ وشعيب بن مدمان ؛ ومزور بن عمران وزير الامام عبد الوهاب ، ووزكار وابراهيم بن مسكين رئيسا الشرطة على عهد الامام ابي حاتم . وابو سهل الفارسي من احفاد الامام افلح تولى خطة الترجمة بدواوين الحكومة على عهد الامامين : افلح وابي حاتم ، وله تأليف كثيرة باللغة البربرية ودواوين شعرية وكان افصح اهل زمانه بها .

أئمة الدولة الرستمية

تاريخ التولية

٥١٦٠-٥٧٧٦ م	عبد الرحمن بن رستم
٥١٧١-٥٧٨٧ م	عبد الوهاب بن عبد الرحمن
٥١٩٠-٥٨٠٥ م	أفلح بن عبد الوهاب
٥٢٤٠-٥٨٥٤ م	أبو بكر بن أفلح
٥٢٤١-٥٨٥٥ م	أبو اليقظان بن أفلح
٥٢٨١-٥٨٩٤ م	أبو حاتم بن أبي اليقظان
٥٢٨٢-٥٨٩٥ م	يعقوب بن أفلح
٥٢٩٤-٥٩٠٦ م	اليقظان بن أبي اليقظان

مشاهير الجزائريين

بكر بن حماد

٢٠٠-٢٩٦هـ

٨١٦-٩٠٨م

ابو عبد الرحمن بكر بن حماد بن صهر او سهل ...؟ بن ابي اسماعيل الزناتي التاهرتي هو من اشهر كبار علماء الجزائر وادبائها في هذا العصر ، ولد ونشأ بتيهرت حوالى سنة ٢٠٠هـ-٨١٦م فأخذ العلم والادب عن علماء بلده ثم ارتحل الى القيروان فأخذ عن امثال صاحب المدونة سحنون بن سعد ، ودخل بغداد سنة ٢١٧هـ - ٨٣٢م فأخذ عن ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حاجر ، ولقى من الادباء امثال ابي تمام صاحب ديوان الحماسة ، ودعبل الخزاعي ، وعلى بن الجهم ، ومسلم بن الوليد (صريع الغواني) وابن الاعرابي ، والرياشي وابي حاتم السجستاني وغيرهم من فطاحل الادب العربي وشيوخ المشرق وعلمائه وكانت له مع هؤلاء مساجلات ومطارحات ادبية شعرية ونثرية ؛ واتصل بخلفاء الدولة العباسية وبملوك بلده تيهرت ، وحصلت له جوائز ووصلات من الملوك والامراء ؛ قال عنه البكري انه : كان ثقة مأمونا حافظا للحديث ؛ وقال ابن عذارى : كان عالما بالحديث وتميز الرجال وشاعرا مقلقا . تصدر الشيخ بجامع القيروان لاملأه الادب والعلم سنة ٢٧٤هـ-٨٨٧م فارتحل اليه الكثير من اهل الاندلس للاخذ عنه والتخرج على يده ، وكان منهم قاسم بن اصبح اليباني ؛ وكان مجلسه حافلا بطلبة العلم على اختلاف مذاهبهم ؛ ثم كانت عودته الى بلده تيهرت سنة ٢٩٥هـ-٩٠٧م وكانت وفاته بقلعة ابن حمة شمال

مدينة تبهرت وذلك في شوال سنة ٢٩٦هـ - جوان ٩٠٩م أي في نفس السنة التي سقطت فيها الجزائر الرستمية بيد العبيدين ؛ ومن شعره قوله لما عاد من العراق معذرا للإمام أبي حاتم :

ومؤنسة لي بالعراق تركتها	وغصن شبابي في الغصون نضير
فقال كما قال النواصي (١) قبلها	« عزيز علينا ان نراك تسير »
فقلت جفاني يوسف بن محمد	فطال علي الليل وهو قصير
ابا حاتم ما كان ما كان بغضة	ولكن ات بعد الامور امور
فأكرهني قوم خشيت عقابهم	فداريتهم ، والدائرات تدور

وله في جميع اغراض الشعر قصائد طويلة وقطع رائعة هي متفرقة في كتب الادب والتاريخ

(١) أبو نواس الشاعر العباسي المشهور

جدول تاريخي

١٦٠-٤٠٢ هـ

٨٧٦-١٠١١ م

أهم الحوادث

تاريخ الحوادث

انشاء مدينة تاهرت - تيهرت -

٥١٤٨-٧٦٥ م

مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالامامة بتاهرت

٥١٦٠-٧٧٦ م

توثيق العلائق بين الحكومة الرسمية والاغلبة وولاية الامام

٥١٧١-٧٨٨ م

عبد الوهاب

مقاومة الدولة لقبيلة زناتة الثائرة

٥١٧٣-٧٨٩ م

تخريب مدينة العباسية واحتراقها على يد الامام افلاح

٥٢٣٩-٨٥٣ م

امتناع تاهرت عن ابي اليقظان

٥٢٤١-٨٥٥ م

ابتداء ذبوع الدعوة الشيعية بالجزائر والمغرب الاقصى

٥٢٧٩-٨٩٢ م

الحلاف بين ابي حاتم وعمه يعقوب

٥٢٨٢-٨٩٤ م

انتشار المجاعة والوباء

٥٢٨٥-٨٩٨ م

اغتيال ابي حاتم وولاية اليقظان

٥٢٩٤-٩٠٦ م

سقوط الدولة الرسمية وقتل اليقظان

٥٢٩٦-٩٠٩ م

تأسيس مدينة سدراتة وبلدة الكريمة بالجنوب الجزائري

٥٣٦٠-٩٧٠ م

تأسيس بلاد مصاب - مزاب -

٥٤٠٢-١٠١١ م

الدولة الادريسية

١٧٢ - ٣١١ هـ

٧٨٨ - ٩٢٣ م

نشأتها

خرج ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من الشرق لما يئس من نجاح مطلب الطالبيين هنالك ونجا بنفسه من اضطهاد العباسيين الى المغرب ، وقد علم يومئذ ضعف سلطانهم به وانحراف اهلهم عنهم فقصده ونزل منه بمدينة «وليلي» بالمغرب الاقصى، فصادف تعطش المغاربة الى تأسيس دولة اسلامية مستقلة عن المشرق كما فعل اهل الاندلس وكانوا من قبل يبحثون عن زعيم لهم ليكونوا الوحدة المغربية ؛ وكان العلويون - ومنهم ادريس هذا - يرون احقيتهم في الخلافة دون العباسيين ، وذلك لانعقاد الامامة الشرعية لهم قبل اولئك (١) ويومئذ انتهز ادريس هذه الفرصة وابعث بسره حول تأسيس الدولة الجديدة واطهر بالمغرب دعوة العلويين الشيعية الزيدية (٢) فبايعته حكومة المغرب البربرية غرة ربيع الاول ١٧٢ هـ - اوط ٧٨٨ م وكان علي راس هذه الحكومة يومئذ اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي المعتزلي، واطاعته معها القبائل البربرية المجاورة وخلعت طاعة العباسيين ، ويومئذ قضى

(١) بويج محمد بن عبد الله - النفس الزكية - بالخلافة في المدينة ، وهو اخو ادريس وكان فيمن حضر البيعة يومئذ وبايعه ابو جعفر المنصور العباسي ثم نكت بيعته وقتله سنة ١٤٥ هـ - ٧٦٢ م
(٢) لا يزال اتباع هذه الدعوة باليمن الى اليوم ، وهم يتسبون في دعوتهم الى زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ؛ خرج زيد علي هشام بن عبد الملك بن مروان فقتله الخليفة وصلبه ١٢١ هـ - ٧٣٩ م

ادريس على ما بقي هنالك متفرقا بالبلاد من عقائد المجوسية واليهودية والنصرانية ومذاهب الاعتزال ووحد كلمة المغاربة حول الدولة العلوية الجديدة

نظامها الحكومي

لا تختلف هذه الدولة في نظامها الاداري وشكلها السياسي عن نظم بقية الدول الاسلامية المعاصرة عامة ؛ سوى انها غير مركزية ، وهي جناية سياسية كانت عليها وبالا ؛ وكان أئمة هذه الدولة يرون انفسهم احق بامارة المؤمنين من غيرهم لسبق انعقادها لهم قبل سواهم من العباسيين كما ذكرنا ، والامام هو صاحب السكك واللواء (١) والدعاء على المنبر ؛ وهناك ولاية وامراء وعمال منتشرون في انحاء المملكة ولهم فيها نوع استقلال

الجزائر الادريسية

وبعد ما اطمأن المولى ادريس على المغرب الاقصى وادعت له قبائله زحف في جموع مطهرة وغيرهم على المغرب الاوسط - الجزائر - لفتح الطريق الى المشرق وتوسيع مملكته المغربية ، فنزل على محمد بن خزر بن صولات المغراوي امير تلمسان فبايعه محمد في رجب سنة ١٧٢ هـ - ديسمبر ٧٨٨ م واسلم له تدبير شؤون ولايته الجزائرية بدون محاربة ولا قتال ، ودانت له القبائل المجاورة هنالك من بني يفرن ومغراوة وجميع امهات قبائل المغربين الاقصى والادنى وقد كان لهذه المبايعة اثر خطير في فصل الشمال الافريقي عن الخلافة العباسية وفي ظهور تلك القبيلة العتيدة زناتة على مسرح تاريخ هذا الشمال وخاصة الجزائر

(١) كانت راية هذه الدولة بيضاء عكس المسودة من بني العباس ، وظلت كذلك الى عهد الدولة الصنهاجية فاتخذتها هذه من حرير ووشتها بالذهب ؛ واشتهر العلويون وعم الطالبيون عموماً باسم المبيضة لانقاذهم البياض شعارهم في لباسهم وراياتهم مخالفة للعباسيين اعدائهم في شعارهم — السواد —

حدود الجزائر الأدرسية

وإذا نظرنا الى حدود الجزائر الأدرسية وجدناها لا تتعدى من جهة الشمال الشرق مدينة وهران ونهر شلف ؛ ومن جهة الجنوب سهول غريس بناحية معسكر الى جبال مديونة قبلى فاس ؛ ولك ان تقول انها تمتد على الساحل من الريف غربا الى ارض الحضنة من عمالة قسنطينة شرقا ، ثم تعود بناحية تنس غربا وجنوب شلف الى مليانة وتنتهى بمتيجة

امارة تلمسان

مكث ادريس الاول بتلمسان نحو السبعة اشهر وفيها كان تأسيس مسجده الجامع ونقش على صفح منبره هذه العبارة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به الامام ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن علي رضي الله عنهم وذلك في صفر ١٧٤هـ ولم يبق من اثر لهذا المسجد اليوم الا اطلال من مأذنته بأكادير - تلمسان القديمة - ثم عاد بعد ذلك ادريس الى عاصمته «وليلبي» المعروفة اليوم بقصر فرعون (١) وترك ابن العلاء والبا على تلمسان . وفي هذه السنة اتخذ ادريس السكنة وضرب عملته بمدينة ترغة ، وفي فاتح سنة ١٩٩هـ - ٨١٤م احدث طائفة الصفرية وقبائل نفزة ثورات بتلمسان عجز العامل عن اخادها ، وهو يومئذ محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل ، فزحف اليهم ادريس الثاني من عاصمته الجديدة - فاس - فأقمع الثائرين وقضى على الفتنة ومكث هنالك بتلمسان ثلاث سنوات رسم فيها حدود مملكته وعقد فيها اتفاقيات مع جيرانه الاغالبية على ان يكون نهر شلف هو الحد الفاصل بين المملكتين وتعاهدوا على السلم والمواذعة . وأمر

(١) هي اليوم خراب واطلال قائمة على ربوة متصلة بجبل زرهون من جهة وادي خوفان ، تعرف في الخرائط باسمه Volubilis تبعد عن الضريح الأدرسي بنحو ثلاث كيلومترا وعن مدينة فاس بخمسين كيلومترا غربا

ادريس يومئذ بترميم ما بلى من المسجد الجامع الذي اشاده والده واصلح منبره،
 وجدد العهد لابن عمه محمد على ولايته تلمسان ثم عاد الى فاس ؛ وبقي محمد هذا
 على ولايته مقيا بعين الحوت الى وفاته بجبل وهران ، فخلفه يومئذ ابنائه
 وحفدته . واستمرت هذه الولاية فيهم الى ان سقطت بيد موسى بن ابي
 العافية المكناسي عامل الشيعة سنة ٣١٩ هـ -- ٣٣١ م ويومئذ خرج منها عاملها
 الادريسي الحسن بن ابي العيش وهو من اعقاب سليمان بن عبد الله الكامل ملتجئا
 الى جزيرة ارشقول ؛ وانتشر الادارسة يومئذ بالمغرب العربي كله واعقبوا فيه ،
 ومنهم من استقل ببعض المدن الجزائرية ، فحكم بعضهم ارشقول ، وهي على
 خمسة عشر ميلا شمال تلمسان ، ومنهم من سكن تنس ، ومنهم بترنانا على ثمانية
 اميال من ندرومة ، ومنهم بغليزان ومدكرة بنواحي مليانة ومنهم من حل بسوق
 ابراهيم بنواحي شهبونة والسرسو حيث مصب نهر اسلي في شلف وغيرها . وكل
 من هذه الاماكن والجهات كان مستقلا بيد هؤلاء الادارسة لا ارتباط لهم مع امامة
 فاس الا في الدعاء على المنابر والسكنة

امارة متيجة

كانت لبنى محمد بن سليمان العلوي ممالك متفرقة بالمغرب ، ومنها بالجزائر
 امارة متيجة هذه ، وهي ارض فسيحة كلها سهل واسع يمتد من العلية شرقا الى
 مارانكو غربا ويحدها من جهة الشمال مدينة الجزائر ، وجنوبا جبل بني صالح
 وبني ميسرة ، و«متيجة» اسم قاعدة هذه الامارة القديم ويقال لها ايضا «قزرونة»
 ولعلها نفس المكان المدعو اليوم خزرونة قرب مدينة البليدة باميال . كانت هذه
 الولاية تحت ادارة وتصرف محمد بن جعفر عم ادريس الاول ؛ ومن نسله ابو
 فريك الكافر المسماة عليه ناحية بوفاريك الحصبة الشهيرة بمتيجة قرب البليدة ،
 فهو من ولد جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وذكر
 ابن حزم ان نسله بمتيجة .

امارة هياز

هاز اسم مدينة قرب المسيلة بنواحي عين بوسيف يسكنها بنو يرناثن وهي عاصمة البلاد التي بين البويرة وجبال جرجرة الى قصر البخارى ونواحي زاغز الشرقى ، وتشمل سهل حمزة الفسيح المنسوب الى حمزة بن الحسن بن سليمان الطالبي العلوى مؤسس مدينة البويرة ، وبه ابناءؤه اصحاب هذه الديار ، ومن الاماكن والبلاد المشهورة بهذه الامارة مدينة عين بسام وسور الغزلان وسيدى عيسى ؛ وكان خراب هذه الامارة على يد زيرى بن مناد الصنهاجي حين اخذ بمبادى الدعوة العبيدية - الفاطمية - ثم اجلب عليها بعد ذلك جوهر الصقلي قائد المعز العبيدى فقتلها .

مقنبى تلمسان ؟...

وفي هذا العهد ٢٣٧ هـ - ٨٥١ م ظهر بنواحي تلمسان رجل كان مؤذنا باحد المساجد هناك ولم يذكر لنا التاريخ اسمه ؟ . فادعى النبوة واخذ يفسر القرآن الكريم على غير وجهه ويحمل من المعاني ما يتبرا منه الاسلام والعربية ، ونهى الناس عن خصال الفطرة قائلا : لا تغيير لخلق الله ! ... فاجتمع عليه من الاوغاد من يصح فيهم قول القائل : انعق بما شئت تجدانصارا ! ولما شعر بعزم الشرطة على القبض عليه ذهب الى مرسى هنين فركب من هناك الى الاندلس فرارا من امير تلمسان ، وفي الاندلس كذلك اخذ فى نشر دعوته فاجتمع عليه الاندال والاباش فقبض عليه الامير فاستتابه فلم يتب فقتله وصلبه .

اختطاط مدينة تنس ووهران

كثيرا ما كان البحارة الاندلسيون يرتادون السواحل الجزائرية والامكن المنسية منها امنا من الزوابع والاضطرابات البحرية . وللتجارة ايضا ، وكان مما اعتادوا النزول به ساحل تنس ووهران ، وخاصة في الشتاء فانهم كانوا يقصدون ساحل تنس خاصة ولم يكن بذلك المكان يومئذ سوى قلعة عتيقة فقط ، وفي ذات يوم اجتمع عليهم سكان هذه الناحية ورغبوا منهم اتخاذ هذا المكان سوقا لتجارتهم وسمحوا لهم باقامة ما شاؤوا من البنيان في تلك البقعة ، ووعدوهم بالعون والمساعدة وحسن الجوار والعشرة ؛ فلبى هؤلاء الاندلسيون هذه الرغبة واجابوهم الى ذلك فكان يومئذ تأسيس مدينة تنس سنة ٢٦٢هـ - ٨٧٥م على يد جماعة من الاندلسيين منهم ابو عائشة والصقر وصهيب والكركري وسكن بها على الاخص اهل البيرة وتدمير من بلاد الساحل الاندلسي ؛ واصحاب تنس يومئذ هم ابناء ابراهيم بن محمد الحسيني ، وما كاد يتم اختطاط المدينة حتى اقبل على تعميرها ايضا سكان سوق ابراهيم في اربعمائة بيت ، فوسع لهم اهلها واشركوهم في اموالهم وتعاونوا جميعا على انشاء المدينة واشادة بنيانها ؛ فأصبحت اذ ذاك عاصمة من عواصم القطر الجزائري ومركزا علميا ثقافيا اشتهر بها جماعة من العلماء منهم ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي مفتي مدينة الزهراء بالاندلس . . . اما وهران فانها اسست كذلك على يد جماعة من الاندلسيين كانوا تجارا ينتجعون مرفى المدينة الاثرية « ايفرى » بمعنى الكهوف ، بمشاركة نفزة وبني مسقن الذين هما من قبيلة زداجة الزناتية ، وبذلك المكان تأسست مدينة وهران سنة ٢٩٠هـ - ٩٠٣م ومن هؤلاء الاندلسيين الذين شاركوا في هذا العمل العمراني الجليل : محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدوس في آخرين من بحارة الاندلس فاستوطنها هؤلاء سبع سنين ثم نشب الخلاف بينهم فخربت المدينة واضرمت فيها النيران ثم انشئت من جديد كما ستقف عليه في مكانه ؛ واشتهر من علمائها غير

واحد ، فمنهم عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني شيخ الحافظين الاندلسيين
ابن عبد البر وابن حزم

المذاهب والعقائد

ما كان لهذا المغرب ان يتحد في عقيدته ومذهبه الا في عصر هذه الدولة
الأدرسية ؛ فانما بمجرد ما اطمأن ادريس الاول لتدعيم اركان دولته وتوطيد
دعائم ملكه نهض للقضاء على ما كان بالمغرب من مختلف العقائد والاديان فقصي
على بقايا اليهودية والنصرانية والمجوسية وناهض الخوارج والمعتزلة وجمع الناس على
عقيدة السلف ودعاهم الى الاقتصار على مذهب الامام مالك وجاءهم بالموطأ فنشروا
بينهم ، وكان يقول نحن احق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه ، وذلك لرواية
الامام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل ، ولما كان يراه مالك ايضا ويفتي
به من خلعه الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور وصحة البيعة لمحمد النفس الزكية
اخ ادريس : فانتشر لذلك يومئذ المذهب المالكي بالمغربين الاقصى والاوسط
كما نشره سحنون بالمغرب الادنى - تونس - فعمت المالكية المغرب

الثقافة والحضارة والعمران

كان عهد الادارسة بالمغرب عهد عمارة وتأسيس وذلك ماتمتاز به الحضارة
الأدرسية ، فانها كثيرا ما انشأت مدنا مزدهرة ومبان فخمة وخاصة بالمغرب
الاقصى اعظمها عاصمة فاس وسبتة اما في الجزائر فلم يكن لهم بها كبير اثر
بسبب بعدها عن مقر الامارة ودار الملك ؛ وقد شاهدنا كيف تأسست مدينة
تنس ووهران على يد الاندلسيين واكادير بتلمسان على يد ادريس الاول
والبويرة على يد حمزة بن سليمان العلوي ، كما ان ابا العيش عيسى بن ادريس بن
محمد بن سليمان العلوي اسس مدينة جراوة سنة ٢٥٩هـ - ٨٧٣م وهي على مرحلة
من وادي ملوية الى ناحية تلمسان ؛ وقد دعيت بهذا الاسم لكثرة من سكن بها

يومئذ من اهل قبيلة جراوة ، وهى منعدمة اليوم كما يمتاز هذا العصر - فى اوله -
 بانتشار الرخاء وخفض العيش وكثرة الحصب حتى بيع وسق القمح بدرهمين
 وثلاثة دراهم ووسق الشعير بنصف ذلك ، والكبش بدرهم ونصف ، والبقرة
 باربعة دراهم ، وخمسة وعشرون رطلا من العسل بدرهم واحد ، واما الفواكه
 والحضر والبقول والقطنية فلا سوم لها بحيث لا تباع ولا تشرى والياخذ منها من
 شاء ماشاء ، ولقد دام هذا الرخاء واليسر عشرات السنين الى توالى ايام القحط
 والابوة الفتاكه ٢٥٣-٢٦٥ هـ ٨٦٧-٨٧٨ م فتغيرت الاحوال حينئذ وارتفعت
 الاسعار الى حد الشطط .

اما عن الحياة الثقافية والحركة العلمية فلا نعلم عنها يومئذ الا هذه المؤسسة
 العلمية الضخمة التى احدثت بفاس : جامعة القرويين ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م التى هى اقدم
 الجامعات - بعد جامعة الزيتونة بتونس (١) - وكثرة وفود العلماء عليها من
 كل ناحية وضوب ؛ وخاصة من اهل القيروان والاندلس .

اما عن الجزائر فقد حدثنا التاريخ عن عدة شخصيات لامعة جزائرية كان
 يشار لها بالبنان امثال الفضل بن سلمة البجائى وابى بكر بن يحيى الوهرانى
 وغيرهما من مشاهير علماء الجزائر فى التاريخ

انهيار الجزائر الادريسيه

اول ما يلاحظه طالب التاريخ فى سقوط هذه الدولة هو انقسامها اولا على
 نفسها ، فانه لما توفى ادريس الثانى وتولى مكانه ولده محمد قسم بلاد المغرب بين
 ابناءه واخوته وبنى عمه وهم كثيرون فاقطعهم البلاد وجعل منهم فى كل بلدة
 او ناحية اميرا مستقلا لا يشاركه الامام الا فى الدعاء له على المنبر فقط
 فكان هنالك من خرج عن طاعة الامام وبايع الامويين رغبة اوطمعا فى نيل رتبة منهم

(١) تظافرت الروايات على ان المؤسس هو الامير عبد الله بن الحبحاب سنة ١١٤ هـ وتم تأسيسه

او رهبة لقرب بلاده من ولايتهم. وهكذا تقطعت اوصال الحكومة الادريسية وتبعثرت وحدتها فتمرد الامراء والعمال وانحاز كل الى عمله؛ وقد اكتنف الدولة يومئذ مطامع دولتين عظيمتين : الدولة الاموية بالاندلس ودولة العبيدين الفاطمية بتونس . ثم ان الحكومة نفسها لم تكن لتعني بالشعب المغربي العناية اللازمة التي تتطلبها الظروف المكتنفة بها من حيث السياسة الخارجية ؛ مع شراسة اخلاق البربر ووضعيتهم الشاذة بل تركتهم على فطرتهم وطبيعتهم القوضوية ينهضون مع كل ناعق ويتبعون كل ناعر، حتى اذا صاح بهم داعي الشيعة العبيدي فسقطت فاس عاصمة الدولة بيدها بسرعة ثم انتهت بالقبض على آخر ملوكها الامام الحسن الحجام (١) سنة ٣١١ هـ - ٩٢٣ م وتأخرت قليلا بعدها امارات الجزائر الى ان جاء دورها فسقطت سقوط اوراق الخريف الواحدة تلو الاخرى ؛ فأولها سقوطا جراوة وكانت تحت الحسن بن ابي العيش عميد بنى محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل فتغلب عليها موسى بن ابي العافية عامل العبيدين سنة ٣١٧ هـ - ٩٢٩ م فانتقل اهلها يومئذ الى جزائر ملوية ومنها الى مدينة ارشقول ؛ فتعقبهم ابن ابي العافية واخلى منهم البلاد واستولى على جميع ملكهم سنة ٣١٩ هـ - ٩٣١ م ثم رفض موسى التشيع واتصل بعبد الرحمن الناصر بالاندلس ودعا الى الخلافة الاموية . ثم كان سقوط ولاية تنس التي كان يرأسها علي بن يحيى فانتصر عليه زيरी بن مناد الصنهاجي حليف العبيدين سنة ٣٤٢ هـ - ٩٥٣ م فلحق يومئذ على بالحير بن خزر المغراوي صاحب وهران مستنصرا به وبعث بولديه الى الناصر الاموي بالاندلس ، ثم عاد زاحقا على تنس فلم يظفر بها فكان ذلك آخر العهد بالدولة الادريسية بهذه الديار وقد عمرت بالجزائر مائة وسبعين سنة، اما في اقصى المغرب حيث كان مركز خلافتها فقد تقدم انهيارها عن امارات الجزائر باحدى وثلاثين سنة ، ولقد نهض بعض الادارسة بعد ذلك يحاولون إعادة مجدهم فلم يخرجوا

ولاية الجزائر وزعماؤها

كان محمد بن خزر المغراوي هو صاحب تلمسان قبل ولاية هذه الدولة على المغرب ، ولما احتلها ادريس الاول ولى عليها رجلا يعرف بابن العلاء ، ثم كانت من اقطاعات سليمان بن عبد الله اخ ادريس ثم خلفه عليها ابنه محمد ، ثم رجل من ابناء ملوك زناتة يقال له علي بن حامد الزناتى . ولما تولى الخلافة محمد بن ادريس الثانى جعل المغربين الاوسط والاقصى اوزاءا بين اخوته واقاربه فكانت تلمسان واعمالها لاخته حمزة ، ثم تولاها ابو العيش عيسى بن ادريس وتوارثها عنه ابناءؤه من بعده الى ظهور بنى عبيد . وكان على امارة متيجة بنو جعفر بن حسن عم ادريس الاول ومنهم ابو فريك الكافر ، وعلى تيهرت الحسن بن محمد بن سليمان ، وعلى امارة هاز ابناء الحسن بن سليمان ، وعلى مدينة مدكرة بعيد متيجة محمد بن سليمان ثم ولده ، وعلى سوق ابراهيم ، عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان ؛ وعلى مدينة انمالته قبل وادى ملوية غربا : محمد بن علي بن سليمان ؛ وكان على مدينة ارشقول على ضفة نهر التافنا عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان الى وفاته سنة ٢٩٥ هـ - ٩٠٧ م فتولاها بعده ابنه ابراهيم المعروف بالارشقولى ثم يحيى بن ابراهيم ، ثم اخوه ادريس بن ابراهيم الى ظهور الشيعة عليه سنة ٣٢٣ هـ - ٩٣٥ م وتولى قضاءها يومئذ عيسى بن جنون ، وكان على مدينة جراوة - على ستة اميال من البحر وعلى مرحلة من ملوية الى ناحية تلمسان - ادريس بن ابراهيم ثم ولده الحسن وكان للحسن هذا ولد يدعى بعبدالله الترناى لولايته على ترنانا وهى على مرحلة من تلمسان ، وكانت ولاية مازونة وتس ومستغانم لابراهيم بن محمد بن سليمان ثم لابنه محمد من بعده ثم ليحيى بن محمد ثم لعلي بن يحيى وهكذا اقتسم الطالبيون المغرب الاوسط بينهم كما فعلوا ايضا بالمغرب الاقصى .

أئمة الدولة الادريسية وخلفاؤها

تاريخ التولية

٧٨٩-١١٧٢ هـ (٥ فيفري)	ادريس الاول بن عبد الله الكامل (٤ رمضان - ٥ فيفري)
٧٩٣-١١٧٧ هـ (١٣ سبتمبر)	ادريس الثاني بن ادريس الاول (فاتح جمادى الثانية - ١٣ سبتمبر)
٨٢٨-٨٢١٣ هـ (ماي)	محمد بن ادريس الثاني (ربيع الاول - ماي)
٨٣٦-٨٢٢١ هـ (مارس)	علي الاول بن محمد (ربيع الثاني - مارس)
٨٤٩-٨٢٣٤ هـ (رجب - جافقي)	يحيى الاول بن محمد (رجب - جافقي)
»	يحيى الثاني بن يحيى الاول
»	علي الثاني بن عمر
»	يحيى الثالث بن القاسم
٩٠٤-٨٢٩٢ هـ	يحيى الرابع بن ادريس
٩٢٢-٨٣١٠ هـ	الحسن بن محمد بن القاسم الحجام
٩٢٦-٨٣١٣ هـ (مغتصب)	موسى بن ابي العافية (مغتصب)
٩٤٨-٨٣٣٧ هـ	القاسم كنون بن ابراهيم بن محمد
٩٥٤-٨٣٤٣ هـ	ابو العيش احمد بن كنون
	الحسن بن كنون

مشاهير الجزائريين

الفضل بن سلية البجائي

٥٣١٩ - ٩٣١ م

الحافظ الحجة والفقير الضليع الفضل بن سلية بن جرير الجهني البجائي اخذ عن مشيخة بلده ثم اراتحل الى افريقية فلقى بها ابن مجلون والمغامي واحمد بن سليمان ويحيى بن عمر ولازم منهم العالم حماسا ومن في طبقته من العلماء فذاع صيته يومئذ ونبه ذكره ، وارتحل اليه الناس للتلقي عنه فتخرج على يديه جم غفير من ذوى المكانة العلمية والتحقيق العلمي الدقيق ، منهم ولده ابو سلية واسمده بن سعيد بن حزم وسعيد بن عثمان ومحمد بن عبد الملك الخولاني واحمد بن خالد ، وابو العرب ومحمد بن النجار في آخرين من اهل الاندلس والقيروان ، وله من التاليف مختصر المدونة والواضحة والموازية وله كتاب جمع فيه مسائل الموازية والمستخرجة توفي رحمه الله سنة ٥٣١٩ - ٩٣١ م

ابوبكر يحيى الوهراني

٥٤٣٠ - ١٠٣٩ م

المحدث الكبير ابوبكر بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن يحيى القريشي الجمحي الوهراني ، روى عن الفتية ابي محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلي وابي عمر الاشبيلي وعباس بن اصبغ وابن العطار وابي نصر النحوي وآخرين ... وعنه تخرج ابو حفص عمر بن الحسن الهوزني وابو محمد بن خزرج وقال في شيخه الوهراني : كان شيخنا هذا متصرفا في العلوم قوى الحفظ حسن الفهم ، وكان علم الحديث اغلب عليه ، توفي حدود سنة ثلاثين او احدى وثلاثين واربعمائة هجرية - ١٠٣٩ م

جدول تاريخي

١٧٢ - ٣٧٥ هـ

٧٨٩ - ٩٨٥ هـ

أهم الحوادث	تاريخ الحوادث
تأسيس الدولة الادريسية ومبايعة ادريس الاول بالامامة (٤ رمضان - ٥ فيفري)	٧٨٩ هـ ١٧٢ م
اذعان تلمسان للادارسة (رجب - ديسمبر)	٧٩٠ هـ ١٧٣ م
تأسيس المسجد الجامع بأكادير - تلمسان - (صفر - جوان)	٧٩٠ هـ ١٧٤ م
تأسيس مدينة فاس	٨٠٧ هـ ١٩٢ م
قضاء ادريس الثاني على ثورة الصقرية وتفزة بتلمسان	٨١٤ هـ ١٩٩ م
تأسيس جامعة القرويين بفاس (فاتح رمضان - ٣٠ نوفمبر)	٨٥٩ هـ ٢٤٥ م
تأسيس مدينة جراوة قرب تلمسان - لا وجود لها اليوم -	٨٧٣ هـ ٢٥٩ م ✓
تأسيس مدينة تنس	٨٧٥ هـ ٢٦٢ م
تأسيس مدينة وهران	٩٠٣ هـ ٢٩٠ م
انتصار ابن أبي العافية على امارات الادارسة بالجزائر والمغرب الاقصى	٩٢٩ هـ ٣١٧ م
سقوط ولاية تلمسان بيد الشيعة العبيدين	٩٣١ هـ ٣١٩ م ✓
قضاء زيري بن مناد عاهل صنهاجة وحليف العبيدين على امارة تنس	٩٥٣ هـ ٣٤٢ م
نهاية عصر الادارسة بالمغرب الاقصى	٩٨٥ هـ ٣٧٥ م

الدولة الاغلبية

١٨٤ - ٢٩٦ هـ

٨٠٠ - ٩٠٩ م

نشأتها

كانت ولاية افريقية الشمالية بأواخر القرن الثاني الهجري تحت امرّة محمد بن مقاتل العكي - رضيع هرون الرشيد - فهو الذي كان يومئذ اميرا بالقبيروان وبيده زمام هذه الولاية العربية بافريقية وكان لسوء سلوكه مع الرعية وحيفه واستبداده وجوره ان كرهه الناس وثاروا ضده سنة ١٨٣ هـ - ٢٩٩ م ومعهم يومئذ عامل تونس تمام بن تميم ، فانهزم ابن مقاتل وحاول الفرار من الثائرين الى دار الامارة بالقبيروان ، فحال الناس بينه وبينها فعرج يومئذ على مدينة طنبجة عاصمة الزاب الجزائرى مستنجدا بعاملها ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمي فأخذ بيده العامل وخرج معه الى قمع هؤلاء الناقمين فهزمهم وكسر من شوكتهم ، وعاد الامير منتصرا الى مركزه بالقبيروان ، ولكن الرعية بقيت على كرهه وعملت على خلعها بمدخلته ابراهيم بن الاغلب وحثه على تولية الامارة ؛ فكانت ابراهيم الخليفة في ذلك ملتزما له بدفع اربعين الف دينار سنويا الى دار الخلافة ببغداد واسقاط ما كانت تتقاضاه هذه الامارة من النفقات : (مائة الف دينار) من خزينة الدولة العباسية لتتفق بمصالح افريقية ؛ فاستشار يومئذ الخليفة رجال السلك السياسى في ذلك فاستصوبه اهل الراى منهم واثاروا عليه بقوله نظرا لثقل كاهل الدولة العباسية الناشئة بولاياتها المترامية الاطراف من الهند والصين شرقا الى المغرب الاقصى وبلاد الاندلس غربا ؛ وحينئذ اصدر هرون الرشيد امره في اواسط

جمادى الثانية ١٨٤هـ - جوان ٨٠٠م بعزل محمد بن مقاتل العكي عن ولاية افريقية وتولية ابراهيم بن الاغلب عليها وجعلها وراثية في عقبه ومنحه شبه استقلال داخلي ؛ وهو يرمى بذلك الى تمكين المغرب من الدفاع عن حوزة الخلافة العباسية امام دولة العلويين - الادريسية - القائمة يومئذ بالمغرب الاقصى ، ودولة الامويين بالاندلس ، ومن هنا ابتداء استقلال افريقية الذاتي ، فكانت بذلك ولاية المغرب هي اول ما استقل من الولايات العباسية في العالم الاسلامي يومئذ

نظامها الحكومى

الحكومة الاغلبية حرة في داخليتها تابعة اسما للخلافة العباسية في ظاهرها يدير امورها اميرها المقيم بالقيروان فهو صاحب النفوذ الاعلى على جميع المملكة الممتدة من طرابلس الى الخضنة والزاب الجزائرى ؛ ويعاضده في ذلك وزيراه فهما المتصرفان في انواع مصالح الدولة الاربعة : البحرية ، والحربية ، والمالية ، والبريد ، ولكل من هذه النواحي الاربعة رئيس مفوض مسؤول عن ادارة كل واحدة منها ولكل ادارة كتاب ، وفوق ذلك كله منصب الحجابة ، فالحاجب عندهم بمنزلة مدير التشريفات اليوم ؛ واما الجند فانه يشتمل على اربعة فيلق ، وكل فيلق منها مختص بطبقة او صنف من الناس ؛ وهم ما بين عرب وعجم وبربر وعبيد سود ، والكل مأجور ، وهم ينقسمون حسب اعمالهم الى ثلاثة اقسام ؛ الحرس المملوكى ، والجيش البصرى والجيش البحرى ؛ وسلاحهم جميعا السيوف والرماح والحراب والاقواس والدروع والدرق وما كان مستعملا كذلك يومئذ من بعض الآلات وادوات الحرب مثل المنجنيق والكبش والدبابة الخ. .. ويرجع امر الجيش كله الى تصرف مصلحة الجيش العامة وقيادة الحرب العليا ؛ وللحكومة الاغلبية اسطول ضخم عتيد توصات به الى الاستيلاء على سواحل مملكة فرنسا وايطاليا وجزائر

كورسيكا وسردانيا وصقلية ، وهو يشتمل على عدة قطع فيها اشكال وانواع من
هياآت السفن البحرية ؛ من اعربة وشوانى وطردات وحراقات الخ... قال ابن
حمديس الصقلي السرقوسى يمدح ابا يحيى الحسن بن علي بن يحيى :

انشأت شواني طائرة وبنيت على ماء مدنا

ببروج قتال تحسبها فى شم شواحقها قننا

ترمى بروج ان ظهرت لعدو مخرقة بطنا

وبنفط ابيض تحسبه ماء وبه تذكى السكنا

ضمن التوفيق لهاظفرا من هلك عداتك ماضنا

ولقد خلد تاريخ الاسطول الاغلبى ذكرا حسنا وصفحة ماجدة فى تاريخ
البحرية العربية الافريقية مما يبعث المغربى على المفارقة والمباهاة به . ويومئذ
اصبحت دولة الغرب الاسلامى دولة بحرية

واما القضاء فانه كان اولا من خصوصيات الخليفة فهو الذى يبعث برسم ولاية
القضاء لمن يستحقه من صدور العلماء وائمة الفقه والتشريع ، وللقاضى التفويض فى
اصدار احكامه فى جمع الحوادث والقضايا التى من شأنها ان ترفع الى القضاء
من احكام الدماء او غيرها من المعاملات ، وله ان ينسب عنه من يتولى الحسبة
والشرطة وغيرها من المناصب التى تعينه على فصل النوازل والقضايا اليومية التى
تجرى بالقرى والاسواق . ولهذه الدولة عملتها الخاصة وسكنتها المضروبة
باسم ملوكها ، ولها علاقات ودية وتجارية مع دول اوربا المجاورة لها

حدود الجزائر الاغلبية

كان المغرب العربي منذ عهد الفتح الاسلامي الى انتصاب هذه الدولة منقسما الى خمسة اعمال : طرابلس ونواحيها الى حدود برقة ؛ وقسطلية وهي بلاد الجريد اليوم وعاصمتها مدينة توزر ؛ وتونس وما حولها من شمال القطر التونسي ؛ وبلاد السوس او المغرب الاقصى وعاصمته يومئذ مدينة طنجة ؛ والخامس من هذه الاعمال هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طبة وتارة بسكرة ويمتد الى جنوب عمالة قسنطينة ؛ وكانت الحدود الاغلبية بهذا القسم تمتد من سكيكدة شرقا الى وطن زواوة غربا ، ومن ميلة وسطيف شمالا الى شط الجريد جنوبا ، ويصح ان نقول هي عمالة قسنطينة بحدودها المعروفة اليوم مع شيء قليل من التغيير ، ولكل من هذه الاعمال عامل يتصرف في دائرته الخاصة به تحت سلطة دار الامارة العليا بالقيروان والباقي من ارض الجزائر موزع بين دولة الرستميين شرقا ودولة الادارسة غربا .

العصر الأبيض المتوسط



المغرب العربي في القرن الثامن والثالث الهجري - أوائل التاسع الميلادي -
(نقل وتعريب غالب الجيلالي ابن المؤلف عن تاريخ إفريقية الشمالية لأندري جوليان)

أهم الحوادث الجزائرية

ليس هنالك ما يهم ذكره في تاريخ الجزائر في هذا العصر سوى بعض الوقائع والاضطرابات التي حدثت بالزاب ، واغلبها يرجع الى نفور الشعب الجزائري من سوء معاملة السلطة الحاكمة المتمثل في ظلم بعض ولايتها وجورهم وقد قام بعملية القمع والزجر يومئذ ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب فقضى على اهل الزاب قاطبة كبيراً وصغيراً وحملهم على العجل - عربات النقل - فألقاهم في الحفر سنة ٢٦٨هـ - ٧٨١م كما اوقع ايضا بأهل بلد بلزمة - على مسافة ٢٧ كيلومترا في الشمال الغربي من مدينة باتنة - سنة ٢٨٠هـ - ٨٩٣م. وقام بمثل ذلك ابو العباس ابن ابراهيم الاغلب سنة ٢٨٦هـ - ٨٩٩م فأوقع بني بلطيط بسكرة فقاتلهم وشردهم في البلاد؛ ثم كان منه بعض اصلاح لما جرت هذه الوقائع من التخريب والتدمير وعاد ابو عبد الله الاغلبى بأمر والده ابراهيم بن احمد الى اهل الزاب فحمل عليهم في جيش عظيم سنة ٢٨٨هـ - ٩٠١م ثم كان استيلاء محمد بن خزر الزناتي وتغلبه على الزاب سنة ٣١٩هـ - ٩٣١م فسقطت بسكرة بيده . وذلك كله يعود الى انزعاج الاهالي من جور الحكومة وشططها في المغرم وتأنيها عن طبقات الشعب المغربي . ويمكن ان يلاحظ كذلك ما حدث يومئذ ٢٥٣ - ٢٦٥هـ (٨٦٧ - ٨٧٨م) من القحط والجذب الشديد الذي عم المغرب والاندلس وما عقبه ايضا من المجاعة الكبرى التي حملت الناس على اكل بعضهم بعضا ...! فاذا استحضرتنا كل ذلك علمنا اسباب الاضطراب الواقع يومئذ بالجزائر ايام بني الاغلب

ظهور ابي عبد الله الشيعي

لقد كان جميع ما تقدم ذكره من الظروف القاسية التي احاطت بالشعب الجزائري وما كان من تعسف بعض امراء بني الاغلب فرصة سانحة لظهور دعاة الشيعة في الجزائر وانتشار مبادئ دعوتهم بها، والتبشير بقرب انهيار ملك الاغلبة وظهور المهدي المنتظر وقيام حكومة عادلة تحت طاعته وامره ، فكان ظهور هذه الدعوة الشيعية اولا بوادي الرمل (سوق حمار) بنواحي قسنطينة ، وممر حاجنة - ما بين حجاجة وسببية - سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م ، ثم كان ظهور داعي الدعاة الاكبر ومعتمد المهدي العبيدي بهذه البلاد ابي عبدالله الشيعي الصنعاني ، فظهر بارض فرحيوة من بلاد كتامة (١) منتصف شهر ربيع الاول سنة ٢٨٠ هـ - اوائل جوان ٨٩٣ م ، وقد سبق له التعرف ببعض رؤساء هذه القبيلة العتيدة في الحج فنزل عليهم ضيفا مكرما واخذ في نشر دعوته بينهم عشر سنين الى ان اقتضح امره للامير ابراهيم الاغربي فبعث الى عامله على الزاب موسى بن العباس يستطلعه خبر ابي عبدالله الشيعي ، فهون هذا عليه الامر واجابه بان الرجل بعيد عن مضان التهم ؟! وانه رجل دين وتقشف لاغير ، فلم يقنع الامير الاغربي بجواب عامله ولم يطمئن لتعليله هذا فبعث من يكفيه مؤونة الشيعي بمخالطته والاتصال به حتى يقف على حقيقة امره بنفسه فكان الامر كذلك ، وبعد ما اتضح امر الشيعي وانكشف حاله خاطبه الامير بواسطة رسوله هذا قائلا له : ما حملك على التعرض لسخطي والوثوب على ملكي وافساد رعيتي والخروج علي ؟... فان كنت تبغي عرضا من عرض الدنيا فانك تجده عندي ، وان كان قصدك غير ذلك فلقد علمت عواقب من سولت له نفسه ما سولت لك نفسك . وانما اردت الاعتذار

(١) هي من أشهر القبائل الجزائرية الكبرى، تسكن الفحوص والسهول والجبال فيما بين قسنطينة وبجاية ، يوجد منها بعض البطون بجبال اوراس ، وهي من اشد القبائل بأسا واطوها باعاً في الملك ؛ ولها افخاذ وبطون منتشرة بالمغرب الاوسط

اليك ، وهذا اول كلامي لك وآخره فانظر في يومك لغدك !... فاجاب الشيعي رسول الامير بقوله : قد قلت فاسمع وبلغت فأبلغ ، اما ما ذكرت من التهديد فما انا ممن يروع بالايعاد ؛ واما تخويفك ايدي برجال دولتك ابناء حطام الدنيا فاني في انصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا تروعهم كثرة انصار الظالمين مع قول الله عز وجل (**ك**م من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) واما اطماعه لي في دنياه فاست من اهل الطمع فيما عنده ، انا بعثت رسولا لامر حم وقرب وانجاز وعد من الله سبق والله لا يخلف الميعاد . هذا جواب ما جيئت به . وما كاد ينتشر تصريح الشيعي هذا بين الاوساط الاغلبية حتى تأمروا على قتله والفكك به لولا ان فرقتهم السياسة ، فخاص يومئذ داعي الشيعة الى غرضه ونجح ...

محااربة الشيعي

وبعد ما تحقق الاغلبة الخطر في جانب هذا الداعي الشيعي الكبير وادركوا ان ملكهم مهدد بالزوال عزموا على مقاتلته فخرج اليه ابو عبد الله الاحول بن الامير الاغلب سنة ٢٨٩ هـ - ٩٠٢ م فنازله بنواحي طبنة ، على نحو اربع كيلومترات من شمال بريكة ، وكان النصر بينهما سجالا ...

زحف الشيعي على عمالة قسنطينة

وفي نفس التاريخ غزا ابراهيم الاصغر جزيرة صقلية وخلف ابنه ابا العباس وصيا على العرش واوصاه بمراقبة موقف الشيعة من المملكة والدفاع عن الحوزة وكان من المقدّر ان توفي الامير الاغلب في غزوته هذه سنة ٢٨٩ هـ - ٩٠٢ م ، ودفن بصقلية فخلفه ولده ابو العباس على امارة افرقية ، فسكن الشيعة يومئذ الى ان تهيأت لهم الفرصة باشتغال الامير ابي العباس بولده ابي مضر والي صقلية حيث

انكسر عليه والده اشياء فعزله وادخله السجن سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٣ م ، فاغتاز
لذلك ابومضر وعمل الحيلة للتخلص من السجن والقضاء على والده فقتله وجلس
على عرش الاغالبة بالقيروان ليلة الاربعاء ٢٩ شعبان ٢٩٠ هـ - فاتح جولييت ٩٠٣ م
واعمل السيف في جميع من كان مضنة الخروج عليه من اهلهم واقاربه وبني عمه
ويومئذ اندفعت الشيعة لاختلاس الفرصة من بين هذه الظروف والزواجم الحرجة
القائمة يومئذ في بيت الملك فزحف ابو عبد الله الشيعي على بلاد كتامة
فاحتلها ودخل ميله وباغاية وسطيف وبلغت جيوشه الى محانة فاصبحت جميعها تحت
طاعته وامره .

منازلة كتامة

استمرت الوقائع والحروب بين جموع الشيعة والاغالبة بنواحي كينونة ؟ ...
وكان النصر فيها للشيعة ، ويومئذ حشد زيادة الله الثالث جموعه وقياله وجههم
كلهم تحت قيادة حاجبه ابي المقارع ومعه شبيب القمودي وخفاجة العبسي يعاضدانه
وخرجت الكتائب سنة ٢٩٣ هـ - ٩٠٥ م ، لمقاتلة كتامة الممالة يومئذ للعدو
فكانت هنالك وقائع حربية هائلة قتل فيها عدد عظيم من الطرفين وكان ذلك
مقدمة لانهار قوى الاغالبة وضعفها بالمغربين : الجزائر وتونس .

المذاهب والعقائد

لا يخفى ما كان لقاضي قضاة الخلافة العباسية ابي يوسف صاحب ابي حنيفة
من نفوذ الكلمة والسلطة والمشورة عند خلفاء بغداد والمقام السامي الذي كان
يحتله بين رجال البلاط العباسي وخاصة الخليفة الرشيد نفسه المسيطر على جميع
الولايات الاسلامية يومئذ ، وما الامارة الاغلبية الا صنيعته ، فكان من الطبيعي
ان تأخذ هذه الامارة بتقاليد دار الخلافة فتقلدها فيما تدين به من المذاهب
والعقائد وخاصة في تشريع الاحكام والقوانين التي يجرى عليها نظام الحكم في

البلاد ؛ فكانت الدولة الاغلبية بذلك حنيفة ؛ ثم انه لا يخفى كذلك ما كان يتمتع به تلامذة المدرسة المالكية من الحجة والحرمة والتقدير عند الشعب خاصة ، مثل ابي القاسم الزواوي تلميذ الامام مالك ، واسد بن الفرات وسجنون بن سعد ، وما قام به ادريس بن عبد الله الكامل بالمغرب الاقصى من نشر المذهب المالكي واخذ الامة المغربية به ، وما كان كذلك ليحيى الليثي من الحضوة والسلطان لدى خلفاء بني امية بالاندلس الخ فكل ذلك كان عاملا قويا في نشر المذهب المالكي بالمغرب ، فاجتمع يومئذ بالمغرب المذهبان الحنفى والمالكي وقد عرف الناس مع ذلك مذهب الشافعي وداود ولكنه بقله ، وفي ذلك يقول عياض في مقدمة كتابه المدارك :

واما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يفتشوا الى ان جاء سجنون فغلب في ايامه ، وفرض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في اصحابه فشاع في تلك الاقطار الى وقتنا هذا (٤٧٦-٤٤٤هـ) وكان بالقيروان قوم قلته في القديم اخذوا بمذهب الشافعي ، ودخلها شيء من مذهب داود (الظاهرى) ولكن الغالب عليها اذ ذاك مذهب المدينة والكوفة . وروى ابن البزاز الكردرى في تاريخه بسنده عن عبد الله بن عبيد الله قال : رايت ابى يناظر في المسجد الحرام رجلا غريبا في المسائل الدقائق وحوله جماعة ، فقال له ابى من اين انت ؟ قال من طنجة اقصى بلاد المغرب ليس وراءه اسلام ، من مكّة على راس الف وخمسمائة فرسخ او اكثر ، قال كيف وقعت هذه الدقائق عندهم ؟ قال وقعت عندنا كتب الامام ابى حنيفة رضى الله عنه ؛ وقد تذكر عندنا اقاويل الامام مالك والاوزاعى ، وفتوانا على راي ابى حنيفة (١) وطالما شاهدنا الخلاف قائما بين اتباع

(١) مناقب الامام الاعظم لابن البزاز الكردرى ج ٢ ص ١٠٥ ط حيدر آباد الدكن ١٣٢١هـ

المذهبيين المالكي والحنفي وكثيرا ما تفاقم الخلاف والجدل بين الحاكم والمحكوم حتى بالغ الولات في البطش بمخالفهم الى حد القتل في بعض الاحيان ، ولكن المالكية تصلبوا في التمسك . بموقفهم الى النهاية . ولقد استمر مذهب اهل العراق سائدا بالمغرب بجانب المذهب المالكي الى اواخر القرن الثالث الهجري حيث افل نجمه الى العهد التركي في القرن العاشر الهجري

وكانت العقائد ومباحث اصول الدين بعيدة عن الاراء الفلسفية والمذاهب الاعتزالية فالايمان البسيط الظاهر عندهم كاف في صحة عقيدة المسلم ، وكيف يستطيع اهل الجدل الديني التظاهر بعقيدتهم او المناظرة في علم الكلام في دولة منع قاضي قضاتها الصلاة خلف المتكلمين الذين يجادلون في الصفات ؟ ..

الثقافة والحضارة والعمران

يمتاز عصر الاغالبية هذا بكثرة عقد الرحلات في طلب العلم . وكتب التراجم حافلة بذكر اسماء العلماء من اهل المغرب الذين اخذوا عنهم عن مالك وابن القاسم ومحمد بن الحسن وسفيان بن عيينه واضرابهم من ائمة المشرق ؛ وشاع يومئذ بين الناس التعليم العام والخاص في المساجد والكتاتيب وغيرها وعلى الخصوص علم الفقه والتشريع لشدة حاجة الناس اليه يومئذ حيث انهم لا يزالون حديثوا عهد بنظام الاسلام وقوانينه التشريعية . فكثير من الجزائريين الذين اشتهروا بالتفوق الادبي وحازوا على الرئاسة في العلم ببلدهم وفي غيرها كذلك، مثل محمد بن حسين الطنبلي وإسحاق المشونى واحمد بن علي الباغائي وابى القاسم يوسف البسكري وابى الفضل عطية الطنبلي وهو القائل :

قالوا التحى وانكسفت شمسه وما دروا عذر عذاريه

مرآة خديبه جلاها الصبي فلاح فيها في صدغيه

كما انتشرت يومئذ بالمغرب علوم الحكمة والفلسفة والطب على يد العالم الحكيم

ابن يعقوب اسحاق بن عمران البغدادي فقد استدعا الامير زيادة الله الثالث لمعالجته حين اصاب بمرض اعجز الاطباء علاجه ، ف جاء هذا الى القيروان ومعه ابوالحسن بن حاتم؛ وكان ابو يعقوب ماهرا حاذقا في صناعة تأليف الادوية المركبة والبسيطة بصيرا بترقية العمل واسع الاطلاع على علوم الفلسفة جيد القريحة فاستوطن القيروان سنة ٢٩٣هـ - ٩٠٥م وبها الف كتبه ونشر علمه وعنه اخذ المغاربة الطب والفلسفة ؛ ولا ننس كذلك فضل علي بن نافع الملقب بزرياب وما جاء به من علم وفن الى بلاد المغرب ايام مكثه بالقيروان في طريقه الى الاندلس؛ وكان مما زان هذا العصر ايضا نبوغ احمد بن الجزار صاحب كتاب « زاد المسافر » الجامع للمعلومات الطبية المتعارفة في وقته واليه يرجع الفضل في انتشار هذه العلوم بأوروبا إبان القرون الوسطى كما اعترف بذلك كبار دكاترة الغرب انفسهم. وتعتبر اعمال هؤلاء جميعا هي النواة الاولى لتأسيس دار الحكمة في القيروان ثم ان هذه الدولة عرفت كيف تستثمر خلاصة حضارات من تقدمها من الدول العظيمة الكبرى التي حكمت هذه البلاد مثل دولة الفينيقيين والرومان ، فانها انتفعت بما احده هؤلاء من سبل وجهازات للرى ، وبما جاء به الاعاجم كذلك من صناعات النسيج والطرز وبما خلفه الكنعانيون من اساليب التجارة في البر والبحر والزراعة وغيرها من صناعة البناء (١) فأحدثت المساجد والاسوار

(١) جاء في كتاب التاريخ العام للعالمين : لافيس ورامبو ، ان انكثرا الانكلوساكسونية في القرن السابع الميلادي الى ما بعد العاشر كانت فقيرة في ارضها منقطعة الصلة بغير بلادها ، سمجة وحشية تبني البيوت بحجر غير نجيح وتشيدها من تراب مدقوق وتجعلها في وطم من الارض ... ولم يكن الناس احسن مسكنا وامنا من الحيوانات ، وكانت البيوت في باريس ولندن تبني من الخشب والطبن المعجون بالقش والقصب ولم يكن فيها منفذ ولا غرف مدفئة . وقد اعترف المنصفون من عفاة اوروبا بأن كل ما كان بعد ذلك من اشراق وفن وجمال في حضارة اوروبا ورقبها المادى والادبى إنما كان مطلعها شمال افريقية في عهدها العربى الاسلامى وذلك لان المدينة الغربية تكونت بعد فتوح العرب للاندلس وجنوب فرنسا وصقلية وسواحل ايطاليا وسائر جزر البحر الابيض المتوسط ، وكل هذه الفتوحات ما عدا جزيرة قبرص صدرت عن شمال افريقية كما تشهد لهم بذلك آثارهم الباقية ببعضها الى اليوم

والقصور والمنائر (١) وتمهدت الطرق وعبدت السبل واسست المدن مثل العباسية بالجزائر قرب تاهرت ٥٢٢٧ - ٨٤١م وغيرها بولاية تونس وكان السفر مأمونا والاميال معلومة ؛ فان طول المسافة من القيروان الى السوس الادنى على المحيط الاطلسي يبلغ الفين ومائة وخمسين ميلا ، وكان على طول مسافة الساحل محارس ومخافر لجند الحماية ، وكانت الصناعات مثل الحدادة والنجارة والنقش والحياكة والتعدين منتشرة في انحاء المملكة فانهم كانوا يستخرجون من معادن حجارة وبوتة وغيرهما انواع الحديد والرصاص والفضة والكحل ، ومن مرسى الحُرز - القالة - انواع اللؤلؤ والمرجان مما لم يتفق لغير هذه الدولة ممن حكم هذه البلاد من قبل وقد بلغ خراج الفدان (٢) الواحد على عهد ابراهيم بن الاغلب ١٨ ديناراً ، وكان مبلغ خراج ارض افريقية وجبايتها في اوائل القرن الثالث ١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهماً و١٢٠٠ بساطاً وكل ذلك يدلنا على سعة ثروة البلاد ورفاهيتها

(١) هي مواقيد بنيت على رؤوس الجبال العالية بحيث يتقارب بعضها ويشرف بعضها على بعض ، ويقال لها ايضا القباب والمنابر ، يقام فيها حراس يستعملون المرايا لارسال العلام بالنيار عندما يرون حدوث شيء مهم بجهتهم ؛ ويوقدون النيران بالليل ، وهكذا يفعل الذين يلزمهم ثم الذين يلونهم الى ان يصل الخبر الى المدينة او الثغر او المسلحة في زمن قاتل فقد كانت الرسائل تصل من سبته الى الاسكندرية بواسطتها في مدة اقل من اربع ساعات ، وقد كان بالمغرب يومئذ نحو العشرة آلاف منار ، وكلها كانت مبنية بالحجارة والكاس وعليها ابواب من حديد ولم تكن هذه المنائر معروفة عند المسلمين الا في البلاد التي كانت تابعة للدولة البيزنطية من قبل

(٢) مساحة من الارض تقدر بـ ٤٢٠٠ مترا مربعا

انهيار الدولة الاغلبية

ان اهم ما اضر بهذه الدولة وكان سببا مباشرا في سقوطها هو معاملتها القاسية للشعب واخذها له بالعنف والتضييق عليه في ضرب المغارم والاتاوات الباهضة واثارة مشاعره بالعصية العربية والتعصب المذهبي مع اتخاذ الجند المأجور الذي لا يتحرك الا عن طمع وجشع فلاحية دينية تبعته ولا حفيظة او حماسة وطنية تجرؤه انما هو اجير ، ومتى اجارك اجير ؟ .. ويلاحظ على الدولة في قصر نفوذها واكتفائها في حكم المغرب الاوسط ببسط يدها على قسم من نواميد الشرق فقط ؛ مع سوء سلوكها مع اهل الزاب وبلزمة من ايقاعها بهم واهلاكهم سنة ٢٨٠هـ - ٨٩٣م كل ذلك مما زاد في نفور الرعية وهيجان كتامة والتغالي في تصليبها وتمسكها بالدعوة الشيعية ؛ ثم كان القضاء المبرم الذي قضى به زيادة الله الثالث على دولته بالدمار وهو الموقف الشنيع الذي وقفه تجاه والده وغالب رجال البيت الاغلبى من القضاء عليهم باراقة دمهم جميعا وهتكه لحرمت الملك بتهتكه في الخلعة والانهماك في الشهوات حينما كان الشيعة يقيمون سراعا في مواقفهم الحربية متصرين على خضوعهم ، فكان هذا كله فرصة لابي عبدالله الشيعي لاذاعته في القوم فكرة التحرر والاستقلال عن الدولة العباسية وانتظار المهدي المنتظر وبثه فيهم مذهب الاسماعيلية فتغلغل فيهم عقائد الشيعة وتجمع الناس حول الداعي ابي عبدالله وكانت هنالك حروب خرج لها زيادة الله الثالث في ثمانين الف مقاتل ، فالتقى الجمعان بنواحي الاربس - قرية بنواحي الكاف بتونس - وهنالك دارت بينهم رحى الحرب فكانت هذه الواقعة هي المعركة الفاصلة في مستقبل البلاد فانهمزم الاغلبة فيها شر هزيمة وخرج زيادة الله هاربا من رقادة (١) مصحوبا باهله وذويه ليلة الاثنين

(١) مدينة أسسها ابراهيم الاصغر سنة ٢٦٤هـ - ٨٧٧م تبعد عن القيروان بشمانية اميال

جنوبا وهي اليوم اطلال

٢٦ جمادى الثانية ٢٩٦ هـ - مارس ٩٠٩ ، وذهب بعدها الى بيت المقدس وسقطت مملكة الاغالبة بما فيها - الجزائر - بيد الشيعة . فكانت مدة حكمهم ١١١ سنة وثلاثة اشهر .

ولاية الجزائر وزعمائها

لم تكن سلطة الاغالبة في الوطن الجزائري لتتعدى حدود عمالة قسنطينة كما ذكرنا ، وكانت عاصمة الجزائر الاغلبية يومئذ هي مدينة طبة على نحو اربع كيلو ميترات شمال بريكة وقد تولاهما لهذا العهد الاغلب بن تميم ، ثم المخارق بن غفار الطائي ، ثم المهلب بن يزيد من آل المهلب بن ابي صفرة ثم ابراهيم بن الاغلب ثم عمر بن حفص المهلب المعروف بهزارمرد ، وكان من ولاتها ايضا منصور الترمذى فانتقض يوما على زيادة الله الاول وسار الى تونس فملكها سنة ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م ؛ ولما فتح الشيعة طبة كان بها يومئذ امير مسالة : الفتح بن يحيى فقتله الشيعي ؛ وكان على بلد ميلّة رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبد الصمد فقتله الشيعي ايضا وولى مكانه ماكون بن ضاربة ؛ وكانت ولاية سطيف لبني اسد بن خزيمه وآخرهم علي بن جعفر بن عسكوجة واخوه ابو حبيب ، وكانت ولاية بلزمة في بني تميم ومواليهم وكانت ولاية المسيلة وميلة لموسى بن العياش فقتله الشيعي في غزو لهاته . وكان من امراء كتامة لهذا العهد عروبة بن يوسف ؛ وعلى باغاية هرون الطنبلي : وكان على الزاب سالم بن غلبون فقتله الاغالبة مع ولده ازهر بسبب ثورتهمما عليهم سنة ٢٣٣ هـ - ٨٤٧ م . وكان من ولاية الزاب ايضا احمد بن سودة المتوفى سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م

امراء الدولة الاغلبية

تاريخ التولية

جماى الثانية - جوان ١٨٨٤هـ - ٨٠٠م	ابراهيم بن الاغلب
صفر - اكتوبر ١٩٩٧هـ - ٨١٢م	ابوالعباس عبد الله الاول
ذو الحجة - جوان ١٢٠١هـ - ٨١٧م	زيادة الله الاول
١٤ رجب - ١٢ جوان ١٢٢٣هـ - ٨٣٨م	ابوعقال الاغلب
٢٢ ربيع الثانى - ١٨ فيفري ١٢٢٦هـ - ٨٤١م	ابوالعباس محمد الاول
٢ محرم - ١١ ماي ١٢٤٢هـ - ٨٥٦م	ابوابراهيم احمد
١٣ ذى الحجة - ٢٨ ديسمبر ١٢٤٩هـ - ٨٦٣م	زيادة الله الثانى
٢٠ ذى القعدة - ٢٣ ديسمبر ١٢٥٠هـ - ٨٦٤م	ابوالغرانيق محمد الثانى
٦ جماى الاولى - ١٦ فيفري ١٢٦١هـ - ٨٧٥م	ابراهيم الاصغر
شعبان - جولييط ١٢٨٩هـ - ٩٠٢م	ابوالعباس عبد الله الثانى
رمضان - جولييط ١٢٩٠هـ - ٩٠٢م	زيادة الله الثالث

مشاهير الجزائريين

اسحاق الملقب

أواسط القرن الثالث الهجري

(أواسط التاسع الميلادي)

هو شيخ امراء بنى الاغلب ونديم بلاطهم اسحاق بن ابي عبد الله عبد الملك الملقب نسبة الى ملسون قرية من قرى بسكرة قرب تهودة وهي يومئذ حاضرة العلم؛ كان اسحاق هذا عالما ثقة مؤرخا ثبتا ذا دراية ومعرفة واسعة بفن التاريخ والمحاضرات، كان يحمل عنه وعن ابيه العلم، اخذ عن والده وعن مشائخ بلده، كما جالس الامام سحنون بالقيروان واخذ كل منهما عن صاحبه قال ابو العرب كان ابو القاسم بن شبلون الفقيه رضى الله عنه يروى فيما كان يرويه ان سحنون بن سعد دخل على محمد بن الاغلب الامير اول يوم من شهر رمضان فالتقى الامير خاليا، فقال له: اراك ايها الامير خاليا، فقال نعم، انقردنا في هذا الشهر المعظم وخلونا فيه وتركنا ما كان لغير الله عز وجل، فقال سحنون: فأين انت ايها الامير من اسحاق الملقب يحدثك بأخبار الامم السالفة والاعوام الماضية؛ فأمر محمد بن الاغلب باحضاره، فكان يحضر عند محمد بن الاغلب في كل يوم يحدثه بذلك حتى انقضى شهر رمضان؛ قال ابو العرب: وسمعت بعض المشائخ ممن يروى البرىء من الاخبار يحدث عن اسحاق بن عبد الملك الملقب انه قال: لم يدخل افريقية نبي قط، واول من دخلها بالايمن بعض حواربي عيسى بن مريم عليه السلام (١) فأين زعم القائلين بوجود قبر النبي خالد بن سنان بالقطر الجزائري ودفته حيث الضريح المنسوب اليه المشهور قرب بسكرة؟...

نعم روى ابو العرب في طبقاته والمالكى في رياضه كلاهما عن قاضى افريقية
الثقة عبد الرحمن بن زياد بن انعم المتوفى سنة ١٦١هـ - ٧٧٧م . انه قال : كنت
امشى وانا غلام مع عمى بقرطاجنة فإذا بقبر مكتوب عليه بالجميرية : «انا عبد الله بن
الاراشى رسول رسول الله صالح بعثنى الى اهل هذه القرية ادعوهم الى الله ،
اتيتهم ضحى ، قتلوني ظلما حسبهم الله» وقيل ان شعيبا هو الذى بعث عبد الله
ابن الاراشى . والاراش فخذ من بلي (١) ولم نعر على اى رواية صحيحة ثبت
لنا صحة نسبة القبر الى خالد بن سنان العيسى؛ (٢)

محمد بن حسين الطنبى

٥٣٩٤هـ - ١٠٠٤م

الاديب الكبير والشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن حسين بن محمد الطنبى
نسبة الى طنبه عاصمة الزاب الجزائرى ولد بها سنة ثلاثمائة او ٣٠٣هـ ...
وصفه ابن بشكوال بسعة العلم والتبحر فى الادب وقال : انه لم يصل الى
الاندلس اشعر منه ، وكان اتصاله بالاندلس سنة ٣٢٥هـ وكانت وفاته منسلخ
شهر ذى الحجة سنة ٣٩٤هـ - اكتوبر ١٠٠٤م وشاهد جنازته المظفر عبد الملك
بن ابي عامر فى اهل دولته وصلى عليه ابن فطيس رحمهم الله جميعا

(١) طبقات علماء افريقية ص ٧ ط باريس ١٩١٥م ورياض النفوس ص ٥ ط القاهرة ١٩٥١م

(٢) راجع ص ١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١ من كتابنا هذا

جدول تاريخي

١٨٤ - ١٢٩٦ هـ

٨٠٠ - ٩٠٩ م

أهم الحوادث	تاريخ الحوادث
تأسيس الدولة الاغلبية (جمادى الثانية - جوان)	٨١٨٤ - ٨٠٠ م
استيلاء منصور الترمذى - والى طبة - على تونس	٨٢٠٧ - ٨٢٢ م
انشاء مدينة العباسية - قرب تيهرت - قضى عليها الرستميون	٨٢٢٧ - ٨٤١ م
اشتداد ازمة القحط بالمغرب العربي كله ، وقد دام سنوات	٨٢٥٣ - ٨٦٧ م
فتك ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب بأهل الزاب	٨٢٦٨ - ٨٨١ م
ظهور الدعوة الشيعية بنواحي قسنطينة	٨٢٧٩ - ٨٩٢ م
ظهور ابي عبد الله الشيعى بأرض فرجيوه من بلاد كتامة	٨٢٨٠ - ٨٩٣ م
مقاتلة الحكومة لبنى بلطيط ببسكرة	٨٢٨٦ - ٨٩٩ م
مقاتلة اهل الزاب	٨٢٨٨ - ٩٠١ م
منازلة الدولة لابي عبد الله الشيعى بنواحي طبنه	٨٢٨٩ - ٩٠٢ م
سقوط بلاد كتامة وميلة وباغاية وسطيف ومجاعة بيد الداعية الشيعى	٨٢٩٠ - ٩٠٣ م
انتقام الدولة من كتامة	٨٢٩٣ - ٩٠٥ م
انهيار الدولة الاغلبية ووقوعها بيد الشيعة (٢٦ جمادى الاولى مارس)	٨٢٩٦ - ٩٠٩ م

الدولة العبيدية - الفاطمية -

٢٩٦ - ٥٣٦١

٩٠٩ - ٩٧٢

نشأتها

تتسب هذه الدولة - حسب اسمها - الى عبيد الله المهدي الشيعي مؤسس الخلافة العبيدية بالمغرب ، وجد الخلفاء الفاطميين (١) بالمشرق ؛ فهو عبيد الله ابن احمد بن اسماعيل الثاني بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ؛ على ما في هذا النسب من جدل وخلاف ؟... ولد عبيد الله بالسلمية من بلاد الشام وقيل ببغداد سنة ٥٢٦ - ٨٧٣ م ؛ وبني خطته السياسية على فكرة القول بالامام المهدي المنتظر وما يحيط بها من غموض وخفاء ، وكثيرا ما استعملت هذه الفكرة في انشاء دول وعصبيات سياسية لترويج دعوتها والقضاء على غيرها ؛ وهي فكرة شيعية محضة والشيعية لقب اصطلاحى خاص باحدى الفرق الاسلامية التي ترتكز في دعوتها السياسية والاجتماعية والدينية ايضا على تفضيل علي بن ابي طالب رضى الله عنه وتقديمه على غيره من الصحابة ؛ وانه الوصى على الخلافة وانها مستمرة في عقبه الى النهاية ، وان الخلفاء من نسله معصومون الخ... وكان من فرق الشيعة المشهورة طائفة الاسماعيلية الملقبة بالباطنية ذات البدع الشنيعة في الاسلام ، القائلة بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، مع انه مات قبل والده... وذلك توصلا منهم الى انتقالها في عقبه المتحدر منه عبيد الله المهدي مؤسس هذه الدولة ؛

(١) تسموا بذلك تعريضا بالعباسيين ؛ فقد يقول هؤلاء انهم ابناء العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم لا يتطاولون الى الانتماء الى فاطمة الزهراء ، فهو انتماء الى بيت النبوة ذاته ، وليس هو كالانتماء الى الاعمام ...

ولا تزال طائفة الاسماعيلية هذه قائمة الى اليوم في بلاد العجم والهند والشام
يراسها «آغاخان» الزعيم الدينى الهندى المشهور المقيم الآن بباريس
فى الوقت الذى كان عبيد الله المهدي مضطهدا من طرف العباسيين بالشرق
مختفيا عن اعين الناس مطاردا ؛ كان داعيته الاكبر ابو عبد الله الصنعاني الشيعى
بالمغرب يعمل على توطيد الدعوة الشيعية وتركيز الخلافة وتهيتها لسيدته المهدي ؛
ولما اطمأن بنجاحه فى الدعوة بعث الى عبيد الله يستقدمه - وهو يومئذ مختفيا
بمصر فخرج المهدي مع ولده ابي القاسم وابى العباس احمد اخ الصنعاني
فارتحلوا جميعا فى زى التجار وجاؤوا الى طرابلس فمكث بها ابو العباس وارتحل
عنها المهدي وولده الى قسنطينة ثم الى سجلماسة - تافيلالت - وهناك وقع فى
قبضة صاحبها اليسع بن ميمون المنتصر من بنى مدرار عامل بنى العباس ؛ وسريعا
ما اتصل الخبر بالصنعاني فاستقدم اخاه من طرابلس فخلفه على ولاية رقادة
وخرج يحجج وراءه جيشا اضطرب له المغرب الاوسط ، ففضى على دولة بنى رستم
وامتلك تاهرت وانتحى بجيشه ناحية المغرب الاقصى فاستولى فى طريقه على
عدة مراكز وتابع سيره الى سجلماسة فشن عليها الغارة وقضى على عاملها اليسع
وخلص الى المهدي وولده فانقذهما من الاسر ورجع بهما الى رقادة ، فدخلها
المهدي راكبا على فرس ورد وعليه ثوب خز اذكن وعمامة مثله متعلا نعلا
عربية وخلفه ولده ابو القاسم مرتديا ثوب خز خلوقى وعمامة مثله وتحت فرس
اشقر ؛ متقدما امامهما الصنعاني على فرس كميت وعليه ثوب توتي ، وظاهرة كتان
وعمامة ومنديل اسكندراني وبعدة سبئية يمسح بها العرق والغبار عن وجهه
والناس بين يديه يسلّمون وهو يقول : هذا مولاكم حتى ائزله المخيم برقادة ،
وهناك كانت البيعة له بأمر المؤمنين وذلك يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني ٢٩٧هـ -
٩ جانفي ٩١٠م فكان بذلك اول من اعلن مزاحمة الخليفة العباسي فى لقبه ؛
ولقد اتصف عبيد الله بقوة البنية وجمال السمات والهيبة ، كما اتصف ايضا باليقظة

واصله الراي والعلم مع سعة الحيلة ورباطة الجأش وشدة الحزم فأعانت صفاته الخلقية هذه وما اعتمده في دعوته من الوسائل الدبلوماسية التي لم يسبق اليها سابق ولم يهتد اليها احد قبله على انشاء دولته التي اقامها بين اكثر من ست دول اسلامية وغيرها كلها تحاربها وتخشى عاقبتها

نظام الحكم

قامت هذه الدولة الشيعية على كاهل فن التخذيل او كما يسمى في العصر الحديث «الطابور الخامس» فكانت لذلك اعظم واجل رتبة بها هي وظيفة داعي الدعاة، لا يفضلها الا مقام قاضي القضاة او الخليفة نفسه الذي يعتقدون فيه العصمة، ولم يكن لهذه الدولة وزراء الا بعد انتقالها الى مصر في عهد الخليفة العزيز بالله، وهناك خطة صاحب المظلة يختار لها فارس يحاذي الملك في سيره من حيث كانت الشمس، ولا يعلم احد من الملوك اتخذ هذه المظلة المكللة قبل بني عبيد، وفي ذلك يقول ابن هاني الاندلسي من قصيدة يمدح بها الخليفة المعز العبيدي :

وعلى امير المؤمنين غمامة نشأت تضلل تاجه تضليلا

نهضت بمنل الدرع ضوعف نسجه وجرت عليه عسجدا محلولا

وفي القصر منشوون وكتاب لا يقل مرتب احدهم عن ثلاثين ديناراً لكل شهر ولرئيسهم مائة وخمسون ديناراً، ولجلب الخراج والحباية والمغرم وقبض الزكاة موظفون آخرون. وللعمل بالبلاد اناس هم غالباً من سكان البلاد الوطنيين واكثر الجند متجمع من قبيلة كتامة الشديدة البأس، وكان ابو عبد الله الصنعاني اذا اراد ان يركب للحرب نادى مناديه : يا خيل الله اركبوا، وكتب على اخذ الخيل «الملك لله» وعلى السلاح عدة الله» وعلى الراية البيضاء «سيهزم الجمع ويولون الادبار» ؟ وقد يكون على ألويتهم احياناً أهلة من ذهب في كل منها صورة سبع، وكان منقوشاً على خاتمه الذي يختم به السجلات «وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم». وللاسطول العبيدي ميزانية ضخمة

من خراج الاقطاعات الموقوفة عليه ولرؤساء المراكب مرتبات تبلغ العشرين ديناراً في كل شهر ؛ قال ابن خلدون : وكان لكل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ، ورئيس يدبر امر جريه بالريخ او بالمجاذيف وامر إرسائه في مرفئه ، فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفئها المعلوم ، وشحنها السلطان برجاله ، وانجاد عساكره ومواليه ، وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته ، يرجعون اليه كلهم ثم يسرحهم لوجههم ويتنظر اياهم بالفتح والغنيمة (١) وتمتاز هذه الدولة العربية الناشئة بالمغرب بالمحافظة على عاطفة الاهالي سكان البلاد الاصليين فأشركتهم في الادارة باسنادها مشيخة النواحي وادارة البزيد وحماية الفرسان اليهم ؛ ثم كان لهم التقدم في المناصب على غيرهم اثر الفتح الفاطمي بالمشرق . وللدولة بعد ذلك عملتها وسكتها المضروبة باسمها منقوش فيها « بلغت حجة الله » وعلى الوجه الآخر « تفرق اعداء الله » وهي مستقلة استقلالاً تاماً لا يسيطر عليها فيه احد ، وبقيام هذه الدولة في المغرب كان في العالم الاسلامي يومئذ ثلاث خلافات : خلافة العباسيين ببغداد ، وخلافة الامويين بالاندلس ، ثم هذه الخلافة العبيدية بالمغرب .

حدود الجزائر العبيدية

لاول مرة في تاريخ المغرب العربي اتحدت افريقية الشمالية تحت لواء دولة اسلامية واحدة ، وقد كان بالوطن الجزائري يومئذ اربع ولايات : ولاية المسيلة وهي تشتمل على مواطن زناتة بالزاب والحضنة ومواطن عجيصة ما بين سطيف وقلعة بني حماد ؛ وولاية باغاية المشتملة على وطن كتامة من نواحي عنابة وقلعة الى نواحي سطيف وجيجل ، وولاية اشير المحتوية على مواطن صنهاجة وما يجاورها من زواوة وزناتة ، وولاية تاهرت المشتملة على مواطن مغراوة ما بين مليانة ومازونمة ، وفرن وغالب زناتة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٣ ط بولاق ١٢٧٤ هـ

فتح عمالة الجزائر الشرقية

كان ابتداء ظهور الدعوة الشيعية بالجزائر حوالي سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م ، بواسطة الدعاة المنبئين في الاقطار المرسلين الى المغرب من طرف جعفر الصادق ، وكان ظهورهم اول مرة بناحية قسنطينة - سوق حمار - ما بين ارض مجانة وسببية ثم ظهر بكتامة ابو عبد الله الصنعاني ؛ المنتصر بقبائل لهيصة وغسمان المتحالفة معه ضد كل معاكس له في دعوته ، وهكذا استمر ابو عبد الله بذكائه وعزمه النادر في استمالة القوم اليه بدعوى التحرير من ربة السلطة الاغلبية والانتصار للدين حتى امتلك قلوبهم واكتسب مودتهم فاجتمعوا عليه وكثر عددهم حوله فأخذ حيثنذ في تأسيس مدينة بـ «ايكجان» قرب Chevreul الحالية بنواحي «فج مزالة» فجمع بها انصاره وسماها «دار الهجرة» ومنها زحف الى ميلة ففتحها سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٢ م . وجرت بينه وبين الاحول اخ ابى العباس الاغلبى حروب طاحنة ووقائع شديدة بنواحي سطيف وبلزمة انتصر فيها الاحول اولا ثم دارت الدائرة عليه فتغلب الشيعي وفتح طنبنة عاصمة الزاب - على نحو اربع كيلومترات شمال بريكمة - واحتلها صلحا في آخر ذي الحجة سنة ٢٩٣ هـ - اكتوبر ٩٠٦ م واظهر لاهلها التقشف والتعصب للكتاب والسنة واتهاج مناهج العدل والاستقامة فتمسك به القوم ورغبوا في توليه عليهم ؛ وفي شعبان سنة ٢٩٤ هـ - ماي ٩٠٧ م خرج الشيعي من طنبنة في جموعه فاستولى على بلزمة وباغاية ومنها توجه الى مسكيانة وتبسة ، وهناك جاءته الوفود من اهالي مدينة سطيف مستأمنة على نفسها فأمنها بعد ما هدم المدينة ، ثم استولى بجنوده واتباعه على تيجس ومرماجنة وقسنطينة ومجانة وسائر بلاد الجزائر ونواحيها الشرقية ، ومنها اندفع الى ناحية تونس وقفصة وكان معه يومئذ ما ينيف على مائتي الف جندي ؛ وهنالك التقى بجيش الاغلبية الذي كان يبلغ نصف العدد وكانت المعارك بينهم بالاريس فانتصر عليهم الصنعاني بجيوشه واحتل القيروان

في اواخر جمادى الثانية ٥٢٩٦هـ - مارس ١٠٠٩م وتقدم في رجب - افريل الى رقادة دار ملك الاغالبة فقبواها ، فكان ذلك آخر العهد بدولة بني الاغلب

فتح عمالة الجزائر الغربية

بعد ان ظفرت الدولة العبيدية بالمملكة الشرقية من الجزائر الى تونس حولت انظارها الى امتلاك الحجة الغربية؛ فجهزت لها جيشا عتيذا بقيادة عروبة بن يوسف الكتامي فاحتل مملكة الرستميين وقضى على امامة الخوارج بها لتناقض الفكرتين فيها، وجعلت ولاية العاصمة تاهرت الى ابني حميد دواس بن صولات اللهيصي والسيد الصغير ابراهيم بن محمد المعروف بالهوارى . وفي سنة ٥٢٩٧هـ - ١٠٠٩م هجم محمد بن خزر الزناتى امير مغراوة في قبيله على تيهرت فهزمه واليها ابو حميدة واسره في قومه بحصن ابن بخاتمة - المعروف بتاهرت القديمة - ثم اجهز عليهم ونجا ابن خزر بنفسه ، وفي سنة ٥٢٩٨هـ - ١٠١٠م نهض التاهرتيون ضد عامل الشيعة العبيدى فخرج منها العامل ملتجئا الى حصن ابن بخاتمة واسند اهلها رآستهم الى امير مغراوة محمد بن خزر الزناتى فنزل هذا المدينة وتغلب على ارباضها : ثم جاءت الحملة الشيعية في شهر صفر ٥٢٩٩هـ - سبتمبر ١٠١١م فاقتحمت مدينة تيهرت قهرا ونصبت على رأسها مصالمة بن حبوس المكناسى ، واستمرت هذه الولاية في عقبه الى سنة ٥٣١٤هـ - ١٠٢٦م حيث عاد إليها ابن خزر السالف الذكر وهاجمها مرارا فلم ينجح ، وقد التهب النيران في تيهرت سنة ٥٣٠٥هـ - ١٠١٧م فأحرقت اسواقها . وفي سنة ٥٣١٥هـ - ١٠٢٧م تقدم ابو القاسم بن عبيد الله المهدي متوغلا في اعمال تيهرت ففتح يومئذ بلاد هوارة ومزاتة ومطماطة

وفي ذى الحجة سنة ٥٢٩٧هـ - اوط ١٠١٠م اوعز الخليفة عبيد الله المهدي الى ابني حميد اللهيصي عامل تيهرت بمحاصر مدينة وهران ومقاتلة اهلها من بني مسقن الزناتيين ان هم امتنعوا عن الاستسلام ، فحوصرت وهران ومنع اهلها

الماء فخرج منها بنو مسقن ليلا وتركوا اموالهم الى النهب وخربت وهران
فاضرمت فيها النيران وفر عنها يومئذ مؤسسوها الاندلسيون، محمد بن ابي عون
ومحمد بن عبدوس في جماعة ثم ردهم اليها ابو حميد وشرعوا في تجديد
المدينة في شعبان - افريل ٢٩٨هـ - ٩١٠م فعادت ابهج مما كانت عليه من قبل
وتولى عليها يومئذ محمد بن ابي عون الاندلسي فتقدم بها العمران والرقى الى
منتصف جمادى الثانية سنة ٣٤٣هـ - اكتوبر ٩٥٤م. حيث كانت بها الوقعة
المشهورة بين يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى وبين زداجة وبنى مسقن - كلهم
من زناتة ومواطنهم بازاء وهران - فاحتل يعلى المدينة وعمل على خرابها والعيث
والفساد فيها واوقد فيها النيران فعادت وهران الى ما كانت عليه من التدمير
والخراب واخذ يعلى في نقل اهلها الى موطنه الزناتى، وكانت الغاية من هذه الوقعة
مقاومة الشيعة لا غير وبقيت وهران على ذلك مدة سنوات ثم تراجع الناس اليها
وبنيت من جديد . وفي سنة ٣١٩هـ - ٩٣١م تحرك محمد بن ابي العافية عامل
العبيدين على المغرب الاقصى فجاء في جموع كثيرة فاحتل ولاية تلمسان ووهران
وتنس وشرشال وقطع يومئذ دعوة الادارسة من المغرب الاوسط ؛ ثم كان بعد
ذلك من الفتن والثورات بهذا الوطن ما اخرجهم مرارا عن طاعة العبيدين
وادخله في طاعة الامويين تحت تصرف يعلى الافرنى عامل الناصر الاموى
بالمغرب ، وبقي الامر على ذلك بين الطائفتين ما بين مدوجزر الى ان تجرد لها
القائد جوهر الصقلى سنة ٣٤٧هـ - ٩٥٨م فاحضع جميع هذه النواحي الجزائرية
نهائيا الى سلطة الدولة العبيدية وأضافها الى اعماله بالمغرب الاقصى . ثم منحتها
الحكومة الى حليفها حاكم مدينة اشير ومؤسسها زيرى بن مناد الصنهاجى

مؤامرة تنس

يقال ان ابا العباس احمد المعروف بالمخطوم اخ ابي عبد الله الصنعاني ندم على ما صدر منه ومن اخيه في خدمة الدولة الشيعية وتوطيد الملك وتمهيد لابني عبيد، فكان مما رواه التاريخ عنه انه أسر لآخيه ذات يوم فقال له : تكون انت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسليمها الى غيرك وتبقى من جملة الاتباع ؟... فكان هذا مما حس ابا عبد الله على اضمار القدر بعبيد الله المهدي وفي يوم الجمعة ١٧ ذى الحجة ٢٩٧هـ - اوط ٩١٠م تم تدبير المؤامرة بمدينة تنس ضد الخليفة ؛ وبيتوا على قتل المهدي فكان هناك من نمنى الخبر الى الخليفة فاحترس اولاً من المتآمرين متربصاً بهم الدوائر الى ان حان الوقت فدرس لابي عبد الله واخيه من قتلها صبراً ، وذلك وقت الزوال من يوم الثلاثاء منتصف جمادى الاولى سنة ٢٩٨هـ - ١٩ فيفري ٩١١م وكان قاتل ابي عبد الله هو عروبة بن يوسف من وجوه كتامة ؛ ومعه اخوه حباسة ، وقيل معه جبر بن نماسب الملي ؛ يقال انه لما حمل عروبة على الداعية الصنعاني واراد قتله ، قال له لا تفعل يا بني ... فأجابه هذا : ان الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك . وقتل معهما جماعة من شيوخ كتامة ممن تمالؤوا على ذلك ، وظهر الخليفة الرضى عن غيرهم ممن ظن فيهم الظنون ، فجعل يفرقهم في المناصب النائية كأنه يكافئهم ويعتمد عليهم وهو في الواقع يقصبهم عن مواطن الخطر ويوقع بينهم الحذر والمنافسة

مناهضة الشيعة بالجزائر

اشتد غضب كتامة على الخليفة حين اوقع بعض الذوات من رؤسائهم - الذين شاركوا في المؤامرة - فأزمعوا على الانتقام واصروا على الخلاف فكثرت الحوادث والوقائع والحروب ضد الشيعة ؛ وفي سنة ٢٩٩هـ - ٩١١م اقتطع الزاب عن العبيديين ففويت شوكة اعدائهم به ؛ فنهض اليهم يومئذ ابوالقاسم محمد بن عبيد الله

المهدى فأخضعهم واحتل مدينة قسنطينة واعمالها ؛ وفي سنة ٣١٥-٩٢٧م غزت قبيلة زناتة بلاد كتامة بدعوى مناهضة الشيعة المحتلين لتلك البلاد ، فكانت الحرب بينهم شديدة انهزمت فيها زناتة ، فانتهازها يومئذ الامويون فرصة فمدوا ايديهم للاخذ بضبع زناتة فبايعهم رئيسها يومئذ محمد بن خزر سنة ٣١٦هـ-٩٢٨م واذعن للخلافة الاموية وحمل على ناحية التل فاستولى على مدينة وهران وتنس وشلف ثم اخفق في الاخير

مقتل عامل أوراس

لقد بالغ ابومعلوم فالحون الكتامي عامل أوراس في مطالبة رعيته بدفع المبالغ الباهضة من المغرم وكلفها من الكلف ما لا تطيقه ، فأظهرت له الرعية الطاعة والامثال متربصة به حتى ظن انه نجح في خطته واطمأن فاقض عليه يوما اهل الجبل فقتلوه ومن معه من الحامية والجند ٣١٠هـ-٩٢٢م ؛ فكانت هذه الحادثة من متممات حوادث مناهضة الشيعة بالجزائر

مقتل عامل تاهرت

كثيرا ما خرجت ولاية تاهرت عن طاعة العبيديين ، وتولاها رؤساء زناتة تلك القبيلة التي لم تكن لتدعن لهذه الدولة الشيعية طيلة ولايتها على المغرب ؛ وكثيرا ما نشأت بينهما حروب دامية ، منها هذه الحرب التي خرج فيها مصالحة ابن حبوس عامل تاهرت مهاجما لقبيلة زناتة المنشقة ، وقد استولى في طريقه على النواحي ؛ ففيها كان حفته يوم الجمعة ٣٠ شعبان سنة ٣١٢هـ-٩٢٥م وانهمزم يومئذ حزب الشيعة ، ولم تكن تنقطع الوقائع بين زناتة والشيعة ومن والاها من قبائل صنهاجة وكتامة مدة نحو خمسين سنة

انشاء مدينة المسيلة

بعد ما انتهى الخليفة ابو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي من جولته في انحاء الوطن للقضاء على الثورات القائمة ضده تقدم يومئذ لبلاد مطماطة وهوارة ونواحي تاهرت ففتحها نهائيا واوغل في التخوم الى ما وراءها فكسر من شوكة المعارضين هنالك ، وفي منصرفه الى قاعدته مر في طريقه على وادي سهر فأعجب بهذا المكان الذي كان يسكنه يومئذ بنو ملكان من بطون هوارة ، فأمر بنقلهم الى فجج القبروان ، واخذ رحمه فاخطب به في ذلك المكان مدينة المسيلة وهو راكب على فرسه ؛ وقد كان ذلك اليوم الاحد ٩ صفر سنة ٣١٥هـ - ١٥ ابريل ٩٢٧م وعهد بالقيام على بنائها والوقوف على تحصينها وتحسينها الى احد قادته المشهورين ابي الحسن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي (١) وجعلها سدا منيعا بينه وبين عادية زناتة ، ولما تم بناؤها نسبها الخليفة الى نفسه ودعاها باسمه «المحمدية» وتقات ادارة الزاب اليها من طبة ، فأصبحت المسيلة - المحمدية - هي عاصمة الزاب يومئذ وبلغت من الحضارة والعمران الغاية القصوى ، فقد كان بها من القصور والمنشآت المعمارية من حمامات ومنتزهات ومساجد السخ ما يحق للجزائر ان تفخر به على غيرها في ذلك العصر ؛ وقصدها يومئذ العلماء والادباء فجاءوها من كل جهة وصوب وجعلت ولايتها مؤسساها علي بن حمدون الى ان هلك في حرب ايوب بن يزيد الخارجي سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٦م فخلفه عليها ابنه جعفر ممدوح بن هاني ، وبقي في ولايته الى ان نافسته صنهاجة ونشأت الحرب بينهما فقتل فيها زيري بن مناد الصنهاجي وذهب فيها ضحية عشرة فرسه ، فقام ابنه بلكين منتقما لوالده وظهر علي جعفر فخرج منها حيثئذ يوم ١٨ رمضان ٣٦٠هـ - ١٥ جوليست ٩٧١م . وذهب الى قرطبة فكان هو واخوه يحيى في جانب المنصور بن ابي عامر على اعدائه

(١) هو الذي خرب مدينة أدنة — على مرحلة شرقي المسيلة — وامر باسقاطها عند رجوع

وقتل جعفر هنالك وفر يحيى الى مصر، فأضاف المعز العبيدى ولاية المسيلة يومئذ الى بلكين الصنهاجى فعمت ولايته حينئذ كلا من اعمال الجزائر الثلاثة : المسيلة وتاهرت واشير

انشاء مدينة اشير

هى مدينة بالجنوب الشرقى من البرواقية قرب « ثلاثاء الدوائر » انشأها زيرى بن مناد رئيس صنهاجة واميرها سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٦م وجعلها مركزا حربيا لمغاورة بلاد زناتة الممتنعة عن طاعة العبيدين المغيرة على ثغورهم ، جاب اليها البنائين والصناع من المسيلة وطبنة فاحكموا وضعها واشادوا بناءها حتى قيل انها ليس في هذه الاقطار احصن منها ولا احكم ؛ وبعد ان رأى الخليفة المنصور شدة نكاية مؤسسها فى العدو - ابنى يزيد - بقلعة كتامة واخلاصه فى نصرة الدولة وصله بتحف وهدايا نفيسة وعقد له على قومه وعلى تيهرت واعمالها واذن له فى اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة اشير فاستبحر بها العمران وقصدها العلماء والتجار من القاصية وكانت بها سوق تباع فيها كل لطيفة وظرفية ، وضرب بها العبيديون عملتهم ، ثم جاء بلكين ولد المؤسس فابتنى سورها سنة ٣٦٧هـ - ٩٧٧م وبقيت المدينة حرما آمنا الى ما بعد سنة ٤٠٤هـ - ١٠٤٨م حيث خربها يوسف بن حماد الصنهاجى ، ثم تراجع اليها الناس بعد سنة خمس وخمسين واربعمائة - ١٠٦٣م فعادت الى ما كانت عليها

ثورة ابنى يزيد الخارجى

كان ابو يزيد هذا رجلا مشهورا بالتقشف يركب الحمار ويلبس الخشن من الصوف متسما بالسنة آخذا نفسه بالحسبة يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم الصبيان القرآن ويؤدبهم ، واسمه ابو يزيد مخلد بن كيداد المشتهر بصاحب الحمار ومذهبه النكارية من فرق الخوارج ، متعصبا لمذهبه وهو من اهل جبل اوراس

ففي سنة ٣٣٢ هـ - ٩٤٣ م بايعه اهل الجبل على الثورة في وجه الشيعة وتلقب بشيخ المؤمنين وعمره يومئذ ستون سنة فخرج معه الكثير من خوارج زناتة ومشيخة المالكية ايضا وكلهم يدعوا الى مبايعة الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب قرطبة ، وذلك توصلا منهم الى نبذ الدعوة الشيعية وتحرير البلاد من سلطة بني عبيد ، فخرج ابو يزيد من اوراس على رأس هذه الجموع ناسرا الويتة الصفر فاحتل من بلاد الجزائر مدينة تبسة ومجانة وغالب مدن القطر الجزائري الشرقية وحاصر قسنطينة وبلغ في سيره الى القيروان ثم الى تونس فاحتلها وحاصر المهديّة دار ملك العبيدين ثمانية عشر شهرا حتى كاد الخليفة المنصور العبيدي - وهو يومئذ بها - ان يغتم ويأس لولا انه عمل الحيلة في التخلص بنفسه منها وذهب الى بسكرة ثم الى مقره من بلاد الزاب الجزائري ، ومن هناك كاتب رئيس صنهاجة زيري بن مناد مستنجدا به على ابي يزيد واهدى اليه في ذلك اموالا كثيرة وحللا وتحفا نفيسة كما استعان ايضا بصاحب المسيلة علي بن حمدون ، فلبى كل منهما دعوة المنصور وخرجت الجحافل فاحاطت بابي يزيد - وهو يومئذ محاصر للمهديّة - فافرج عنها في صفر سنة ٣٣٤ هـ - سبتمبر ٩٤٥ ، وفي اثناء ذلك نهض شاب بجبل اوراس متزعما حركة اخرى ضد الشيعة ايضا فقبض عليه صاحب المسيلة وجاء به مصفدا الى الامير فامر بحمله معه وصلبه اينما حل وارتحل فكان يظهره للناس مصلوبا ارهابا لهم وذل ابو زيد يتنقل في العواصم والبلاد الجزائرية والخليفة المنصور في اثره الى ان بلغ باغاية فامتنع عنه اهلها ومنعوه من الدخول اليها فضرب عليها الحصار ونزل المنصور يومئذ بطبنة وفي تلك الاثناء فسدت سيرة ابي يزيد وساء سلوكه فاختلفت عليه زناتة واقلبت ضده ، فجاءت رسل محمد بن خزر الزناتى امير مغراوة الى الخليفة تستامن للقيسلة فامنهم الخليفة مشترطا عليهم تسليم ابي يزيد ، فانطلقوا جميعا خلفه وكانت له معهم وقائع

وايام مشهورة باسمائها في التاريخ كوقعة يوم الرؤوس بفحص باتنة ، ووقعة الحريق بجبل كياتة - قلعة بني حماد - حيث احاط العبيديون بالقلعة ، وبعد حرب ضروس قبض الحصوم على ابي زيد مثخنا بالجراح بجبل معديد شمال الحضنة في المحرم ٣٣٦ هـ - جويلت ٩٤٧ م فأمر الخليفة باسعافه فغلب عليه نزف الدم فمات يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم ؛ فمثل الحصاء بجثته وعشوا بها... ويومئذ نهض ابناء ابي يزيد الثلاثة : الفضل واوب ويزيد في قومهم منادين باستمرار الثورة على العبيدين والمطالبة بدم ايهم فانتشبت الحرب من جديد وتقدم الفضل على راس جيوشه فحاصر طبة وبسكرة وباغاية وكاد لهيب الفتنة يعم الاوراس لولا ان قتل الفضل غدرا في شهر ذى القعدة من سنته - ماي ، جوان - وقتل اخوة اوب بعده ٣٤١ هـ - ٩٥٢ م وزحف بعدهما يزيدي الى باغاية فانهمز عنها ولم يخمد اوار الثورة بأوراس الى ان جهزها الخليفة رئيس صنهاجة بلكين بن زيري الصنهاجي فقصى على الثائرين هنالك وانتهت يومئذ حركات الخوارج بالمغرب ، واسندت ولاية باغاية الى قيصر الصقلي مولى المعز العبيدي وبقي في منصبه هذا الى ان ظهر منه ما استوجب قتله فقتله سيده سنة ٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م

اصطدام الدعوة الشيعية بالاموية في الجزائر

كان المغرب العربي في اوائل القرن الرابع الهجري محط انظار الدعاة السياسيين من الامويين والشيعية ، يزدهمون عليه ويتسابقون بينهم في مد ايديهم اليه ؛ فانه بعد ما تمكن العبيديون من دولة الادارسة والاغالبة بالمغرب وباغت دواتهم الى شواطى المحيط وسبته واخذت تهدد الاندلس ، وكان الثوار في الاندلس يومئذ يفاوضون العبيدين ويتآمرون معهم على الدعوة لهم ؛ أسرع عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموى الى دفع هذا الخطر عن دواته فنزل بساحل افريقية وفتح مليلة سنة

٥٣١٤-٩٢٤م وبث دعائه هنالك فاخترقوا المغرب الى بلاد الجزائر فلباهم صاحب ارشقول - فرضة تلمسان وهي على مسافة عشرين ميلا منها - وهو يومئذ ادريس بن ابراهيم ، واقتفى اثره في ذلك الحسن بن ابي العيش صاحب جراوة ، وموسى بن ابي العافية صاحب المغرب الاقصى ، ومحمد بن خزر المغراوي عاهل زناتة ، فنشبت يومئذ حروب بين الشيعة ودعاة الاموية في هذه الامارات المذكورة فانهزم فيها هؤلاء وخضعوا للشيعة؛ ثم عادت زناتة الى الدعوة الاموية لما كان للامويين عليها من الولاء ، فاتحد اميرها الحير بن خزر وحמיד بن يعلى على رفض دعوة العبيديين فحوصرت يومئذ تيهرت واحتلت وهران وأقيمت بهما دعوة الامويين سنة ٥٣٣-٩٤٥م واخذت البيعة للخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله صاحب قرطبة ، وكان العبيديون يومئذ في شغل عن هذا مهتمين لحروب ابي يزيد الخارجي ، وبعد ما قضوا عليها عمدوا الى القضاء على الدعوة الاموية بالمغرب ، فخرج المنصور بنفسه سنة ٥٣٦-٩٤٧م ونزل بسوق حمزة - قرب البويرة من عمالة الجزائر - ومعه زبري الصنهاجي في جموعه وهناك اخذ الخليفة في حشد الجنود وجمع العساكر مندفعاً نحو تيهرت ، فأخرج حميد عنها وعقد المنصور عليها يعلى بن محمد اليفرنى كما انه عقد لزيرو ابن مناد الصنهاجي على قومه وسائر بلاد صنهاجة

وفي سنة ٥٤١-٩٥٢م . اعاد الناس الدعوة الى الامويين بالمغرب الاوسط ، فقدم على الناصر الاموى بقرطبة في ذلك قاضي وهران احمد بن ابي عون في وجوه اهل البلد واعيان الوطن ، فتجهز لهم جوهر الصقلي قائد المعز العبيدى وخرج لقتالهم سنة ٥٤٧-٩٥٨م فاعترضه يعلى بن محمد اليفرنى في جيوش عظيمة على مقربة من تيهرت ، وكانت هنالك مقتلة شديدة بين الطائفتين ، فعمد يومئذ جوهر الى بذل الاموال وتوزيعها بين رؤساء كتامة على ان يفتكوا بـيعلى ويعفوا اثره . فجأؤوه براسه وهزم يومئذ بنو يفرن قوم يعلى وانتصر العبيديون

ثم كانت فترة قصيرة سكنت فيها الجزائر الى ان غزا ابن خزر الزناتي مدينة باغاية سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٨ م واعلن عصيان الشيعة ، ودعا للناصر الاموى ايضا وامتدت الفتنة الى الزاب وواد ريغ ووارقلة - بالقاف المعقودة - ويومئذ خرج المعز الفاطمى لقتالهم جميعا فشنت جموعهم واعاد الدعوة للشيعة ، وفر ابن خزر مختفيا حيث لم يظهر له اثر ، فاجتهد المعز فى القبض عليه فلم ينجح ، ويومئذ انتدب له بلكين الصنهاجى واوغل فى البلاد باحثا عنه ايضا بالسهول والنجاد مقتفيا اثره فلم يظفر به ، وبعد مضى سنة من الحادثة اقبل ابن خزر بنفسه فدخل على الخليفة المعز بدار الخلافة «المنصورية» ربيع الثانى ٣٥٩ هـ - فيفرى ٩٧٠ م ، مستأمنا على نفسه فأمنه وعفا عنه وابقاه هنالك حتى قضى بالقيروان وقد اناف على مائة سنة ؛ ويومئذ تلاشت اطماع الامويين فى المغرب .

حروب صنهاجة وزناتة

ولما هلك محمد بن خزر الزناتي خلفه على رئاسة القبيلة ولده الخير متمسكا بدعوة الامويين الى وفاته، ثم قام بعده ولده محمد مستمسكا بحزب والده السياسى، وكان متجبرا عاتيا، فانار العبيديون عليه قبيلة صنهاجة الموالية لهم وكان على رأسها بلكين بن زيرى فنشبت الحرب بين القبيلتين سنة ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م وكاد ان يؤسر فيها رئيس زناتة لولا انه عرف كيف ينجو بنفسه من ذل الاسر فاتجر ، وقتل يومئذ سبعة عشر اميرا من صنهاجة . ثم نهض الخير بن محمد الزناتي فقام مكان والده المنتحر متزعما قبيلة زناتة فقاتل صنهاجة حتى وقع اميرها زيرى عن فرسه فصرع ؛ ولقد استمرت المناوشات بين هاتين القبيلتين نحو نصف قرن ، وكلها كانت ناشئة عما تكنه زناتة فى نفسها من الحرمان مما كانت ترجوه من خلفاء الشيعة من الرئاسة والتزعّم على المغرب الاوسط المعروفة به وقد فاز بذلك خصمائها الصنهاجيون وكتامة .

انشاء مدينة فـكان

هى على نحو الخمسة والعشرين كيلو مترا بالجنوب الغربى من معسكر المعروف مكانها اليوم باسم أفكان - بتشديد الكاف ، كان مركز هذه المدينة اولا سوقا لزنانة ؛ فمدنها رئيسها يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى واسس بهذا المكان مدينة عظيمة سنة ٣٣٨ هـ - ٩٤٩ م واتخذها مركزا لرئاسته فارتحل اليها الناس يومئذ من تيهرت ووهران ومعسكر وغيرها من بلاد الجزائر فانتشر بها العمران واسس بها مسجدا جامعا وارحاء وحمامات الخ ثم كان خرابها على يد القائد العبيدى جوهر الصقلي فى حوادث ثورات زنانة على الشيعة سنة ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م .

مهاجرة الاندلسيين للجزائر

لقد علمنا مما تقدم مبلغ الخلاف والنزاع الذى كان ناشئا عن تنافس الشيعة والامويين بالمغرب ، ويومئذ امر المعز اسطول الرابض بصقلية ان يهجم ويغزو سواحل الاندلس ؛ فخرج الاسطول سنة ٣٤٤ هـ - ٩٥٥ م غازيا سواحل المرية فعاث فيها وغنم وسبى ثم عاد الى مقره ، ويومئذ خرج الاسطول الاموى متقما لدولته فحل بسواحل افريقية فاحقق ، ثم عاد فكرر الهجوم فى سبعين مركبا وحل بمرسى الحُررز - القالة - شرقي بونة فاحرقها وكانت بها يومئذ مصانع السفن واساطيل الدولة .

حركات الاسطـول

لم يسمح التاريخ - فى هذا العصر الذى تؤرخه - لاي دولة مطلقا ان تفتخر بالتفوق البحرى بهذا البحر المتوسط والانفراد بالسيادة العالمية فيه غير هذه الدولة المغربية الاسلامية ، فقد كان ساططانها به مرهوبا وجانبها مرموقا

ما بين بوغاز طارق الى بيروت فجميع مدنه الساحلية ومراسيه وجزره المنقطعة مثل كورسيكا وسردانية وصقلية الخ.... كلها كانت بيد هؤلاء العبيدين الذين عنوا كثيرا بتقدم الحركة البحرية وصناعة السفن ، فقد بلغ عدد ربانة البحر في هذه الدولة الى خمسة آلاف ربان (١) وكانت مدينة بونة -- عنابة -- ومرسى الخرز - القالة - بالجزائر كلاهما مركزا هاما لصنع المراكب البحرية ، ومقرا عاما للأسطول الذي بلغ المائتي مركب علاوة على مرفأ المهديّة بتونس الذي كان يسع مائة سفين ، فمن هذه الامكنة كانت تصدر البعثات البحرية اغزو بلاد الروم وفتح ما ولاها من بلاد ضفاف البحر الابيض المتوسط ، كما انها كانت تغدو وتروح كذلك فيه مواخر للتجارة واستخراج معادنه وكنوزه من صدف وخرز وودع ومرجان وفصوص الحجارة الخ.... ولعظم صولة العرب البحرية وشدة شكيמתهم به انحاز الافرنج بمراكبهم يومئذ الى الجانب الشمالي الشرقي منه فتراهم لا يعدونه ابدا فلم يكن لاروبا سلطان على هذا البحر خلال القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - اذ كان لا بد لمن يريد منهم قضاء مأرب فيها ان يخطب ود العرب كما فعلت نابولي وغيتة وأمالفي (٢) قال ابن خلدون :

وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر - الابيض المتوسط - من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للامم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهرة للفتح سائر ايامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل مثل ميورقة ومنورقة ويااسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج.... والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم فيه جائية وذاهبة ،

(١) رئيس الملاحين .

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٣٦٦ ط القاهرة ١٩٥١ م

والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتشن في ممالكهم ... وانحازت امم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالى الشرقى منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزر الرومانية لا يعدونها، واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الاسد بفريسته ، وقد ملأت الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا ، واختلقت في طرقه سلها وحربا فلم تظهر للنصرانية فيه الواح (١) فاسمع الى قول شاهد عيان وهو شاعر الدولة ابو القاسم بن هانى يصف اسطول المعز بقصيدة تدل على مقدار ما وصلت اليه قوة هذه الدولة البحرية :

اما والجوارى المنشآت التى سرت	لقد ظاهرتها عدّة وعديد
قباب كما تزجى القباب على المها	ولكن من ضمت عليه أسود
ولله مما لا يرون كتاب	مسوطة تحدو بها وجنود
اطال لها ان الملائك خلفها	فمن وقفت خلف الصفوف ردود
وان الرياح الذاريات كتاب	وان النجوم الطالعات سعود
وما راع ملك الروم الا اطلاعها	تنشر أعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيرة	له بارقات جمّة ورعود
مواخر فى طامى العباب كأنه	بعزمك باس او لكفك جود
انافت به اعلامها وسماها	بناء على غير العراء مشيد
وليس بأعلى شاهق وهو كوكب	وليس من الصفاّح وهو صلود
من الراسيات الشم لو لا انتقالها	فمنها قنان شمع وربود
من الطير الا انهن جوارح	فليس لها الا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى	فليس لها يوم اللقاء خود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج	كما شب من نار الجحيم وقود

وافواهن الزافات حديد
دماء تلاقته ملاحف سود
وما هي من آل الطريد بعيد
سليط له فيه الذبال عتيد
كما باشرت درع الخلق جلود
مسومة تحت الفوارس قود
وليس لها الا الحباب كديد
سوالف غيد اعرضت وخدود
بغير شوى ، عذراء وهى ولود
موال وجرد الصافات عبيد
مفسوفة فيها النضار جسيد
او التفتت فوق المنابر صيد
وتدراً بأس اليم وهو شديد
ومنها خفائين لها وبرود

فأنفاسهن الحاميات صواعق
لها شعل فوق الغمار كأنها
يشب لآل الجائليق سعيها
تعانق موج البحر حتى كأنه
ترى الماء فيه وهو قان خضابه
وغير المذاكى نجرها غير انها
فليس لها الا الرياح اعنة
ترى كل فود للتليل كما اثبت
رحية مد الباع وهى نتيجة
تكبرن عن نفع يثار كأنها
لها من شقوق العبرى ملابس
كما اشتملت فوق الارائك خرد
لبوس تكف الموج وهو عظامط
فمنه دروع فوقها وجواشن

ويقول Adam Mez مؤرخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ان في سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٥م استطاعت مراكب عبيد الله المهدي الفاطمي ان تغزو جنوب فرانسا ومدينة جنوة ، وان تنهبهما ، وان تفعل مثل هذا بمدينة بيزا في عامي ١٠١١ - ١٠١٤م مع ان اسطول الفاطميين كان في ذلك الحين اقل كفاية من اسطول الشام وكانت مراكب العرب تقطع البحر الابيض عرضا في ستة وثلاثين يوما من مبدئه في الغرب الى آخره حيث انطاكية (١)

المذاهب والعقائد

نشأت دولة العبيدين بالمغرب ونشأ معها فيه مذهب التشيع بعقائده وقواعده، وهو مذهب آل البيت النبوي المطهر كمذهب جعفر الصادق وزيد بن حسن واسماعيل بن جعفر؛ وان اشهر فرق الشيعة اثنان: الامامية والزيدية، ولكل منهما طوائف وفروع؛ منها مذهب الاسماعيلية المتفرع عن الامامية وهو مذهب الدولة الرسمي؛ غير انه مدخول بعقائد الروافض المقتبسة من الماجوسية والمناوية والمزدكية والدهرية؛ وفي المذهب الكثير من الافكار الشرقية التي حلت مكان الافكار الاسلامية المحضنة؛ ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم بل تراهم يأخذون بمذهب اهل الاعتزال في ذلك

كان اول من نشر الافكار الشيعة بالجزائر منيب بن سليمان الكناسي نزل بأعمال تيهرت ونواحي وانشريس فنشرها هنالك بين العامة، ثم جاء بعده السفيناني والحلواني فنشراها ايضا ما بين اهالي مرماجة من بلاد بجاية وسوق حمار بنواحي قسنطينة، وهكذا استمرت الدعوة الشيعة في سيرها سرا حتى جاء ابو عبد الله الصنعاني فأفشأها بهذه الاوطان ثم تعين الاخذ بها ايام ابي عبيد الله المهدي، وكان مما احدثه ان قطع صلاة التراويح في شهر رمضان وامر بصيام يومين قبله، وقنت في صلاة الجمعة وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة، واسقط من اذان صلاة الصبح: «الصلاة خير من النوم» وزاد «حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر». وكان نص الاذان طول مدة بنى عبيد بعد التكبير والتشهدين: «حي على الصلاة وحي على الفلاح» مرتين «حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر» مرتين مرتين «لا اله الا الله» مرة. ثم يقول: المؤذن احيك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين؛ جامع شمل الاسلام والمسلمين؛ واعز بسلطانك جانب الموحدين؛ واباد بسيفك كافة الملحدين؛ وصلى الله عليك وعلى آبائك الطاهرين؛ وابنائك الاكرمين؛ صلاة دائمة الى يوم الدين،

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين (١) وجميع شرائع القرآن لها عندهم معنيان ظاهر وباطن ، والعارف هو الذى يطلع على المعنى الباطن ويتخلص من الظاهر ، وكثيرا ما عقدت مجالس المناظرة والمساجلة بين شيوخ المذهب المالكي مذهب البلاد القديم ، وبين رؤساء وزعماء المذهب الشيعي الجديد وكانت هنالك المساجلات والمجادلات بين فقهاء المذهبين طالما افحم فيها فقهاء الشيعة بالحجة وقاطع البرهان ، وجرت هنالك محن ورزايا لمشيخة المالكية وعظمت فيها الحوادث والوقائع استشهد فيها عدد عظيم من العلماء والعباد ، ولم يسج احد من اهل المذاهب الاخرى يومئذ الا الحنفية لموافقتهم للشيعة في مسألة التفصيل فكان فيهم القضاة والرآسة (٢) وبقي المذهب المالكي راكدا بهذه الديار نحو نصف قرن حتى كانت مناهضة الرافضية على عهد باديس عاهل صنهاجة ؛ فبعثه وبقي اهالي هوارة من بنى كملان ومكناسة وسكان مدينة باغاية وفحصها من قبائل مزانة وضريبة من قلاع جبل اوراس على مذهب الاباضية

الثقافة والحضارة والعمران

لم تطل اقامة الدولة العبيدية بهذه البلاد حتى تتمكن من بسط حضارتها بهذا الاقطار ، ومع ذلك فقد نهجت في سيرها نهج الدول المثقفة التي تسعى لتوطيد ملكها وتثيب حكمها باساليب الحكمة والعدل وهى في ذلك تنافس دولة العباسيين . ويبدو ان الدولة العبيدية عملت على نشر الثقافة وخدمة العلم بمختلف اللسن واللغات ، فقد احتفظ لنا التاريخ بوثيقة ملكية يصرح فيها الخليفة المعز بأن دعاة منتشرون في الاقاليم يدعون الى الدولة ويبشرون بأيامها وينشرون علمها وينذرون بأسها بتصاريف اللغات واختلاف اللسن (٣) وهو نفسه كان يحسن لغات جميع

(١) اخبار ملوك بنى عبيد لابن حماد ص ١٥-١٦ ط الجزائر ١٣٤٦ هـ

(٢) مقدمة كتاب المدارك ص ٢١ ط باليرمو ١٩١٠ م

(٣) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٥٨

الامم التي تتصل بالخلافة العبيدية كالبربرية والرومية والايطالية والنوبية علاوة على توسعه في علوم العربية . ومما يدلنا على انتشار الروح العلمية يومئذ كثرة حلق الجدل والبحث بين علماء الشيعة ومعارضهم من اهل المذاهب الاخرى، وانشاء المصانع الحربية لصنع السلاح والاساطيل كمصنع بونة والمهدية ، وصناعة تعدين الحديد التي كانت من اشهر خصوصيات افريقية الشمالية ومصنع الزجاج الصافي وتفاصيل الصوف بطرة (اوطرا) من بلاد نفزاوة ؛ ونسج ذلك البساط العجيب الذي امر بصنعه المعز من حرير ازرق ملون مطعم بالذهب فيه صورة الاقاليم والبحار والانهار والجبال والطرق وفيه صورة الحرمين الشريفين مكتوبة اسمائها عليها وفيه هذه العبارة التالية : « مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهار المعالم رسول الله في سنة ٣٥٣ هـ . وكانت النفقة عليه اثنين وعشرين الف دينار ، وهذا نهاية التفوق الصناعي في فن الزخرفة ، ومما اثبتته التاريخ ايضا لهذا الخليفة العبيدي من ابتكار واخترع ، انه هو الذي امر بصنع قلم الحبر Stylographe على هذا الشكل ، وتقدمت اقتصاديات البلاد تقدما باهرا ، فقد بلغ ثمن بيع وقرجل من التمر بدرهمين ، وكانت القوافل تخترق الصحراء تحمل التمر في الغالب وتعود بسبائك الذهب وسبي العبيد اذ كان شمال افريقية في القرن الرابع مثل مصر وجنوب جزيرة العرب من اكبر اسواق الرقيق الاسود كما ان صناعة تجفيف السمك والتجارة فيه كانت رائجة بالمغرب ايضا، مثل استخراج المرجان بمرسى الخرز وسبتة ؛ فقد كان يعمل في ذلك مايزيد على الخمسين قاربا ، وفي كل قارب نحو العشرين رجلا ، وكان اكثر ما يحمل الى بلاد غانة والسودان ، كما انتشرت خدمة القطن ايضا فكانت بذلك ثروة البلاد واسعة ، قال ابن حوقل انه دخل القيروان من مال المغرب سنة ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م فوق سبع مائة الف دينار وهذا من اعظم ما يسجل في تاريخ دخل الدول في القديم . وكان من آثار الدولة المعمارية بالجزائر مدينة المسيلة واشير ودار الهجرة - المدرسة الآن - وهي

ذات حضارة ومدنية عجيبة ، بله ما اقامته في الاقطار الشقيقة مثل طرابلس وتونس والمغرب الاقصى من المنشآت والمؤسسات .

ويحدثنا اهل الجغرافية ومؤرخو القرن الرابع بانهم لم يكن في المغرب من الفواحش وتعاطى الامور المنكرة والفسق مثل ما هو موجود اذذاك بالشرق ؛ وكان الزواج بينهم مقصورا على الواحدة ولم يفش التعدد امتثالا وطاعة للخليفة المعز ، فانه خاطب جماعة من شيوخ كتامة قائلا لهم يوما : « واقبلوا بعد الاعمال على نسائكم والزمو الواحدة التى تكون لكم ، ولا تشرھوا الى التكرار منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتنهكوا ابدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نحائزكم ، فحسب الرجل الواحد الواحدة (١)

ومن مبررات الفاطميين بالمغرب ما حكاه ابو جعفر الحزار عن سنة ٣٤٠ هـ ٩٥١ م ، قال انه في هذه السنة امر الخليفة المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله الفاطمى ان يكتب له اولاد القواد ووجوه رجاله من كتامة والعبيد والجنود وضعفاء الناس من اهل القيروان وغيرها ، ليختنوا ويحسن اليهم بالكسب والصلاة ، فبلغوا اكثر من عشرة آلاف ، فابتدا في ختانهم ، وعمل ولائم واطعم خاصة الناس وعامتهم ، واعطى الصبيان على قدر مراتبهم من مائة دينار لكل واحد الى مائة درهم واول من ذلك ، فكان يختن في كل يوم من خمسمائة الى الف وثلاثمائة ، فاقام على هذا سبعة عشر يوما ، قال ابو جعفر الحزار : فسمعت من يقول من اهل الخدمة انه احصى ما اتفق في هذا الختان فكان مائتى الف دينار ، وحدث في البلد عند ذلك من الانفاق واللهو ما لم ير مثله (٢)

(١) خطط المقرئى ج ١ ص ٣٥٢

(٢) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥١

فتح مصر وانتقال الخلافة الفاطمية اليها

طالما راينا نشوب الخلاف واحتدام اوار النزاع بين الحكومة العبيدية الشيعية وبين الرعية السنية ، وطالما اختلفت وجهة النظر بين الراعى والرعية وتباينت الافكار بينهما ، وكانت هنالك مواقف حرجية ادت الى المقاطعة والنفور بين الطرفين فكان ولا بد للدولة من التفكير والبحث عن بلاد اخرى تبث فيها دعوتها ؛ فحول الخليفة الفاطمى يومئذ نظره الى غير المغرب وعزم على الانتقال الى المشرق والقضاء على الخلافة العباسية هناك وقد حاولت الدولة ذلك مرتين من قبل فلم تنجح فكان من المصادفة هذه المرة اضطراب الحال بمصر لوفاة صاحبها كافور الاخشيدي وقد كان الدعاة بها من قبل يعملون على تمهيد الفتح الفاطمى فكانت المراسلة والمكاتبة بينهم وبين المعز دأمة دائبة وكانوا مما يرمزون به فى مكاتبتهم للخليفة بالمغرب قولهم ؛ « اذا زال الحجر الاسود ملكت الدنيا » وهم يعنون بذلك كافورا لسواده ؛ فلما توفى كافور واضطربت المملكة المصرية بما وقع فيها من الغلاء والوباء انتهز المعز الفرصة وامر قائده جوهر بن عبد الله الصقلي بغزو المشرق على ان تكون البداية بمصر ، فخرج القائد من رقادة يوم السبت ١٤ ربيع الاول ٣٥٨هـ - ٧ فيفرى ٩٦٩م ومعه من الجند اكثر من مائة الف فارس ، ومن الاموال ما يزيد على الف ومائتى صندوق محتوى على نحو ثلاثة وعشرين مليون ديناراً ؛ وهو مبلغ عظيم يدلنا على سعة مداخيل ميزانية الدولة وما تجمع لديها من الثروة الطائلة باشتطاطها فى جمع المال ؛ وكان معه كذلك من السلاح والخيول والعدد الحظم الكثير ؛ وما كان يباغ خبر تجهيز جيش الفتح هذا الى مصر حتى تفرق عنها اهلها وتركوها نهبا للغالب ، فاحتلها جوهر يوم الثلاثاء ١٨ شعبان - ٨ جولييط من نفس التاريخ ، وخطب فيها يوم الجمعة ٢٠ منه - ١٠ جولييط باسم مولاه وسيده المعز لدين الله ، ثم اختط مدينة القاهرة المعزية وبعث ببشارة الفتح الى الخليفة بالمغرب فسر لها سرورا بليغاً ،

وعزز البعثة يومئذ ببعوث اخرى فتحت الشام واحتلت الرملة ودمشق . وبعد رسوخ قدم الخلافة الشيعية بمصر والشام والحجاز وانتظام احوال الدولة بها انتقل اليها المعز فخرج من عاصمته المنصورية - صبرة - في ابهة الملك وعظمة السلطان يوم الاثنين ٢٢ شوال ٣٦١ هـ - ٨ اوط ٩٧٢ م فزل اولاً جزيرة سردينيا ريثما التحقت به الجموع التي صحبته الى المشرق ، وبها عقد العهد لبلكين الصنهاجي على ولاية المغرب العربي ، ثم اخذ يتنقل ويطوف بالبلاد فيقيم اياماً في بعضها ثم يجد السير الى ان عبر النيل ودخل القاهرة يوم الثلاثاء ٥ رمضان ٣٦٢ هـ جوان ٩٧٣ م

ولاة الجزائر وزعماؤها

كان القطر الجزائري يومئذ محجزاً الى اربع ولايات ؛ ولاية المسيلة ، وباغاية ، واشير ، وتيهرت ؛ فاما ولاية المسيلة فانها كانت لعلي بن حمدوى المعروف بابن الاندلسية الى ان انتقل ولده جعفر الى الاندلس سنة ٣٦٠ هـ - ٩٧١ م . فاضافها يومئذ المعز الى بني زيري رؤساء صنهاجة ؛ واما ولاية باغاية فقد تولاه عروبة بن يوسف الكتامي المقتول في ثورة ٣٠٢ هـ - ٩١٤ م وابو معلوم فلاحون الكتامي المقتول سنة ٣١٠ هـ - ٩٢٢ م وقصر الصقلي المقتول ايضا سنة ٣٤٩ - ٩٦٠ م . واما ولاية اشير فانها كانت في بني زيري الصنهاجين الى نهاية ايامهم . اما ولاية تيهرت فقد تولاه على عهد الفواطم جماعة ، عرفنا منهم ابا حميد دواس اللهيصى ولاء عليها ابو عبد الله الصنعاني حين توجه منها الى سجلماسة سنة ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م ومات ابو حميد قتيلاً مصروفاً عنها ، ثم تولاه مصالة بن حبوس المكناسي سنة ٢٩٩ هـ - ٩١١ م . الى ان قتله محمد بن خزر الزناتي في شعبان سنة ٣١٢ هـ - نوفمبر ٩٢٤ م فوليها بعد اخوه يصل بن حبوس الى ان توفي سنة ٣١٩ هـ - ١٠٣١ م . فوليها يومئذ ابو مالك بن يغمراسن (١) بن ابي شحمة - بضم الشين وسكون الحاء وفتحها -

(١) ضبطه ابن خلدون بفتح الباء والفاء وكسرها ، وفتح السين وكسرها

اللهمي الى ان ناهضه اهل البلاد فخرج منها مطرودا سنة ٣٢٣هـ - ٩٣٥م . وولوا عليهم ابا القاسم الاحدب بن مصالمة بن حبوس فحاربهم ميسور الخصى عند منصرفه من المغرب سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٦م فظفر بالبلاد وقتل ابا القاسم وولى عليها داود بن ابراهيم العجيسى فاقام بها داود الى ان اخرجها منها حميد بن يصل في جمادى الثانية سنة ٣٣٣هـ - جانيبى ٩٤٥م . واقام بها الدعوة الاموية الى ان اقتحم عليه المدينة الخليفة اسماعيل المنصور سنة ٣٣٦هـ - ٩٤٧م وعقد لميسور عليها؛ فخرج منها حميد الى الاندلس ، وسار ميسور فى الرعية بالظلم والجور فنهضت الرعية فى وجهه واضرمت البلاد عليه نارا واستدعت محمد بن خزر الزناتى مفوضة اليه ام المدينة ، فكر محمد بقومه على تيهرت ومعه ولده الخير واطهر الانتصار لميسور حتى وقع بين يديه فغدر به واسره واحتلت زناتة المدينة ؛ ثم اضطرب امر هذه الولاية فتغلب عليها يعلى بن محمد اليفرنى الزناتى ودعا فيها الى الاموية ورفض التشيع ، الى ان كانت حملة جوهر الصقلى الكبرى سنة ٣٤٩هـ - ٩٦٠م فزحف على المغرب العربى كله واحتل تيهرت وقتل يعلى واسندت رآسة هذه الولاية الى زيرى الصنهاجى : ويذكر لنا التاريخ ان رآسة مدينة الجزائر يومئذ كانت لجمرة بن ابراهيم ، وعمالة بسكرة لزيدان الخصى ، وقيادة الجيش لموسى بن محمد الكتامى ورآسة البحر لعقوب الكتامى ، وكان من ولاية ميله ماكنون بن ضبارة ولاء عليها ابو عبد الله الصنعاني ، ورآسة قبيلة يفرن لمحمد بن صالح المقتول على يد عبد الله بن بكار اليفرنى ، ولم يكن هذا الرئيس اليفرنى خاضعا لدعوة العبيدين

الخلفاء العبيديون بالمغرب

تاريخ التولية

٩٠٩-٥٢٩٧ م

٩٣٣-٥٣٢٢ م

٩٤٥-٥٣٣٤ م

٩٥٣-٥٣٤١ م

عبيد الله المهدي

ولده ابو القاسم محمد القائم بأمر الله

ولده الطاهر اسماعيل المنصور

ولده ابو تميم معد المعز لدين الله

مشاهير الجزائريين

جعفر بن علي

٣٦٤هـ - ٩٧٤م

ابو علي جعفر بن علي بن احمد بن حمدون المعروف بابن الاندلسي صاحب المسيلة وامير الزاب ؛ قال ابن خلكان : كان سمحاً كثير العطاء مؤثراً لاهل العلم ؛ تولى اماره المسيلة بعد وفاة والده سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٥م . في وقعة ايوب بن ابي يزيد الخارجي . قال ابن حماد : ووصلت هذه المدينة - المسيلة - من العمارة والحضارة ، وملك علي بن حمدون وابنيه جعفر ويحيى الى الغاية القصوى والامد الاقصى ؛ وقال البكري في وصف المسيلة : والمدينة اسواق وحمامات وحولها بساكن كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة الاحم رخيصة السعر

ولما تمكن زيري بن مناد الصنهاجي من ولاية اشير وامارة صنهاجة زاحم جعفرا في خدمة الدولة ونافسه في التقرب من الخليفة العبيدي وسما به في الرتب وتاخيه في العمالة ، وكان للدولة صاغية اليه والى ابنه بلكين فأخذ ايرميان جعفرا بالميل الى زناتة حتى اوغرا عليه صدر المعز بن المنصور ، فلما عزم على الرحيل الى مصر اشيع عنه انه مستخلف بلكين ، فعظم على جعفر ان يبقى تحت ولاية منافسه ، ثم ان المعز ارسل اليه احد مواليه يستقدمه ويطمعه في خلافته ، ففويت استرايته وغادر المسيلة في اوليائه بنى برزال ، ولحق بزناة سنة ٣٦٠هـ - ٩٧٠م فجهز المعز زيري صاحب صنهاجة اثره فكانت حرب صرع فيها زيري واحتز راسه فذهب به وفد من وجوه زناتة يرأسهم يحيى بن علي اخو جعفر؛ الى المستنصر الاموي بالاندلس فقام يومئذ بلكين مقام والده فقاتل زناتة وتأثر لايه منها واستظهر على جعفر ، فلحق جعفر بأخيه يحيى وبقياء هنالك

مرموقين بعين التجلّة والاحترام الى ان حدث في السياسة الاندلسية ما دعا المنصور بن ابي عامر الى الاستعانة بجعفر وشيعته بنى برزال من زناتة على مزاحيه من رجال الدولة ، فلما قضى عليهم خشي جعفر ا ايضا فقتله سنة ٥٣٦٤-٩٧٤م وفر يحيى الى مصر فنزل على العزيز بن المعز الى ان مات (١) ولقد امد جعفر بالمسيلة الشاعر العظيم ابو القاسم محمد بن هانيء فمدحه بقصائد بليغة منها قوله :

المدينقان من البرية كلها جسمى وطرف بابلى اهور
والمشرقات النيرات ثلاثه الشمس والقمر المنير وجعفر
وقوله من اخرى :

ابنى العوالى السمهرية والموا ضى المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كانه تحت السوابغ تبسع فى حمير
قال ابن معصوم : يحكى انه انشد هذه القصيدة وممدوحه راكب فى جيشه ، فلما بلغ ذينك البيتين ترجل العسكر كله ، ولم يبق احد راكبا سوى الممدوح . فلم يعلم سؤال كان جوابه نزول عسكر جرار غيره

(١) راجع ابن خلدون ج ٦ ص ١٥٤ وابن خلكان ج ١ ص ١٤٠ وتاريخ الميلى ج ٢ ص ٩٦
واخبار ملوك بنى عبيد ص ١٣

جعفر بن فلاح الكتامي

٥٣٦٠-٩٧١م

القائد الجزائري العظيم رئيس اركان حروب العبيدين وفتوحاتهم بالمشرق ابو علي جعفر بن فلاح الكتامي نسبة الى كتامة تلك القبيلة العتيقة الكبرى بالجزائر التي قامت على سواعدھا الدعوة الشيعية بالمغرب ؛ اشتهر جعفر بقوة البأس وشدة الشكيمة والبطولة في الحرب ، ولما اجمع الخليفة المعز على فتح المشرق بعث به مع القائد جوهر على راس الجيش الفاتح ، فذهبوا معا الى مصر وفتحها وتولى جعفر وحده فتح بلاد الشام فدخل الرملة عنوة في ذي الحجة سنة ٥٣٥٨هـ - اكتوبر ١١٦٩م . وقضى على حكومة ابن طغج ، واحتل ايضا طبرية ثم قصد عاصمة الامويين - دمشق - فاحتلھا في شهر المحرم سنة ٥٣٥٩هـ - نوفمبر ١١٦٩م وحدث بها يومئذ اضطراب وفتن من اهلها فأقمعهم صاحب الشرطة ثم سعى اهلها في الصلح فصالحهم جعفر واستقام له الملك بها ، وبعدها نزل الى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق فابنى بها قصره العجيب ومكث هنالك الى ان زحف القرامطة على الشام تحت راية رئيسهم الحسن بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم ، فخرج اليهم جعفر وهو يومئذ عليل فانتصر عليهم ، ثم وقم تخاذل في جيش جعفر فظفر بهم القرمطي وقتل جعفر في جماعة من اصحابه يوم الخميس ٦ ذي القعدة سنة ٥٣٦٠هـ - ٣١ اوط ٩٧١م . قال ابن خلكان : وكان جعفر رئيسا جليل القدر ممدوحا وفيه يقول ابو القاسم محمد بن هانيء الاندلسي الشاعر المشهور

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح اطيح الخبر
حتي التقينا فلا والله ما سمعت اذني بأحسن مما قد رأى بصري

جدول تاريخي

٢٩٦ - ٥٣٦١

٩٠٩ - ٩٧٢م

أهم الحوادث	تاريخ الحوادث
تأسيس الدولة العبيدية	٩٠٩ ٥٢٩٦م
مبايعة عبيد الله المهدي بالخلافة	٩١٠ ٥٢٩٧م
هيجان الشعب الحزائري ضد الشيعة وقتل الداعية الصنعاني	٩١٠ ٥٢٩٨م
الحملة الشيعية الكبرى على المغرب الاوسط	٩١١ ٥٢٩٩م
مقتل ابي معلوم فلاحون عامل اوراس	٩٢٢ ٥٣١٠م
مقتل مصالة بن حبوس عامل تيهرت	٩٢٤ ٥٣١٢م
ابتداء ظهور الدعوة الاموية بالمغرب العربي	٩٢٦ ٥٣١٤م
انشاء مدينة المسيلة	٩٢٧ ٥٣١٥م
انشاء مدينة آشير	٩٣٦ ٥٣٢٤م
القضاء على ثورة ابي يزيد الخارجي صاحب الحمار	٩٤٧ ٥٣٣٦م
انشاء مدينة فكان	٩٤٩ ٥٣٣٨م
هجوم اسطول الامويين بالاندلس على مرسى الحرز - القالة وطبرقة	٩٥٦ ٥٣٤٥م
اعادة ظهور الدعوة الاموية بالحزائر ؛ وفتح البلاد المصرية	٩٦٩ ٥٣٥٨م
انتقال الخلافة الشيعية الى مصر	٩٧٢ ٥٣٦١م

الدولة الزيرية - الصنهاجية -

٣٦١-٤٠٥ هـ

٩٧٢-١٠١٤ م

نشأتها

تنسب هذه الدولة الجزائرية الحما ودما الى اهل صنهاجة وزعيمها الاكبر زيري بن مناد الصنهاجي منشىء مدينة اشير بجبل تبطرى - شرقى قصر البخارى - وصنهاجة - بضم الصاد وكسر ها - علم يطلق على وطن وقبيلة ، اما الوطن فهو قطعة من ارض الجزائر ما بين زاوية شرقا وزناتة غربا ، ويمتد على الساحل البحرى من مدينة الجزائر الى تنس ، يحده وطن الحضة والمسيلة والمديّة ومليانة . واما القبيلة فانها راجعة بنسبها الى جذمين : قار وحزمار ابني صنهاج . من قبائل البرانس ، وهي ذات بطون وافخاذ منتشرة بكامل هذا الشمال الافريقى فلا يكاد يخلو منها مكان . وعدها الهمداني صاحب الاكليل وغيره من المحققين فخذاً من قبائل حمير العربية ، وليس لها في البربرية سوى النسبة العرفية

كانت هذه القبيلة مرغمة على الخضوع للخلافة العباسية والاذعان للامارة الاغلبية ، وذلك لكونها علوبة بالولاء . فلما استتب الامر لدولة بنى عبید العلوية بهذه البلاد انقلبت على العباسيين فكانت بجانب الفاطميين ، فاستعان بها هؤلاء على محاربة اعدائهم زناتة احلاف الامويين ومواليهم ، فكانت هنالك حروب واهوال عظيمة بين هذين القبيلتين وكلها ترجع الى هذا الاختلاف السياسى في المبدأ والتزام على الرئاسة ايضا ، وقد ألمعنا فيما تقدم الى ما كان من حوادث الشيعة والامويين بالمغرب ، وما كان لزيري الصنهاجي من اليد البيضاء في القضاء على ثورة

أبى يزيد الخارجي سنة ٣٣٥هـ - ٩٤٦م وفتح المغرب الأقصى سنة ٣٤٧هـ - ٩٥٨م ومقاومة كل ناهض ضد بنى عبيد ؛ فأحرزت صنهاجة بذلك مقاما رفيعا ومكانا ساميا لدى الدولة الفاطمية وعلا شأن رؤساءها عند الخلفاء فبالغ هؤلاء الملوك والخلفاء في الكرام رؤساء صنهاجة وتقديرهم ؛ واطلق الخليفة يد زيرى فى قومه وعلى كل مكان تغلب عليه او احتله بأى صفة كانت ، وولاه امر تاهرت وباغاية فأمنت دولة العبيدين يومئذ من اخطار سكان هذه النواحي من بنى يفرن الزناتيين ؛ فملك زيرى يومئذ البلاد وضرب العملة باسمه

ولما عزم المعز بن المنصور العبيدى على الانتقال الى مصر دعا جعفر بن علي بن حمدون امير ولاية المسيلة والزاب ليعهد اليه بأمر افريقية ، فاستراب جعفر من ذلك لما علمه من سعاية منافسة زيرى الصنهاجى لدى البلاط الفاطمى وامتنع ؛ فأكد المعز دعوته هذه بارسال بعض مواليه الى جعفر ، فخشى جعفر مغبتها وخرج عن ولايته معتصما بمغراوة وقام هنالك مع الحخير بن محمد الزناتى بالدعوة الاموية ؛ فنشبت الحرب حينئذ بين زناته وصنهاجة ، وفيها كان مقتل زيرى الصنهاجى عرضا (١) فى رمضان ٣٦٠هـ - جوان ٩٧٠م وذلك بعد ما تملك بهذه الديار ستا وعشرين سنة ويومئذ علم الخليفة الفاطمى لا احق ولا اجدر بالولاية من هذه القبيلة الصنهاجية المتفانية فى نصره الدولة الشيعية وتوطيد اركان ممالكها بالمغرب ؛ فكان لها من الجزاء مثل ما كان لانصار الخلافة العباسية من الفرس حينما ظاهروهم على قهر اعدائهم الامويين ، فاصطفت الدولة العبيدية اسرة آل زيرى وعهدت بالامارة والوصاية على المغرب العربى لبلكين بن زيرى مستتنية طرابلس وقبيلة كاتمة الموالية

(١) احتزت مغراوة رأسه وبعثت به الى الخاتم المستنصر الاموى بالاندلس ؛ ولما تغلب زلوى ابن زيرى الصنهاجى على قرطبة سنة ٤١٠هـ - ١٠١٩م نقل الرأس من هنالك الى الجزائر فوضعه الى جسد والده فدفنه معه

حدود الجزائر الزيرية

كان بالجزائر على عهد الفاطميين اربع ولايات : اشير ، و تاهرت ، والمسيلة ، وباغاية ؛ وفي ايام الدولة الزيرية هذه ضمت الولايات الابع الى بعضها فأضيفت اعمال باغاية والقسم الشمالى من ولاية المسيلة الى اشير ، وجعل القسم الجنوبى من ولاية المسيلة الى تاهرت ، فأصبحت الجزائر ذات ولايتين عظيمتين ، هما ولاية تاهرت واشير

الامير بلكين بن زبرى

تولى الامارة على افريقية الشمالية بعهد من الخليفة المعز الفاطمى يوم الاربعاء ٢٢ ذى الحجة ٣٦١هـ - ٤ اكتوبر ٩٧٢م ولقبه بسيف الدولة وكناه بأبى الفتوح وسماه بيوسف وامر الناس بالسمع والطاعة له واوصاه بأمر كثيرة مؤكدا عليه فى المحافظة عليها وخاصة منها امور اربعة قائلا له : ان نسيت ما اوصيتك به فلا تنس اربعة اشياء : اياك ان ترفع الجباية عن اهل البادية ، والسيف عن البربر ، ولا تول احدا من اخوتك وبنى عمك ، فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك ، وافعل مع اهل الحاضرة خيرا . ولعل الشيعة كانت شائعة بين اهل الحضر خلافا لاهل البادية ؟

كان بلكين فى اول امره واليا على مدينة الجزائر ايام اماره والده زبرى على صنهاجة ؛ ثم خلفه فى امارته هذه قبل ان يتولى ولاية افريقية ، ويومئذ اشتهر فيها بالثبات ومضاء العزم والشجاعة النادرة مع حدة الذهن وتوقد القريحة ؛ ولقد استطاع هو وحده ان يحقق تدريجيا وحدة الشمال الافريقى على نحو ما يوفق اليه حكام المغرب العربى قبله ؛ فضرب العملة باسمه وبعث بالعمال والجباة الى الآفاق واستعد للطوارئ ؛ وبجلوس بلكين على عرش افريقية انتهى عهد العرب

بالمملك والدولة بهذا المغرب الاسلامى واستقل البربر بأمر وطنهم تحت لواء الاسلام تتداوله قبائلهم طائفة بعد اخرى وجيلا بعد جيل تارة يدعون الى الامويين خلفاء الاندلس وتارة الى بنى هاشم العباسيين الى ان استقلوا بالدعوة لانفسهم الى زمن الاتراك بالجزائر وتونس وطرابلس

مناجزة صاحب المسيلة

كان من الطبيعى ان يستمر جعفر بن علي صاحب ولاية المسيلة والزاب على عصيانهم للشيعنة وعلى مقاومة مزاحميه الصنهاجيين ، فكانت يومئذ حركة بلكين الى المغرب الاوسط وهى اول حركاته الى الجزائر بعد الامارة فقضى على قبيلة مغراوة الزناتية التى كانت ملجأ لحصمه جعفر صاحب المسيلة وشتت شمل المحاربين فاستأصل شافتهم وفتح معاقل بلاد زناتة وسبى الذراري والاموال؛ فانهزم جعفر وكسرت شوكرته ففر الى الاندلس يوم ١٨ رمضان ٣٦٠هـ - ١٥ جولييط ٩٧١م والمعر الفاطمى لا زال يومئذ بالمغرب ، وتقدم بلكين يخوض غمار البلاد الجزائرية الى ان بلغ سجلماسة - تافيلالت - فأخضعها واوغل فى بلاد المغرب الاقصى الى ان بلغ حصن تيطوان وهو فى ذلك لا يعترضه حصن او اى معترض كان الا وحطمه ؛ وهو الذى قضى من قبل على حركة محمد بن الحسن بن خزر المغراوى فى قياه ضد الشيعة وافضى به الى الانتحار

زحف بلكين على المغرب الاوسط

كان الداعي الاول الى خروج بلكين وزحفه على الجزائر هذه المرة ٣٦٣هـ - ٩٧٤م هو عصيان اهل باغاية وتمردهم على عاملهم واتصارهم عليه وشاركهم فى ذلك ايضا اهل شرق جبل اوراس تمرداً على السلطة القائمة مع الشيعة ، ثم انتشرت الفوضى والاضطرابات فعمت القطر الجزائرى فكانت هنالك ثورة بتاهرت خرج منها العامل مطرودا ، واخرى بأعمال تلمسان حيث نزلت عليها زناتة

الاموية مناهضة للشيعية ، فخفف يومئذ بلكين الى منازل هؤلاء الثوار وحاصر تلمسان وقضى على حركة زناتة بها ونقل اهلها الى اشير ، وانتصر على تيهرت ايضا فبطش بأهلها وخرّب المدينة ، ويومئذ اسرع اليه بالطاعة الثائرون من اهل شرق جبل اوراس وباغاية وجاؤوه مستأمنين خاضعين فأمنهم وعفا عنهم واجلاهم عن بلدهم بعد ما خربها وهدم سورها ، فذهب الكثير منهم ملتجئاً الى المغرب الاقصى معتصماً بجباله وصحاريه ، ويومئذ عمل بلكين على تغيير حدود المناطق والولايات الجزائرية فحذف ولاية المسيلة بالكلية واضيفت ناحيتها الجنوبية الى تيهرت وناحيتها الشمالية الى اشير : وجعلها ولايتين اثنتين : ولاية بأشير واخرى بتاهرت

اجلاء زناتة و وفاة بلكين

اعاد بلكين زحفه على زناتة سنة ٣٦٩هـ - ٩٨٠م فغضى عليها وابعدها عن المغرب الاوسط فأقفره منها واحلها ما بين ملوية وطنجة وتقدم بزحفه الى سجلماسة فاحتلها واستولى على مدينة فاس ، وبينما هو سائر في فتوحاته بالمغرب الاقصى اذ جاءه كتاب من الخليفة الفاطمي ينهاه عن التقدم والسير في طريق الفتح بأقصى المغرب فرجع ، وفي اثناء ذلك تغلب خزرون بن فلفول المغراوي الزناتي على سجلماسة فعاد اليها بلكين سنة ٣٧٣هـ - ٩٨٤م فهزمه واسره واستعاد سجلماسة الى طاعته ، وفي طريقه الى اشير ادركه حمامه فمات بمكان يقال له واركلان او - وارکش ؟ - بين تلمسان وسجلماسة ، وذلك يوم الاحد ٢٢ ذى الحجة ٢٧ ماي من هذه السنة

الامير المنصور بن بلكين

كان المنصور يوم وفاة والده مقيا بولايته اشير وقد عهد اليه والده بالامارة بعده فبويج يوم وفاته ، ٣٧٣هـ - ٩٨٤م وكان رجلا شجاعا عادلا ذكيا جوادا حازما صارما في الحق عطوفا شفوفا بالرعية عقيفا عن الدماء سائرا سنن ابيه ، واليك تنفا من خطاب العرش يوم تولى الامارة على المغرب فيها اجمال لخطته السياسية وبرنامجه الحكومي فقال : ان ابي وجدى كانا يأخذان الناس بالسيف قهرا ، وانا لا آخذ احدا الا بالاحسان ، ولا اشكر على هذا الملك الا الله تعالى ، ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، لاني ورثته عن آبائي واجدادى وورثوه عن آبائهم واجدادهم حمير (١). وقال يوم انكر عليه اعيان دولته مصاهرته وعقده لاحد ابنائه على بنت سعيد بن خزون سيد زناته - المعادية - : كان ابي وجدى يستبعان زناته بالسيف ، اما انا فممن رمانى برمح رميته بكيس حتى تكون مودته طبعيا واختيارا ... على هذه الاسس السياسية الرشيدة بنى المنصور قواعد ملكه وقاد امته الى المجد ، فكان يعامل جميع رؤساء القبائل والعشائر بكل مكرمة واحسان ، ويحدثهم بحديث كله لطف وود وإخاء متناسيا كل سخيمة وحقد . وكانت اقامة المنصور تارة بالمنصورية - هي مدينة صبرة القريبة من القيروان - وتارة بأشير ، فتراه متنقلا بينهما متصلا بجميع المملكة ، وله سكة باسمه تضرب بها العملة مثل ابيه من قبل

ثورة ابي الفهم الكتامي

لقد كان لقبيلة كتامة كما علمت يد في إشادة ملك الفاطميين بالمغرب وكان مما اجازهم به العبيديون علي ذلك ان رفعوا عنهم يد الامارة الصنهاجية واوصوها بهم خيرا ؛ فكانت كتامة مستقلة عن دولة صنهاجة لا طاعة لهذه عليها ؛ غير ان ذلك لم يكن في نظر كتامة كافيا في مكافاتها عما قامت به تجاه العبيدين في دور التكوين ؛ بل كانت ترجو ان تكون خليفتها على المغرب لما تراه هي في نفسها من الجدارة والاستحقاق والتقدم على غيرها في هذا الامر؛ فلما رأت ذلك كله بيد صنهاجة نهضت بقيادة ابي الفهم حسن بن نصر الكتامي الحراساني واطهرت العداوة والبغضاء لصنهاجة ؛ وخرج ابو الفهم للقتال ف ضرب سكتته ونشر بنوده وجمع حوله من الجند والعسكر ما كثر به جمعه ، فاستأذن الامير المنصور في قتال كتامة بكتاب وجهه الى الخليفة الفاطمي بمصر ، فجاءه الجواب بواسطة رجلين بعث بهما الخليفة الى المنصور ؛ يأمره بعدم التعرض لكتامة حيث لا سلطان له عليها ثم اراد الرجلان الالتحاق بكتامة حسب مأموريتهما فسجنهما المنصور وحال بينهما وبين كتامة

القضاء على شوكة كتامة

يبدو من جواب الخليفة المنصور حول كتامة ان الدولة الفاطمية كانت مستشعرة عظمت صنهاجة وانها كانت تخشى استفحال امرها وتضخم سلطانها فتركت بجانبها قبيلة كتامة مستقلة عنها استعدادا للطوارئ فهي من نوع سياسة التفرقة التي ساد بها اليوم الغرب على الشرق ، وما يدرينا ان ثورة كتامة كانت بتالو وإيعاز من الشرق ؟... والا فما معنى اعتراض الخلافة الفاطمية على المنصور في محاربة هؤلاء ؟... وما معنى محاولة الرجلين المبعوثين من الشرق الى المنصور الاتصال بكتامة ؟... ولكن ذلك كله لم يحل بين المنصور وبين ما بيته من عزيمة

في مقاتلة هذه القبيلة المجاربة ، فنزل بالشمال الغربي من قسنطينة محاصرا مدينة ميلة في شوال سنة ٣٧٨هـ - جانفي ٩٨٩م ونشر هناك اعلامه الكبيرة الموشاة وقرع بها الطبول ايدانا بمحاربة كتامة ، فخرج اليه العجائز والصبيان متضرعين باكين متوسلين اليه في ترك الحرب والبقاء عليهم فرثى لحالهم وبكى لذلك المنظر الحزين ورجع عن ميلة بعد تخريب اسوارها ونقل اهلها الى باغاية شرقي اوراس ، وفي طريق هؤلاء الى باغاية لقيهم ماكسن بن زيري الصنهاجي - عم المنصور - فجردهم مما كان معهم من المال والنشب

ثم جعل المنصور لا يمر في طريقه على مدينة او قرية من بلاد كتامة الا ويأمر بتحطيمها ، حتى بلغ الى مدينة سطيف وهي يومئذ مركز عز كتامة فحصل بينه وبين ابي الفهم قتال عنيف انهزم فيه ابو الفهم وفر الى جبل هنالك يعصمه من الموت او القتل ، فكان مثل ولد نوح في ذلك ... فأدركه المنصور فقتله فاستكانت يومئذ كتامة لصنهاجة واذعنت لطاعتها وحدث المصور اذ ذاك منصب خليفة عنه بميلة وآخر بسطيف واذن بالافراج عن مبعوثي الخليفة فلهقا بالبلاط الفاطمي وحدثنا هنالك بما رأيا من جرأة المنصور وانتصاراته فجاءت الهدايا من القصر الى المنصور توددا وتقديرا لمركزه السياسي الذي احرزه بشجاعته واقدامه

ثورة ابي البهار بتاهرت

ما كادت تنتهي حوادث كتامة حتى ظهرت علائم الخلاف والشقاق من الى تيهرت ابي البهار بن زيري الصنهاجي عم المنصور؛ فغلب على وهران وشلف وكثير من بلاد الزاب فبرز اليه المنصور سنة ٣٧٩هـ - ٩٨٩م ففر ابو البهار من تيهرت واحتق بالمغرب الاقصى ، ودخل عسكر المنصور المدينة فأكثر بها النهب والقتل يومئذ ثم خرج منها بأمر من الامير وامن المنصور اهل تيهرت على انفسهم ونصب عليها اخلا يطوفت وانتقل منها الى قاعدته الجزائرية «اشير»

فبعد لاجئها حماد عليها ثم عاد الى المنصورية . وفي سنة ٣٨٢هـ - ٩٩٢م ظهر ابو البهار بالقيروان بعد اختفائه بالمغرب فوفد على المنصور معتبا فعقا عنه واكرمه وانزل احسن منزل ثم اعاده الى ولايته على تيهرت

اقامة الدعوة الاموية بالجزائر

كان لسقوط مدينة فاس بيد زيري بن عطية من بني خزر المغراويين سنة ٣٧٧هـ - ٩٨٧م اثر ظاهر في انتشار الدعوة الاموية بالمغرب من جديد وتسربها الى الجزائر وكان يومئذ على ولاية تاهرت ابو البهار عم المنصور الصنهاجي فرفض دعوة العبيديين ودعا الى الخلافة الاموية القائمة يومئذ بالاندلس وخالف على ابن اخيه للمرة الثانية وتغلب على مدينة تلمسان ووهران وشلف وجبال وانشريس وشرشال وكثير من بلاد الزاب وغيرها من النواحي الشرقية بالجزائر وبعث ببيعته الى المؤيد الاموي وحاجبه المنصور بن ابي عامر بالاندلس ، فكتب اليه هذا بالعهد على ما بيده من البلاد مع هدايا وخلع واربعين الف دينار ، فقبض ابو البهار ذلك ومكث يدعو الى الاموية مدة شهرين ثم خلعهم وعاد الى العبيديين ، فغضب لذلك المنصور بن ابي عامر فكتب بعهدة على بلاد المغرب الى زيري بن عطية وامره بمقاتلة المخالفين ، فبرز ابن عطية في عدد لا يحصى من قبائل زناتة وغيرهم متوجها من فاس الى قتال والى تاهرت ، فخرج يومئذ ابو البهار من ولايته ملتحقا بابن اخيه الامير المنصور الصنهاجي ، فاحتل زيري المغراوي مدينة تلمسان واستولى على جميع اعمال ابي البهار بالجزائر ؛ ثم كانت هنالك مقاومة لدعوة زيري الاموية من قبل بعض الولاة الصنهاجين فسكنت رجة هنية ، واخيرا تحرك زيري للقضاء على هؤلاء المخالفين فتم له النصر على القطر الجزائري سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م . واقام به دعوة الامويين الى وفاته سنة ٣٩١هـ - ١٠٠٠م فانحاشت الدعوة اذ ذاك الى المغرب الاقصى

انشاء مدينة وجدة

ولما تمكن زيري بن عطية المغراوي الزناتى من ملك المغربين الاوسط والاقصى وصفاله الجو وخلا عن المنازع والمزاحم رغب فى تأسيس مدينة تكون واسطة عقد مملكته ، فاختار موقع مدينة وجدة ، واخذ فى تأسيس المدينة وشرع فى بنائها فى شهر رجب سنة ٣٨٤هـ - اوط ٩٩٤م وانتقل اليها بأهله وحشمه وحمل اليها جميع امواله وذخائره وجعلها عاصمة الامارة الزناتية التابعة للخلافة الاموية بقرطبة ، ثم آلت هذه الامارة بعدة الى ابناء عمومته ، وكان آخر الامراء فيهم معنصر بن المعز المغراوي الذى قتله المرابطون سنة ٤٦٢هـ - ١٠٦٩م وقضوا على امارته

استئصال كتامة

كان كتامة لم تكتف بما تلقته من النكبات فى حوادث ابى الفهم الماضية ، فتمردت هذه المرة عن دفع الجباية وامتنعت من الرضوخ للدولة ، فقامت خلف رجل ينتسب للقائم العبيدى اسمه ابو الفرج فضرب السكة باسمه واتخذ البنود والطبول وجرت بينه وبين عاملى المنصور الصنهاجى على ميله وسطيف حوادث كبرى وحروب عظيمة هى اشد واعظم من وقائع ابى الفهم السالفة ، فبرز لها يومئذ المنصور سنة ٣٨٠هـ - ٩٩٠م فظفر بابى الفرج فقتله وشحن جميع ارض كتامة وبلادها بالجند والحامية وبث العساكر فى الثكنات بجميع النواحي والجهات حتى لا يستطيع احد منهم ان ينهض او يتحرك ، وبعث بالولاة والعمال الى سائر الاعمال فقضى بذلك على كتامة ،

الامير باديس بن المنصور

توفي المنصور يوم الخميس ٣ ربيع الاول ٣٨٦هـ - ٢٦ مارس ٩٩٦م فبويغ ولده باديس الذي كان حائزا على سجل ولاية عهد ابيه من العزيز الفاطمي منذ سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م ، وبعد مبايعته بالامارة اتصل بموافقة الحاكم الفاطمي في السنة التالية ولقبه بنصير الدولة ، وكان مولد باديس بمدينة اشير - بالجزائر - ليلة الاحد ١٣ ربيع الاول ٣٧٤هـ - ١٤ اوط ٩٨٤ ، وكان ملكا شجاعا مقداما كريما حلما حازم الراى شديد البأس ، وكان يعتن بالحرية وفيه يقول الشاعر :

تجلو عمامته الحمراء غرت
كانه قمر في حمرة الشفق

رئاسة ولاية الجزائر

كان اول ما قام به باديس من الاعمال الادارية ان عقد لعمه حماد بن بكين على جميع ولاية الجزائر الشرقية واقطعه مقاطعتي اشير وامده بالخيـل والسلاح وعدد الحرب اتقاء لطواريء القبيلة المعادية زناتة ، وجعل ولاية تاهرت وجميع ارض الجزائر الغربية لعمه ايضا يطوفت بن بكين ويحمل كل منهما لقب نائب باديس ، وكثيرا ما كان الاخوان يطوفت وحماد وعمهما ابو البهار يتداولون عمل اشير

فوز الامويين بالجزائر

حاولت قبيلة زناتة افكتاك بعض الاعمال الجزائرية من يد صنهاجة فظهرت الخلاف على باديس ، وعملت على مناهضته ، فاتهزها يومئذ زيري ابن عطية فرصة ودعا لمبايعة المؤيد الاموي بالاندلس فبايعته زناتة ، فرحف يومئذ زيري بجموعه على ولايتي تلمسان وتيهرت فاستولى عليهما سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م فنهض اليه باديس من مركزه ومر في طريقه بطبنة فاستجاش بصاحبها فلغول

ابن عم زيري بن عطية المغراوي فامتنع واقلب على باديس؛ واندلع لهيب الثورة يومئذ ضد صنهاجة وامتد شررها من طنبنة الى تيجس من اعمال قسنطينة وحاصر فلفول مدينة باغاية سنة ٣٨٩هـ - ٩٩٩م . واحتلها ثم انهزم عنها فلحقته جنود صنهاجة وطاردته من مراحنة ايضا فلحق بالجلال ، وهالك اتصل فلفول بخصوم باديس ومزاحمه من آل زيري الصنهاجي فنزلوا تبسة فحمل عليهم باديس واجلاهم عنها . ويومئذ حدث وحشته بين الامير زيري بن عطية الزناتى وبين الوزير المنصور ابن ابى عامر حاجب الخلافة الاموية بالاندلس فاعلن الوزير الحرب على عدوه الزناتى وكان ميدانها المغرب الاقصى واندلع لهيبها الى المغرب الاوسط فسقطت اعمال تاهرت وتلمسان بيد الحاجب الاموى

خيبة زناتة في حملتها على تيهرت

هاجت هذه القبيلة على اعمال تيهرت سنة ٣٨٩هـ - ٩٩٨م . وكادت ان تنتصر عليها فكتب عاملها يطوفت بن المنصور الى باديس مستمدا ومستنصرا ، فجهز اليه الامير جيشا عرمرما وجعله تحت قيادة كاتبة محمد بن ابى العرب وخرج القوم من دار الامارة فى منتصف صفر - فيفري - من هذه السنة قاصدين تيهرت ، فعمروا فى طريقهم على آشير مستعينين بجندية حماد بن بلكين فانضم اليهم حماد بجنوده والتحق الجميع بعسكر يطوفت وزحف الجيش الصنهاجى من هنالك نحو اماكن العدو فالتقى الفريفيان غرة جمادى الاولى - ٢٠ افريل - بوادى ميناس - على مرحلتين من مدينة تاهرت - فانتصرت زناتة وانهزمت جنود صنهاجة الى آشير تاركين خلفها جميع معداتها الحربية وأموالها نهباً للعدو ، واحتلت زناتة معظم العواصم الجزائرية فنزلت تيهرت ، وتلمسان ، وشلف ، وتنس ، والمسيلة وجملت من بلاد الزاب وحاصرت آشير ايضا؛ وكان السبب فى خذلان صنهاجة هذه المرة كراهية الجيش الحمادى لاميره لقله عطائه وحدة اخلاقه الشرسة

وطار خبر هذه الهزيمة الشنعاء الى باديس فسيخط لذلك وحمل بنفسه على مراكز العدو بتيهت ، ففرت امامه زناتة الى باغاية وطبنة ، واختلفت عليه من هنالك ، فتعقبها باديس بجنوده ودحرها في وقائع وحروب طاحنة

عصيان ماكسن وزاوى

هما اخوان من ابناء زيرى بن مناد الصنهاجى حاولا الخروج عن طاعة باديس واطهرا الخلاف والمعصية في جملة اعمامه الذين لم يتح لهم التمتع بالحكم والراية : فعقد باديس لعمه الداهية حماد على اخضاعهم سنة ٣٩٠هـ - ١٠٠٠م. فقتل ماكسن وانحصر اخوه زاوى بجبل شنوه بناحية شرشال مستأمناً فيمن كان معه من الاتباع فاشتراط عليهم حماد الجلاء عن بلاد الجزائر ، فخرج زاوى يومئذ في قننه وابناء اخيه الى الاندلس ملتحقا بالمنصور بن ابي عامر فاكرم المنصور وفادتهم ، ثم كان لهم بعد ذلك شأن وملك هنالك

بعث الدعوة الاموية بالجزائر

كنا المعنا الى سقوط ولايتي تلمسان وتيهت بيد زيرى بن عطية المغراوي الزناتى القائم بدعوة الامويين بالمغرب سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م . ثم بيد المنصور بن ابي عامر الحاجب الاندلسى سنة ٣٨٩هـ - ٩٩٩م . واستمرت هذه القطعة من الجزائر تحت ادارة المنصور هذا الى ان عهد بها وبعمل سجالها الى المعز بن زيرى بن عطية سنة ٣٩٣هـ - ١٠٠٣م فاستبد هذا بالمغرب الاقصى وجعل على ولايتي تلمسان وتيهت ولده يعلى سنة ٣٩٦هـ - ١٠٠٦م فجدد بها الدعوة الى الخلافة الاموية ، واورثها بنيه ، ولم يزل بعد ذلك بنو يعلى في حرب مع بنى حماد الى ان تغلب عليهم اخيرا المرابطون فأجلوهم عن هذه الامارة سنة ٤٧٣هـ - ١٠٨٠م

قهر زناته

استمرت زناته على تمردھا ضد السلطة الحاكمة فاضطرب لذلك جبل النظام بالمغرب الاسط وقلق منه باديس ، فأوعز الى عمه حماد بالقضاء على حركة زناته واتحاد ثوراتھا المتحددة ، فاقنحم حماد هذه الفرصة السانحة ليحقق اغراضه في الملك والرئاسة فاشترط على الامير انه ان نجح في زحفه على زناته ان يوليھ المغرب الاوسط ، وان له جميع ما يملكه في غزوته هذه من البلاد ، وان تكون له الحرية في اختيار مكان اقامته بالبلاد ، فوافقھ باديس على ذلك ؛ فغزا حماد يومئذ زناته سنة ٣٩٥هـ - ١٠٠٥م فظفر بهم واستأصل شافتھم بحيث لم يظهر لهم بعد ذلك اى أثر في الحرب مع حماد . وما كانت ثورات زناته في حقيقة امرھا الا عن ضغينة وحقد لحقھا من خبيثھا ، اذ لم يكن لها في هذه الدولة من الحكم والرئاسة نصيب .

انشاء قلعة بنى حماد

اندفع حماد بعد انتصاره على زناته يتجول في آراء الجزائر ثملا بنخوة الظهور والغلبة وهو في ذلك يرتاد مكانا حصينا يتخذھ مركزا لسلطانه ويحتاط فيه لنفسه ، فوفق الى جبل منبع مطل على بحيرة الحضنة يعرف بجبل كياتھ على نحو ٣١ كيلومترا جنوب برج بوعريريج وعلى نحو ٢٠ كيلومترا بالشمال الشرقى من مدينة المسيلة تحيط به سهول وبأعلاه حصن «ناقر بوس» المعروف في القديم باسم قلعة ابى طويل على نحو ١٥ كيلومترا شرقى برج الغدير ؛ وهناك شرع حماد سنة ٣٩٨هـ - ١٠٠٧م في وضع قلعته وتأسيس عاصمته التى قدر لها ان تكون حينئذ من الدهر عاصمة القطر الجزائرى ؛ وقد تم تمصيرھا في عامين ، ثم احاطھا بسور من الحجارة سنة ٤٠٥هـ - ١٠١٤م يبلغ ارتفاعه ميترا واحد ويمتد حول جبل كياتھ على استدارة سبعة أميال

يقول الادريسي في وصف هذه القلعة انها «من اكبر البلاد قطرا واكثرها خلقا واغزرها خيرا ، واوسعها اموالا ، واحسنها تصورا ومساكن ، واعمها فواكه وخضبا ، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة ؛ وكانت مقصد التجار ومحط رحالهم يأتون اليها من العراق والحجاز والشام ومصر الخ واهلها في غاية الذكاء والفطنة ولهم في ذلك نواذر واقاصيص عجيبة يرويها اهل الجغرافية والتاريخ (١)

بداية الخلاف بين حماد وباديس

استقر حماد بن بلكين بعاصمته الجديدة - القلعة - وصار يتنقل بينها وبين آشير يوما هنا ويوما هناك ، واصبح حسب تفويض الامير صاحب النفوذ المطلق بالجزائر واراض الزاب ايضا وركدت ريح زناتة وتبدد شملها ؛ واشتهر ذكر حماد فطار بالبلاد صيته وعظم شأنه وكثر دخله ؛ ويومئذ عملت عوامل الحسد وحسائك الحقد والضعفة في صدور اعدائه فأخذوا في السعاية والوشاية به الى باديس وذكروا له اشياء كرهها الامير من حماد وخشى على ضياع نفوذه واستفحال امر عمه حماد ؛ وبقي باديس يلتمس الفرصة ليطالع نفسه على نوايا عمه حول الامارة والملك ؛ ففي شهر ذي الحجة ٤٠٧ هـ - ماي ١٠١٧ م جاء العهد من الخليفة الحاكم الفاطمي بولاية المعز بن باديس امارا افريقية بعد والده ، فبادر باديس الى امر حماد بالتنازل عن ولاية عمل قسنطينة وتيجس - على نحو تسعين كيلومترا بالجنوب الشرقي من قسنطينة - للمعز ولي عهد امارة صنهاجة ، فامتنع حماد لهذا الامر وامتنع واصر على بقاءه في ولايته وجاهر برفض التشيع وقتل الروافض ؛ فنشأت عن ذلك عداوة ووحشة بين القصر وحماد

نشوب الحرب بين حماد وباديس

ولما اتضح لباديس موقف عمه العدائي تجاه ملكه والدعوة الشيعية جهز له جيشا وامر عليه كبير قادته هاشم بن جعفر واهب به الى ناحية الجزائر فخرجت الكتائب من القيروان فلقبها حماد بمدينة الكاف ومعه ثلاثون الف مقاتل فانهزم جيش هاشم وتقدم حماد الى تونس وباجة فاحتلها واثار أهلها ضد الشيعة ، ويومئذ زحف اليه باديس فهزمه ونكص حماد على عقبه ملتجئا نحو آشير فتكرله أهلها ففر الى ناحية شلف فلحقه باديس وقد امتلك في طريقه مدينة المسيلة وآشير وبلغ الى سهل السرسو فانضم اليه هناك جميع اعداء حماد وخصومه الناقمين عليه ، فاشتد ساعد باديس بأولئك فأجاز بهم وادى شلف وقضى على قوات حماد الكامنة هنالك في اوائل جمادى الاولى سنة ٤٠٧ هـ - اكتوبر ١٠١٦ م ، فانهزم حماد من محبنة الى شلف وهرب الى القلعة فتخلى عنه اصحابه وذهبوا الى الامير ، واشتغل القوم يومئذ باستفادة ما خلفه حماد وراءه من الغنائم والاموال والانتقال مما لا يحصى عدا ... ثم احاط الجميع بقلعة حماد فحاصروها وكادوا ان يظفروا بها لو لا ان فاجأهم موت باديس بالمسيلة يوم الثلاثاء ٣٠ ذى القعدة ٤٠٧ هـ - ٣٠ افريل ١٠١٧ م فرأسوا عليهم اخلا كرامة وجعلوه كقائد اعلى يرجعون اليه في تسيير هذه المعركة وكتبوا موت الامير ، فحمل يومئذ كرامة على حماد في سبعة آلاف مقاتل وانفق في ذلك اموالا طائلة ، واستعد حماد لمقاومته في الف وخمسمائة فارس فهزمه الى القيروان ومعه جثمان باديس فدفن بها وبويع ولده المعز

الامير المعز بن باديس

سير اليه الخليفة الفاطمي تشريفا وسجلا لقبه فيه بشرف الدولة ، وكانت توليته الامارة يوم ٢١ ذى الحجة سنة ٤٠٧هـ - ٢١ ماي ١٠١٧م وسنه يومئذ ثمان سنوات واربعة اشهر ، فكفلته عمته ام ملال الى ان بلغ سن الرشد فاشتهر بالتدين والعلم ورقعة القلب والتعفف عن سفك الدماء الا ما كان في حق وكان يجيد الشعر بحسن الالخان الموسيقية والعزف معها وله خبرة ودراية بالاحجار الكريمة محبا لاهل العلم والادب ومحط آمالهم ، فكان عصره اضخم واترف ملك عرفه البربر بافريقية ، فهو ثالث ملوك هذه الدولة الذين ضربت السمكة بأسمائهم ، واول من اتخذ المهدية قاعدة لملكه الى ان استولى عليها الصقليون سنة ٥٤٢هـ - ١١٤٧م . ولم تطل مدة احد من اهل بيته في الولاية والملك كمدته ، اذ كان فيها من اكرم اهل بيته

استمرار الحرب بين حماد والمعز بن باديس

استمر كرامته بن المنصور محافظا على عرش اخيه باديس حتى تمت المبايعة لابنه المعز ، ويومئذ تخلى عن العرش لابن اخيه وصالح حمادا على اموال قبضها والتحق بالبلاط الصنهاحي ؛ فأسرع حماد يومئذ الى تبوئة مكانه بالمغرب الاوسط ودخل المسيلة وآشير واستعد فيهما للقتال ، وخرج لحصار باغاية فأجلاه عنها جيش المعز وهزمه يوم ٢٢ صفر ٤٠٨هـ - ٢١ جويلط ١٠١٧م فسر لذلك اهل باغاية وبعثوا بهدايا وتحف نفيسة الى المعز كان من بينها عبيد وثلاثمائة وخمسة وثلاثون بردونا مسرحية بالسروج المحلات الخ ثم بعد مضي شهر من وقعة باغاية كانت هنالك وقعة ثانية هي اشد واعظم من الاولى انهزم فيها حماد ، كذلك وتفرق عنه الجند واسر اخوه ابراهيم بما معه من العتاد ونجا حماد بنفسه ، ثم سار جند المعز الى مدينة سطيف وقصر الطير وقفل بعدها الى حضرته

الصلح والموادة

ولما استبان لحامد عجزه عن مداومة الحرب بعث الى المعز مستسلما طالبا للامان فقبل منه ذلك مشروطا عليه ارتهان ولده القائد ؛ وبعد ما استوثق حماد على ابنه بواسطة اخيه ابراهيم بعث به الى المعز ومعه هدايا نفيسة فاقتبله الامير في منتصف شعبان ٤٠٨ هـ - جانفي ١٠١٨ م واکرمه واغمره باحسانه وامضى له ما ارتضاه والده من الصلح واقطعه مدينة المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وسوق حمزة - برج حمزة قرب البويرة - وزاوة ومقرة وغيرها من بلاد الجزائر ، فكأن ذلك كان ترشيحا من المعز لانشاء دولة بني حماد ثم عاد القائد بعد ذلك الى والده في رمضان من سنة يحمل معه صكوك السلم والاقطاع ؛

ثم كانت هنالك حوادث زناتة بالزاب فنهض اليها الجند الصنهاجي فأخذهم سنة ٤٢٩ هـ - ١٠٣٨ م بعد ما قتل فيها عددا وافرا من الناس واحتل جميع قلاع الزاب . ثم في سنة ٤٣٢ هـ - ١٠٤١ م حدثت وحشة بين عاهل صنهاجية وحماد ، فزحف المعز الى القلعة الحمادية فحاصرها مدة سنتين ثم اقلع عنها وعاد الى حاضرتة ؛ فلم يختلفا بعد ذلك ؛ ويومئذ تمحض ملك الجزائر للاسرة الحمادية واستمرت الولاية فيهم زهاء قرن ونصف كما سنفصله في تاريخ دولتهم ؛ ومنذ ذلك الحين انقسمت المملكة الزييرية الصنهاجية بالمغرب الى قسمين : مملكة شرقية وقاعدتها القيروان ثم المهديّة حكم فيها ابناء المعز الى ان قضى عليهم النورمان سنة ٥٤٣ هـ - ١١٤٨ م . ومملكة غربية كانت لبني حماد وقاعدتها القلعة ثم بجاية الى ان سقطت بيد الموحيدين سنة ٥٤٧ هـ - ١١٥٣ م

المذاهب والعقائد

كان المغرب العربي في اول عهده بالاسلام سائرا في تدينه على مذهب السلف الصالح وعقائد اهل السنة والجماعة ؛ الى ان كانت حوادث فتنة الجمل وصفين بالمشرق فشأت عنها احزاب وطوائف سياسية مختلفة تسربت الى المغرب فتطورت العقائد معها الى احساس سياسى وتفرقت الامة في عقائدها واتجاهها الديني الى مذاهب وطرق شتى فحدثت يومئذ مذاهب الاعتزال والخارجية واختلفت الآراء في اصول الاعتقاد ؛ وسلك الناس في عباداتهم ومعاملاتهم هذا المسلك ايضا ، فاختلفوا الى مذاهب شتى ؛ وكان اظهر المذاهب الاسلامية يومئذ بالمغرب مذهب ابى حنيفة ومالك كما المعنا الى ذلك فيما تقدم

وفي عهد بنى عبيد الفاطميين حاولت هذه الدولة نشر مذهب الشيعة الاسماعيلية بعقائده وعباداته بين الشعب الافريقي كله ، ومحو مذهب اهل السنة ، فكان هنالك من اخذ به ، ومنهم من رفضه ؛ وكان فقهاء المالكية على الخصوص في محنة عظيمة مع هؤلاء الروافض من الشيعة الى سنة ٤٠٧ هـ - ١٠١٧ م . حيث اختلف حماد بن بلكين على باديس وفسدت ذات البين بينهما فأعلن حماد برفض عقائد الروافض والغاء مذهب الشيعة والتمسك بمذهب اهل السنة ؛ فانقطعت بذلك دعوتهم بالجزائر ؛ واستمرت المعارضة المالكية تعمل في الشعب المغربي حتى تغلغل فيه الوعي السننى فانتهمز المعز بن باديس هذا الموقف ليتخذ منه سبيلا الى اعلان انفصاله ايضا عن دولة الفاطميين واستقلاله بالمغرب العربي ؛ فانتحل يومئذ مذهب اهل السنة وحمل الناس على مذهب الامام مالك ومنعهم من تعدد المذاهب ، فجمع الفقهاء للمناظرة بين يديه ، وكان فيهم المالكية والحنفية ؛ فسألهم عن موطن ابى حنيفة ، فقول له الكوفة ، فقال ومالك ؟ ... فقالوا المدينة ، فقال عالم اهل المدينة يكفيننا وامر باخراج اصحاب ابى حنيفة ، وقال لا احب ان يكون

في عملي مذهبان . وأعلن يومئذ انفصاله السياسي عن الفاطميين ، ولعن مذهب الروافض ، وأبطل شعائرهم وقطع الخطبة باسمهم ودعا للخلافة العباسية ببغداد ، فحظي منها بالتقليد والخلع فنشر الرايات السود وهدم دار الاسماعيلية وذلك حدود سنة ٤٣٥هـ - ٤٣٠هـ فاندفع الناس حينئذ لمقاتلة الشيعة واضطهادهم ابرح قتال واشداضطهاد ؛ فكانت هذه الحركة الدينية الفقهية بالمغرب العربي حركة قوية نشيطة اكثر ما خدمت فقه الامام مالك واستقلال البلاد

ويحدثنا المقدسي في كتابه الجغرافي الجليل «احسن التقاسيم» الذي وضعه سنة ٣٧٥هـ - ٣٨٥هـ بعد ما جال في هذه الاوطان المغربية واتصل بأهلها ، فقال «ان اهل المغرب لا يكادون يعرفون الا كتاب الله وموطأ مالك ؛ وانهم لا يعرفون مذهب الشافعي ايضا ، انما هو ابو حنيفة ومالك ؛ قال «وكنيت يوما اذاكر بعضهم في مسألة ؛ فذكرت قول الشافعي ، فقال : اسكت من هو الشافعي ؟ انما كان بحر ان ابو حنيفة لاهل المشرق ومالك لاهل المغرب ، افتركهما ونشغل بالساقية ؟. قال وما رايت فريقين احسن اتفاقا واكل تعصبا منهم ... وسألت بعضهم : كيف وقع مذهب ابي حنيفة اليكم ولم يكن على سابلتكم ؟ ... قالوا : لما قدم وهب بن وهب من عند مالك وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز ، استنكف اسد بن عبد الله ان يدرس عليه لجلالته وكبر سنه ، فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا ، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع الى وهب فقد اودعته على ، وكفيتكم به الرحلة فصعب ذلك على اسد ، ثم سأله هل يعرف لمالك نظير ؟ ... فدل على محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ، فرحل اليه ، واقبل محمد عليه اقبالا لم يقبله على احد لما رأى منه من فهم وحرص ، فلما رأى محمد انه قد بلغ مراده سيبه الى المغرب ، فلما دخلها اختلف اليه الفتيان وراوا فروعا حيرتهم ، ودقائق اعجبتهم ، ومسائل ماظنت على اذن ابن وهب فقشا مذهب ابي حنيفة بالمغرب

وفيما يرجع الى رواية القرآن الكريم واقراءته بالمغرب فانه كان يتلى بقراءة الامام حمزة بن حبيب ، الى ان رحل ابن خيرون الاندلسي الى المشرق في صدر المائة الرابعة فعاد برواية قانون وورش عن نافع فانتشرت هذه القراءة ايضا بين الناس بعد ان كان لا يقرأ بها الا الخواص

الزحف الهلالي

تأثر الخليفة الفاطمي كثيرا لهذا الحادث الخطير وهذا الانقلاب الديني السياسي العظيم الذي وقع بافريقية، فعظم عليه خروج المغرب عن الامبراطورية الفاطمية وانقراض دعوة الشيعة به ، فكتب المستنصر بالله العيدي الى المعز بن باديس كتابا يتهدهده فيه ويقول : هلا اقتفيت آثار آبائك في الطاعة والولاء ؟ ... فأجابه المعز قائلا ؛ ان آبائي واجدادى كانوا ملوك المغرب قبل ان يملكه اسلافك ، ولهم عليهم من الخدم اعظم من التقديم ولو اخروهم لتقدموا بأسيا ففهم ويومئذ دبرت مكيدة الحملة الهلالية باشارة من اليازورى وزير المستنصر حيث كان واغر الصدر على المعز ، وكان هؤلاء الاعراب من بنى هلال وبنى سليم ورياح وزغبنة قد اضروا بالديار المصرية واصبحوا خطرا على الدولة هناك ففتح لهم الخليفة باب الهجرة الى المغرب ورغبهم فيه بأنواع من المرغبات وعقد لرؤاسهم ورجالاتهم على امصار البلاد وثغورها وقلدهم كثيرا من الاعمال والولايات انتقاما من دولة صنهاجة الزبرية المشاقة؛ واذن لهؤلاء الاعراب في الانتقال الى هذا الشمال الافريقي؛ وقال لهم : قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجي ذلك العبد الآبق فلا تقتشقون ؛ وترك تحقيق ذلك الى سيوفهم ورماحهم

خرجت الحملة الهلالية الاولى من الديار المصرية سنة ٤٤٢هـ - ١٠٥١م في نحو الاربعمئة الف شخص ، واذاك كتب اليازورى الى المعز (.. اما بعد فقد ارسلنا اليك

خيولا ، وحملنا عليها رجالا فحولا ليقضى الله امرا كان مفعولا» ونزل هؤلاء الاعراب بافريقية فاتشروا ببرقة ونواحي قابس وتونس ؛ فأكثروا فيها الفساد والنهب وتكررت الوقائع بينهم وبين الاهالى والدولة وتعددت النكبات فتخلى لهم المعز عن القيروان الى المهدية فتعقبوه اليها ، وكان الملتحم بالجزائر فى نواحي جبل راشد ومصاب والزاب الشرقى وفيه قتل القائد ابو سعدى خليفة الزناتى الفترى وزير بنى خزر بتليسان : وكان من جملة المقلدين فى هذه الحملة الحسن بن سرحان فانه جاء برسم ولاية قسنطينة فاحتلها وقد شهدت البلاد فى هذه الآونة من البلايا والاهوال والحروب الاليمة ما يشيب لها الاطفال ... وعجز عن المقاومة كل من صنهاجة وزناتة وامراء تليسان من بنى خزر وامراء القلعة من بنى حماد وفاز هؤلاء المهاجرون من الاعراب الهلالين بامتلاك اعظم الجهات بافريقية ، فكان لبنى سليم نواحي المغرب الشرقية ، ولبنى هلال النواحي الغربية ، ولقد احدث هذا الغزو الهلالى انقلابا عظيما فى البلاد من حيث الاقتصاد والسياسة والاجتماع

أهم المواطن العربية الهلالية بالجزائر

كل ما فى هذا الوطن من عرب هذه الحملة يرجع نسبهم الى اصول اربعة ، بنى هلال ، بنى سليم ، زغبة ، رباح ؛ كانت مواطنهم الاصلية بالحجاز حول مكة والمدينة وبسائط الطائف الى جبل زغوان وبأرض تيماء من نجد والبحرين واليمن . وكان انتقالهم لمصر ايام ولاية عبد الله بن الحبحاب عليها ، ثم انحاز الكثير منهم الى القرامطة ايام ظهورهم وتغلبهم على بلاد الشام ومصر فى القرن الثالث الهجرى ؛ ثم بعد الفتح الشيعى للبلاد المصرية اسكنهم الخليفة العزيز بلاد الصعيد وانزلهم بالعدوة الشرقية تجاه بحر القلزم - البحر الاحمر - فأقاموا هنالك يعيشون على البداوة والخشونة . ويجرون على طبيعتهم فى السلب والنهب فحصلت منهم اضرار كثيرة بالبلاد الى سنة ٤٤٢ هـ - ١٠٥١ م فانتقلوا من

بلاد النيل الى المغرب فسكنوه وتفرعت عنهم فروع كثيرة وبطون عديدة انتشرت بأنحاء الشمال الافريقي وامتزجت بأهله امتزاج الماء بالماء حتى كدت لا تفرق اليوم بين العربي والهجين

فمنهم بعمالة الجزائر: قبائل الثعالب والمقل وهم بسهولة متيعة؛ وعبيد وعمرأوة حول بلاد جرجرة؛ واولاد ماضي وسليمان حول مدينة سور الغزلان؛ وجندل والعطاف حول جنوب مليانة ونواحي المدية، واولاد نائل في نواحي الصحراء، وزغبة بين مصاب وجبل راشد

وبعمالة وهران: بنو عامر وهم ما بين مدينتي وهران وتلمسان، والغرابة هم بتلك النواحي ايضا، والمجاهر قرب مستغانم، وصهيب قرب الاصنام، والجعافرة واولاد خالد واولاد الشريف ما بين الساحل وفرندة وسعيدة

وبعمالة قسنطينة: المخادمة واولاد جلال، واولاد سعيد في الهضاب العليا والصحراء ومنهم عتبة بنواحي بجاية، ورياح بنواحي قسنطينة الخ.... ولقد حصلت لهؤلاء العرب رئاسة وزعامة بهذه الاوطان فاندمجوا فيها واصبحوا يدافعون عليها دفاع الاسد عن العرين

رفاهة البلاط الصنهاجي وثرأ الجزائر

لا ادل على الحقائق التاريخية ولا اثبت للحجة من ذكر الحوادث والوقائع مجردة يستتج منها الباحث والمطلع عليها بنفسه الحكم على العصر الذي جرت فيه تلك الحوادث؛ وها نحن نقدم له اسنادا صحيحة واقعية كبرهان قاطع بوضوح لنا مبلغ ما وصلت اليه هذه الدولة الزيرية من الرفاهية والبذخ وما بلغت اليه الرعاية من الثراء والغنى

قال صاحب البيان المغرب في سياق الحديث عن وقائع حماد ضد باديس سنة ٤٠٧هـ - ١٠١٦م: ان الناس اخذوا من غنائم حماد وامواله ما لا يحصى عددا

وكثرة ، ووجد رقتان فيهما ان الذى عند القائد فلان صندوق فيه خمسون الف دينار وسبعمائة ، ومن الورق الف الف وخمسمائة درهم ، ومن الامتعة خمسون صندوقا ، غير ما كان فى بيت حماد وخزائنه

قال ابو اسحاق وجد رجل يسن يديه بغل يسوقه ، ففتش بعض الوصفان بين ايدينا ، فوجد فى حشو بردعته ، وصوفها ثمانية آلاف دينار ، ومثل هذا ما لا يحصى كثرة

وفى سنة ٤١٥ هـ - ١٠٢٤ م وقف شرف الدولة المعز بن باديس لهدية صندل والى بسكرة فعرضت عليه ، فاذاهى ثلاثمائة حصان ، ومائة فرس اثنى ، وبغلات منها عشرون بالسروج المحلاة وعبيد ومائة حمل من المال ، فخلع عليه وجدد له الولاية على بسكرة ، وبلغت عطية عامل باغاية مائة حمل من المال ، واعطى باديس الى فلفول بن مسعود الزناتى صاحب طينة ثلاثين حملا من المال وثمانين تختا من الثياب وعشرة بنود مذهب ، ومراكب بالسروج المحلاة وكانت منحة المعز بن باديس للمنتصر بن خزرون الزناتى مائة الف دينار

وباما اروع يوم زواج ام العلو بنت باديس بعبد الله بن حماد وما اجملا الايوان ايام ذلك العرس وما ابهى موكب زفاف العروس ! فانه لما كان يوم الاربعاء غرة شعبان ٤١٥ هـ ٨ اكتوبر ١٠٢٤ م زين الايوان المعظم للسيدة الجليلة ام العلو ، ودخل الناس خاصة وعامة فنظروا من صنوف الجواهر والاسلاك والامتعة النفيسة واوانى الذهب والفضة ما لم يعمل مثله ولا سمع لاحد من الملوك قبله ، قال ابو اسحاق الرقيق : فبهر عيون الخلق حال ما عاينوه ، وابهتهم عظيم ما شاهدوه ، وحمل المهر فى عشرة اجمال على عشرة بغال ، وعلى كل حمل جارية حسناء ، وجملته مائة الف دينار عينا ؛ وذكر بعض الخذاق من التجار انه قوم ما هو لها فكان

ما يزيد على الف الف دينار ، ولم ير مثل هذا لامرأة قبلها بافريقية وزفت العروس يوم الخميس ومضى بين يديها عبيد اخيها شرف الدولة المعز ،

وايها نصير الدولة باديس ، وجدها عدة العزيز بالله ، ووجوه رجال الدولة ، فكان يوما سارت الركبان بمحاسن آثاره وعجبت الناس لعجائب اخباره ؛ وقل مثل ذلك في ماتمهم ايضا فإنها كانت لا تقل عن افراحهم في مظاهر الابهة والبذل فانه لما توفيت زوجة نصير الدولة باديس سنة ٤١١هـ - ١٠٢٠م جهزت فيما لم يذكر ان ملكا من ملوك الارض جهز في مثله الا ما كان من ملوك القراغنة بمصر فقد روى المؤرخون عن من حضر هذه الجنائزة ان قيمة جهاز التكفين بلغت مائة الف دينار ، من غير التابوت الذي جعلت فيه نهو من عود هندي مرصع بالجواهر وصفائح الذهب وقدر مبلغ قيمة مساميره الذهبية بألثي دينار ، وجعل عليه عشرون سبعة من نفيس الجواهر ، وذبحت مائة بقرة وخمسون ناقة ، والف شاة ، وفرق على الناس عشرة آلاف دينار !

هذه صورة مصغرة لبلاط ملك دولة صنهاجة وما كان عليه حال الناس يومئذ من اليسر والبذخ والرفاهية سقناه كتصديق لقول ابن خلدون عن ملك هذه الدولة : كان ملكهم اضخم ملك عرف للبربر في افريقية واترفه وابذخه

الثقافة والحضارة والعمران

من القواعد المقررة لمعرفة حيوية المجتمع وحركته الصناعية والاقتصادية ، النظر الى منشآته ومؤسساته العمرانية ، فاننا اذا نظرنا الى ذلك في هذا العصر وجدنا حركة البناء والتعمير مطردة في تاريخ هذه الدولة ، فما كان انشاء مدينة آشير ٣٢٤هـ ٩٣٦م الا على يد زيري بن مناد راس الاسرة المالكة ، وقد كان فيها من الدور والقصور والمنازل والحمامات والمساجد ما حمل الكثير من السادة والاعيان والعلماء والادباء على الانتقال اليها فاستبحر عمرانها وضربت السكة بها ، وكذلك مدينتا المدية ومليانة فانما كانتا بفضل بلكين بن زيري فانه هو الذي انشأهما بأمر والده سنة ٣٥٥هـ - ٩٦٦م وعاصمة الجزائر كذلك سنة ٣٦٢هـ - ٩٧٣م . وهذا

من غير ما اشادته الدولة ببلاد تونس وغيرها من اسباب الحضارة وال عمران .
 اما مهنة الزراعة والفلاحة فانهار ايجة يومئذ بسبب التعامل التجارى الذى كان يجرى
 مع الخارج فعم الرخاء وايسر الناس ، وبلغ دخل الدولة من موارد التجارة فقط
 نحو الستة ملايين فرنكا ذهباً سنوياً ، واستمر الحال على ذلك الى ايام الزحف
 الهلالى حيث اشتدت الازمة بالناس ولحقهم من الضرر كثير

واشهر الحرف يومئذ كانت صناعة استخراج المرجان من بحر بونة ومرسى
 الحرز - القالة - فكان العمل فى ذلك لا ينقطع ليل نهار والتجارة فيه رائجة
 وبالاخص ما كان يصدر منه الى الهند والصين ، كما اشتهرت يومئذ صناعة
 الاسلحة الحربية ، فقد كانت المصانع المغربية تنتج منها فى المدة القريبة ما
 يعجز عنه غيرها فى الزمن المديد

ومما يدل على انتشار الحرف والصناعات وانطلاق ايدى الناس فيها سرعة
 ضرب السكة وسهولة امرها على كل قائم بدعوة او نائى على الحكومة ؛ فقد كان لابي
 الفهم الكتامى النائب عملة مضروبة باسمه ؛ ولابى الفرج النائب بميلة وسطيف
 كذلك ، ولاخير بن محمد بن خزر المغراوى ايضا ، وليدوبن يعلى اليفرنى الخ ..
 فكل ذلك يدلنا على قشور الصناعات والفنون ، ويكفيها فى تصور مبلغ المستوى
 الثقافى وانتشار العلم والادب يومئذ . اجتماع مائة شاعر على باب المعز بن باديس
 ونبوغ امثال الحكيم ابن عمرو الوهرانى وابن رشيق المسيلى والداودى النلمسانى الخ ..
 ومن ضمن الشعراء المائة الذين كانوا يترددون على القصر ، الشاعر ابو
 إسحاق الرقيق القائل فى وقائع شلف - بالجزائر - :

لم انس يوما بشلف راع منظره	وقد تضايق فيه ملتقى الحدق
والخيل تعبر بالهامات خائضة	من سافح الدم مجرى قانىء الفلق
والبيض فى ظلمات النقع بارقة	مثل النجوم تهاوت فى دجى الغسق
وقد بدا معلما باديس مشتهرا	كالشمس فى الجو لا يخفى على الحدق

وان راحته لو فاض نائلها وبأسها في الوري اشفوا على الغرق
تجلو عمامته الحمراء غرته كأنه قمر في حمرة الشفق
لوصور الموت شخصا قيل له ابو مناد تبدي ، مات من فرق

ولاية الجزائر وزعماؤها

كانت رآسة قبيلة مغراوة الزناتية لبنى يعلى بن محمد النفزي ، وتوارثها كذلك بنو عطية بن عبد الله بن خزر ، وبنو فلفول بن خزر ، الى ان انتصر عليهم بلكين السنهاجي فأخرجهم من موطنهم هذه الى سبتة ؛ وكان على ولاية تيهرت ايام المنصور بن بلكين اخوه ابو البهار ، وعلى اشير اخوه يطوفت وتولى يطوفت ايضا على ولاية تيهرت ثم ابنه ايوب ، وعقد المنصور لاخته حماد على ولاية آشير والمسيلة ؛ وزاده المعز عمل طبنة والزاب وتاهرت واطلق يده في جميع ما يمتلكه من البلاد ؛ وكان سعيد بن خزرون واليا على طبنة سنة ٣٨١هـ - ٣٩١م ثم بعده ولده فلفول ، وابن ابي حلى كذلك كان واليا بطبنة ايام باديس ، وكانت رآسة قبيلة توجين - بنواحي شلف - لعطية بن دلفين وبدر بن اغمان بن المعتر ، وكانت طبنة والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزاوة للقائد بن حماد ومتيجة للقائد يوسف بن ابي محمد ، وولاية باغاية وبسكرة لصندل ، واعمال الزاب لابى سعيد خليفة اليفرنى .

أمراء الدولة الزيرية - الصنهاجية -

تاريخ التولية

٨٣٦١-٩٧١ م

٨٣٧٣-٩٨٤ م

٨٣٨٦-٩٩٦ م

٨٤٠٦-١٠١٦ م

بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي

أبو الفتح المنصور بن بلكين

أبو مناد باديس بن المنصور

المعز بن باديس

مشاهير الجزائريين

الحسن بن رشيق

٣٨٥ - ٤٦٣ هـ

٩٩٥ - ١٠٧١ م

ابو علي الحسن بن رشيق احداثمة الادب العربي ومفخرة من مفاخر الجزائر، ولد بمدينة المسيلة سنة ٣٨٥ هـ ٩٩٥ م ونشأ بها متادبا وتعلم صناعة الصياغة على والده وبرز في فنون الادب والفقه والحديث والتاريخ، ولما بلغ احدى وعشرين سنة من عمره ارتحل من بلده للقاء الشيوخ بالقيروان فنزل بعاصمة الشمال الافريقي سنة ٤٠٦ هـ - ١٠١٥ م ولقى بها عميد علماء اللغة والادب الشيخ ابا عبد الله محمد بن جعفر القزاز، وعبد الكريم النهشلي وغيرهما من العلماء ومشايخ القيروان فلزم مجالسهم حتى اشتهر فضله وذاع صيته في الاوساط العلمية والادبية فاجتارته المعز يومئذ بلطاه وقربه اليه فكان بصحبته الى وفاته، فالتحق ابن رشيق يومئذ بولده الامير تميم ولم يزل مقربا ليه الى ان كانت الحملة الهلالية فانتقل المترجم الى صقلية فسكن مدينة « مازرة » الى ان وافاه اجله بها سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م تاركا وراءه ثروة ادبية ضخمة وتراثا علميا عظيما،

ومن اشهر مؤلفاته كتابه الجليل « العمدة » وهو يبحث في صناعة الشعر وفنونه ونقده وعيوبه فهو اجل كتاب وضع في هذا الفن، قال ابن خلدون : ان كتاب العمدة هو الكتاب الذي انقرد بهذه الصنعة واعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله . وهو مطبوع بالقاهرة في جزئين . وله كذلك كتاب « قراضة الذهب في نقد اشعار العرب » وكتاب « الشذوذ » في اللغة .

و «نموذج الزمان في شعراء القيروان» و «ميزان العمل في تاريخ الدول» و «تاريخ القيروان» و «الروضة الموشية في شعراء المهدية» ورسالة «نجاح الطلب» ورسالة «قطع الانقاس» ورسالة «رفع الاشكال» و «المساوى» في السرقات الشعرية ، وشرح موطأ الامام مالك وله ديوان شعر ورسائل اخرى عديدة ، قال الصلاح الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات : وقد وقعت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقد ؛ ومن شعره قوله في مدح الشعر :

الشعر شيء حسن	ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها	بالهم عن نفسى الشجى
يحكم في لطافة	حل عقود الحجاج
كم نظيرة حسنهما	في وجه عذر سمج
وحرقة بردها	عن قلب صب منضج
ورحمة اوقعها	في قلب قاس حرج
وشاعر مطرح	مغلق باب الفرج
قربه لسانه	من ملك متوج
فعلموا اولادكم	عقار طب المهج

ولطول مكث ابن رشيق في بلاط ملوك صنهاجة بالقيروان اشتهر وعرف بين
الادباء بالقيروانى والا فهو جزائرى «مسيلي» ولادة ومنشأ

ابن عمرون الوهراني

هو الحكيم الرياضي والعالم الثقة ابو محمد عبد الله بن يونس بن طلحة بن عمرون الوهراني احد شيوخ العلم والحكمة له رواية واسعة عن شيوخ افريقية كابى محمد بن ابى زيد وغيره من كبار علماء عصره ، متضلعم في علوم الحساب والطب نافذ البصر فيهما ماهر في المعالجة ومداوات ما استعصى من العلل والامراض سافر الى الاندلس في تجارة له سنة ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م فسكن اشبيلية عام السيل الكبير ، حدث عنه ابن خزرج وقال انه قارب الثمانين في عمره وترجم له ابن بشكوال ولم يذكر تاريخ وفاته

احمد الداودي

٤٠٢هـ - ١٠١١م

هو شيخ الاسلام وامام علماء الشريعة المجتهدين الشيخ ابو جعفر احمد بن نصر الداودي التلمساني ، اصله من مدينة المسيلة وقيل من يسكرة وسكن طرابلس الغرب طلبا للعلم ثم نزل تلمسان فاقام بها الى وفاته وبها الف كتابه الذي حازبه الفضل على غيره من جميع من تقدمه او تأخر عنه من علماء الاسلام ، الا وهو شرحه لصحيح الامام البخاري المسمى بالنصيحة ، فانه اول شرح وقع لهذا الكتاب الجليل اذ ام يسبقه غيره مطلقا الى هذا الفضل ، وله كتب جلية اخرى في الحديث والفقه كثيرة اهمها بعد شرحه على البخاري ، كتاب النامى شرح به موطأ مالك ، وكتاب الواعى في الفقه ، والايضاح في الرد على القدريه الخ وله من التلاميذ والمريدين كثير منهم ابو بكر بن محمد بن ابى زيد ، وعبد الملك البونى وغيرهما. توفي رحمه الله بتلمسان القديمة سنة ٤٠٢هـ - ١٠١١م ودفن شرقي باب العقبة ، وضريحه مشهور بها ، ويقول ابو راس المعسكرى ان وفاته كانت في آخر القرن الرابع ، وعده ابن فرحون من اهل الطبقة السابعة ،

جدول تاريخي

٣٦١-٤٤٢ هـ ٩٧٢-١٠٥١ م

تاريخ الحوادث	ام الحوادث
٩٧٢ هـ ٣٦١ م	تولية الامير بلكين على المغرب العربي
٩٧٤ هـ ٣٦٣ م	زحف بلكين على المغرب الاوسط - الجزائر -
٩٨٠ هـ ٣٦٩ م	القضاء على ثورة زناتة
٩٨٤ هـ ٣٧٣ م	وفاة بلكين وولاية ابنه المنصور
٩٨٩ هـ ٣٧٨ م	القضاء على ثورة ابي الفهم الكتامي وقتله
٩٨٩ هـ ٣٧٩ م	خبة ابي البهار في ثورته بتاهرت وولاية يطوفت عليها وحماد على آشير
٩٩٠ هـ ٣٨٠ م	استئصال كتامة
٩٩١ هـ ٣٨١ م	انتصار زيري بن عطية على الجزائر وبثه للدعوة الاموية
٩٩٤ هـ ٣٨٤ م	انشاء مدينة وجدة
٩٩٦ هـ ٣٨٦ م	وفاة المنصور وولاية ولده باديس
٩٩٩ هـ ٣٨٩ م	سقوط اعمال تيهرت وتلمسان بيد الحاجب الاموي
١٠٠٥ هـ ٣٩٥ م	استئصال زناتة على يد حماد
١٠٠٩ هـ ٤٠٠ م	تأسيس مدينة القلعة الحمادية
١٠١٧ هـ ٤٠٧ م	اختلاف حماد على باديس ووفاة الامير وولاية ابنه المعز
١٠٣٨ هـ ٤٢٩ م	رد هجمات زناتة
١٠٤١ هـ ٤٣٢ م	حصار القلعة والافراج عنها - بعد سنتين - وانقصال مملكة الجزائر عن ولاية افريقية
١٠٤٣ هـ ٤٣٥ م	رفض الدعوة الشيعية والتمسك بمذهب الامام مالك
١٠٥١ هـ ٤٤٢ م	الزحف الهلالي

الدولة الحمادية

٤٠٥ - ٥٤٧ هـ

١٠١٤ - ١١٥٣ م

نشأتها

هي ثاني دولة مسلمة جزائرية نظامية تأسست بهذه البلاد ، انشأها ذلك البطل الداهية مؤسس القلعة حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي ، فهي اخت دولة صنهاجة الشرقية غير انها كانت متقدمة عن اختها في الاستقلال ورفض التشيع والدعوة الى الخلافة العباسية ببغداد ، وذلك ما كان سببا في نشوب ماتقدم ذكره من الحروب بين حماد وباديس ، ثم بين المعز وحماد ، كما علمته فيما ذكرناه من تاريخ دولة صنهاجة الزيرية ؛ وانهى الامر باستقلال حماد بمملكة الجزائر سنة ٥٤٠ هـ - ١٠١٤ م

كان ابتداء ظهور شخصية حماد وتألقها في عالم الحكم وميدان السياسة منذ سنة ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م حيث ولاء الامير باديس اعمال الجزائر الشرقية واقطعه مدينته آشير ونواحيها ومنحه لقب نائب الامير بتلك النواحي ، ولقد اظهر حماد في ولايته هذه مقدرة عظيمة في السياسة والبطولة الحربية وقيادة الجيش ، وخاصة ايام ثورة الاخوين ماكسن وزاوي سنة ٣٩٠ هـ - ١٠٠٠ م . وفي قضائه على زناتة ٣٩٥ هـ - ١٠٠٥ م قطمحت نفسه يومئذ لانشاء مملكة جزائرية مستقلة ، فأنشأ القلعة سنة ٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م واتم تحصينها في عامين ومكث بها منازعا لباديس في حكم الجزائر فاستحكم بينهما الشقاق الى ان اظهر حماد الانفصال عن دولة باديس ونقض البيعة سنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م واعلن سلطته عن الجزائر ؛ فكانت هنالك

حروب وخطوب بين عاهلي صنهاجة والنصر فيها سجالات ثم كانت المواجهة والصلح بينه وبين المعز فتسالموا مدة اربع وعشرون سنة ، ثم تغير عليه المعز سنة ٤٣٢هـ - ١٠٤٠م فحاصره بالقلعة ثم عدل عنه وتركها لشأنه فتفرغ يومئذ حماد لاقامة دعائم ملكه واشادة سلطانه

يقول لسان الدين بن الخطيب في وصف حماد بانه كان نسيج وحده ، وفريد عصره ، وفحل قومه ، ملكا كبيرا ، وشجاعا ثباتا ، وداهية حصيفا ، ودان من اكمل الملوك ؛ قرأ الفقه بالقيروان ونظر في كتب الجدل . وحدثوا عنه انه قال ما تسداهي على احد قط ولا خدعني الا امراة وكعاء من البربر في قصة وقعت له حكاها البكري في مسالكة

كان مقر حماد تارة بالقلعة وتارة بأشير ، ويغلب عليه المكث بالقلعة ، وهكذا استمر في سلطانه الى ان وافاه اجله بالقلعة وقيل بمكان اخر يقال له «تازمرت» وذلك في شهر رجب ، ولا يعلم تاريخ سنة وفاته بالضبط ، غير ان ولده القائد تولى ملك ابيه سنة ٤١٩هـ - ١٠٢٨م فمن المحتمل ان تكون وفاته في هذه السنة

نظام الحكم

شكلها السياسي ملكي وادارتها حرة مستقلة تحت اشراف رئيسها الاعلى الامير او الملك كما شئت فسمه ، ولقد كان للمملكة عاصمتان ، القلعة اولا ثم بجاية ، واعضاء الدولة يومئذ هم الوزراء والعمال المنبثون في اهم مراكز القطر الجزائري كتسنطينة وبوثة - عنابة - الجزائر ، واشير ، والقلعة ، وجيجل ، ومرسى الدجاج - ما بين ازفون وبجاية - وتقاوس الخ... ولادارة ارض الجنوب جماعة من المحنكين تتصرف فيها تحت رعاية الملك الحمادي ، وعاصمة الجنوب يومئذ مدينة بسكرة . اما الجيش فهو متجمع من جميع بلاد الجزائر ، ولقد بلغ عدد فرسان القلعة فقط ايام الناصر اثني عشر الف فارس ، عدا المشاة . وللحكومة

اسطول ضخمة من صنع دار الصناعة ببجاية ، وخزينة الحكومة غنية بمواردها من المغنم والخراج وغير ذلك من الموارد الشرعية . وقد خصصت لها ادارة خاصة ، اما النقود فانها لم تكن مسكوكة باسم هذه الدولة الا في عصر الملك المنصور بن الناصر بن علناس ، ويرجع نظام القضاء عندهم غالبا الى مقتضى سير مذهب الامام مالك ، وكانت صلاة الامير في المسجد في مقصورة خاصة على سنة الملوك وشارة السلاطين

حدود الجزائر الحمادية

هي لا تتعدى حدود عمالتى الجزائر وقسنطينة المعهودة اليوم تقريبا وتمتد في الجنوب الى بنى وارجلان - وارقلة - وجاورها غربا دولة المرابطين ومواطن زناتة ، وشرقا مملكة بنى زيري الصنهاجية .

الامير القائد بن حماد

تولى مملكة الجزائر سنة ٤١٩ هـ - ١٠٢٨ م وكان مثل والداه في الحصافة وحسن الراى والتدبير ذا دراية بشؤون الادارة عظيم القدر محترما في قومه ، استقام له الامر عندما اشتغل عنه المعز بن باديس بما دهمه من زحف الاعراب

حملة الجنويز على بونة

اشتدت شوكة المسلمين على النصارى بسواحل هذا البحر وجزره ، فاتحدت يومئذ امم النصرانية مع الجنويز وسكان بيزة من الامة الطليانية ، وحملوا بتهور عنيف سنة ٤٢٥ هـ - ١٠٣٤ م على مركز الاسطول الاسلامى الجزائرى ببونة فدمروا المرفأ وتركوا المدينة خرابا .



المملكة الزيرية
 المملكة الحمادية
 موطن رانية
 قبائل حرة

البحر الأبيض المتوسط



المغرب الاسلامي في اواسط القرن الرابع الى اواسط السادس الهجري - اواسط الحادي عشر الميلادي -

خيمة امير المغرب الاقصى في حملته على الجزائر

تحرك حمادة بن زبري المغراوي من مركز امارته بالمغرب الاقصى زاحفا
 بجيوشه الجبرارة على الجزائر سنة ٤٣٠ هـ - ١٠٣٨ م فردته جيوش القائد بن حماد
 عن الحلى وظهرت عليه بحيلة حربية فاذعن حمادة يومئذ لبذل الطاعة والصلح
رفض دعوة بنى عبيد الشيعية

وبعد ان اطمأن القائد وزالت الوحشة وارتفعت الاحسن التي
 كانت بينهم وبين المعز ، عاد الملك سنة ٤٣٢ هـ - ١٠٤١ م الى رفض
 الدعوة الشيعية مقلدا في ذلك والده حمادا ودعا مثل ابيه الى الخلافة العباسية ،
 فنهض المعز الى مقاتلته فحاصره بالقلعة وأشير واطال حصاره سنتين ثم كانت هدنة
 وفي سنة ٤٣٩ هـ - ١٠٤٧ م تظاهر القائد باظهار الطاعة لبني عبيد فاكسب
 بذلك مودة البلاط الفاطمي وحاز رضا الخليفة عنه فأنعم عليه بلقب شرف
 الدولة ، وكان القائد يريد بذلك تأكيد حريته واستقلال بلاده ، وان منزلته
 السياسية بالجزائر لا تقل عن رتبة المعز بافريقية ، ولما بلغ مبتغاه وحاز على مراده
 من عدوه ومنافسه انقلب على الفاطميين ونقض بيعتهم وعاد الى مبايعة الخلافة
 العباسية وبقي على ذلك الى وفاته في شهر رجب او ذى القعدة سنة ٤٤٦ هـ -
 اكتوبر ١٠٥٤ فخلعه ولده محسن

الامير محسن بن القائد

تسلم زمام الملك اثر وفاة والده سنة ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م وكان شبيها به في
 اخلاقه وسجاياه ، غير انه كان شديدا قاسيا ، وكان فيما اوصلاه والده ان لا يخرج
 من القلعة ثلاث سنوات وان لا ينازع اعمامه في مناصبهم ، فخالف محسن ذلك
 كله ، فنار ضده عمه يوسف واستحكم الخلاف بينهما ونهضت الشجناء فقتل اربعة

من عمومته ، ويومئذ ابنتى عمه يوسف قلعة بجبل منبع سماها الطيارة وزحف
منها اواسط القرن الخامس الهجرى فخرّب مدينة آشير واستباح اموالها
تزامح آل حماد

حاول محسن الانتقام من عمه يوسف فجهز جيشا لمقاتلته وجعله تحت امره
بلكين بن محمد بن حماد ، قاصدا به الغدر ايضا فجعل في مؤازرته رجلين
هما من سادة العرب موعزا اليهما بقتله فتفطن بلكين للمكيدة فعمد الى الاحسان
اليهما وغمرهما باكرامه واقاض عليهما من انواع البر والجود ما حول نظرهما
اليه فعدلا عن الفكرة المبيتة واخبراه بما اسر لهما الامير محسن فزادهما ذلك
عندة شرفا ورفعة ويومئذ تأمروا جميعا على اغتيال الملك ورجعوا الى القلعة ولم
يكن بها محسن ، ولما اتصل بخبر رجوع القوم ومعهم بلكين وكان يظن انه
قد مات ؛ أغذ السير الى القلعة فادركه بلكين وقتله في ربيع الثانى ٤٤٧ هـ -
جوليت ١٠٥٥ م واحتل المدينة ليلا ودعا فيها لنفسه فأذعن له القوم وبايعوه

الامير بلكين بن محمد بن حماد

اشتهر بلكين هذا بالبطولة والشهامة والنجدة والفتوح ، وكان جريئا سفاكا
للدماء ذا ارادة وعزيمة جبارة مؤثرا للعزلة والانفراد عن الناس مولعا بالادلج
كثير الغارات ، وكان لا يخرج الا دارعا ولكثرة غزواته ابغضته الرعية
وانحرف عنه عمال بسكرة من آل رومان فنكل بهم سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م
وعاقبهم عقوبة مؤلمة

الزحف الى المغرب الاقصى

لقد اكثر بلكين من زحفه على المغرب الاقصى حتى استولى على عاصمته
فاس فى صفر ٤٥٤ هـ - فيفري ١٠٦٢ م وقاثل هنالك المصامدة وأخرج منها
يوسف بن تاشفين منهزما الى الصحراء واوغل بلكين فى ديار المغرب

اغتيال بلكين

بالغ بلكين في الغلظة والحقداء من قومه واخافتة اقرانه واقاربه وغلا في الحذر منهم فقتل وسفك دماء الكثير ممن حامت حولهم الشكوك والظنون ، وكانت من بين هؤلاء القتلى « تاضميرت » ابنة عمه اخت الناصر بن علناس فبحقد عليه اخوها هذا واضمر الانتقام منه وكنتم غيظه الى ان واته الفرصة يوم ان عاد بلكين من غزو المغرب الاقصى سنة ٤٥٤ هـ - ١٠٦٢ م فدخل عليه الناصر في مجلس انس وطربه في جماعة من صنهاجة فقتلوه يوم الخميس منتصف شعبان - ٢٤ اوط .

الامير الناصر بن علناس

هو من اشهر ملوك هذه الدولة واعظمهم شانا واعلاهم كعبا وابتهتم قدما في الملك ، كان جوادا كريما وشجاعا كعبا ، سفاكا للدماء وفي ايامه استفحل ملك بني حماد وشف على غيره من معالك الشمال الافريقي ، كان اول ماتولى الملك مقيما بالقلعة ، ثم استوخمها وكره المقام بها فابتنى لاقامته قصورا شامخة خارج القلعة فسكن بها واحتفل بالمسجد الجامع فاشاده من جديد

القضاء على بنى رومان بسكرة

كانت ولاية بسكرة في آل رومان يتوارثونها بينهم تحت رعاية ونفوذ الحمادين فلما قتل بلكين بن محمد اعتلاهم التطاول على الناصر بين علناس فخرجوا عن طاعتهم فجهز اليهم الملك وزيره خلف بن حيدرة ففضى عليهم وعلى مناصريهم ممن آزرهم في هذه الثورة واسر رؤساءهم فحملهم معه الى القلعة فصلبوا فيها جميعا ، ويومئذ انتقلت ولاية بسكرة من بنى رومان الى اسرة عروس من بنى سندي

وقعة سببية والزحف الهلالي

لم يظهر لبني هلال اثر في الجزائر الى ان حالف الملك الناصر قبيلة الاتبيج الهلالية سنة ٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م وخرج لامتلاك تونس فيومئذ تمالاء الحلفاء من الاتبيج مع قومهم رباح وزغبة وزناة ايضا ضد الناصر ، وخرجت جيوش تميم بن المعز لرد الحملة الناصرية فكان هؤلاء جميعا يداً واحدة على الناصر ، وكان اللقاء بفحص سببية غربي القيروان وعلى نحو الحسین كيلو ميترا جنوب الاريس فانهزم الناصر وقتل من جيشه اربعة وعشرون الفا واستشهد اخوة القاسم ، فاضطر الى التقهقر والرجوء الى الجزائر ونجا الى قسنطينة فبعه الهلاليون واقتحموا عليه المدينة فاستولوا عليها وعلى القلعة والمسيلة وطبنة وهم مع ذلك ينهبون ويخربون فتركوا البلاد بلاقع ! والديار خرابا !... ثم تلاحقت طوائف الاعراب باحلافهم الهلاليين الى الجزائر من طريق سببية ودخلوا تبسة وانتشروا في جنوب اوراس وقصرى الزاب وسلمكوا طريقهم ما بين الاطلسين التسلي والصحراوي حتى انتهوا الى وادي الساحل وجبال البيان وانحدر منهم اخرون من نواحي باجة فظهروا بنواحي القالة وبونة وقسنطينة الى القل وجبال باسور ويومئذ احيطت مدينة بونة الحديثة (هي على ثلاثة اميال من القديمة) بسور ؛ وكيفما كان الامر فان اضرار بني هلال بالجزائر لم تبلغ مبلغها بتونس وطرابلس وذلك حيث ان الجزائر لم تكن مقصودة من الحملة بالذات ،

اخفاق المنتصر الزناتي في هجومه على الجزائر

ماكادت تلتئم جراحات حوادث سببية والهجوم الهلالي على الجزائر حتى فاجأها المنتصر الزناتي بهجومه ايضا فخرج بقومه من طرابلس الغرب وحمل على المسيلة واشير طمعا في استرجاع ما كان لاجداده من الملك والسلطان بالحضنة فاجلاه الناصر يومئذ الى الصحراء ثم اعاد الزناتي هجومه على القلعة الحمادية

واوغل بتلك النواحي فأكثر فيها الفساد ، فصالحه الناصر على تسليم مقاطعة الزاب وريفة لزناة واوعز الى عامله على بسكرة عروس بن سندی باغتيال المنتصر فأقام العامل مأدبة في داره واستدعى اليها المنتصر وقتله بواسطة بعض الخدم عند انكبابه على الطعام وذهب برأسه الى الناصر فنصبه ببجاية ونصب الحجة بالقلعة سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٨ م وحمل الحماديون يومئذ على امرة زناة فقمضوا عليها وقتلوا رؤساءها واحتلوا بنى وارجلان - وارقلة -

انشاء مدينة بجاية

تشاء الملك الناصر كثيرا لحوادث الهاليلين بتونس والجزائر وخاصة لما اصبحت عليه عواصم القطر الجزائري باعمال القلعة وقسنطينة من التدهور والانهار ، فكان كثير التفكير في انشاء مدينة حصينة لسلطانه ، وندم على ما فرط منه في محاربة ابن عمه تميم بن المعز الصنهاجي وهجومه على مملكته فسرعان ما اظهر رغبته في حقن الدماء وعقد الهدنة . فجاء يومئذ سفير تميم ووزير المفوض محمد بن البعبع الى القلعة لابرام وثيقة الصلح ، وكان مرورة في طريقه الى القلعة على ضيعة صغيرة كانت لصنهاجة تدعي « بجاية » على مقربة من مدينة « صلداى الفينيقية » فاعجب بمركزها الطبيعي الجميل وموقعها الجغرافي الحربى المنيع ، فلما اتصل بالناصر اخبره بما رآه في طريقه من حسن موقع بجاية وحصاتها من هجوم العدو وانها صالحة لان تكون عاصمة ملك بنى حماد نظراً لمناعتها واهمية خليجها الفسيح الذى يسع اسطولا ضخما ، فخرج الناصر حيثئذ بنفسه الى هذه الناحية لتحقيق ما اشار به السفير فوجد فيها ضالته المنشودة فشرع في تأسيس العاصمة الحمادية الثانية « بجاية » بذلك المكان سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م ثم انتقل اليها في السنة بعدها وسماها « الناصرية » باسمه واسقط عن سكانها الجبابة والخراج ، وانشأ بها دارين لصناعة المراكب والسفن واساطيل القتال واقام بها من العمارات والصناعات والفنون ما جعلها قبلة اهل الشرق والغرب

ثورة عاملي المدة والشلف

كانت ولاية اعمال المدية وشلف على عهد الناصر لرئيسين من بني سنجاس فالمدية لابي الفتوح بن حنوش ، وشلف لمعنصر بن حماد فخرج الاول عن طاعة بني حماد فقتله الناصر وهجم الثاني على مدينة مليانة وقتل من بها من المشيخة والرؤساء من بني ورسيقان المغراويين ، فاستأذن يومئذ سكان مليانة في قتال معنصر فاذن لهم الناصر فقتلوه وبعثوا برأسه اليه بجاية فوضعه الى جنب المنتصر الزناتي

امتداد المملكة الحمادية

كثرت عيث الاعراب الهلالين بنواحي تونس فاضطر اهلها الى الالتجاء الى عاهل الدولة الحمادية بالقاعة الناصر بن علناس ، فوفد عليه سنة ٤٥١ هـ - ١٠٥٩ م وجوه اهل تونس وزعمائها مدعين اليه بالطاعة ومستغيثين به من هؤلاء الخراب ... فاقبل عليهم واكرمهم وولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان ، وسرعان ما جاهر هذا العامل بالعصيان والاستقلال عن دولة بني حماد ، فخرج الناصر الى ولاية تونس في حلفائه العرب سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م فاحتل مدينة (الاربس) وقتل عاملها ابن مكرز وامن اهلها ثم نزل بالقيروان فمكث بها سنة كاملة واخيرا عاد الى الجزائر مخافة اضطراب جبل الرعية وفسادها عليه ، فتأسست حينئذ دولة بني خراسان بتونس ولم يكذب يمضي على انشائها مدة قرن واحد حتى قضى عليها الموحدون

مصاهرة اهالي صنهاجة

بعدما اتم الناصر تأسيس عاصمته الجديدة «الناصرية» بجاية - الجزائر واستقر بها واطمأن على بلاده خطب الامير تميم بن المعز ملك المهدية في بنته بلارة توثيقا

لعري المودة والصداقة بين المملكتين المتجاورتين وتأكيذا لروابط الاوشاج العائلية بين الاسرتين ، فزوجها ابوها منه سنة ٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م وجعل الناصر لها ثلاثين الف دينار صداقا ، فلم يقبل منها الامير تميم الا دينارا واحدا كمهر شرعى فقط ورد الباقي على الناصر ، وسار موكب العروس من المهدية الى بجاية فى ابهة وبهجة تحف به الجنود والسادة والاشراف يحملون معهم جهاز العروس الفخم من حلى وحلل ... وكان اقتبال الموكب ببجاية اقتبالا باهرا ، وانزلت العروس بقصرها الخاص الذي انشأه الناصر باسمها « قصر بلارة »

خبيصة عجيصة فى تمردها

عجيصة اسم لقبيلة من بربر الجزائر تسكن ما بين سطيف والقلعة : كانت تترقب مفترصة غفلة الملك لاعلان ثورتها ضد السلطة الحمادية ، حتى سنج لها ذلك يوم خروج الناصر لتفقد مملكته ؛ فوثبت على القلعة برئاسة قائدها علي بن ركلان وكان الناصر يومئذ بالمسيلة ، فانبرى الى هؤلاء الثوار فدحرهم وقضى عليهم ؛ وانتحر رئيسهم ابن ركلان

المرابطون فى الجزائر

ما كان لدولة المرابطين ان تتجاوز وتصفح عن حملة الحماديين على المغرب الاقصى سنة ٤٥٤ هـ - ١٠٦٢ م وما كانت لتنسى كذلك انهزام حكومة فاس يومئذ الى الصحراء فبقيت تعمل فى الحناء على الانتقام وتستعد للهجوم حتى تيسر لها ذلك فى سنة ٤٧٢ هـ - ١٠٧٩ م فنهض القائد اللامتوني مزدي بن بيلان على راس عشرين الف مقاتل زاحفا على المغرب الاوسط فبلغ تلمسان فعاث بنواحيها ثم عاد الى مر كزة من المغرب الاقصى ولم تمض سنة بعد ذلك حتى فاجأ المرابطون مدينة تلمسان فاخرجوا منها امراء بني خزر الزناتيين واستولوا عليها وضرخوا بها العملة وفى سنة ٤٧٤ هـ - ١٠٨١ م زحف الامير يوسف بن تاشفين نحو الجزائر

قابتني محلته الشهيرة بتاقرارت في ضواحي تلمسان ليجمع فيها جنوده وعتاده ،
ومنها توجه الى وهران ففتحها ثم الى تنس وجبال وانشرس واعمال شلف متتبعا
مواطن زناتة حيشما كانوا حتى اتى على جميع اماكن مغراوة فبلغ الى جدران
مدينة الجزائر ، ثم أحجم ورجع الى حضرته فدخل مراكش في ربيع الثاني
٧٥ هـ - سبتمبر ١٠٨٢ م فكان ملك المرابطين يومئذ بافريقية من مدينة
الجزائر شرقا الى طنجة غربا الى آخر جبال السوس الاقصى والى جبال الذهب
من بلاد السودان ، وانحازت يومئذ المملكة الحمادية بالجزائر الى الشرق

وفاة الناصر بن علناس

كانت وفاة الناصر يوم الجمعة سابع جمادى الاولى ٨١ هـ - فاتح شهر اوط
١٠٨٨ م وذلك بقصره خارج بجاية فحمل منه الى العاصمة الحمادية فدفن بها
بعد ان قضى نحو ربع قرن على رأس المملكة الجزائرية ، وكان عصره من ازهر
ايام بني حماد

الامير المنصور بن الناصر

نشأ المنصور عزيز النفس شهما انوفا ايا ، محافظا متسما باوصاف الكمال
ذا خصال شريفة اديبا كاتبا يقول الشعر ويرويه ، تولى عرش الجزائر بعد وفاة
والده سنة ٨١ هـ - ١٠٨٨ م فساس الرعية بحكمة وحصافة ، واتم ما اختطه
اسلافه من برامج العمل لخير الحكومة والشعب فاشاد المصانع والقصور واعتنى
بالرى والزراعة فاجرى المياها وامر بغرس البساتين والحقول ، وكان من آثاره
بالقلعة قصر الملك وقصر المنار وقصر الكوكب وقصر السلام ؛ وبعد انتقاله الى
بجاية سنة ٨٣ هـ - ١٠٩٠ م انشأ بها قصر اللؤلؤة وقصر اميمون ، وهو مع
ذلك في نفسه يميل الى التقشف والزهد يخصف نعليه تارة بيده ويرقع ثيابه بنفسه
واليه يعود الفضل في تمدن مملكة بني حماد

تمرد عامل قسنطينة

كانت ولاية قسنطينة تحت ادارة بلباز عم المنصور ، فحدثته نفسه يوما بانتقاض العهد وخفر الذمة؛ فرماه المنصور بقائده ابي يكنى قبض عليه ودفعه الى القلعة اسيرا وجلس هو مكانه وجعل اخاه ويغلان على ولاية بونة - عنابة -

دلس الاندلسية

كانت ولاية المرية بالاندلس للمعتصم بن صمادح ، فلما بلغه استيلاء المرابطين على اشبيلية مات غما وترك ولده معز الدولة بن صمادح واليا على المرية فاستولى عليها المرابطون ايضا سنة ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م ويومئذ ارتحل بن صمادح باهله وماله من الاندلس ملتجئا الى الجزائر فنزل على الملك المنصور ببجاية ؛ فاقطعه المنصور احواز مدينة دلس فاصبحت هذه المدينة بعد ذلك بفضل عمل هذه الجالية الاندلسية مركزا ثريا ؛ فكان فيها كما يقول الادريسي : الديار والقصور والمنتزهات ؛ وبها من رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد غيرها مثله ؛ كما يوجد بها الكثير من البقر والغنم ؛ وتباع جملتها بالاسعار اليسيرة ويخرج من ارضها الى كثير من الافاق

ثورة ابي يكنى

هو ابو يكنى بن محسن بن القائد بن حماد احد قادة المنصور وقرابة تولى على قسنطينة بعد ظفره بعم المنصور بلباز الثائر ؛ فاستبد بالامر واعلن عصيانه سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م وبعث باخيه ويغلان عامل بونة الى تميم بن المعز امير المهدي يستجيشه في مقابلة تسليم ولاية بونة ؛ فاستجاب له تميم وبعث معه ولدا ابا الفتوح واخذا معا في استنصار المرابطين ومن حولهم من الاعراب ؛ وبينما هم جميعا في تدبير غزو المنصور حتى فاجأتهم جيوشه فاحاطت بمدينة بونة واحدقت

بها من جميع جهاتها طيلة سبعة أشهر ثم هاجمتها وقبضت على ابي الفتوح فاعتقلته بالقلعة ؛ وتقدمت الى حصار قسنطينة ففر امامها ابو يكنى النائر مخفيا بقلعة في جبل أوراس ؛ مستخلفا عنه صليصل بن الاحمر احد رؤساء قبيلة الاثبيج العربية ؛ وسرعان ما نزل صليصل عن قسنطينة مدعنا المنصور فوصله الملاك باموال ولم تنزل الجنود الحمادية في اثر ابي يكنى حتى ظفرت به في معقله فاقحمته عليه وقتلته وجعلت ولاية قسنطينة يومئذ للحسن بن العزيز

سقوط آشير بيد المرابطين

لم تنزل دولة المرابطين ترصد غرة من حكومة بني حماد لاستكمال الفتح بالجزائر حتى سنحت لها فرصة استغلالها بثورة ابي يكنى وتفرق جنودها في هذا المجال فاحتل المرابطون يومئذ مواطن صنهاجة الغربية بالجزائر وتحصنوا بها فاجلاهم عنها المنصور ، ثم عقدت الهدنة والصلح بينه وبين يوسف بن تاشفين ؛ واعاد المرابطون بعد ذلك غزوهم للجزائر بقيادة محمد بن تينمار فردهم عنها عبد الله بن المنصور وكانت الوقائع حول مدينة الجزائر شديدة فحوصرت المدينة يومين ، وسقطت مدينة آشير بايديهم

انكسار شوكة المرابطين بتلمسان واخضاع العصاة

لم يكذب هذا روع المنصور مما اوقع بمملكته المرابطون ، حتى خرج بنفسه لقتالهم في شوال سنة ٤٩٦ هـ - جوليست ١١٠٣ م وحمل عليهم حملة شعواء بتلمسان في عشرين الف مقاتل ، فكسر يومئذ عدد القتلى والجرحى وكسرت شوكة المرابطين فهزموا عن تلمسان الى تسالة ودخلها المنصور في جنده فعات فيها جيشه وعظمت المجنة باهلها ، فخرجت يومئذ زوجة والي المرابطين مستعطفة المنصور ومستعبة ، فتأثر الملك لمنظرها الحزين وانكبها على قدميه ، فتجافى عنهم وابقى عليهم . وتم السلم بين المملكتين المتجاورتين ثم قفل المنصور

عائدا الى عاصمته . فخرج على القلعة فنزل بها مشخفا في قتال زناتة بنواحي الزاب ؛ ثم انتقل الى وطن زواوة فناجز العصاة من بني عمران وبني تازروت واهل المنصورية وجمعة الصهريج والناظور . ثم لم يكن هناك من الاحداث بالجزائر ما يستحق الذكر الى وفاته سنة ٤٩٨ هـ - ١١٠٤ م

الامير باديس بن المنصور

يكنى بابي معد ، تملك بعد وفاة والده في شهر ربيع الثاني ٤٩٨ هـ - ديسمبر ١١٠٤ م ، واشتهر من بين ملوك هذه الدولة بشدة الشجاعة والبأس وسرعة الغضب والبطش وسفك الدماء ؛ ولم يصلنا عنه من الاعمال ما يستحق التدوين الا ما كان من قبيل التولية والعزل ، فانه اكثرت من ذلك الى حد الاضطراب وعدم الثبوت . فعزل اخاه العزيز عن ولاية الجزائر ونفاه الى حيجل وقتل وزير والده عبد الكريم بن سليمان ونكب بعامل بحاية ورمى ببعض الصالحين الى الاسود وتوعد امه بالقتل ... الى غير ذلك مما شاكل هذه الاعمال السوداء ولم تطل مدته ، اذ توفي من سنته في الثالث عشر من شهر ذي الحجة ٤٩٨ هـ ٢٧ اوط ١١٠٥ م

الامير العزيز بالله بن المنصور

كان يلقب بالميمون لولادته ليلة ولادة ابيه المنصور ٨ جمادى الاولى ٤٨١ هـ ٢ اوط ١٠٨٨ م وبويع بالملك وهو في منفاة بحيجل آخر سنة ٤٩٨ هـ - ١١٠٥ وكان اول من بايعه هو قائد الاسطول الحمادي علي بن حمدون فتولى الملك يومئذ وسنه سبع عشرة سنة ، وكان حازما ماهرا جميل الصورة عارفا بتسيير الدول والممالك . وكان من ذهائه ان تزوج من بيوتات خصمائه زناتة ومن بيت الملك بالمهدية ، فبنى بنت ماخوخ الزناتية اولا ، ثم ببدر الدجى بنت يحيى بن تميم ملك المهدية ، سنة ٥٠٩ هـ - ١١١٥ م فامن لحينه ثورات زناتة المتوالية ،

وعداوة دولة صنهاجة ، وكثيرا ما كان يكاتب ملوك عصره في الافاق متوددا ،
فاتشتر الامن ببلاده وساد الهدو بين الناس ، ومن فرط شغفه بالعلم انه كان
يحضر بنفسه مجالس المناظرة بين العلماء

رد عادية الاعراب عن القلمه

اغار الاعراب الهالليون بحلفائهم على القلعة الحمادية سنة ٥١٢ هـ - ١١١٨ م
فاوقعوا باهلها واكتسحوا المدينة فاهلكوها فخرج الى محاربتهم يحيى ولد العزيز
ومعه القائد علي بن حمدون فنجلا بالعدو ووثبا عليه فخضع ثم عادا الى بجاية
وكان مما سجله التاريخ من حوادث هذه السنة انتشار الوباء والقحط الشديد
بالمغرب فبلغ ربع الدقيق بتلمسان عشرين درهما

تمرد والي تونس

كانت ولاية تونس خاضعة لدولة بني حماد يديرها ولاية من بني خراسان ،
ففي سنة ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م هلك عبد العزيز الخراساني وتولى مكانه ولده احمد
فاستمر على الطاعة للدولة الى اوائل القرن السادس الهجري فظهر شارة الملك
والسلطان وخرج عن مألوف سيرة الولاة الى رفاهية الملوك والسلطين غير
مبال بالسلطة الحمادية ، فنازله العزيز سنة ٥١٤ هـ - ١١٢٠ م حتى عاد احمد
الى الطاعة والخضوع ، ويومئذ تقدم الاسطول الحمادي الى جربة فاحتلها ثم بعد
ذلك بسنة كانت وفاة العزيز ٥١٥ هـ - ١١٢١ م فخلفه ولده يحيى

الامير يحيى بن العزيز بالله

كان اول ما ضربت العملة في تاريخ هذه الدولة ان ضربت باسم هذا الملك
سنة ٥٤٣ هـ - ١١٤٨ م وكان فصيحا كاتبا اديبا رصينا مغرما بالصيد واللهو منهمكا
في شهواته . وبها تم عقد ملوك بني حماد وانتهت دولتهم وتقلص سلطانهم

غزو المهديّة

لقد أصبحت البلاد التونسية تتساقط وتهوى مثل الشهب بأيدي النورمان (١) الواحدة تلو الأخرى ، فتجرك الأمير يحيى للذب عن حوزة الاسلام والمسلمين والدفاع عن حيرانه وبنى عمه وجلدته فغزا البلاد بجيوش جرارة جعلها تحت قيادة ابن المهلب ، فحاصر المهديّة سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م ثم انصرف عنها من غير طائل .

الاستيلاء على تونس

كان لاعتداء النورمان واستيلائهم على اطراف المملوكيّة التونسية تدمير عظيم لدى سكان تلك النواحي ومنهم الاعراب المهاجرون ، فاجتمع لذلك وفد من هؤلاء وجاء الى الأمير يحيى بن العزيز يشكو اليه حالة البلاد مع النورمان وسوء سلوك الأمير الحسن بن علي الصنهاجي ، راغبا في بسط نفوذ سلطان بني حماد على تونس ، ووعدّه بالممدد والمساعدة على ذلك ان هو فعل ، وقد جاء معه بابنائه كرهائن توكيدا منه والحاحا في الطلب ؛ فصادف ذلك من يحيى هوى في نفسه فاستجاب للوفد وأمر بتعبئة الجيش من مشاة وفرسان فامر عليهم كبير قادته مطرف بن علي بن حمدون واوصاهم بالتعفف عن الدماء .

خرج الجيش الحمادي من بجاية حوالي سنة (٥٢٢-٥٢٩ هـ) ١١٢٩-١١٣٤ م فحاصر المهديّة ثم نكص عنها الى تونس فاحتلها ، وجلس على عرشها كرامة بن المنصور - عم الأمير يحيى - وحمل صاحبها احمد بن عبد العزيز الخراساني

(١) هم امة الشمال الاوروبي هاجموا اوربا الوسطى في القرن التاسع الميلادي واستولوا على قسم من شمال فرنسا الغربي لازال ينسب اليهم الى يومنا هذا « نورماندي » ثم استولوا على جنوب إيطاليا وصقلية على الاخص ، وغزوا فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري سواحل بلاد المغرب ، واشهر ملوكهم رجار الثاني (روجي) فنهى الحاضرة الاسلاميّة وجالها بصقلية فازدهرت في ايامه أيما ازدهار .

بأهله وولده الى بجاية ، وبقي كرامة بتونس واليا تحت اشراف دولة بني حماد الى وفاته بها ، فخلفه عليها اخوه ابو الفتوح بن المنصور ثم حفيده محمد فلم محمد سيرته فعزله يحيى وولى مكانه عمه معد بن المنصور فبقي بها الى الزحف النورمانى سنة ٥٤٣هـ - ١١٤٨م فخرج منها معد الى بجاية

وقعة زويلة

اعاد الحماديون غزو المهديّة سنة ٥٣٠هـ - ١١٣٥م فهاجموها برا وبحرا واقاموا حولها نيفا وستين يوما ، فردهم عنها الاعراب حلفاء صنهاجة وكان ميدان القتال بينهم بظاهر زويلة - من ارباض المهديّة - فانتصرت يومئذ دولة صنهاجة واستولت على مركبين من الطرائد الحمادية بعد قتل رئيسهما فانهزمت البقية الباقية الى الجزائر

استداء النورمان على الجزائر

لقد احفظ النورمان ذلك الهجوم المتكرر من دولة بني حماد على ولايتي تونس والمهديّة فاتقموا منها سنة ٥٣٧هـ - ١١٤٢م بغزو مدينة جيجل فانهبوها وبالغوا في خرابها واحراق دورها ، وكان من بين ما افسده النورمان بها قصر النزهة الذى اشاده الملك يحيى بن العزيز فوق جبل عيوف مشرفا على المدينة تجاه البحر ، ولم ينج يومئذ من القتل والتلف بهذه المدينة سوى من اعتصم بقمم الجبال او آوى الى مكان سحيق ، ومنذ ذلك الوقت هجرت المدينة وابتنى اهلها بلدة حصينة باعلى جبل هنالك يبعد عنها بنحو ميل ، فاذا كان زمن الشتاء سكنوا الساحل واذا كان زمن الصيف وقت سفر الاسطول النورمانى نقلوا امتعتهم وجملة بضائعهم الى الحصن الاعلى البعيد عن البحر .

واعاد النورمان غزو الساحل الجزائرى سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣م فاحتلوا في هذه المرة جيجل وبرشك وشرشال وتنس

انهزام ملك المهدية الى الجزائر

ولما احدث الخطر بامير المهدية الحسن بن علي وشعر بالهزيمة امام النورمان وايقن بسقوط مملكته في ايديهم ارتحل عنها ودخلها العدو يوم الاثنين ١٢ صفر ٥٤٣ هـ - ٣ جوايط - ١١٤٨ م ، فرغب الحسن يومئذ في الالتحاق باهله الى الجزائر ريثما يستعد للانتقال الى مقابلة ملك الموحدين بالمغرب الاقصى ، وبعث ببنيه الثلاثة الى يحيى ببجاية يخبره بغرضه هذا ويستأذنه في النزول عليه ؛ وجاء ابناء الحسن الى بجاية . فاقبلهم الوزير ميمون بن حمدون بالنيابة عن الملك واذن لهم بذلك في كتاب سطره الوزير الى ايهم يحث فيه على الاعراض عن رأيه في مقابلة عبد المؤمن ملك الموحدين والاقصر في نزوله على الجزائر فقط وذلك خشية ما ينشأ عن اجتماعه بخليفة الموحدين من تدبير حول المملكة الجزائرية

ولما اقترب الحسن من ارض الجزائر ندب اليه السلطان وزيره ميمون لاقباله فامتنع ، وحيثئذ امر اخاه القائد بن العزيز بالاستعداد الى لقائه في مشيخة البلد واعيانها وامرهم بالعدول به عن بجاية الى مدينة الجزائر فكان الامر كذلك فنزل الحسن بهذه المدينة في المحرم سنة ٥٤٤ هـ - ماي ١١٤٩ م ، وكان منزله فيها دون مقامه حيث جعل تحت الرقابة مضيقا عليه الخناق ممنوعا من التسرف مطلقا ، واجريت عليه جناية طفيفة ، واستمر الحسن في معتقله هذا ، ولا نقول في موطنه الى ان دالت دولة بني حماد وسقطت بيد الموحدين سنة

المذاهب والعقائد

كان عصر الحماديين اظهر العصور الاسلامية في تاريخ حرية الاديان واحترام العقائد بالجزائر منذ الفتح الاسلامي الى القرن الرابع الهجري ، اذ في عهدهم تأسست اول كنيسة بالقلعة سنة ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م يديرها قسيس من رتبة اسقف Evêque ، وفي سنة ٥٠٨ هـ - ١١١٤ م تأسست كنيسة مريم العذراء بإدارة القسيس عزون المعروف عند العامة باسم الخليفة ، وقد ابنتى دار سكناء بجانب الكنيسة .

وبلغ الحماديون في التسامح الديني الى انهم كانوا لا يعترضون على المطارنة وكبار رجال النصرانية في توظيف من شاؤوا من القساوسة بمملكة الجزائر ، ففي سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م قدم مطران قرطاجنة قسيسا اسمه « سيرفاند » ليتولى اسقفية كنيسة بونة ، فلم يعترض عليه الناصر بل صادق على تعيينه وحمله رسالة ودية الى البابا « قريقوار السابع » واصحبه بطائفة من الاسرى المسيحيين الذين ظفر بهم الناصر بمملكته فاعتقهم واكد للبابا في رسالته انه مهما ظفر باسرى آخرين الا وسعى في تحريرهم ، وجاءت يومئذ بعثة من رجال الكهنوت من طرف البابا الى بجاية تردد آيات الشكر والثناء معترفة بفضل الناصر ومنته على المسيحية ونقل عن الاب « ميشون » انه قال : ان من المحزن للامم المسيحية ان يكون التسامح الديني الذي هو اعظم ناموس المحبة بين الشعوب هو ما يجب ان يتعلمه المسيحيون عن المسلمين

اما الرعية المسلمة فانها كانت على مذهب الامام مالك تدرس الموطأ والمدونة والتلقين لعبد الوهاب بن علي البغدادى ، وعقيدتها هي عقيدة اهل السنة والجماعة

الثقافة والحضارة والعمران

ان من ينظر تاريخ الجزائر في ايام حكمومة بنى حماد يجده من احفل التواريخ ثقافة وحضارة وعمرانا .

فقد كانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية ، وكانت المنح والجوائز الدولية توزع على العباقره وارباب القرائح المبرزين في كل علم وفن ، على مثال ما تصنعه الدول الراقية المعاصرة اليوم ، فازدحم يومئذ على معاهدها الدشير من العلماء والحكماء والاطباء والشعراء واهل الفنون الرياضية والهندسية ، وام عواصمها الكثير من جلة علماء الاندلس والشام ومصر والحجاز والعراق والعجم رغبة منهم في الاطلاع على تبحر عمرانها والاستيقاء من حضارتها كما استفادت الجزائر منهم بدورها عليهم وثقافتهم الشرقية اللامعة ولقد بلغ من اقبال الناس على العلم يومئذ انه كان يجتمع على المدرس الواحد ما ينيف على المائة طالب ، ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره ، فترى المدرس يتلقى طلبته على اختلاف مللهم واجناسهم بصدر رحب تأدية لامانة العلم ، قال شارل سنيوبس Charles Seignobos في كتابه تاريخ الحضارة Histoire de la civilisation كان اهل بيزا الايطاليون ينزلون مدينة بجاية في الجزائر فتعلموا من مصانعها صنع الشمع ، ومنها نقلوه الى بلادهم والى اوروبا ، ولا يزال مسمى الشمع عندهم بوجي Bougie وهو اسم بجاية في نطقهم الافرنجي . وبها تعلم الرياضي والمهندس الايطالي العظيم « اليونارفيوتشي » المولود حوالي سنة ٥٧١هـ - ١١٧٥م العلوم الرياضية وخاصة منها علم الجبر والمقابلة وادخلها الى اوروبا (١)

(١) ان اول من ادخل هذه الارقام العربية Les Chiffres arabes الى اوروبا هو البابا

سيلفيسترا الثاني (٩٩٩-١٠٠٣م) تعدلها بجامعة القرويين بفاس حيث تلقى معلوماته هناك

ولقد عرف علماء الجزائريومئذ منزلة الاختصاص في العلم فكانوا يجتهدون في التخصص في العلوم والتبريز فيها ، فلقد بلغ عدد المفتين في زمن واحد بجاية تسعين مفتياً واشتهر فيها ابن النباش البجائي بالعلوم الفلسفية والطبيعية والحكمة والطب ، وكان يجيد المعالجة وتركيب الادوية .

واعجب من ذلك ! ان هناك من العوام واشباههم من كان يحفظ عن ظهر قلب امهات كتب الفقه والحديث كصحيح البخارى وموطأ مالك ومدونة سحنون وتلقين عبد الوهاب البغدادي... فنشط العلماء بهذا التشجيع واقبال العامة عليهم فاكثروا من الكتابة في مختلف انواع العلوم والفنون (١) وبفضل هذه الحركة العلمية والنشاط الادبي تقلص ضل اللغة البربرية الى الجبال والوهاد وانتشرت العربية في العواصم الجزائرية بين جميع طبقات الشعب

واذا نظرنا نحو الجزائر الفنية وجدناها كذلك غنية بجمال صناعاتها الفنية الرائعة وحسنها الرائق البهيج ، فلقد دلتنا النصوص التاريخية والآثار الحفرية على انتشار فن التصوير والتزويق والنحت والنقش على الجص الملمون وعلى الحزف المطلي والزليج المزين بالصور والفسيفساء وصنع القروورات الزجاجية وشبهها من الاباريق البلارية وتطعيمها بالذهب وتزيينها بالخط العربي البارز الجميل ، ولا يخفى ما يتطلبه كل ذلك من الادوات والآلات المتقنة والمواد المختلفة والخيال الواسع والذوق المرفه ...

(١) يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : واذا رجعنا الى القرن التاسع والعاشر (اى هذا العصر الذى تؤرخه) يوم كانت المدينة الاسلامية زاهرة باهرة ، نرى ان المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد اوربا كانت عبارة عن مجموعة ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بانهم اُميون لا يقرؤون ولا يكتبون .. وطال عهد الجهالة في اوروبا وعم تأثيره بحيث لم تعد تشعر بتوحشها، ولم يبد فيها بعض الميل للعالم الا في القرن الحادي عشر ، وبعبارة اصح في القرن الثانى عشر م (السادس الهجرى)

كان بالقلعة خاصة معامل لنسج الأكسية واللبايد والسجايد المزخرفة ، والملابس الفاخرة ؛ فكانت عمامة الملك وحدها دون بقية لباسه تباع قيمتها الى ستمائة دينار فاذا وضعت على راس صاحبها باتقان كانت كانها تاج مذهب .

اجتهد حماد في تعمير القلعة واكثر فيها من انشاء المساجد والفنادق والاسواق ، فاستبحر بها العمران وارتحل اليها طلاب العلم وهواة الفن والتجارة من الثغور والبلاد القاصية ، واستوطنها ارباب الصنائع والحرف لنفاق اسواقهم بها ؛ فكانت الرحال تشد اليها من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب وفي بجاية من المصانع والمعامل كثير ، ففيها كان يصنع الاسطول وجميع المراكب البحرية ، وبها كان يصنع السلاح وعتاد الحرب واواني النحاس والذهب والفضة

كانت تقدر مساحة مدينة بجاية على هذا العهد (١٥٠ هكتار) اي ١٥٠٠٠٠ مترا مربعا ، وهي مجزأة الى ٢١ حيا ، وفيها من السكان ما يبلغ ١٥٠ ٠٠٠ نسمة ، وفيها من البناءات الضخمة والاستحكامات العجيبة والقصور المزخرفة والدور المروقة ما جعلها قدوة لمنشآت النورمان بصقلية وغيرها .

وكان من بين القصور التي احتفظ لنا التاريخ باسمها وصفاتها : قصر اللؤلؤة ببجاية الذي يقول فيه ابن خلدون : كان من اعجب قصور الدنيا ... بني حوالي سنة ٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م وموقعه كان بحذاء القشلة والمستشفى العسكري اليوم - على قمة البريجة - وقصر الحكومة بالقلعة ، وقصر يحيى بن العزيز بجبل عيوف بجيجل اقيم تجاه البحر والمدينة ، حطمه روجي الثاني النورماندي سنة ٥٣٨ هـ ١١٤٣ م وقصر المنار بالقلعة لاتزال تظهر منه بقايا اطلال وخرائب جدران سوره وقصر أميمون وقصر الكوكب وقصر العروسين وقصر السلام وقصر الامراء وقصر بلارة زوجة الناصر ببجاية والرياض البديع والرياض الرفيع ، وكلها كانت آية في الفن والجمال يتألق حسنهما ويتلألأ نورهما ، فاسمع الى ابن حمديس

كيف يصف لنا قصر المنصور ببجاية فيقول :

اعمر بقصر الملك ناديك الذي اضحى بمجدك بيته معمورا
 قصر لو انك قد كملت بنورة اعمى لعاد الى المقام بصيرا
 واشتق من معنى الحياة نسيمه فيكاد يحدث للعظام نشورا
 نسي «الصبيح» مع «الملح» بذكره وسما ففاق خورنقا وسديرا
 ولو ان بالايوان قوبل حسنه ما كان شيئا عنده مذكورا
 اعيت مصانعه على الفرس الاولى رفعوا البناء واحكموا التدويرا
 ومضت على الروم الدهور وما بنوا ملوكهم شبيها له ونظيرا
 اذ كرتنا الفردوس حين اريتنا غرنا رفعت بناءها وقصورا
 فالمحسنون تزيدوا اعمالهم ورجو بذالك جنة وحريرا
 والمذنبون هدوا الصراط وكفرت حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
 فلك من الافلاك الا انه حقر البدور فاطاع المنصورا
 ابصرته فرايت ابداع منظر ثم اثبتت بناظري محسورا
 وظننت اني حالم في جنة لما رايت الملك فيه كبيرا
 واذا الولائد فتحت ابوابه جعلت ترحب بالعفاة صريرا
 عضت على حلقاتهن ضراغم فغرت بها افواهها تكسيرا
 فكانها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا
 تجري الخواطر مطلقات اعنته فيه فتدبوا عن مداه قصورا
 بمرخم الساحات تحسب انه فرش المها وتوشح الكافورا
 ومحصب بالدر تحسب تربي مسكا تضوع نشره وعبيرا
 يستخلف الاصباح منه اذا انقضى صبحا على غسق الظلام منيرا
 وضراغم سكنت عرين رئاسة تركت خرب الماء فيه زئيرا
 فكانما غشي النضار جسومها واذا ب من افواهها البلورا

اسد كأن سكونها متحرك
 وتذكرت فتكاتها فكانما
 وتخالها والشمس تجلو لونها
 فكانما سلت سيوف جداول
 وكانما نسج النسيم لمائه
 وبديعة الثمرات تعبر نحوها
 شجرية ذهبية نزعته الى
 قد صولجت اغصانها فكانما
 وكانما تأبى لواقع طيرها
 من كل واقعة ترى منقارها
 خرس تعد من الفصاح فان شدت
 وكانما في كل غصن فضة
 وتريك في الصهريج موضع قطرها
 ضحكت محاسنه اليك كأنما
 ومصفح الابواب تبرأ نظروا
 تبدو مسامير النضار كما علت
 خلعت عليه غلائلا ورسيمة
 واذا نظرت الى غرائب سقفه
 وعجبت من خطاف عسجده التي
 وضعت به صناعه اقلامها
 وكانما للشمس فيه ليقمة
 ولأنما ماء اللازورد مخرم
 وكانما وشوا عليه ملاة
 في النفس لو وجدت هناك مثبرا
 اقعت على ادبارها لتورا
 نارا والسنبها اللواحس نورا
 ذابت بلا نار فعدن غديرا
 درعا فقدر سردها تقديرا
 عيناى بحر عجائب مسجورا
 سحريؤثر في النهى تأثبرا
 قصت لهن من الفضاء طيورا
 ان تستقل بنهضها وتطيرا
 ماء كسلسال اللجين نميرا
 جعلت تغرد بالمياه صقيرا
 لانت فارسى خطها مجرورا
 فوق الزبرجد لؤلؤا مثورا
 جعلت لها زهر النجوم ثغورا
 بالنقش بين شكوله تنظيرا
 فلك النهود من الحسان صدورا
 شمس ترد الطرف عنه حسيرا
 ابصرت روضا في السماء نضيرا
 حامت لتبنى في ذراه وكورا
 فأرتك كل طريدة تصويرا
 مشقوا بها التزييق والتشجييرا
 بالخط في ورق السماء سطورا
 تركوا مكان وشاحها مقصورا

يا مالك الارض الذى اضحى له ملك السماء على العداة نصيرا
 كم من قصور للموك تقدمت واستوجبت لقصورك التأخيرا
 فعمرتها وملكت كل رئاسته منها ودمرت العدا تسديرا
 واغلب هذه القصور التى كانت فى مناعة الحصون قضى عليها الاسبان ايام
 احتلالهم بجاية كما قضوا قبلها على ثرات المسلمين ومجدهم بالاندلس

الحركة الاقتصادية

لا يفوتنا هنا ذكر سعة نطاق الحركة الاقتصادية بالجزائر ، فان طرق القوافل
 بين اقطار الشمال الافريقى وارض السودان كانت لا تخلو من السابلة غادية
 رائحة حاملة لانواع البضائع والسلع ، كما ان السفن كانت تجرى بانهار قسنطينة
 ووديانها وفى حوض هذا البحر الابيض المتوسط للمواصلات والتجارة
 ويحدثنا الادريسي عن الحياة الاقتصادية بالجزائر فى هذا العصر فيقول :
 «ومدينة بجاية فى وقتنا هذا (١١٥٣هـ - ١١٥٤م) مدينة المغرب الاوسط وعين
 بلاد بنى حماد ، والسفن اليها مقلعة ، وبها القوافل منحة والامتعة اليها برا
 وبحرا محبوبة ، والبضائع بها نافقة واهلها مياسير تجار وبها الصناعات والصنائع
 ما ليس بكثير من البلاد ، واهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء
 وتجار المشرق ، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالاموال المقنطرة ، ولها بواد ومزارع
 لفلاحة انواع الاثمار والاشجار وغراسة الفطن والكتان وبقية انواع المنتوجات
 الزراعية ، والحنطة والشعير بها موجودان كثيرا والتين وسائر الفواكه بها منها
 ما يكفى لكثير من البلاد ، وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والمراكب والسفن
 والحرابى لان الخشب فى اوديتها وجبالها كثير موجود ، ويجلب اليها من اقاليمها
 الزفت البالغ الجودة والقطران ؛ وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة
 كما هى كذلك بعنابة ؛ وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة . ١٢

وكان لدول أوروبا البحرية معاهدات تجارية وقنصلية دقيقة مع بجاية وإذا ذكرنا بجاية فانما هي بالنسبة لكونها عاصمة المملكة يومئذ ، والا فان في القلعة وبونة وقسنطينة ووهران وتلمسان من الحركة الاقتصادية يومئذ ما يشابه الحياة في بجاية وان كانت هذه تفوقها ، فقد كان دخل مرسى الخرز - القالة - من تجارة بيع المرجان فقط عشرة آلاف دينار سنويا ، وكان مستخلص بونة عشرين الف دينار ، وقس على ذلك ...

انهيار الدولة الحمادية

ان اهم الاسباب الاساسية في سقوط هذه الدولة وانتهاء ايامها هو ما لحق بها من داء الهرم وضعف العصية القومية وتضعف الدعائم والقوى في حروبها الداخلية وما تكبدته الحكومة من الخسائر الباهضة في الاموال والانفس ايام الحملة الهلالية ؛ وما كان عليه الامير يحيى بن العزيز ايضا من الانحلال في الاخلاق والانهماك في الشهوات والاشتغال باللهو عن الملك وتواكاه وسخريته برجال دولته فان مباشرة تسيير دفة الدولة كانت بيد الوزير ميمون بن حمدون الذي كان الملك كثيرا ما يقبح افعاله ويسخر منه ويستنقصه ، فكان يدعو الشيخ الكذاب وهو مع ذلك عمدته في الادارة !

امتعض الوزير ميمون يوما مما الخقه به الملك من الخسف والهوان وأبت له نفسه الايبة الصبر على المذمة والاحتقار ، فخشي من ضياع نفوذه والذهاب بمجده وسمعته ، وقد راعه ايضا ما رأى من تهالك النورمان واحتكاكهم على المغرب الاسلامي ، فبادر الى مكتبة خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي في شأن التملك على الجزائر ، فطار لها الخليفة فرحا وبدت له بذلك فرصة طالما هف اليها قلبه وارقبها خاطرة فخرج من مرا كش متوجها نحو الجزائر سنة ٥٤٦ هـ ١١٥١ م سالكا في طريقه سبيل التضليل والتورية ، فاهم الناس انه يريد الاندلس

حتى نزل بغتة بخيله ورجله بتخوم « سيو سيرات » المعروفة بفحص « سيق » وهي يومئذ حدود الجزائر الغربية ، وقد اخلاها الوزير ميمون من الجند والحامية فكانت الطريق الى الاستيلاء على مملكة بني حماد ممهدة معبدة

اقتحم عبد المؤمن الحدود الجزائرية بدون عناء ولا مشقة حتى بلغ المدينة واحتل الجزائر ففر عاملها القائد الى اخيه يحيى ملك بجاية ، واخذ معا في الاستعداد لمقاومة غزاة الموحدين ، وما فتى الملك الحمادي يستعد للمقاومة حتى فاجأه عبد المؤمن بجيوشه على ابواب بجاية ، تاركا مدينة الجزائر تحت امره الحسن بن علي آخر ملوك صنهاجة بالمهدية ، وذلك ما خشيه ملك بجاية من قبل وكانت هنالك فتنة وهرج ومناوشات حرية وقف فيها الوزير ميمون بجانب الموحدين فانتصر الموحدون من غير قتال كبير ، وفتح لهم ابو عبد الله بن الوزير المذكور ابواب مدينة بجاية فاحتلوها بعد يومين من الوقعة فكان دخولهم اليها في ذي القعدة ٥٤٧ هـ - فيفري ١١٥٣ م

فخرج حينئذ يحيى بن العزيز من بجاية فركب البحر منهزما الى بونة فنزل على عاملها اخيه الحارث بن العزيز ، فاغلظ له هذا القول وانكر عليه تسليم العاصمة الحمادية ، فاعرض عنه يحيى وعدل متوجها الى قسنطينة فنزل على اخيه ايضا الحسن بن العزيز فاحتفي به وادناه ونزل له عن هذه الولاية اكراما وتعظيما له

واستمر عبد المؤمن في سيرة زاحفا فاحتل القلعة في وقعة عظيمة ضد الاعراب قتل فيها نحو الثمانية عشر الف نسمة من اهلها ؛ وكان فيمن قتل بها يومئذ عاملها جوشن بن العزيز اخو الامير يحيى ؛ ثم كان بعدها حصار قسنطينة وتضييق الخناق عليها حتى اضطر يحيى الى النزول عن عرشه والاستسلام الى الموحدين وتقدم بنفسه الى الخليفة عبد المؤمن فبايعه مستأمنا على نفسه فأمنه واخذ معه الى المغرب الاقصى فانزله مع ابن عمه الحسن بن علي آخر ملوك

صنهاجة بقصر بني عشرة في مدينة سلا . وقد حاز يحيى عند الخليفة مقاما رفيعا ورتبة ملحوظة ، وبقي هنالك محترما بجانب الى وفاته سنة ٥٥٨ هـ - ١١٦٣ م فدفن بمقابرها الجوفية - الجنوبية - مما يلي البحر . فكان هذا اخر العهد بملوك بني حماد

واستمر الحارث بن العزيز أخو يحيى على رأس ولاية بونة غير ملتفت الى سلطة الموحيدين على الجزائر مستنصرا بجيش النورمان الى سنة ٥٥١ هـ - ١١٥٦ م فسقطت هذه الولاية ايضا بيد الموحيدين وانتهت بذلك دولة بني حماد بالجزائر بعدما اعمرت ١٤٢ سنة . وقد تيسر لها في هذه المدة السيرة من اسباب المدينة والحضارة والعلم ما لم يتيسر لغيرها من الدول في اكثر من هذا العدد من السنين . وتلك الايام نداولها بين الناس .

ولاية الجزائر وزعمائها

تقلت رئاسة مملكة الجزائر الحمادية بين مدن ثلاث : آشير ثم القلعة ثم بجاية . فيها كان مستقر ملوك هذه الدولة وأمراءها من بني حماد الصنهاجيين وكان لهؤلاء من العمال والولاة ما هو منبث في كامل اهم عواصم القطر الجزائري ومدنه المختلفة كبونة وقسنطينة وبسكرة والجزائر الخ

فمن مشاهير رجال الحكم والوزارة في هذا العهد : خلف بن حيدرة وابو بكر بن ابي الفتوح ؛ فسعت صنهاجة بخلف الى الناصر فقتله واستوزر مكانه احمد بن جعفر بن افلح ، وكان عبد الكريم بن سليمان وزيرا المنصور ، وفي ايام يحيى انحازت الوزارة الى بني ميمون بن حمدون ، وكان اخوة الناصر وابناؤه ولاية على اعمال قسنطينة والجزائر ؛ فمنهم اخوة بلغاز بقسنطينة كما تولوا ايضا الامير سبع بن العزيز اخ يحيى ؛ وكان عبد الله بن الناصر بالجزائر ومرسى الدجاج واخوه يوسف على آشير ، ولباب على مليانة ورومان على حمزة - نواحي قصر البخاري - كما تولوا ايضا على عهد القائد بن حماد اخوه ريعلان ، وتولى خزر على

نقاوس ، وكانت قيادة الجيش العامة على عهد حماد بن بلكين لعباد بن صادق وعبد الله بن سكر الصنهاجيين ، وكان على رأس قيادة الجيش المحارب للعرب من رياح وزغبة سنة ٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م القاسم بن علناس أخ الناصر ، ورئاسة بسكرة والزاب لجعفر بن ابي رمان ، ثم ادال منهم الناصر ببني سندی (او هندی ؟) ، وكان على ولاية المدينة ايام الناصر ابو الفتوح بن حنوش من بني سنجاس ، وعلى ولاية شلف معنصر بن حماد وكلاهما قتل في ثورته على الناصر كما اسلفناه ، وكانت إمرة بني توجين لمناد بن عبدالله ثم انتقلت الى آل عطية بن دقلتن بن ابي بكر المنقوشي .

وجاء يحيى بن وطاس الى الناصر موفداً من طرف اهل قسنطينة لاعلان طاعتهم فعقد الملك ليوسف بن خلوف الصنهاجي على هذه الولاية ، وعقد المنصور لابي يكنى بن محسن بن القائد بن حماد على ولاية قسنطينة واذن له في غزو عمه بلباز ، فتمكن ابو يكنى من هذه الولاية واعلن سلطته عليها سنة ٤٨٧ هـ ١٠٩٥ م وجعل اخاه ويغلان واليا على بونة ، ثم حدث ما اضطر ابا يكنى الى الفرار من ولايته فتولى مكانه صليصل بن الاحمر من رجالات الايبج ، ثم كانت ولايتها للحسن بن العزيز اخ الامير يحيى .

وكانت قيادة الجيش العليا ايام يحيى بن العزيز الى الفقيه مطرف بن علي بن حمدون ، ومن ولاية يحيى وعماله على الجزائر اخوته ، فالقائد كان على مدينة الجزائر والحسن على قسنطينة والطارث على بونة وجوشن على القلعة ، ومن رؤساء بجاية ومشيختها محمد بن نزال الريفي ، وكانت رئاسة صنهاجة في بني حسن ورئاسة مقررة في بني ابي واليل

ولما احتل المستنصر الزناتى المسيلة واشير صالحه الناصر واقطعه ولاية نواحي الزاب وريغة ثم قتله غدرا

وكانت رئاسة مغراوة في بني ورسيفان المغراويين ورئاسة زناتة لماخوخ ،

وكان من عمال بجاية على عهد باديس بن المنصور سهام ، فشكل به الامير ،
وكان على مدينة الجزائر العزيز فعزله باديس ونفاه الى جيجل ، وكانت امرة
تلمسان ورئاستها في بني يعلى المغراويين

اما تونس الحمادية فانها كانت لكرامة عم الملك يحيى ، وبعد وفاته خلفه اخوه
بو الفتوح بن المنصور ، ثم بعده ابنه محمد فلم يمد سيرته فعزل بعمه معد
ابن المنصور ، كما تولى هذه الولاية للحماديين عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان

ملوك الدولة الحمادية

تاريخ التولية

٣٩٨ هـ - ١٠٠٧ م
٤١٩ هـ - ١٠٢٨ م
٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م
٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م
٤٥٤ هـ - ١٠٦٢ م
٤٨١ هـ - ١٠٨٩ م
٤٩٨ هـ - ١١٠٤ م
٤٩٨ هـ - ١١٠٥ م
٥١٥ هـ - ١١٢١ م

حماد بن بلكين بن زيري
القائد بن حماد
محسن بن القائد
بلكين بن محمد بن حماد
الناصر بن علناس
المنصور بن الناصر
باديس بن المنصور
العزیز بالله بن المنصور
يحيى بن العزیز بالله

مشاهير الجزائريين

ابو القاسم يوسف البسكري

١٠٣ - ٤٦٥ هـ

١٠١٢ - ١٠٧٢ م

هو العلامة الامام الرحالة المقرئ الشيخ ابو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي البسكري ، ولد سنة ثلاث واربعمائة للهجرة ؛ اخذ العلم عن مشيخة بلده ثم ارتحل للطلب مستزيدا من العلم سنة خمس وعشرين فطوف بلاد الشرق والغرب فقرأ على المشائخ باصبهان ، منهم الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني وغيره ودخل بغداد فقرأ بها على القاضي ابي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وورد نيسبور سنة ثمان وخمسين فحضر دروس ابي القاسم القشيري في الاصول وابي بكر بن منصور وغيرهما

انصرف الشيخ الى التزلم والاختصاص في علوم اللغة والقراءات فحاض عابها وتعمق في استخراج اسرارها ودقائقها واكثر من الرحلة فيها حتى قال عنه ابي الجزري : فلا اعلم احدا في هذه الامة رحل في القراءات رحلته ، ولاق من لقي من الشيوخ ، قال الامير بن ماکولا : كان ابو القاسم البسكري يدرس علم النحو ويفهم الكلام ، وكان مقدما في علوم اللغة وعلل القراءات ، وكان الامام القشيري يراجع في مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه

ذاع ذكر الشيخ على الافواه وقرع صيته الاسماء فاستدعاه الوزير نظام الملك سنة ثمان وخمسين واربعمائة الى الاقراء بمدرسة نيسابور وقرره استاذا فيها ، فمكث فيها الشيخ ناشرا عليه بها الى وفاته سنة خمس وستين واربعمائة وقد عمى في آخر عمره رحمه الله .

وله من التأليف كتاب الكامل في القراءات الذي جاء فيها قوام : فجملته من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا من آخر المغرب الى باب فرغانة يمينا وشمالا جبلا وبحرا ، ولو علمت احدا تقدم علي في هذه الطريقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته .. الى ان قال : والفت هذا الكتاب فجعلته جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز والهادي ، وعلق ابن الجزري على هذا الحلام بقوله : كذا ترى همم السادات في الطلب !

أبو محمد عبد الله الاشيري

٥٦١ هـ - ١١٦٥ م

الامام المحدث الفقيه الاديب الشيخ ابو محمد عبد الله بن محمد الاشيري نسبة الى بلدة « آشير » بالجنوب الشرقي من مدينة البرواقية في سفح جبل تيطري من عمالة الجزائر .

كان رحمه الله امام اهل عصره في الفقه والحديث والادب ، انتقل الى الشام فمكث حلب الشهباء ففاق بها جميع علمائها كما قال ياقوت : امام اهل الحديث والفقه والادب بحلب خاصة وبالشام عامة ؛ يتسابق الناس الى الاخذ عنه والتشرف بالالتساب اليه ، ويتفاخر الوزراء والملوك بمجالسته والاسترشاد بعلمه وآرائه . استدعاه الوزير ابو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المقتفي والمستنجد الى بغداد وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي لاقراء الحديث وتدريس علومه بدار السلام - بغداد - فسيره الملك اليه محفوفا بالاجلال والاکرام : فاقرأه نالك كتاب « الافصاح عن شرح معاني الصحاح » بمحضر الوزير مؤلف الكتاب نفسه ، وهو شرح يحتوي على تسعة عشر كتابا شرح بها الوزير احاديث الصحيحين .

وقد جرت للشيخ مع الوزير منافرة فتقاطعا ثم ندم الوزير على موقفه هذا
تجاء للشيخ فاعتذر اليه واغدق عليه برة واحسانه ، ثم سار الشيخ من بغداد الى
مكة ثم عاد الى الشام فمات رحمه الله ببقاء بعلبك سنة ٥٦١هـ - ١١٦٥م

ابن الرمامة

٤٧٨ - ٥٦٧هـ

١٠٨٥ - ١١٧١م

العلامة النظار والحكيم الفيلسوف الفقيه ابو عبد الله محمد بن علي المشهور
بابن الرمامة ، ولد بعاصمة الجزائر الحمادية « قلعة بني حماد » في رجب سنة
٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م . روى عن ابي الفضل بن النحوي بالقلعة وتفقه به ، وعن
ابي محمد المقرئ ببجاية ، وابي اسحاق ابراهيم بن حماد ، وعن خاله ابي الحسن
علي بن طاهر بن محشوة بمدينة الجزائر .

ارتحل الى الاندلس تاجرا وطالبا للعلم فلقى بقرطبة الفيلسوف الحكيم
القاضي ابا الوليد ابن رشد و ابا محمد بن عتاب و ابا بحر الاسدي ؛ و ابا الوليد بن
طريف فاخذ عنهم ، ثم انتقل الى المغرب فنزل مدينة فاس وتولى بها خطة القضاء
سنة ٥٣٦هـ - ١١٤٢م وعكف هنالك على الدرس والنظر في الاحكام فاخذ
الناس عنه ، وكان يميل الى مذهب الشافعية

له من التأليف كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب وكتاب التفصي عن
فوائد التفصي وكتاب التبيين في شرح التلقين الخ وبذل همته ووسعه في تحقيق
كتاب البسيط للغزالي وتحرير نكته ومباحثه

ومن اشهر من روى عنه واخذ عنه كتبه الحافظ ابو ذر الحشني و ابو الحسن
بن المفضل و ابو القاسم بن بقي وغيرهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمدينة فاس
يوم الاثنين ١١ رجب سنة ٥٦٧ هـ - ١٠ مارس ١١٧٢م

جدول تاريخي

(٤٠٠-٥٤٧ هـ) (١٠١٤-١١٥٣ م)

تاريخ الحوادث	ام الحوادث
١٠١٤ هـ ٤٠٠	تأسيس المملكة الحمادية
١٠٢٠ هـ ٤١١	اشتداد القحط وكثرة الفناء في الناس من تاهرت الى سجلماسة
١٠٣٤ هـ ٤٢٥	خراب بوننة على يد الجنويز
١٠٣٨ هـ ٤٣٠	انهزام حماسة بن زبرى المغراوى عن الجزائر
١٠٤١ هـ ٤٣٢	تلاعب القائد بالدعوة الشيعية
١٠٥٥ هـ ٤٤٧	تشعب آل حماد وانشقاقهم على انفسهم واغتيال الملك محسن
١٠٥٨ هـ ٤٥٠	نكبة ولاة بسكرة من آل رومان على يد بلكين بن محمد
١٠٦٢ هـ ٤٥٤	اغتيال بلكين وولاية الناصر بن علناس؛ والاستيلاء على فاس، وولاية
	ل عروس بن سندی على بسكرة
١٠٦٥ هـ ٤٥٧	وقعة سببية والزحف الهلالي على الجزائر
١٠٦٨ هـ ٤٦٠	خربة المنتصر الزناتى في هجومه على الجزائر وقتله ، وفيها كان
	تأسيس مدينة بجاية وثورة اهالي المدينة وشلف وفتح الاربس
	والقبروان
١٠٧٧ هـ ٤٧٠	نزوح الناصر ببلازة بنت تعيم ملك المهدية
١٠٨٢ هـ ٤٧٥	فتح المرابطين لعمال تلمسان ووهران واحواز مدينة الجزائر
١٠٨٨ هـ ٤٨١	وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور
١٠٩٠ هـ ٤٨٣	انتقال عرش المنصور من قلعة بني حماد الى بجاية
١٠٩١ هـ ٤٨٤	اقطاع مدينة دلس لمعز الدولة بن صمادح الاندلسي
١٠٩٤ هـ ٤٨٧	ثورة ابي يكنى بقسنطينة وقتله وسقوط اشير بيد المرابطين

فتك المنصور بالمرابطين وعقد الهدنة بين المملكتين	١١٠٣ ٥٤٩٦ م
وفاة المنصور وولاية ولديه باديس ثم العزيز	١١٠٤ ٥٤٩٨ م
خربة الاعراب في اغارتهم على القلعة	١١١٨ ٥٥١٢ م
اذعان تونس للسلطة الحمادية واحتلال جربة	١١٢٠ ٥٥١٤ م
وفاة العزيز وولاية ولده يحيى	١١٢١ ٥٥١٥ م
حصار المهديّة واحتلال تونس	١١٢٩ ٥٥٢٣ م
وقعة زويلة وحصار المهديّة (مرة ثانية)	١١٣٥ ٥٥٣٠ م
اعتداء النورمان على جيجل واستيلاؤهم عليها	١١٤٢ ٥٥٣٧ م
سك النقود الحمادية ببجاية والتجاء امير المهديّة الحسن بن علي	١١٤٨ ٥٥٤٣ م
الى الجزائر بعد سقوط مملكته بيد النورمان	
نهاية دولة بني حماد	١١٥٣ ٥٥٤٧ م
وفاة يحيى بن العزيز آخر ملوك الدولة الحمادية	١١٦٣ ٥٥٥٨ م



الدولة المرابطة

٤٧٢ - ٥٣٩ هـ

١٠٧٩ - ١١٤٥ م

الرباط والمرابطة

ان كل من درس تاريخ المغرب الاسلامي في هذا العصر يعلم انه كان معرضا للغارات البحرية المفاجئة من القسطنطينية او صقلية وجنوبي ايطاليا وسردانية ، فاعتبره المسلمون لذلك ثغرا يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله وقربة اليه ، فانشئت لذلك الرباطات والحصون بسواحل افريقية لحراسة المسلمين والتعبد لله رب العالمين ، ولقد نظم المقيمون فيها امور انفسهم تنظيما حسنا مكنهم من القيام بواجباتهم كلها على وجه حسن ، واصبح الرباط مع الزمن نظاما عسكريا دينيا تحددت اصوله وقواعده شيئا فشيئا

ولقد بلغ من حماس اهل المغرب للرباط ان اصبح ذوو الحمية من اهل قبائل الصحراء يقبلون الى ساحل البحر للرباط وحراسة المسلمين ، ثم عمدت هذه الحركة شيئا فشيئا حتى شغلت روح الرباط قبائل باسرها واخذ المتشوفون للجهاد من اهل قبائل الصحراء يرباطون على احواز الصحراء لحماية ما يليهم من بلاد الاسلام من اخطار من يليهم من الجنوب ، وقامت «الربط» على حدود بلاد السودان ، وصارت هذه «الربط» الصحراوية مراكز للغزو والتوسع ونشر الاسلام في السودان وبلاد افريقية الغربية ، وما زالت هذه الحركة تقوى وتشتد حتى قامت على اساسها دول ؛ اولها دولة المرابطين هذه ثم تلاها الموحدون والحفصيون كذلك والمرينيون (١) ...

وعلى ضوء ما قدمنا نستطيع ان نفهم وضعية الحواناتق والزوايا الصوفية المنتشرة في مجاهل اطراف الشمال الافريقي وتخومها ، وما كان لهذه الزوايا او - الربط - من الاثر الجليل في خدمة الاسلام واهله خدمة سياسية واجتماعية ودينية وبالمجمل فان الدور الرئيسي الذي قام به اهل المغرب في التاريخ العام للاسلام هو دور رباط وحماية لجناحه الغربي كله

نشأة الدولة

تتمى هذه الدولة الى قبيلة لتونة احدى فصائل القبيلة البربرية الكبرى صنهاجة . واشتهرت باسم دولة الملمتين ايضا لاتخاذ قومها الخطام شعارا امتاز به ما بين مختلف الامم والقبائل البربرية المنتشرة بكامل هذا الشمال الافريقي ، وفي سبب اتخاذ ذلك اللثام خلاف بين المؤرخين (١)

كان مستقر هذه القبيلة باعماق الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان - السينيغال - وكان دينها المجوسية الى ما بعد فتح الاندلس فاسلمت طوائف منها وبقي الآخرون الى ما بعد المائة الثالثة ، ثم ظهر فيهم عبد الله بن ياسين الجزولي الذي جاء به الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فصار يعلمهم الدين الاسلامي ، واسس رباطه بوادي النيجير - السينيغال - فلأزمه منهم جماعة عرفوا فيما بعد باسم المرابطين وهم الذين كان على يدهم تأسيس هذه الدولة سنة ٤٣٤هـ - ١٠٤٢م ، ففتحوا بلاد الصحراء والمغرب الاقصى وانتصروا على بلاد الاندلس ، وكان استفحال ملكهم على عهد الامير يوسف بن تاشفين عاهل لمتونة ورافع عماد الدولة المرابطية

[١] انظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٨١ وان خلكان ج ٢ ص ٤٩١ والحلل الموشية ص ٨

وتحفة الزائر ج ١ ص ٤٠

نظامها الحكومي

نشأت هذه الدولة في اول امرها سائرة سير الاقوام المتغلبة قهرا وقسرا الى ان نشأ فيها الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فأخذ قومه بتعاليم الاسلام ومبادئ فنشرها بينهم بواسطة عبدالله بن ياسين فتطور يومئذ دستور الدولة واصبح يسير على مقتضى الكتاب والسنة

وجاء يوسف بن تاشفين ٤٦٥ هـ - ١٠٧٣ م فتشدد في التمسك باهداب الاسلام مستمدا من الخليفة العباسي ساطته الروحية ، فقلده المقتدى ولاية المغرب والاندرلس وكتب له تفويضا لقبه فيه بناصر الدين وبعث اليه بالخلع والاعلام ، وكثيرا ما خرجت السفارات من المغرب الى المشرق حاملة للهدايا النفيسة الى امراء المؤمنين ، وكانت المراسلة بينهما مستمرة وتسمى يوسف يومئذ بامير المسلمين تأدبا مع الخليفة امير المؤمنين ، ثم جرى على هذا اللقب كل من تولى امر هذه الدولة الى انقراضها ،

وما تسامح العباسيون مع هذه الدولة كل هذا التسامح واطاعوها فيما في رغبتها هذه الا عن قصد ايجاد منافس بجانب الخلافتين القائمتين بالمغرب يومئذ : خلافة بنى عبيد الفاطمية ، وبني امية في الاندرلس فجعل الخليفة العباسي من دولة المرابطين هذه مزاكما لهما يضعف من شأنهما بالمغرب

ذاع صيت سلطان المرابطين يوسف بن تاشفين في انحاء العالم الاسلامي كله فخطب له على اكثر من الف منبر ، وقد اجمع المؤرخون على عدالة هذه الدولة وقيامها بحقوق الرعية والرعية كما يوجبها الاسلام ويقتضيه فقه الامام مالك ؛ فقد كان الامراء لا يقطعون امرا دون مشورة الفقهاء فيه ؛ وكثيرا ما كان الامير يباشر بنفسه ماجريات الاحوال والمسائل العامة ؛ ولم يجر في عمل المرابطين طيلة ايامهم رسم مكس ولا ضريبة مغرم لا في الحضر ولا في البادية ؛ وانما هي اموال الزكاة والعشر والجزية والحراج واخماس المغانم ؛

وذكروا اسم الخليفة العباسي على تقودهم كرمز لطاعته .
 وبلغ عدد جيش المرابطين في لوائل امرهم الى مائة الف جندي ، وهذا من
 غير المتطوعة من اعيان القبائل وزعمائهم الخاضعين لهذه الدولة ، وفي سنة ٤٦٤ هـ
 ١٠٧١ م أدخل في نظام الجندية نحو الالفى فارس من عبيد السودان ثم اضيف
 اليهم نحو مائتين وخمسين من علوج الانداس ، واتخذ على بن يوسف بن
 تاشفين بالمغرب جيشا من الروم في اوائل القرن السادس الهجري الحقه بجيوش
 المسلمين وجعله لا يحضر في الجهاد خشية تماثله مع العدو ، فكان يستعين به في
 قتال المنشقين عن الطاعة والمتخلفين عن الدولة فقط ، ثم كانت هذه سنة متبعة قلده
 فيها جميع ملوك المغرب ودوله فيما بعد ، وذلك ما يشبه الفرقة الاجنبية اليوم
 في الجيش الفرنسي ، ولقد تعورف هذا النظام العسكري من قبل في الامم السالفة
 ايضا ، فقديما جند حنبعل قوما من الغاليين - سكان فرانسا - ، والسويسريون
 انفسهم كانوا يمثلون اقدر الفرق التي ترتزق بسيفها في ربوع اوروبا وتحارب
 تحت اعلام مختلف ملوكها وامرائها

وكان مما اثبتته التاريخ لهذه الدولة وسجله بمداد الفخر في ميدان الجندية
 انه لم يحفظ لجند المرابطين فرار من زحف قط ؛ وان قتالهم رجالة صفوفاء ،
 بايدي الصف الاول القنا الطوال ويحمل الصف الثاني معه المزارق ، يتقدمهم رجل
 يحمل بيديه الراية السوداء فلا ينفكون عن الحرب والقتال ما قامت الراية فاذا ما
 امالها صاحبها الى الارض جالسوا ؛ واما الاسطول فانه بلغ الى مائة قطعة حربية
 كانت تجول على الدوام في طول هذا البحر الابيض وعرضه متسردة على جزائر
 الخالدات « كاناري » وكانت قيادته لبني ميمون .

الحدود الجزائرية

يمتد ملك المرابطين من تخوم المغرب الأقصى فيخطى حدود ملوية الى اسوار مدينة الجزائر ، فكان غرب القطر الجزائري تقريباً كله تحت نفوذ المرابطين ، غير ان ايامهم لم تطل بهذا الوطن سوى ٦٧ سنة

الاستيلاء على الجزائر

كنا المعنا فيما تقدم الى ما كان بين دولة المرابطين وبنى حماد ماوك القلعة وبجاية من التنافس والتزاحم على زعامة المغرب الاوسط وبسط نفوذهم عليه ، وكانت هنالك مهاجمات ومناوشات بين الحكومتين في كلا القطرين : الجزائر والمغرب الأقصى كما مر تفصيلنا .

وفي سنة ٤٧٢ هـ - ١٠٧٩ م تحرك جيش المرابطين من مراکش بقيادة مزدي بن بكلان اللمتوني وجاء غازيا للجزائر في نحو عشرين الف مقاتل فحل باحواز تلمسان فقاتلهم عنها عامها يومئذ يحيى من بنى خزر المغراويين الى ان سقط ميتا في الميدان ؛ فانطلق جند ابن تاشفين يعث بملك النواحي ثم عاد الى مصدره .

ثم في السنة بعدها خرج الامير يوسف بن تاشفين بنفسه فغزا مملكة الجزائر وافتتح منها عدة اماكن واستولى فيها على تلمسان وقضى على من كان فيها من امراء بنى خزر ، واحتط بها محلته المشهورة «تاكراوت» التي كانت مأوى له ولاشباعه ومعكرا لجيشه ، ومنها توجه الى وهران وتنس وجبال وانشريس واعمال شلف فقضى على ممالك زناتة ومجا آثار مغراوة من جميع المغرب الاوسط ، ودخل متيجة موغلا فيها الى اسوار مدينة الجزائر ، فردته عنها حصونها ؛ فانكفأ واربد الى عاصمته مراکش فدخلها في ربيع الثاني سنة ٤٧٥ هـ - سبتمبر ١٠٨٢ م واصبحت اعمال الجزائر الغربية يومئذ كلها بيد المرابطين

المذاهب والعقائد

ان اهم ما ارتكزت عليه هذه الدولة في نشاطها السياسية ونهضةها القومية هو الدين ، فباسم الدين رسخت قواعدها في الملك وتمكنت جذورها من الارض ، وذلك بفضل عبد الله بن ياسين ، وعبد الله هذا مالكى المذهب ، فكانت جميع اعماله واقواله تجرى على مقتضى الفقه المالكي الا ما شذ فيه من بعض فتاويه وتشديداته ؛ وقد دة في ذلك المرابطون حكومة وشعبا ؛ وبعدما التحق المرابطون بالاندلس وجدوا هنالك مذهب مالك منتشر بها ايضا فتغلغلت الملكية حينئذ في الامة واصبحت الحكومة لا تقضي امرا الا على وفق هذا المذهب ، فحاز فقهاء الملكية بذلك فضلا عظيما ومنزلة رفيعة عند الامراء وغيرهم من اتباع هذه الدولة ، ونبد الناس يومئذ سوى ذلك من المذاهب والاصول وبالغت الدولة في التمسك بهذا المظهر حتى كاد ان ينسى النظر في كتاب الله وسنة رسوله ... ولم يكن لاهل المذاهب الاخرى مظهر بالجزائر سوى في بنطوس من قرى بسكرة ، فانه كان بها مسجد واحد لاباضية ، وكان اهل تهودة - سيدى عقبة - على مذهب اهل العراق

ودان اهل ذلك الزمن بتكفير كل من ظهر عليه الخوض في شيء من علم الكلام ، وقرر الفقهاء بمحضر علي بن يوسف بن تاشفين تقييح الفلسفة وعلم الكلام والنظر فيهما وكراهية السلف لهما ؛ وهجروا كل من ظهر عليه شيء من ذلك بدعوى انه بدعة وقلوا بان الاكثار منه يؤدي الى اختلال في العقائد ووهن في الايمان وحملوا الامير عليا على نشر اوامره في البلاد بذلك وكتابته في كل وقت الى الولاية والعمال بالتشديد والتوعده لسل من يشتغل بهذا العلم او يوجد عنده من كتب شيء منها ، واحرقت في ذلك كتب الغزالي وهدد من وجدت عنده بسفك دمه ومصادرة امواله ... ولم يرتفع هذا الكابوس الا في عهد الموحدين فكان الامر على نقيض ذلك كما سنقصه عليك .

الثقافة والحضارة والعمران

اشتد تعلق امراء هذه الدولة بعلماء الدين حتى كان لاطمهم لا يخلو من عالم او فقيه او اديب ، وكان من شغف يوسف بن تاشفين باهل العلم والفضل ان زوج ابنته بالعلامة الفيلسوف الكبير ابن باجة الاندلسي ، وفي ايامه **كثرت** بالمغرب ذوو القرائح وارباب الحرف والصناعات والمهندسون ، وقد بلغ ذلك الغزالي فرغب في المجيء الى بلاط ابن تاشفين ، وصح منه العزم فانتقل الى الاسكندرية متوجها الى المغرب وبينما هو آخذ في الاستعداد للسفر اذ بلغه نعي امير المسلمين يوسف بن تاشفين فأحجم ، وكان ممن اشتهر في الجزائر يومئذ من اهل الثقافة العالية ابو عبد محمد بن سحنون الطبيب الندرومي الكومي ، نسبة الى كومية باحواز تلمسان . والاديب الكاتب البليغ محمد بن محرز الوهراني ؛ واكثر الناس يومئذ من اشتغالهم بالتقاريم الفقهية المالكية فنفتت في ذلك الزمن سوق **كتب** هذا الشأن

ولقلة مكث المرابطين بالجزائر لم يكن لهم فيها كبير أثر في فن المعمار ؛ اللهم الا ما كان من محلة تلمسان - تاجرارات - والمسجد الجامع بتلمسان ومسجد الجزائر ، وجامع ندرومة او ما كان من ابتداء تخطيط مدينة مستغانم حيث ابنتى فيها يوسف مركزه الحصين المشهور بمشتى غانم ؛ وهو المدعو ببرج الامحال المنشأة حوله مدينة مستغانم ؛ كما ان مدينة هنين - مرسى تلمسان - هى من منشآت هذا العصر ؛ ولا ندرى آكان ذلك على يد المرابطين ام غيرهم ؟ ... وقد ذكرها البكرى والادريسى وقالوا انها كانت مزدهرة الحضارة وفيها اسواق ودكاكين ذات تجارة ناشطة ؛ ومن غير بلاد الجزائر كانت للمرابطين آثار ضخمة بالمغرب الاقصى هى آية في فن المعمار لايزال بعضها هنالك ماثلا للعيان الى الآن ؛ وفي ايامهم ظهرت صناعة الكاغد بالمغرب .

انهيار الجزائر المرابطية

استمر غرب القطر الجزائري تحت طاعة المرابطين الى ان نشأت بجانبهم دولة الموحيدين بأقصى بلاد السوس ، وبنت دعوتها على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصادف ان كان أمر المرابطين في تدهور وانحطاط بسبب اختلال شؤون الادارة وسوء سلوك الولاة وتفريطهم في ضبط امور المملكة واخلادهم الى الدعة والراحة ، فادبر الناس عنهم يوم ان احكم الموحدون خطتهم الهجومية على الجزائر بعدما احتلوا نواحي كثيرة من اقصى المغرب فنزلوا باعلى الجبل المطل على تلمسان ووصلت يومئذ كتائب بني حماد برسم الامداد والاعانة فهزمهم الموحدون بضاحية العباد ويومئذ كتب تاشفين بن علي الى الافاق يستدعي أنصاره فجاءته سرايا من سبجلماسة وبجاية والتحق بها ابنه ابراهيم من الاندلس ومعه من جند الروم نحو اربعة آلاف فارس فاجتمعت هذه كلها بتلمسان ، وامر تاشفين بعرض الجيوش وسائر الوفود فعجب الناس من كثرة عددهم وعددهم واحتفالهم في الزينة حتى زعموا انهم لم يروا مثل هذا الجند المحتشد حسنا وجمالا وعدة وكالا ، واصطفت العساكر من باب القرمدين الى الجهة المتصلة باصل الجبل ؛ وكان ذلك آخر جيش احتفل به المرابطون (١) ورغم ذلك كله فانه لم يغن عنهم احتفالهم ولاعدتهم امام جيش الموحيدين شيئا ، فسقط تاشفين بن علي ميتا في الواقعة واحتلت تلمسان يوم ٢٩ رمضان سنة ٥٣٩ هـ - ٢٦ مارس ١١٤٥م وانتهى يومئذ حكم المرابطين بالجزائر بعدما قضوا بها ٦٧ سنة وانحصر ملكهم بالمغرب الاقصى الى ٥٤١ هـ - ١١٤٧م حيث احتل الموحدون مراکش ايضا فانهار سلطانهم وانقضت ايامهم

ولاية الجزائر وزعمائها

كان فيمن تولى اعمال الجزائر على عهد المرابطين محمد بن تينعمر المسولي ولاء يوسف بن تاشفين على تلمسان سنة ٤٧٥هـ - ١٠٨٢م ولم يزل محمد المذكور في ولايته هذه الى ان هلك في حصار مدينة الجزائر فتولى بعده اخوه تاشفين بن تينعمر فخرج هو ايضا لحصار الجزائر ففتحها بعد قتال عنيف ، وكانت بينه وبين ملوك بني حماد فتنة أدت الى عزله عن منصبه سنة ٤٩٧هـ - ١١٠٣م فتولى بعده القائد مزديلي المستشهد في بلاد الروم سنة ٥٠٨هـ - ١٠١٤م ثم تركها امير المرابطين الى محمد المدعو بالشبور فبقى بها الى ان سقطت بيد الموحدين وفي ايام تغلب ابن غانية - من اشياء المرابطين - على الموحدين واستيلائه على بعض الثغور من القطر الجزائري ، اسندت ولاية تلمسان سنة ٥٨١هـ - ١١٨٥م الى يحيى بن ابي طلحة ، وعمل مليانة الى بدر بن عائشة

امراء المرابطين

تاريخ التولية

١٠٧٣ — ٥٤٦٥

١١٠٦ — ٥٥٠٠

١١٤٢ — ٥٣٧

يوسف بن تاشفين

علي بن يوسف

تاشفين بن علي

مشاهير الجزائريين

ابو عبد الملك البونى

٤٣٩ هـ - ١٠٤٧ م

هو العلامة الفقيه المحدث الصالح ابو عبد الملك مروان بن علي الاسدى القطان البونى - نسبة الى بونة ، عنابة - احدى حواضر القطر الجزائرى الشهيرة ؛ وهو خال ابى عمر القطان الفقيه

سكن المترجم له مدينة قرطبة وفيها روى عن ابى محمد الاصيلي والقاضى ابى المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس وغيرهما وارتحل الى المشرق فاخذ هناك عن ابى الحسن القاسى ؛ ولازم ابا جعفر احمد بن نصر الداودى خمس سنوات فاخذ عنه معظم تليفه وما عنده من علم رواية ودراية وتجرد المترجم له بعد ذلك الى خدمة العام بالتدريس والتأليف فكتب شرحه المختصر لموطأ الامام مالك ؛ وقد كان معول الناس يومئذ في دراسة الموطأ على هذا الشرح وتداول بينهم بكثرة وكان ممن اخذه عنه ابو عمر بن الحذاء ؛ وقال عنه انه كان رجلا صالحا عفيفا عاقلا حسن اللسان والبيان لقيته رحمه الله ببونة سنة ٤٠٥ هـ ، وناولنى كتابه في شرح الموطأ ثم خاطبته من طليطلة فوجه الى الديوان واجازه لي ثانية وكان قد زاد فيه بعد لقائى له .

وكان ممن حدث عنه ايضا ابو القاسم بن محمد ؛ فقال لقيته بالقيروان وشهد معنا المجالس عند اهل العلم بها ، وكان رجلا حافظا ناقدًا في الفقه والحديث ؛ وقرأت عليه بعض تفسيره للموطأ واجاز لي سائره وسائر ما رواه . قال ابو عمر توفي ببونة ؛ وذكره الحميدى فقال : كان فقيها محدثا وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ ؛ مات قبل الاربعين واربعمائة

الحسن بن علي التيهرتي

٥٠١ هـ - ١١٠٨ م

هو العلامة اللغوي الامام النحوي الحسن بن علي بن طريف التيهرتي تخرج علي ائمة علماء الاندلس وكبار اسانذتها في القرن الرابع الهجري ، وكان فيمن اخذ عنهم الحجاج بن المامون وابن سعدون ومروان بن عبد الملك والقاضي بن سهل وابو محمد بن قحافة وابو تمام القطبي وغيرهم . وعنه اخذ علامة المغرب ابو الفضل القاضي عياض وذكره في فهرسته واثني عليه فقال : شيخ بلدنا في النحو مشهور بالصلاح درس عمرة النحو واخذ عنه جماعة اصحابنا وجماعة شيوخنا توفي رحمه تاسع ذي الحجة سنة احدى وخسمائة (٨ جولييط ١١٠٨ م)

يوسف الورجلاني

٥٠٠ - ٥٧٠ هـ

١١٠٦ - ١١٧٤ م

هو العلامة المتبحر ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني ، ولد بمدينة ورجلان - وارقلة - بالجنوب الجزائري حوالى سنة ٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م اخذ العلم ببلده ثم ارتحل عنها الى الاندلس طالبا الاستزادة فدخل قرطبة حاضرة العلم يومئذ فكان هنالك بين المثقفين مثالا للنبوغ النادر والادب الجلم والاطلاع الواسع والعلم الغزير حتى كان الاندلسيون مع حداثة سنة يشبهونه بالجاحظ ، ثم عاد الى وطنه ووجد منه الرحلة ايضا الى المشرق فدخل عواصم العلمية الالامعة وتصلع فيها بجميع ما كان متعارفا مشهورا في وقته من العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ، واكثر من الرحلة في سبيل العلم فتوغل في اواسط افريقية حتى بلغ الى قريب من خط الاستواء قبل ما تبجح باكتشافه الاروبيون بقرون !

ذكر ذلك بنفسه في كتابه الجليل الجامع « الدليل لاهل العقول » وهو احد كتبه الممتعة ، طبع بمصر سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م ، ولما عاد من رحلته لازم داره بورقلمة منكباً على الدرس والتأليف مكرساً حياته لخدمة العلم ونشر الثقافة الاسلامية ، فلم يخرج من داره مدة سبعة اعوام ؛ ولم يكن يرى فيها كما قال الشماخي الاناسخا ، وللاقلام باري ، وللدراسة فاعلا ، وللجبر طابخا ، اوللدواين مقابلا ، اوللكتب مسفرا

وللشيخ من التأليف تفسير القرآن الكريم يقع في سبعين جزءا ، وصف البرادى جزءا منه فقال : رايت منه في بلاد ريغ سفرا كبيرا لم ار ولا رايت قط سفرا اضخم منه ولا اكبر منه ، حررت انه يجاوز سبعمائة ورقة او اقل او اكثر ، فيه تفسير فاتحة الكتاب والبقرة وآل عمران فلم ار ولا رايت ابلغ منه ولا اشفى للصدر في لغة او اعراب او حكم مبين او قراءة ظاهرة او شاذة او ناسخ او منسوخ او جميع العلوم منه الخ ... يقال انه يوجد من هذا التفسير اليوم جزء باحدى خزائن رومة عاصمة ايطاليا ، كما ان له في التاريخ كتاب يسمى « فتوح المغرب » يوجد بخزائن المانيا ؛ وله كتاب « العدل والانصاف » في اصول الفقه يقع في ثلاثة اجزاء ؛ والقصيدة الحجازية نظم فيها رحلته العلمية الى تلك الديار تقع في ٣٥٠ بيتا جمع فيها كثيرا من فنون العلم ، وكتاب « مروج الذهب » في الفلسفة ترجم الى اكثر لغات اوروبا نظرا لاهميته ؛ واشتهر له في خدمة كتب الحديث « ترتيب مسند الربيع بن حبيب » وما رايت له من كتبه المطبوعة سوى الدليل جمع فيه فنونا من الحكمة والفلسفة والالهيات وعلم الحلام والمنطق والهندسة ومناقشة المذاهب والتفسير الخ فهو اشبه بصورة مصغرة لدائرة معارف اسلامية . وتوفي رحمه الله بمسقط راسه « وارجلان » سنة ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م

جدول تاريخي

٤٧٢-٥٣٩ هـ (١٠٧٩-١١٤٥ م)

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٠٧٩ هـ ٤٧٢ م	استيلاء المرابطين على غرب القطر الجزائري
١٠٨٢ هـ ٤٧٥ م	عودة يوسف بن تاشفين من الجزائر الى حاضرة مراکش
١١٠٦ هـ ٥٠٠ م	وفاة يوسف بن تاشفين
١١٠٨ هـ ٥٠١ م	وفاة الحسن بن علي التيهرتي شيخ القاضي عياض
١١٤٥ هـ ٥٣٩ م	نهاية حكم المرابطين بالجزائر (٢٩ رمضان - ٢٦ مارس)
١١٧٤ هـ ٥٧٠ م	وفاة يوسف الورجلاني

الدولة الموحدية

٥٣٩ - ٦٦٨ هـ

١١٤٥ - ١٢٦٩ م

نشأتها

تأسست هذه الدولة على كاهل رجل السياسة والعلم ذلك الداهية المغربي العظيم محمد بن عبد الله بن تومرت (١) الهرغى السوسى الملقب بالمهدي ، وكان منشأها بـ « تينملل » في المغرب الاقصى بين احضان قبائل مصمودة التي كانت ترى نفسها احق بزعامة المغرب الاسلامي من غيرها ، وخاصة المرابطين فانها كانت تنظر اليهم كاجانب عن الوطن

ذهب ابن تومرت في اول نشأته الى المشرق لطلب العلم وهناك اطلع على حال الخلافة العباسية التي كانت خاضعة لزعماء الجيوش التركية ، وقد رأى معها احتضار الخلافة الفاطمية ايضا بمصر وانها ذاهبة الى السقوط والانهار ، كما لاحظ يومئذ امم اربوا ودولها تعمل على جمع شتاتها وتوحيد كلمتها استعدادا لاعلان حروبها الصليبية على المسلمين وغزو بلادهم ؛ فارتأى محمد بن تومرت وجوب القيام بانشاء دولة اسلامية تحافظ على عظمة الخلافة الاسلامية وكيانها الطبيعي وتنصر على الصليبيين ؛ فأخذ في تأسيس حكومته على قاعدة شيخ القبيلة المتزعم وافاض عليها صبغة المهدوية ؛ تلك العقيدة التي نجح بها الفاطميون قبله في تأسيس دولتهم بالمغرب .

(١) ذكر تليذه ومؤرخه ابن البيدق ان معنى كلمة « تومرت » بلسان البربر الفرح ؛ وذلك ان امه فرحت كثيرا بمولده ، وكانت كلما سئلت عنه اجابت بلسانها البربري « ديك تومرت » ومعناه صار فرحا فقلب عليه ذلك اللقب

ولقد كان لهذه العقيدة اقبال ورواج في بلاد المغرب اكثر منها في بلاد المشرق ؛ وذلك لاسباب كثيرة منها ان المغاربة معروفون من قديم - من ايام الكاهنة بالميل الى المغيبات والتأثر بها ؛ ومنها ما اذاعه بعض دهاة السياسة من الاحاديث التي توميء الى ظهور المهدي المنتظر وانه من اهل المغرب (١) الخ . وكثيرا ما راينا استعمال فكرة المهدي هذه واستخدامها في انحاء العالم الاسلامي على مدى الازمان في القضايا السياسية المصطبغة بالدين

انشأ ابن تومرت دعوته في تأسيس دولته على الدين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر داعيا الى تخلص العقيدة من شوائب الشرك والزيف عن التوحيد الخالص ، ولكي يكفل لنفسه اعظم قسط من مجهودات انصاره وأتباعه فانه القى في روعهم انه المهدي المنتظر الذي سيملا الارض عدلا كما ملئت جورا ، ودعا اصحابه بالموحدين تعريضا بخصومه المرابطين وطعنا في عقائدهم ، وكان ممن آزره على بث فكرته هذه بالمغرب ذانك الرجلان العظيمان ، مثال الشهامة والعلم والبطولة في التاريخ : اولهما عبد الله الوانشرسي - نسبة الى جبل وانشرس بجنوب بلدة الاصنام - وكان عالما فصيحاً باللغتين العربية والبربرية توفي في حصار مراکش عام البحيرة سنة ٥٢٤ هـ - ١١٢٩ م أي في نفس السنة التي مات فيها ابن تومرت ، والثاني هو عبد المؤمن بن علي التاجري الكومي الندرومي . اجتهد ابن تومرت في القضاء على دولة المرابطين بالمغرب الاقصى واشهر عليهم سيفه وقلبه ولسانه وقاومهم في جميع الميادين فتغلب عليهم وقهرهم ، فبايعته الامة المغربية بالامارة يوم السبت غرة المحرم سنة ٥١٦ هـ - ١١ مارس ١١٢٢ م وما زال شأنه يعلو الى ان توفي ليلة الاربعاء ١٣ رمضان ٥٢٤ هـ - ١١ اوط ١١٣٠ م عن غير عقب اذ لم يتزوج قط ، وقد كان عهد بالامارة بعده

(١) لقد احصى ابن حجر هذه الاحاديث (المروية في المهدي فوجدها نحو الخمسين ، وذكر انها لم تثبت صحتها عنده ؛ ولم يكن منها شيء في الصحيحين

الى عشرة من خاصة اتباعه كان فيهم عبد المؤمن بن علي التاجري الكومي الندرومي
فاجمع الناس على مبايعته بالامارة وتقديمه عليهم لما امتاز به من الخصاص الحميدة
التي قلما تجتمع في غيره ، فتقلدها عبد المؤمن عن جدارة واستحقاق

نظامها الحكومي

كانت قاعدة هذه الدولة طيلة تملكها على افريقية الشمالية هي مدينة
مراكش ، ورئيسها الاعلى دائما هو الخليفة الملقب بامير المؤمنين ، ودستورها
الكتاب والسنة من غير انتماء الى اى مذهب من المذاهب الاسلامية ، حرة غير
خاضعة لاي سلطان ، واعمالها الادارية موزعة بين مختلف الوزارات على حسب
الترتيب العصري اليوم تقريبا ، فلقد كان للاشغال العامة ومصالح الناس وزير ،
ولمالية وزير ، وللكتابات والترسيل وزير ، وللعديلة والنظر في نوازل المتظلمين
وزير ، وللنظر في اهل الثغور وزير ، وللبحرية رئيس عام يدعونه « الممند » بفتح
اللام المفخمة ، وهو المسؤول امام وزير الحربية المسمى عندهم بصاحب السيف ؛
وجميع الاعمال الادارية كان يجرى تحريرها بالقلم العربي المبين .

ومن غير هؤلاء الاعضاء رجال موظفون تختلف مراتبهم بحسب اختلاف
الاشغال والاعمال والمصالح ولهم اعوان ومساعدون ، وكان للشرطة رئيس يدعونه بالحاكم
وسلطته لاتتعدى طبقة العامة من غير المتوظفين ، وكان لا يتولى عندهم هذه
الوظيفة الا من كان من الطبقة الممتازة من رجال الموحدين ، وذلك ان الناس
في هذه الدولة ثلاث طبقات : السابقون الاولون وهم الذين بايعوا المهدي ابن
تومرت ؛ ثم يليهم الاتباع ؛ ثم تاتي الطبقة الثالثة من العامة ، ولم يكن يطلق
لقب « السيد » عندهم الاعلى اعضاء الاسرة المالكة من ابناء عبد المؤمن فقط ، وقد
فعلوا ذلك كي لا يتولى الرئاسة منهم الا من كان سيداً حقاً ، فكان بذلك
نظام الحكم في هذه الدولة ارسقراطيا .

وجميع ما كان هنالك من الوظائف واشغال الحكومة الادارية يرأسها المزوار .

الذى يدين بالطاعة للحاجب المسؤول امام الخليفة عن جميعها ، وللخليفة مع ذلك مجالس يعقدها في اوقات مختلفة للمشاورة والنظر في الشؤون العامة يحضرها الاعيان من نواب القبائل وعرفاء النواحي النائية بمشاركة اهل العلم والفضل ، ومما امتازت به دولة الموحيدين وفاقت فيه غيرها من دول المغرب نظامها العسكري وتراتب الجند في القتال ، فلقد اجتمع لديها من الجند عدد يفوق المعبود عند غيرها من الدول الاسلامية بالمغرب ، ففي ايام الحرب كان يبلغ العدد الى ٨٠,٠٠٠ جندي ، وبتزايد احيانا الى المليون ، وهو مختلط ممزوج من العرب والبربر والافرنج والممالك ، وكان عدد الافرنج منه ايام ابي العلاء المأمون عشرة آلاف جندي ، وكان من النظم المتبعة عندهم في الحرب ان يتقدم قائد الجيوش ومعه سرية تشتمل على نحو المائة فارس تخفق على رؤوسهم الرايات البيض المزخرفة بخطوط زرقاء وأهلة ذهبية ، - ثم تغير اللواء لديهم فكان احمر - ويأتي بعد هؤلاء الفرسان فوج من رجال الدولة والرؤساء والحكام ، ثم يتلوهم الجيش بكتائبه متبوعا بآرباب الصناعات والحرف واصحاب الحاجيات ... واذا خرج معهم الخليفة كان لخروجه موكب حافل يجتمع فيه من اصحاب الطبول والالوية والبنودشي كثير وكلها تسير خلفه ، ويسمى ذلك عندهم « بالساقية » ثم اقتصر بعد ذلك على سبع طبول تتبع الامير ومثلها من الرايات كذلك ؛ قال الوزير ابو جعفر بن عطية : شاهدت عبد المؤمن وقد جلس يوما لعرض العسكر عليه ، فجعلت العساكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة اشر كتيبة ، لا تمر كتيبة الا والتي بعدها احسن منها جودة سلاح وفراهة خيل وظهور قوة (١) اما الاسطول فانه كان فيه من انواع المراكب البحرية : المسطحات والطرائد والشواني الخ ... وقد بلغ عدد وحداته ايام عبد المؤمن الى ٤٠٠ قطعة حربية ولخزينة الدولة موظف خاص من الموحيدين مشغول بضبط الحسابات ومراقبة

الدخل والخرج ، ويتعقب النظر فيما يفعله الولاية والعمال في الاموال ، وله هو وحده الاذن في استخراج المال منها ، ومالية الدولة فيها متكونة من الزكاة والخراج واخماس المغنم والحجيات . والعملية يومئذ مضروبة باسم الخلفاء الموحدين وهى من الذهب والفضة ، وفيها من انواع المسكوكات الدرهم والدينار والانصاف والارباع والخراريب ، والدرهم عندهم من فضة مربع الشكل وفيه المستدير ، وهو لا يزيد في وزنه عن « قرام » واحد ونصف ؛ ونظام الاسواق عندهم موكل الى « المحتسب » قاله يرجع تقدير الاسعار ومراقبة ما يجرى فيها من مظالم بواسطة اعوانه من الامناء

ومنصب القضاء عندهم لا يتولاها الا من برز في العلم والاخلاق ، ولا تتجاوز ولاية القاضي مدة عامين فقط ، اتباعا في ذلك سنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في توليته القضاة ، وفي ذلك من الحكمة ترغيب الناس وبعث الامل فيهم والنشاط في تحصيل العلم حتى ينالوا هذا المنصب الجليل ويحجزوا على شرفه ، علاوة على ما في ذلك ايضا من دفع التهم التي قد يلصقها اعداء القاضى وخصومه به حسدا او مللا من طول اقامته بينهم ودوام مزاولتهم للحكم ، ثم ان القاضي في نفسه اذا تولى منصبه هذا علم من يومه قرب نهاية ولايته ، فهو مظنة للعزل فلا يحيف ولا يجور .

الحدود الجزائرية

لقد عم سلطان الموحدين جميع تراب الشمال الافريقى كله من البحر المحيط غربا الى شرقى طرابلس وبرقة ، ومن جبال الشارات « البرانس » باقصى شرق بلاد الاندلس الى تخوم صحراء افريقية الكبرى فواكبر سلطان واعظم مملكة شاهدها الاسلام في المغرب وكانت الجزائر لهذا العهد منقسمة الى ولايتين اثنتين شرقية وغربية ، اولاهما ولاية بجاية وهى تقريبا عين حدود العمالة القسنطينية المعروفة اليوم ، والثانية ولاية تلمسان ، وهى تمتد من وادى ملوية غربا الى نهر مينة شرقا ؛

الخليفة عبد المؤمن بن علي

عاهل افريقية واميرها الاوحد عبد المؤمن بن علي التاجري الكومي الندرومي الجزائري ، ولد بضيجة من اعمال تلمسان تعرف « بتاجرا » بنواحي ندرومة على نحو ثلاثة اميال من مرسى « هنين » وذلك سنة تسعين واربعمئة وقيل سنة خمسماية للهجرة (١٠٩٦ - ١١٠٦ ؟ ...)

نشأ عبد المؤمن في اسرة فقيرة ، حيث كان ابوه يرتزق من صنع اواني الطين ، واما كومية من بنى مجبر ، طلب العلم اولا ببلده ثم نزع عنها باحثا عن العلماء في كل صقع وناحية ، وهو مع ذلك يحترف تعليم الصبيان حتى دخل « ملالة » على فرسخ من بجاية ، وفيها ساقه القدر الى الاجتماع بمحمد بن تومرت عند مقدمه من المشرق فاخذ عند العلم واقتصر عليه في الطلب فاصطفاه ابن تومرت واتخذه من بين الطلبة لما لمح فيه من النبوغ والعبقرية ، واصطحبه معه الى المغرب الاقصى ، وهناك تظافرا معا على تقويض دعائم دولة المرابطين واقامة دولة الموحدين ، الى ان توفي ابن تومرت فبوسع عبد المؤمن بالخلافة في منتصف رمضان ٥٢٤ هـ - اوط ١١٣٠ م .

اشاد عبد المؤمن صرح هذه الدولة الناشئة فنشر اعلامها بكامل اقطار المغرب العربي والاندلس ايضا وكان له طموح الى فتح بلاد مصر وما وراءها من العالم الاسلامي كله ، ويومئذ اصبحت هذه الدولة تعرف ايضا باسم « المؤمنية » نسبة اليه ، وكان رحمه الله داهية في السياسة ، عالما حازما . قال من رآه : رايته شيخا ابيض ؛ معتدل القامة ، ذاجسم ععم ، تعلوه حمرة ، وضئ الوجه ، عظيم الهامة ، اشهل العينين ، كث اللحية ، شن الكفين ، طويل القعدة ، واضح بياض الاسنان ، يخذله الايمن خال ؛ فصيح الالفاظ جزل المنطق (١)

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٩١ والمعجب ص ١٤٢

تثبيت قدمه في الملك

كان من الخطط التي رسمها عبد المؤمن لتوطيد دعائم ملكه ان يبادر الى انتزاع الامر من يد اهل السوس قوم ابن تومرت وجعله في قومه الجزائريين ، فاستقدمهم اليه واجتهد في تهذيبهم وتنشئتهم نشأة رياضية صناعية حربية ؛ وجعل بينهم نحو ثلاثة آلاف شاب من اذكى المصامدة وغيرهم ممن اختارهم من فطناء المغرب حتى حذقوا الفنون والآداب وبان شاوهم على غيرهم ، فعرضهم يوما على اشياخ الموحدين وقال لهم كلمته الصريحة الصارخة : العلاء اولى منكم ايها الاشياخ . . . مشيرا الى تقديم هذا الشباب المثقف الناهض ؛ فتخلى حينئذ هؤلاء الشيوخ عن وظائفهم ومناصبهم الحكومية ونزلوا عن ولاياتهم لاولى العرفان من هذه الناشئة الصالحة ، وعزل عبد المؤمن يومئذ خليفته ابا حفص عمر الهنتاتي عن ولاية العهد وجعلها في ابنه محمد ، ثم قدم عليه اخاه ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، ثم لحق بعبد المؤمن نحو الاربعين الف فارس من قومه فنزلوا عليه سنة ٥٥٧هـ - ١١٦١م وهكذا بقى يعمل على تقديم ذويه واقربائه في الحكم حتى تم اتمام الامر الى النهاية .

الاستيلاء على ولاية تلمسان

بعد ان تمكن قدم عبد المؤمن في الملك واشتدت عرى دولته ورست قواعدها بالسوس ، شرع في بسط نفوذه على انحاء المغرب الاوسط فتحرك بجنوده سنة ٥٣٤هـ - ١١٣٩م متوجها الى اعمال تلمسان ، فمر في طريقه على الريف فاستولى عليه ، ثم عرج مشرقا على احواز تلمسان ، وهنالك اصطدم بجيش المرابطين ، وبينما الحرب قائمة بين الفريقين ان لمح عبد المؤمن ثلثة في جيش العدو فاسرع الى محاصرة تلمسان واحاط بها من جهاتها الاربع ؛ وكان جيشه مركبا من اربع فرق : فرقة تجاه العدو وسلاحها المنزارق الطوال المرتكزة

بالارض ماثلة؛ وهذه الفرقة عندهم هي اشجع فرق الفرسان؛ وفرقة متترسة مدرعة، وفرقتان تحمل القسي والمقالع : وهناك في الوسط فرقة الخيالة التي تنفرج تارة عنها الجيوش فتغزو على العدو مشكلة به ثم تروح فتعود الى وسط ذلك الشكل المربع من الجند فتختفي من بينه وهكذا دواليك وتفرق آخرون من الموحدين يقاتلون في جهات متفرقة ونواحى متعددة بقصد التشويش على العدو فاعترضتهم سيول بعض الاودية من بلاد صنهاجة فامر عبد المؤمن بضرب سد على ذلك النهر حتى اذا طغى الماء امرهم حينئذ برض ذلك السد وتحطيمه فاندفعت المياه متدفقة نحو العدو فتحطمت حصونه وتغلب الموحدون على صنهاجة جرت هذه الوقائع وامير المسلمين يومئذ علي بن يوسف بن تاشفين مقيم بـ«كهف الضحاك» بين الصخرتين من جبل تيطرى ، ولما شعر بالهزيمة دعا باسطوله المقيم في الاندلس واستنجد ايضا بيحيى بن العزيز الحمادي فجاءته الانجدة من بجاية برا وبحرا ، وكان على الجيش الحمادي طاهر بن كباب ، وعلى الاسطول ميمون بن حمدون قائد البحر الاعلى ، وما كادت هذه الحامية تتصل بميناء وهران حتى فاجأها الموحدون وضربوا عليها الحصار ، وخرج منها تاشفين ليلا في جماعة يسيرة فصعد الى الرباط العظيم المنشأ في ربوة « صلب الكلب » المطبل على وهران ؛ ويقال ان صعود الامير كان ليلة السابع والعشرين من رمضان ليحضر الختم من سنة ٥٣٧هـ - ١١٤٢م وكان عبد المؤمن يومئذ في جمعه بتاجرة وهي موطنه من بلاد ندرومة ، وقد ارسل الجند الى وهران بقيادة الشيخ ابى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى صاحب المهدي ، فكمنوا هنالك عشية واعلموا بانفراد تاشفين عن الحامية في ذلك الرباط فقصده واحاطوا به واحرقوا باباه فايقن القوم الذين فيه بالهلاك ، فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه ليشب الفرس النار وينجو ، فترامى الفرس نازيا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف هنالك الى جهة البحر على الصخر في وعى فتكسر الفرس وهلك

تاشفين في الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه ؛ وكان عسكرة في ناحية اخرى بعيدا عنه بحيث لم يدر بما جرى في تلك الليلة ، وجاء الخبر بعد ذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران ، وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط « صلب الفتح » بدلا عن صلب الكلب (١)

ويومئذ نزلت جيوش الموحدين سهل منداس وسط بلاد زناتة ، فاضخت فيهم قتلا واسرا حتى اذعنوا لطاعة عبد المؤمن . وفر ميمون بن حمدون الى متيجة ومنها كتب الى عبد المؤمن بالطاعة والولاء ، ثم توجه الخليفة الى وهران فاحتلها صبيحة عيد الفطر ٥٣٩ هـ (مارس ١١٤٥ م) ثم توجه بعدها الى تلمسان فاقام بها سبعة أشهر اشتغل فيها بتنظيم شؤون الدولة والادارة واصلاح ما جرت به الحرب من الفساد وولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتى وترك معه ولده يوسف معاضدا له وناصرا ، ثم عاد الى مركزه من المغرب الاقصى مشغولا بفتوحاته في الاندلس ثم في سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م تم للموحدين فتح مدينة مليانة واحوازها ، وبذلك انتهى حكم المرابطين بالمغرب الاوسط تماما .

الاستيلاء على ولاية بجاية

كان من الطبيعي ان يتابع عبد المؤمن فتوحاته بالجزائر بعد ما امتلك منها جميع اعمالها الغربية فتقدم اذا نحو الشرق في عشرين الف فارس وام يظهر اتجاهه الى الجزائر حتى فاجاها بغزو نواحي وانشريس فاحتلها سنة ٥٤٧ هـ ١١٥٢ م وجال في نواحي « سيوسرات » - فحصى سيق - ودخل مليانة ، والملك الحمادي مجبى بن عبد العزيز يومئذ في غفلة عن كل هذا منهمكا في لهوه وقصفه ، فما راعه الا وعبد المؤمن خيم بمدينة المدية واحتل معها الجزائر صلحا ، فخرج منها صاحبها القائد منهزما الى اخيه ملك بجاية ، فلحقه عبد

(١) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٤٨٩ والحلل الموشية ص ١٠٦ - ١١٠

المؤمن في جنوده تاركا على الجزائر الحسن بن علي آخر ملوك المهدية ، وكان ملتجئاً بها ، وهناك وجد الوزير الحمادي ابا محمد ميمون بن علي بن حمدون مستعدا لفتح ابواب المدينة للموحدين بناء على ماسبق بينهما من الاتفاق السرى فافتحم عبد المؤمن عاصمة بني حماد في ذى القعدة سنة ٥٤٧ هـ - فيفري ١١٥٣ م وانهزم عنها صاحبها يحيى بن العزيز راكبا متن البحر الى بونة حيث كان اخوه الحارث واليا بها ، ومنها انتقل الى قسنطينة ، ومكث عبد المؤمن ببجاية مدة شهرين استكمل فيهما توطيد ملكه بهائم غادرها الى مركزه بمراكش ولقد شاهد هذا الفتح مع عبد المؤمن الشاعر ابو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي فقال :

من القوم بالقرب تصفى الي	حديثهم اذن المشرق
جروا والمنيا الى غاية	فلم يسبقوها ولم تسبق
بايديهم النار مشبوبة	فمهما تصب باطلا تحرق
يقودهم ملك اروع	تفرد بالسؤدد المطلق
تخيره الله من آدم	فما زال منحدر ا يرتقى
الى « الناصرية » سرنا معنا	ولما تفتنا ولم تلحق
الى برزة في ذرى ارعن	تجل عن السور والحنق
يعوذون منا بمولاهم	ومولاهم عاد بالزورق
واكسبه خوفه خفة	فلو خاض في البحر لم يغرق

ولما رأى القوم تقاعس ملكهم الحمادي واحجابه عن مقابلة الموحدين اجتمعوا على ترئيس ابي قسبة وتقديمه عليهم فحاربوا تحت لوائه وقتلوا جيوش عبد المؤمن مقاتلة عنيفة بعرض الجبل شرقي بجاية ، فتضاعفت خيبتهم بقتل عدد كبير منهم ؛ وضل الموحدون يتابعون زحفهم الى القلعة الحمادية وهى يومئذ أحصن القلاع ففتحوها وعملوا فيها معاول الهدم والتخريب ومات من اهلها يومئذ ثمانية عشر الفا كان فيهم عاملها جوشن بن العزيز

وقعة سطيف واستسلام قسنطينة

اشتد العصاة من رؤساء النواحي الجزائرية في مقاومتهم ضد حكومة الموحدين ضنا منهم بمناصبهم في الرئاسة وحباً في الحرية الشخصية فصباحهم عبد المؤمن في ثلاثين ألف فارس ومعه حلفاؤه من العرب ؛ وخرج الجميع لقتال المنشقين تحت قيادة عبد الله بن عمر الهنتاتي ، وكان اللقاء بينهم في سهول سطيف ؛ فانتشر الموحدون أولاً بالجبال وظهروا انهزامهم امام العدو حتى اذا ما تقدم اليهم فانهالوا عليهم كسيل العرم واوقدوا عليه الحرب ثلاثة ايام (اوائل صفر ٥٤٨هـ - اواخر افريل ١١٥٣م) وفي اليوم الرابع انكشف فيه الحال عن انهزام الثائرين وانحيازهم عن الميدان. فتفرق جند الموحدين يومئذ الى فرقتين ؛ فرقة اندفعت خلف المنهزمين فأدركتهم ببسة فاسرتهم وسبت اموالهم ، والثانية يعمت مدينة قسنطينة فحاصرتها وضيق عليها الخناق فاستسلم بها يومئذ يحيى بن العزيز آخر ملوك بني حماد ونزل عن عرشه مبايعاً للخليفة عبد المؤمن

فتح بونة

لقد تحقق الحارث بن العزيز والى بونة - عناية - بالخطر الداهم وادرك لا محالة بانهم هامة اليوم اوغد ، فبادر من حينه الى الاستغاثة بالنورمان والاحتماء بقواتهم العسكرية ، فأجابه هؤلاء الى رغبته التي هي امنيتهم من قبل ، وجهزوا له اسطولا ضخماً تحت قيادة فيليب المهدوى ، وحلت سفن النورمان هذه بمياه بونة في رجب ٥٤٨هـ - سبتمبر ١١٥٣م حامية لها من حملة الموحدين بحرا ، يؤازرها عرب الناحية من جهة البر ، ومكث القوم على ذلك عشرة ايام ثم ارتحل عنهم النورمان وبقي الحارث بها على ولايته تحت طاعة النورمان الى سنة ٥٥١هـ - ١١٥٦م حيث اعاد الموحدون كرتهم عليها ففتحوها عنوة وقتلوا صاحبها صبرا وبذلك تم للموحدين الاستيلاء على القطر الجزائري كله من جهاته الاربع وانقطعت عنه امال النورمان الذين طالما تحلبت افواههم وشفاهم عليه

امارة الثعالبة بمتيجة

ان اول مانزل اعراب المعقل بن ربيعة من بنى الحارث بارض الجزائر في
اواسط القرن الخامس الهجرى ان نزلوا بمساكن بنى ملكان بن كرت الصنهاجين
مما يلي ملوية - آخر مواطن بنى هلال - ؛ وكان من بين اعراب المعقل هؤلاء
الثعالبة من ولد ثعلب بن على ، فتنقلوا بمواطن عديدة ؛ منها المدينة وحبل
تيطرى حيث كانت توجد المدينة اشير ؛ ثم ازيجوا عن هذا المكان ايام استيلاء بني
توجين عليه فانحدروا الى بسيط متيجة فسكنوا بسهولة محتمين بصنهاجة حتى
اذا غلب المرابطون على المغرب الاوسط وقضوا على ملك صنهاجة استبد الثعالبة
بهذا البسيط الفسيح من ارض متيجة ورسخ قدمهم فيه الى ان كان قفول محمد بن
عبد الله تومرت من المشرق فمر بطريقه على متيجة فتعرف اليه الثعالبة
واكرموا نزله واخذوا عنه مروياته واصبحوا من اشياعه محافظين على ولائه الى
ان ظهر امره بالمغرب وفتح الموحدون الجزائر ، فاسندت يومئذ اماره متيجة
والمدينة ومقاطعة تيطرى الى هؤلاء الثعالبة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م ، وكانت امارتهم في
بنى سباع بن ثعلبة

فتمكن الثعالبة يومئذ من بسط نفوذهم ونشر سلطانهم على متيجة الى وادى
سيق ، وبنوا بتلك النواحي نحو الثلاثين حصنا ؛ ولقد بالغ امراء الموحدين في
اكرامهم وتقديرهم نظرا الى موقفهم المشكور تجاه المهدي محمد بن تومرت

وفاء عبد المؤمن

لم يلبث عبد المؤمن بعد فتح الجزائر الا قليلا حتى امتلك تونس باعمالها ودخلت
تحت طاعته فاعاد بذلك الى شمال افريقية وحدته السياسية ، ثم تقدم الى فتح
بلاد الاندلس فاحضرها ، وفي عودته منها ادركه الحماة في مدينة سلا فتوفي يوم
الاحد ٢٧ جمادى الثانية ٥٥٨هـ (فاتح جوان ١١٦٣) وقد بلغ من العمر نيفا

وسبعين سنة ونقل جثمانه الى «تينملل» فدفن بازاء ضريح المهدي محمد بن عبد الله تومرت ، فكانت مدة ولايته ٣٣ سنة و ٨ اشهر و ١٥ يوما

اعقاب عبد المؤمن

مات عبد المؤمن عن ستة عشر ذكرا وبتين ، والذي خلفه في الملك من ابنائهم هو ابو يعقوب يوسف فكانت مبايعته في شعبان سنة ٥٥٨ هـ (جولييت ١١٦٣ م) وتلقب بامير المؤمنين وسار بسيرة والده مجتهدا في اعلاء شأن الدولة والرعية ، وكان عالما متلصعا جماعا للكتب راجح العقل كريما . غزا الاندلس فطعن تحت سرتنه في معركة حرية هناك فمات شهيدا يوم السبت ٧ رجب سنة ٥٨٠ هـ (١٤ اكتوبر ١١٨٤ م) وحيي به الى المغرب فدفن بجوار والده رحمه الله ، فخلفه ولده يعقوب المنصور ، وكان كايه وجده علما ودينا وسياسة وهو الذي عمل على اظهار ابهة ملك الموحدين وعظمة سلطانتهم ، وكان من اهم حوادث الجزائر على عهده حملة بنى بن غانية التي سنحدثك عنها :

بنو بن غانية

كان علي بن يحيى المسوفى - نسبة الى قبيلة مسوفة بصحراء لتونة - مقربا لدى امير المسلمين علي بن تاشفين ملك المرابطين ، فتزوج امرأة من القصر تدعى «غانية» ، فولدت له محمدا ويحيى وكلاهما نشأ في بلاط المرابطين تحت رعاية امير المسلمين ؛ وقد كان لهذه الدولة يومئذ ملك المغرب والاندلس عقد المرابطون لمحمد بن غانية على الجزائر الشرقية (جزائر الباليار) : ميورقة ، و مينورقة ، وباسة ، فنزل بالاولى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) واشتهر بالميورقى وبقي هنالك حتى هلك فخلفه عليها ابنه اسحاق ؛ وفي ايامه كان سقوط دولة المرابطين وانهايار ملكهم : فوجه اليه الموحدون من يأخذ لهم البيعة عنه فأبى ورفض الدخول تحت طاعتهم ، واوصى بذلك بنينهم منهم على ويحيى ، ولما استشهد سنة ٥٧٩ هـ

(١١٨٣ م) قام بالامر بعده ولده علي ، وهو صاحب الثورة الكبرى والوقائع الدائمة الآتية الذكر :

حملة بنى بن غانية

كانت امارة بنى غانية بجزائر البليار مهددة بالسقوط في يد الموحدين ، فلما توفي الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن نشط بنو غانية الميورقيون لاختار احوالهم المرابطين انتقاما من الموحدين فعملوا على تقويض دعائم ملكهم بالاندلس ونقض بيعتهم ومقاومة نفوذهم هناك ، وظنوا ان فرصة الانتصار قد حانت بموت ابي يعقوب وان جبل الموحدين سيضطرب لا محالة وتختلف الكلمة بينهم وبين البربر المحافظين ، وزادهم نشاطا في حركاتهم هذه طول غيبة الامير يعقوب بن يوسف عن دار الامارة بالمغرب واقطاعه للجهاد بالاندلس منذ ثلاث سنوات ، فتحقق لديهم خلو الجو للتظاهر ضد الموحدين والعمل على تحطيم سلطانهم بافريقية ، ويضاف الى ذلك ما قام به جماعة الناقمين من اعيان بجاية ، فان هؤلاء راسلوا ابن غانية يحثونه على غزو الجزائر واقامة دعوة المرابطين بها ، وانهم لا يزالون على وفائهم لاسرة بيت الملك من بنى تاشفين الملتجئين ، وحيث نادى امير جزائر البليار على الميورقي باقامة صرح عرش دولة المرابطين بالجزائر الشرقية واعلن مجاهرا بخروجه عن طاعة الموحدين

مهاجمة بجاية

بينما الناس قائمون في صلاة الجمعة من يوم ٦ شعبان سنة ٥٨٠ هـ (١٢ نوفمبر ١١٨٤ م) اذ فاجأهم اسطول المرابطين تحت امارة الميورقي علي بن غانية ، وكان الاسطول يشتمل على ٣٢ سفينة حربية تحمل معها ٣٠٠ فارس و ٤٠٠٠ راجل نزلوا كلهم بساحل بجاية بناحية « المذبح » في مكان يسم السبي من جهة الرض فاحتلوا اولا جبل الخليفة ودخلوا المدينة من باب اللوز ولم يكن اذ ذاك مسورا

وصادف يومئذ خلو المدينة من الحامية وغياب عاملها ابي الربيع سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن في حيشه خارج البلد ، فاتهز الميورقي كل ذلك لفتح قصبة المدينة وركز عليه الاسود فيها ، ثم يعم المسجد فاحاطت جنوده به احاطة السوار بالمعصم ؛ فما راع اهل بجاية الا والحصار مضروب عليهم من كل ناحية فارغموا على مبايعة ابن غانية باسم الخلافة العباسية وشذ عنه آخرون . ثم كانت هذه المباغثة الحربية بعد ذلك سببا في غلق الناس ابواب المدينة وقت تأدية الصلاة من يوم الجمعة فاتخذها غيرهم سنة

التحام الحرب

بادر ابو الربيع بالعودة الى مركز ولايته فسار سيرا حثيثا الى بجاية وكان في قل من الفرسان اذ لم يكن معه يومئذ سوى ثلاثمائة فارس ، فانضم اليه عامل القلعة وكان سائرا في طريقه الى مراکش والتحق بهما ايضا نحو الف فارس من القبائل المجاورة وكان هنالك من الاعراب الهلاليين من تقم على حكومة الموحدين فانضم منهم نحو الف فارس الى عصابة ابن غانية وانتشبت القتال بين الطائفتين فتقاعس جند الموحدين عن المقاومة وصار اكثره الى اشباع ابن غانية فانهمز ابو الربيع فيمن بقي معه الى تلمسان وتملل ابن غانية بشوة الانتصار فتحمس لاتمام خطته في الفتح

انتصار علي بن غانية على الجزائر

مكث علي بن غانية اسبوعا واحدا ببجاية ريثما اقام بها تنظيمات حكومته الجديدة فاستخلف عليها اخاه يحيى وقدم للخطبة بها العلامة ابا محمد عبد الحق الاشبيلي ثم خرج لشأنه فدحر الموحدين بسهولة متبعة واستولى على مدينة الجزائر وموزاية والمدينة واشير ومليانة ومازونة وتلمسان ووهران وامتلك قلعة بني حماد ، وولى على جميعها اقاربه وبني عمه ثم توجه الى قسنطينة فاطال حصارها ولم يقو على فتحها

حملة يعقوب المنصور

ما كادت تنتهي اخبار حوادث ابن غانية وهجوماته على الجزائر الى آذان الخليفة يعقوب المنصور وهو منصرف عن الاندلس حتى بادر بالاجهاز على العدو والقضاء على الثوار من اتباعه، فنظم حملة عنيفة ضد الخصم وجعل قيادة الجيوش فيها لابن عمه السيد ابي زيد بن عمر بن عبد المؤمن ، واسند قيادة الاسطول لابي محمد بن جامع ؛ فنزلت الكتائب اولا مدينة الجزائر وفيها علمت من طرف مشيختها بعزم الميورقي على نقل سكان بجاية من الموحدين وحملهم معه الى ميورقة

بادر الموحدون على جناح السرعة الى بجاية فدخلوها في صفر ٥٨١ هـ (ماي ١١٨٥ م) فاستولوا على اسطول ابن غانية الموجود بمرفأها ، وادرك يحيى بن غانية انه لا قبل له بمقاومة الموحدين فخرج مع اخيه عبد الله ومن كان معه من اشياء المرابطين فالتحقوا بعلي بن غانية وهو يومئذ محاصر لمدينة قسنطينة ، فادركهم الموحدون هنالك فطاردهم بها واجلوه عن الوطن الجزائري كله وساروا خلفهم الى الصحراء، ثم كان ظهور بني بن غانية بعد ذلك في ولاية تونس فاحدثوا بها قلاقل واستولوا على بعض الجهات منها . وتوفى علي بارض نقزاوة من ناحية الجريد سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) فقام بعده اخوه يحيى

قيام يحيى بن غانية

لقد كانت نهضة يحيى هذه سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) اي بعد ان مضى على وفاة اخيه علي ثلاث عشرة سنة ، فظهر يحيى بمظهر القوة والبأس واعانته في ذلك بنو هلال وسليم فزحف على القطر الجزائري ، فقاومه والي بجاية ابو الحسن بنواحي قسنطينة فارتحل يحيى الى ارجاء الصحراء فاحتل بسكرة ونكل باهلها وسجن عاملها ، واستولى على تبسة وبونة - غابة - ثم اعاد حصار قسنطينة فاجلأ عنها الموحدون ، فارتحل يومئذ الى بجاية .

ودخلت السنة الثانية من يوم اعلان هذه الحرب ؛ فخرج الخليفة محمد الناصر بن يعقوب بنفسه وجاء من حضرته مراکش فنزل بمدينة الجزائر آخذاً في اعداد الجيش والاسطول لشن الغارة على مواطن ابن غانية بالجزائر الشرقية - البليار - انتقاماً منه واشغالا له عن المغرب ، وفي تلك الاثناء احتل يحيى مدينة بجاية سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) وبسط عليها نفوذه سنتين

ويومئذ عمل الخليفة الناصر على استرجاع مدينة بجاية وانتزاعها من يد يحيى فاحتلها الموحدون سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) ثم لحقها الخليفة بولاية تونس يوم ١٠ شوال ٦٠٣ هـ (١٠ ماي ١٢٠٧ م) وجعل على راس هذه الولاية ابا محمد عبد الواحد بن أبي حفص جد الاسرة الحفصية المتملكة بتونس

وحينما كان الخليفة منصرفاً الى المغرب الاقصى منسلخ شهر ربيع الاول سنة ٦٠٤ هـ (اكتوبر ١٢٠٧) اعترضه يحيى بن غانية في جيش عظيم فيه من العرب والبربر ؛ فكانت بينهما مقتلة عظيمة بسهل شلف انهزم فيها يحيى شر هزيمة ، وعادت البلاد الى طاعة الموحدين ، وقرر ذكر ابن غانية حيناً من الدهر ، فبقى يعمل مختفياً على استرجاع قواه حتى اشتد ساعده فظهر شوكته بنواحي تيهرت وحمل على قوات الموحدين الموزعة هناك ، فقضى على الحامية واحتل تيهرت ودمرها سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) وقتل عاملها يومئذ ابا عمران موسى بن محمد حفيد عبد المؤمن ، فكان ذلك آخر العهد بعمران تيهرت القديمة ثم نهض ابن ابي حفص عامل افريقية سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) فقضى على حركة ابن غانية هذه وكسر من شوكته ففت في عضد يحيى وخمل ذكره فالتحق يومئذ بارض الزاب وبقي هنالك مشرداً يتنقل في القرى والمدامر ، ثم احلى عن تلك البلاد سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) فخرج في جماعته قاصداً مدينة الجزائر فلقه بمتيجة منديل بن عبد الرحمن المغراوي قافلاً بجنوده من وانشرس والمدينة بعدما اخضعهما ؛ فانتشبت بينهما الحرب فقتل منديل صبوا وجاء به

يجبى الى مدينة الجزائر فنصب جثته على باب المدينة مصلوبة ومكث يجبى بالجزائر ميرا لنقم الفتن فى اعمالها الى سنة ٦٢٥هـ (١٢٢٨ م) حيث تجرد لقتاله ابو زكريا الحفصي فاصلت عليه السيف وطاردة حشما كان فبقى يجبى مشردا فى البلاد مهزوم القوى مضضع الدعائم الى ان ادركه حمامه بوادى شلف وقيل بالزاب سنة ٦٣١هـ (١٢٣٣ م) وقيل بعد ذلك بستين ؟ وبموته انقرض ملك لمتونة وانتهت الاضطرابات السياسية بالجزائر ، وكان ممن شارك فى مقاومة حملات بنى غانية من القبائل الجزائرية قبيلة زناتة الشهيرة الذكر ، وما اعقت حركة بنى غانية هذه الا وبالا وخسرانا فى النفوس والاموال ، وما كانت على مشيرها الا حشرات اذ لم يجن منها احد شيئا الا الحراب والتدمير ففيها كان خراب تيهرت ومتيجة وشلف والقلعة وحزمة ومرسى الدجاج وغيرها من المدن والقرى الجزائرية ولم ينج من ذلك الا مدينة قسنطينة لما منحتها الطبيعة من حصانة ومناعة ، وقد كاد النصر ان يكون فى جانب بنى غانية لولا ان الموحدىن احكموا سياستهم القبلية فعرفوا كيف يتمكنون من ناصية العرب والبربر جميعا فكانت لهم بذلك الغلبة على بنى بن غانية

تأسيس مدينة مازونة

كان اختطاط هذه المدينة بعمالة وهران سنة ٥٦٥هـ (١١٧٠ م) على يد ابي منديل عبد الرحمن المغراوى اشهر زعماء قبيلة مغراوة التي هى احدى فصائل القبيلة الجزائرية الكبرى زناتة ؛ ولقد اشتهرت هذه المدينة بحسن الموقع وجماله وعذوبة الماء وطيب التربة وخصوبة المكان وانتشار العمران

انشقاق بني عبد الواد واستبداهم بملك تلمسان

كان قبيل بني عبد الواد المقيم يومئذ في مواطنه باحواز تلمسان من اخلص القبائل الموالية لدولة الموحدين واوفاهما ذمة لهم ، فمنحهم الموحدون واثابوهم على موقفهم هذا باقطاعهم بلاد بني وامانو وبني يلومي بتلك النواحي التلمسانية ، ثم عقد الخليفة ابو العلاء ادريس بن المأمون لابي محمد جابر بن يوسف شيخ بني الواد على تلمسان سنة ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) وقد كان امر هذه الولاية من قبل الى صنهاجة ، فاستبد يومئذ ابو محمد بهذه الولاية ونازع بني عبد المؤمن في الملك عليها واورثها بنيه من بعده واستمر الحكم في اعقابها الى سنة ٦٣٣هـ (١١٣٥م) حيث تسلط بنو عبد الواد على هذه الامارة بالقوة وقطعوا عنها دعوة الموحدين واسسوا بها ملكهم وديارهم ، وتعددت الوقائع والحروب بينهم وبين الموحدين وكان النصر فيها سجالا

استبداد الحفصيين بولاية بجاية

كنا المعنا فيما سبق الى الخاق الدولة لمقاطعة بجاية باعمال تونس واسنادها الى ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص سنة ٦٠٣هـ (١٢٠٧م) ، فلما توفي خلفه ابنه عبدالله ثم ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد الى سنة ٦٢٧هـ (١٢٢٩م) فظهر هذا نقض بيعة الموحدين واعلن استقلاله بهذه الامارة ، وحيث اقتطم عنه الخليفة اعمال بجاية فعزله عنها وجعل عليها ابا عمران موسى بن محمد بن يعقوب المنصور فحقق ابو زكريا لذلك واعلن الحرب في وجه الموحدين وجاء الى الجزائر غازيا سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) ففتح بجاية وقسنطينة واقام بتونس والجزائر يومئذ دعوة الحفصيين وتحقق بنو مرين يومئذ من ضعف دولة الموحدين باضطراب حبل المملكة وخروج اعمال تلمسان وبجاية وقسنطينة وتونس عنهم ، فاهتبلوها فرصة واستبدواهم كذلك بمواطنهم في وادي المغرب الاقصى ، ويومئذ خشي

الموحدون من تدهور دولتهم وسقوطها بيد هؤلاء المنافسين والمزاحمين فاستنجد الخليفة ابو دبوس بامير تلمسان يغمراسن لينصره على بنى مرين ، فشن يغمراسن غاراته على بلاد المغرب الاقصى ونواحي ملوية ، وبعث ببيعته وميثاقه لابي دبوس في ذى القعدة سنة ٥٦٦ هـ [ماي ١٢٦٧ م] ثم كانت هنالك ملحمة وادى تلاغ المشهورة - قرب وادى ملوية - فانهمز فيها يغمراسن يوم ١٢ جمادى الثانية ٥٦٦ هـ [٢٨ فيفري ١٢٦٨ م] ورجع الى حضرته مدحورا .

حركات الاسطول

لقد امتازت دولة الموحدين عن سواها من دول المغرب والمشرق يومئذ بقوتها البحرية وكثرة اساطيلها المتنوعة الاشكال ، ففيها من الطرائد والمسطحات والشوانى والحراريق والزوارق والمراكب شيء كثير ، بلغت ايام عبد المؤمن الى اربعمئة قطعة حربية ، منها مائة قطعة كانت مرابطة بمرسى وهران وهنين ولقد كانت السفينة الواحدة منها تحمل بضعة آلاف من الرجال ، ولم يكن في السفن يومئذ ذات الطبقتين غير سفن هذا البحر ، فهي اكبر من سفن المحيط ، وكلها كانت تصنع بدور الصناعة المنتشرة بكامل عواصم المغرب البحرية ؛ فكان منها بالجزائر ثلاث : في وهران وهنين وبونة - عناية - وبهذه الاساطيل افتتح الموحدون كثيرا من السواحل وتغلبوا على براعة النورمان ، وحاربوا في وقائع بحرية شهيرة بالاندلس وغيرها ، فهددوا كثيرا من سواحل اوروبا واستولوا عليها ، فكانت بذلك دولة الموحدين من اقوى دول العالم البحرية وافخمها ، وقد حازت بذلك شهرة عظيمة ، قال ابن خلدون : ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم احمد الصقلي اصله من « صدغيار » المواطنين بجزيرة جربة من سدويكش اجاز الى مراکش فتلقيه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرة والكرامة واجزل له الصلة وقبلة امر اساطيله فجلى في

جهاد امم النصرانية ، وكانت له آثار واخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين و انتهت اساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه [١]

وكان لشهرة اسطول الموحدين وسيادته على البحار ان استنجد به بطول الاسلام السلطان صلاح الدين الايوبي في حروبه الصليبية كما تنص عليه رسالته الى الامير يعقوب المنصور المؤرخة بيوم ٢٨ شعبان سنة ٥٨٦ هـ (فاتح اكتوبر ١١٩٠ م) ، ولئن تخلف المنصور عن نجدة صلاح الدين وامتنع من نصرته يومئذ فانما كان ذلك اقتصاصا من الامير الايوبي حيث ترك خليفته « قارة قوش الغزي » يقف ضد الموحدين ايام ثورة بني غانية فكان صلاح الدين لذلك يعتبر في نظر سياسة الموحدين عدوا تجب مقاطعته ، على ان اسطول الموحدين يومئذ لم يكن عاطلا بطلا ، بل كان يعمل هو بدوره كذلك على محاربة الصليبيين بالاندلس الذين كانوا اشد على المسلمين بالمغرب من الصليبيين بالشرق ، كما ان له فضلا كبيرا في منع الصليبيين هنا من اتصالهم ببلاد الشام ، مع اشتغاله برد هجمات ابن غانية عن المغرب ، ويقول م . بوني موري في كتابه « الاسلام والنصرانية في افريقية » ان تخلف المغاربة عن النجدة كان بسبب علاقاتهم التجارية مع اوروبا ، ولم يكونوا يطالبونهم بممالك وبلدان كما كانوا يطالبون مسلمي الشرق ويتقاضونهم ان يتخلوا لهم عن بيت المقدس . ويروى مع ذلك ان خليفة الموحدين بعث بشمانين ومائة قطعة حربية الى صلاح الدين ؟ ...

معاملة اهل الكتاب

لقد بلغ من شدة تعصب دولة الموحدين للاسلام والدفاع عن حوزته ان اصدرت الحكومة امرها لجمع من يوجد بالمغرب الاسلامي من اهل الكتاب ان يختار اى الحلين شاء : الاسلام او الجلاء ؛ فكان ذلك سببا في اسلام كثير من

اليهود والنصارى او استسلامهم بالمغرب ومنهم من هاجر البلاد وخرج عنها الى اوروبا .

وللوحيدين في ذلك اسوة حسنة بسنة عمر من الخطاب رضى الله عنه في اجلاء اهل الكتاب عن الجزيرة العربية وتعويضهم عن قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وابلا وعروضا ؛ عملا بقوله صلى الله عليه وسلم عند موته : اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب ؛ والى هذا ذهبت طائفة من كبار علماء الاسلام كمحمد بن جرير الطبرى وغيره حيث قالوا : ان الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين بالجزية الا اذا كان المسلمون محتاجين اليهم . فاذا استغنوا عنهم اجلوهم كاهل خير حيث قال لهم الرسول في اول الامر : تفركم فيها ما شئنا ثم اجلاهم .

وفي علماء الاجتماع اليوم من الاروبيين من يؤيد هذه النظرية السياسية ويرى رأى الاسلام فيها ؛ آتيا بحجج ودلائل اجتماعية صائبة ، فيقول الدكتور كوستاف لوبون في كتابه « سر تطور الامم » : لقد كان للامم الغابرة الهام صادق في نفورهم من الاجنبى لانهم كانوا يعلمون ان قيمة الامة بالوطنيين من اهلها لا بعدد سكانها . وقال ايضا : ان وجود الاجانب وان قلوا كاف لتغيير روح الامة لانها يفقدها القدرة على الدفاع عن خلقها النوعى وعن آثار تاريخها وما صنع آباؤها الاولون ،

واخيرا اى في سنة ١٢٢٤هـ - ١٢٢٦م أذن للنصارى باقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية واتخاذ الكنائس والمعابد لهم ، وكان اشهر المذاهب المسيحية يومئذ بهذه البلاد المذهب الدومينيكي والمذهب الفرانسيسكي .

المذاهب والعقائد

كان الناس على عهد المرابطين لا يعرفون في عقائدهم سوى عقيدة السلف بما فيها من تفويض وتسليم ؛ وفي عباداتهم ومعاملاتهم مقلدون لمذهب مالك لا يغون عنه بديلا ، ولما عاد ابن تومرت من المشرق جاء معه بافكار وعقائد جديدة في اصول الدين والتشريع ، كما جاءهم ايضا بفكرة المهدي الشيعية ، فحملهم في العقائد على مذهب الاشاعرة المرتكز على التأويل والتوسط بين مذهب المعتزلة - اهل النفي - ومذهب المثبتين - كاهل التجسيم - ونشر بينهم مباحث علم الكلام التي كانت محرمة عليهم فقرّبهم منها بل اوجبها عليهم فرسخت يومئذ عقيدة الاشاعرة بالمغرب بعد ان لم يكن ليجرؤ على الخوض فيها احد .

ودان الناس كذلك بمذهب الشيعة في قولهم بعصمة الامام وانتشرت بينهم فكرة القول بالامام المهدي فاتخذوا ذلك عقيدة متبعة بقيت آثارها عند العامة الى اليوم ، فاسمع الى قول احد شعراء مدينة الجزائر من قصيدة انشدها بنفسه على قبر ابن تومرت حين وفادته على ابي يعقوب المنصور ، فقال ،

سلام على قبر الامام المجدد	سلالة خير العالمين محمد
ومشبهه في خلقه ثم في اسمه	وفي اسم ابيه والقضاء المسدد
ومحبي علوم الدين بعد مماتها	ومظهر اسرار الكتاب المسدد
اتنا به البشري بأن يملأ الدنيا	بقسط وعدل في الانام مخلد
ويفتح الامصار شرقا ومغربا	ويملك عربا من مغير ومنجد
فمن وصفه اقنى واجلى وانه	علاماته خمس تين لمهتدى
زمان واسم والمكان ونسبة	وفعل له في عصمة وتأيد
ويلبث سبعا او فتسعا يعيشها	كذا جاء في نص من النقل مسند
فقد عاش تسعا مثل قول نبينا	فذلكم المهدي بالله يهتدى

الخ . . . وهي قصيدة طويلة ، يقال ان صاحبها نظمها ايام عبد المؤمن وكان شيخا مسنا فتعذر عليه السفر من الجزائر الى مراکش - او تينملال - حيث مدفن ابن تومرت - فبعث بها الى من انشدها بالنيابة على قبر ابن تومرت [١] واخذهم في الفقه بطريقة السلف من غير انتساب الى مذهب او امام ، فكانت الحكومة تنزع الى الاجتهاد المطلق واخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة راسا معرضة عن النظر في كتب الفقه الفرعية بل اعلنت برفضها خلافا لما كان عليه المرابطون من التقليد والتوسع في الفروع ، وانتظمت لذلك لجنة من اعيان علماء الموحدين همها تجريد آيات الاحكام والاحاديث الصحيحة في ذلك ، فاخرجت للناس مجموعة من الاحكام مستدلا عليها بالقرآن والحديث ونشرتها الحكومة في انحاء المملكة ملزمة الناس العمل بها واحراق ما دونها من كتب الفروع ، وشددت العقاب على من يخالفها ؛ وكان ابو يوسف يعقوب المنصور يبالغ في اكرام حفاظ هذا المجموع فيقر بهم منه ويحزل لهم العطاء والمنح ووضع لهم المهدي نفسه موطأ مالك وكتب لهم في ذلك مجاميع طبع بعضها في الجزائر ، ولقد صبر ابن تومرت على ما لقي من المعارضة والاذى في ذلك حتى نجح في النهاية وانتصر على فريق المعارضة بما اوتيته من سعة العارضة وقوة الحجة والبيان ، وكان مما استعمله مع العامة من الاساليب في ذلك ان سهل عليهم ادراك مقاصد الشريعة بما كتبه لهم من التاليف بلسانهم الشعبي ، وكثيرا ما كانت الخطب الجمعية تلقى من اعلى منابر الجوامع بلغة القوم الشلاحية في الحث على الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة حتى كاد القوم ان يكونوا « ظاهرية » وقد درج الناس على هذا وتناسوا ما كان يدور بينهم سوى ذلك من كتب الفروع الاخرى .

ومما يروى في ذلك ان الحافظ ابا بكر بن الجحد دخل لأول مرة على الامير

ابي يوسف فوجد بين يديه كتاب ابن يونس ، قال : فقال لي الامير يا ابا بكر اننا ننظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله !... أرايت يا ابا بكر المسألة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر من هذا في اي هذه الاقوال هو الحق ؟ .. وايها يجب ان يأخذ به المقلد ؟!... فقال فافتحت ابين له ما اشكل عليه من ذلك ، فقال لي وقطع كلامي : يا ابا بكر ليس الا هذا ، وأشار الى المصحف ، او هذا وأشار الى كتاب سنن ابي داود وكان عن يمينه ، او السيف . وكان كذلك من مآثر هذه الدولة التي رسمتها في المحافظة على القرآن ، قراءة الحزب في المساجد كما هي العادة المتبعة الى اليوم .

ولعمري انما قد استفاد الفقه الاسلامي كثيرا بهذه الحركة الاجتهادية والنزعة الاستقلالية ، فقد ظهر بذلك الحفاظ والمؤلفون في السنة وانتصر المذهب الظاهري على غيره يومئذ بالمغرب بعد ان خفت صوته .

وقد استمر الامر على هذا المهيم الى عهد الخليفة ادريس المامون بن المنصور فانه سعى الى توطيد دعائم ملكه وسلطانه من طريق القضاء على نزعة اسلافه الموحدين في العقائد والتشريع وعمل على رفض تعاليم المهدي ولعنها والرجوع بالناس الى مذهب الامام مالك استعظافا للرعية الناقمة عليه ؛ ولم يلبث ان فاجأه ابو زكريا الحفصي بتونس بخلع طاعته واستبداده بالامر .

ومع ذلك فانه كان لحرية القول عندهم مجال واسم : فلم يكن هناك احد من الناس يؤاخذ به السلطان على راي له يديه في مطاعن الدولة او خلفائها ما عدا العقيدة والفقه في الدين .

الثقافة والحضارة والعمران

لا نريد ان نطيل في وصف الناحية العلمية والثقافية بهذا العصر فان ذلك من ابرز ما اشتهر به عصر الموحدين .

لقد سأل معاوية بن ابي سفيان يوما الاحنف بن قيس : فقال له يا ابا يحيى كيف

الزمان ؟... قال : الزمان انت يا امير المؤمنين ، ان صلحت صلح ، وان فسدت فسد ، وكذلك نحن نقول هنا في تاريخ هذه الدولة الثقافي ، ذلك اننا اذا نظرنا الى نشاط ملوك هذه الدولة وما كانوا عليه من التضلع والتعمق في فنون العلم والادب والحكمة والفلسفة ادركنا حياة الشعب العلمية وما بلغه المغرب العربي يومئذ من العرفان والتقدم ، اذ كل من ابن تومرت وعبد المؤمن وابي يعقوب المنصور وابنائهما ممن تملك او ترأس هذه الحكومة ، كان كوكبا لامعا ونبراسا ساطعا في العلم ، ولو اخذت في محادثتك ابها القارئ الكريم عن سيرة واحد من هؤلاء لامتلكك العجب ، ويكفي ان نقص عليك خبر لقاء او اجتماع دعي اليه الحكيم الفيلسوف ابو الوليد بن رشد به حضر الخليفة ابي يعقوب المنصور قبل ما حدث له من التطور الفكري الذي حجب له التصوف والزهد ، فيه تعلم وجه ما نقول .

قال ابن رشد : فلما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب وجدته هو وابا بكر بن الطفيل ، فاخذ ابو بكر يشي علي ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضلهم الى ذلك اشياء لم يبلغها قدرى ، فكان اول ما فاتحني به امير المؤمنين بعد ان سألني عن اسمي واسم أبي ونسبي ان قال لي : ما رايتهم - يعني الفلاسفة - في السماء ؟ أقديمة ام حادثة ؟... فادركني الحياء والخوف فاخذت اتعلل وانكر اشتغالي بالفلسفة ، ولما اكن ادرى ما قرر معه ابن الطفيل ، ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء ، فالتفت الى ابن الطفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألني عنها ويذكر ما قاله ارسطو وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج اهل الاسلام عليهم فرايت منه غزارة حفظ لم اظنها في احد من المشتغلين في هذا الشأن المهترعين له ويؤثر عن هذا الخليفة انه كان اعلم الناس بآداب العرب ولغتهم مستظها لجملة من الفقه حافظا لاحد الصحيحين . والى هذا الخليفة الموحدى يرجع الفضل في نشر فلسفة ارسطو على الناس

وشرحها شرحا وافيا بعد ان كانت غامضة مندثرة ، اذ هو الذى وجه اليها الحكيم ابن رشد وبعث فيه روح النشاط للعمل بواسطة ابن الطفيل فاخرجها للناس تحفة فنية لامعة واضحة . وذلك ما يدلنا على انتشار روح الثقافة ونفاق سوق العلم والعلماء بالمغرب

ولا غرو فان المؤرخين اجمعوا على عناية هذه الدولة بشأن التعليم وانه كان بانواعها : الابتدائي والثانوى والعالي منتشرا في انحاء المملكة وكان اجباريا في حين ان اوربا لم تكن لتفكر في التعليم الاجبارى الا منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى ، والتعليم عندهم كان يشمل الذكران والاناث وفيه من التعاليم الرياضية والحربية ما يشبه النظم العصرية بالمدارس الحكومية الرسمية اليوم وجميع اصناف الصناعات والفنون والاعمال الهندسية والميكانيكية كانت معروفة لذلك العهد منتشرة رائجة ؛ فلقد كان بالمدينة الواحدة من انواع الحرف والصناعات ما يفوق الحصر ، ولناخذ في ذلك مثالا مدينة فاس ، فانه كان بها [٣٠٦٤] معملا للنسيج و [٤٠٠] حجر للكاغذ في حين انه لم يكن مستعملا ولا معروفا في العالم اجمع - ما عدا الصين - و [١٨٨] دارا للعمل الفخار و [١١٦] دارا للصبغة و [٨٦] للديبج و [٤٧] لصناعة الصابون ؛ و [داران] للسكك ، واحدة في كل عدوة و [١٢] معملا لسبك الحديد والنحاس و [١١] مصنعا للزجاج و [١٣٥] فرنا للجبير الخ ، وكل هذه المعامل كانت خارج المدينة ، ولما اراد عبدالمؤمن تفخيم مصحف عثمان [ض] جمع له الصناع والمهنيين ممن كان بحضرته وسائر بلاده القريبة والقصية من بلاد المغرب والاندلس ، فاجتمع لديهم حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائين والنقاشين والمرصعين والبنائين ، ولم يبق ممن يوصف ببراعة او ينسب الى الحذاق في صناعة الاحضر (١) ويكفيك في الاستدلال

(١) راجع المعجب وكتاب المتنون طبع تيطوان ١٩٥٠م

على نهضة الصناعات في المغرب بهذا العصر ، تلك المقصورة الميكانيكية العجيبة التي كانت بجامع المنصور في عاصمة المملكة مراكش ، فقد وضعت على حركات هندسية محكمة غريبة ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله (١)

واذا نظرنا الى مخلفات هذه الدولة وآثارها المعمارية وجدناها شاملة لكل انواع العمارة فهي ما بين منشآت عمومية ؛ كالمساجد والمعاهد العلمية والمدارس والقناطر والمارستانات والثغور ، وخصوصية كالقصور والحصون والمنازل واغلبها كان باقصى المغرب والاندلس ، اما في الجزائر فانا لا نعلم عنها الا قصر «المشور» المنشأ بتلمسان سنة ٥٤٠ هـ - ١١٤٥م وتجديد بلدة « تاجرة » - مسقط رأس عبد المؤمن - وبناء المسجد الجامع بندرومة وتأسيس مدينة البطحاء المعروفة ايضا باسم « السدرة » في نواحي شلف بالشمال الشرقي من غليزان سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠م وهي منعدمة اليوم ، وسور تلمسان الذي كان الشروع في انشائه سنة ٥٦٦ هـ - ١١٧٠م على يد السيد موسى بن يوسف بن عبد المؤمن وانهاؤه كان حدود سنة ٥٨١ هـ - ١١٨٥م على يد ابي الحسن بن السيد ابي حفص بن عبد المؤمن ، وتجديد الرياض الرفيع والرياض البديع بمدينة بجاية على عهد واليها سليمان حفيد عبد المؤمن ، فاسمع الى شاعر الجزائر في هذا العصر ابي علي الحسن بن الفكون القسنطيني كيف يصف لنا مدينة الناصرية - بجاية - فيقول

دع العراق وبغداد وشامها « فالناصرية » ما ان مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكد
حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد
والنهر كالصل والجنان مشرفة والنهر والبحر كالمرآة وهو يد
فحيثما نظرت راقك وكل نوا حي الدار للفكر والابصار تتقد
ان تنظر البر فالازهار يانعة او تنظر البحر فالامواج تطرد

يا طالباً وصفها ان كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيها الاهل والولد
ويمتاز فن العمارة الاسلامي على عهد الموحدين بالضخامة والاناقة والانتزان
الهندسي مع البساطة .

ومن مميزات هذه الدولة بالمغرب ضبط مساحة المملكة وتكسيها على
الفراسخ والاميال واجراء عملية الاحصاء العام لسكان المملكة . وتحديد المناطق
الصالحة للفلاحة ونقل المزارعين اليها ، وعلى وفق هذا النظام كان وضع الخراج
وتقديره حسب مساحة البلاد ؛ كما ان افتتاح الرسائل والمناشير والرسوم بالحملة
بدل البسملة هو ايضا من آثارها

واما النشاط الاقتصادي فانه عدا ما كانت تنتجها بلاد المغرب يومئذ وتصدره
للخارج من الحبوب والصوف والحريير والشمع والورق - الكاغد -

فاننا نجد لدولة الموحدين علاقات اقتصادية مع الاجانب من دول اوروبا
كفرنسا وايطاليا حيث عقدت معهم معاهدات تجارية في سنة ٥٢٨هـ - ١١٣٣م و٥٤٨هـ
١١٥٣م و٥٥٥هـ - ١١٦٠م واطلقت لهم الحرية في التجارة ببلادها وهذا من غير
زراعة انواع الفواكه والازهار المفتحة الياقة التي لا يتعدى نفعها البلاد .

ثراء بلاط الموحدين

لقد بلغت هذه الدولة من الثراء مبلغا قويا بلغت دولة من دول المغرب الاسلامي
في التاريخ ، فكانت الاموال تتدفق على الخزينة تدفقا عجبيا حتى كانت الاموال
تقدر عندهم بالاحمال والاثقال لا بالعد والاحصاء ... فان خراج افريقية -
اي اعمال تونس فقط - بلغ قر مائة وخمسين بغلا لسكن سنة . عدا ولاية
الجزائر واعمال تلمسان وبجاية والمغرب الاقصى والاندلس ، اذ لم يكن ليعتبر
عليهم منها درهم . وكان لهم من الذخائر والتحف النفيسة ما لم يكن مثله عند
غيرهم من ملوك الارض ، ومن ذلك ما اشتهر لديهم من حجر الياقوت المسمى
عندهم بالحافر - وذلك لبلوغه مقدار حجم حافر الفرس - وقد جعلوه فيما

كلموا به مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، يقول عبد الواحد المراكشى في تقدير قيمة هذا الحجر : انه لا قيمة له ... وبلغ ثمن ميسم غلال بستان عبد المؤمن الخاص خارج مراكش لسنة ٥٤٣ هـ [١١٤٨ م] ثلاثين الف دينار على رخص الثمار والفواكه يومئذ ؛ وان زيتون بحيرة مكناس فقط كان يباع بما يقدر بمخمسة وثلاثين الف دينار في كل سنة الخ ... كما اشتهر ملوك هذه الدولة ايضا بكثرة العطاء والمنح والصدقات ، فلقد اعطى عبد المؤمن للشاعر التيفاشي على بيت واحد انشده اياه من قصيدة الف دينار ، وان ولده يعقوب المنصور اجاز ابن منقذ بكل بيت من قصيدته التى مدحه بها الف دينار ، والقصيدة تحوى على اربعين بيتا ، ووصل القاضي الصقلى تسعة عشر الف دينار علاوة على ما منحه اياه من الخلع والمراكب والاقطاعات ، وانفق في غزوة افريقية مائة وعشرين حملا ذهبيا ، وتكرم ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على هلال بن سعد في احدى المرات بائتي عشر الف دينار ، وانفق ولده يعقوب يوم مبايعته بامارة المؤمنين مائة الف دينار ذهبيا اخرجهما من بيت المال وفرقها على الضعفاء من بيوتات المغرب ، وتصدق قبل خروجه لغزوة الاراك الشهيرة بالاندلس باربعين الف دينار فجعل نصفها في الاقربين والباقي للعامة ، وذبح في يوم عيد الاضحى من سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م) سبعة الاف وثلاثمائة شاة وزعت كلها على الفقراء والجند والامراء ، فكل ذلك يدلنا على رفاهة بلاط دولة الموحدين وسعة ذات اليد

انهايار الجزائر الموحدية

كان مبدأ تدهور الدولة الموحدية وافول نجمها يوم وقعت العقاب بالاندلس سنة ٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م حيث كانت الهزيمة الكبرى على المسلمين ومات فيها من اهل المغرب عدد لا يحصى ، قضيت القبائل والجيوش بخيلها ورجلها وحماتها واقفرت البلاد ... ثم كانت بعد ذلك بينهم وبين بنى مرين وقعة عام المشغلة سنة

١٢١٣ هـ - ١٢١٦ م فخلت البلاد وقل الخراج وفقدت الانصار فاضطربت الاحوال وتناقضت الاعمال واختلفت الكلمة ، فسأت سمعة الدولة واذت ايامها بالانصراف واخذ يتقاص ظلها من البوادي والاطراف وانحصر الحكم في المدن والعواصم خاصة .

فمن ذلك بلاد « بنى وامانو » و « بنى يلومي » باحواز تلمسان فانها كانت تحت استبداد بني عبد الواد وطاعتهم حيث اقطعهم اياها اول مرة الموحدون جزاء مؤازرتهم لهم ضد خصمهم الداخلى من القبائل المنشقة ؛ ففي سنة ١٢٢٧ هـ - ١٢٣٠ م عقد الخليفة ابو العلاء ادريس المأمون على ولاية تلمسان لابي محمد جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد - كما مرت الاشارة الى ذلك - فاستبد بها هذا ونازع بنى عبد المؤمن فيها واورثها بنيه من بعده الى سنة ١٢٣٣ هـ - ١٢٣٥ م ؛ فاستخلصها بنو عبد الواد لانفسهم واستقلوا بها وقطعوا عنها دعوة الموحدين ... كما ان ولاية بجاية كانت مضافة الى اعمال تونس منذ سنة ١٢٠٣ هـ - ١٢٠٧ م حيث ضمها الخليفة ادريس المأمون الى ولاية ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص فلما توفي خلفه ابنه عبد الله ثم ابو زكرياء يحيى فاستمر هذا يعمل تحت طاعة الموحدين الى سنة ١٢٢٧ هـ (١٢٣٠ م) اى يوم ان اعلن ادريس المأمون رفض تعاليم المهدي ابن تومرت فانتقض عليه ابو زكرياء الحفصي واستبد بهذه الولاية مدعيا التمسك بمذهب الامام المهدي ؛ ويومئذ انتزع خليفة الموحدين اعمال بجاية عن ابي زكرياء وجعلها لابي عمران بن محمد بن يعقوب المنصور ؛ فاعلن ابو زكرياء حينئذ عداوته للموحدين واوقد في وجوههم الحرب سنة ١٢٢٨ هـ - ١٢٣٠ م واغار على القطر الجزائري فاستولى على اعمال قسنطينة وبجاية ، ودعا فيهما لنفسه واقام يومئذ دعوة الحفصيين بالجزائر وتونس واعتقل ابا عمران والى بجاية فأوثقه بتونس ؛ وانهز المناقسون من بنى مرين - خصماء الموحدين باقصى المغرب - هذه الفرصة فاستبدواهم كذلك ببواديهم منذ سنة ١٢١٠ هـ - ١٢١٣ م

فبذلك انقسم المغرب يومئذ الى اربع حكومات : حكومة بني عبد الواد بتلمسان وحكومة الحفصيين بقسنطينة وبجاية وتونس وحكومة بني مرين باقصى المغرب وحكومة الموحدين المحتضرة بمراكش .

واخيرا كان سقوط عرش هذه الدولة بيد المرينيين حيث احتل هؤلاء مراكش في شهر المحرم سنة ٦٦٨ هـ - اوط ١٢٦٩ واستقل الاخران بالجزائر وتونس ، فانقضى يومئذ عهد الموحدين وتقلص ظلهم عن هذا الشمال الافريقي والاندلس بعدما حكموا مدة قرن ونصف ؛ امضوا منها نحو اربع وتسعين سنة بالجزائر . ومن امعن النظر في اسباب سقوط دولة الموحدين هذه وجدها ترجع الى نقط جوهرية اربعة : اولها الضعف الحاصل في القيادة العليا بسبب توا كل متأخرى الامراء واهمالهم لشؤون الادارة مع تفويض الامر الى من لا يستحقه كالوزير ابي سعيد بن جامع الذي كان عاجزا عن الاضطلاع بشؤون الحكم فلم يحسن تدبيره ؛ ثانيا اضطراب البلاد وتضعف الموحدين حكومة وشعبا بسبب ما جرته عليهم ثورة بني غانية الميورقيين من الخسائر الفادحة ؛ ثالثا تنافس الولاة والرؤساء وتزاحمهم على الرئاسة والتسامي على بعضهم بعضا تكبرا وتعنتا ، رابعا هذا الانقسام الخطير الذي انحلت به عرى وحدة المغرب الاسلامي فتعددت به الحكومات والدول ، فكل ذلك كان عاملا قويا معوانا على تحطيم ملك الموحدين وانكسار شوكتهم فتقاص ظلهم وانقرضت دولتهم

ولاة الجزائر وزعمائهم

كان من اشهر الشخصيات الجزائرية عبد السلام بن محمد الكومي الندرومي الذي تولى الوزارة سنة ٥٥٣ هـ - ١١٥٨ م وكان لشدة قربهما واتصالهما بالخليفة عبد المؤمن يدعى « المقرب » مات قتيلا سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) ومن كتاب الدولة الجزائريين يومئذ ابو القاسم عبد الرحمن القالمي البجائي ، استكتبه عبد المؤمن بعد فتح بجاية ، وابو الفضل جعفر بن احمد المعروف بابن محشرة البجائي

كان كاتباً لابي يعقوب المنصور ، ومن القضاة على بن عيسى قاضي بجاية ثم تلمسان وتولى اخوه طلحة كذلك على قضاء تلمسان ، ومن ولاية مدينة الجزائر ابو محمد عبد الله بن عبد المؤمن

كانت بلاد الجزائر يومئذ منقسمة الى ولايتين كبيرتين : ولاية بجاية الى حدود عمالة قسنطينة ، وولاية تلمسان الممتدة من وادي ملوية غرباً الى نهر مينة شرقاً ، واما ارض الزاب او الجنوب الجزائري فانه كان ملحقا في الغالب بولاية تونس ، ولما فتح عبد المؤمن اعمال بجاية ولى عليها طلبة الموحدين الى سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) فاخذ في تولية ابنائهم عليها ، ومنهم ابو محمد عبد الله ، الذي استوزر ابا سعيد يخلف بن الحسين ، واستكتب ابا العباس بن مضاء وفي سنة ٥٦١هـ - ١١٦٥م عين الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن اخاه ابا زكرياء على ولاية بجاية وجعل له تفقد امر افريقية والنظر في مظالمها ايضا فقمع به المناوئين والمحاربين ، ثم تولى بعده اخوه ابو موسى عيسى سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م) ، ثم ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الى استيلاء بني ابن غانية الميورقين عليها سنة ٥٨٠هـ - ١١٨٤م فانتقل منها حيثنذ الى ولاية تلمسان ، ثم نزل ابو زيد بن عمر بن عبد المؤمن على بجاية فاطرد منها بني بن غانية واعادها الى الموحدين ، ثم استقدمه عمه المنصور الى حضرته وولى مكانه اخاه السيد ابا عبد الله بن عمر ، وفي سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨م) عقد المنصور لاختيه ابي الحسن على بجاية فاقام بها الى ولاية الناصر فعزلها عنها وولى مكانه ابن يغمور ، ثم عزل هذا بيجي بن الاطلس التينمللي ، وكان ممن تولى عمل بجاية ايضا عبد الواحد بن منصور ومحمد بن ابي سعيد الجفسي - بكسر الجيم والسين بينهما نون ساكنة - و آخر من تولى اعمال بجاية للموحدين السيد ابو عمران بن محمد بن يعقوب المنصور ، ولاه عليها الخليفة ادريس المامون سنة ٦٢٧هـ - ١٢٢٩م فمكث بها سنة واحدة ثم وقعت بيد الحفصيين فذهبوا به

الى تونس اسيرا

واول من تولى ولاية تلمسان سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي ، وقيل عمه يوسف ؟ وتولاها ايضا ابو حفص عمر بن عبد المؤمن فاتخذ لوزارته محمد بن عبد الحق بن وانودين ؛ واستكتب ابا الحسن عبد المالك بن عياش ، وبقي ابو حفص على ولايته بتلمسان الى سنة الاخماس سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م فاستقدمه والده الى حضرته وولى مكانه ابا عمران موسى بن عبد المؤمن ، وتولاها ايضا السيد ابو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن ، ثم جعلت بعد انتقاله منها الى بجاية الى حفيد عبد المؤمن السيد ابي الربيع بن عبد الله ، وكانت وفاته هـ ٦٠٠ و ابو الحسن المتقدم في سنة واحدة اى ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م فولى الناصر يومئذ ابا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن فقتل في حرب بني بن غانية على حصار تيهرت ، فخلفه يومئذ ابو زيد بن يوجان ثم عزله المنتصر بابي سعيد بن المنصور .

ولما تولى ادريس المأمون الخلافة جعل ولاية تلمسان لاخته ابي سعيد فاغراه عامله الحسن بن حبوس الكومي بقبيل بني عبد الواد ، فقبض على مشيختهم سنة ٦٢٤ هـ - ١٢٢٦ م فجاء ابن علان زعيم الجيش التونى المقيم بتلمسان شفيعا لدى ابي سعيد في اطلاق وثاق هؤلاء فرفض شفاعته ، فانقلب ابن علان يومئذ على الموحدين ونهض مع بني بن غانية فقتل الحسن بن حبوس الكومي واعتقل ابا سعيد وفك اسر مشيخة بني عبد الواد ، ثم تناكر ابناء بن غانية وبنو عبد الواد فقتلوا وقتل ابن علان ودخل بنو عبد الواد تلمسان بدعوة المأمون ، فكان على رأس مشيختها - في اواخر القرن السادس الهجرى - ابو محمد عبد الحق بن معاد العبد الوادى ، وكانت له وقائع مشهودة في نصرة الموحدين ضد بني مرين ، ويومئذ خلصت ولاية تلمسان لهذا القبيل من بني عبد الواد ، فتولاها منهم جابر بن يوسف سنة ٦٢٧ هـ - ١٢٣٠ م وخلفه عليها ولده الحسن ، ثم

تخلّى عنها لعمد عثمان بن يوسف ثم تولّاها ابو عزّة زيدان بن زيان مدة ثلاث سنوات الى ان قتل سنة ٦٦٣هـ - ١٢٦٤م وبموته انقطع ذكر الموحدين من هذه الولاية

وكان من ولاية الزاب وريغ ووارجلة وما وراءها من القفار ابو سعيد عثمان المعروف بابن عتو وقاعدته « مقرة » ثم كانت رئاسة هذه النواحي الى مشيخة العرب من رباح والدواودة فاقطعتهم الدولة بلاد الحضة واختصت منهم ابناء الزعماء والبيوتات بالعواصم الجزائرية وحواضرها الشهيرة مثل المسيلة وناقوس وطواقة وبسكرة الخ ... واشتهر من رؤساء مطغرة الشيخ خليفة ، واستمرت الرئاسة في عقبه الى ان بائع حفيده هارون بنى مدين .

الخلفاء الموحدون

تاريخ التولية

٥١٥ هـ - ١١٢١ م

٥٢٤ هـ - ١١٣٠ م

٥٥٨ هـ - ١١٦٣ م

٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م

٥٩٥ هـ - ١١٩٩ م

٦١٠ هـ - ١٢١٣ م

٦٢٠ هـ - ١٢٢٤ م

٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م

٦٢٤ هـ - ١٢٢٧ م

٦٢٧ هـ - ١٢٣٠ م

٦٣٠ هـ - ١٢٣٢ م

محمد المهدي بن عبد الله تومرت

عبد المؤمن بن علي

ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

يعقوب المنصور بن يوسف

محمد الناصر بن يعقوب

يوسف المنتصر بن محمد

عبد الواحد بن يعقوب المنصور

عبد الله العادل بن يعقوب المنصور

يحيى المعتصم بن الناصر

ادريس المامون بن المنصور

عبد الواحد الرشيد بن ادريس

مشاهير الجزائريين

القاضي ابو الوليد

٥٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م

الفقيه المتضلّع ابو الوليد يزيد بن ابي الحسن عبد الرحمان قاضي مدينة بسكرة ، هو من آل بقي بن مخلد بن يزيد الامويين القرطبيين ، تفقه المترجم على ابيه وجده ابي القاسم احمد واخذ عن ابن العربي وشريح بن محمد وابي القاسم بن رضا وجماعة ، وحدث عنه ابو القاسم احمد قاضي قضاة المغرب وابو سليمان بن حوط الله وابو يزيد الفزاري وغيرهم ، توفي رحمه الله وهو على قضاء عاصمة الزاب الجزائري - بسكرة - سنة ٥٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م

ابو عمران الاشيري

٥٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م

الراويّة الامام الحافظ موسى بن الحجاج بن ابي بكر الاشيري - نسبة الى مدينة آشير حاضرة صنهاجة بالجزائر ؛ سكن المترجم مدينة تدلس - دلس - من اعمال الجزائر ومنها خرج في طلب العلم الى الاندلس فدخل اشيلية سنة ٥٣٥ هـ - ١١٤٠ م فلقى بها الامام ابن العربي واما الحسن شريح بن محمد واما بكر بن ابي طاهر ؛ ودخل قرطبة فاخذ بها عن ابي عبد الله بن أصبغ وابي مروان بن ميسرة وغيرهما . . . وسمع مشكل بن قتيبة عن ابي عبد الله بن وضاح بالمرية سنة ٥٣٧ هـ - ١١٤٢ م ، واخذ عن ابي محمد عبد الحق بن عطية ولازم ابن ابي الحصال واما محمد النفزي المرسى واما الحجاج بن رشد القيسي واما الوليد

ابن الدباغ و ابا الحجاج بن يسعون ، وبعد ان استكمل معلوماته هنالك عاد الى وطنه فنزل مدينة الجزائر وأم بها في صلاة الفريضة ونشر بها علمه ثم انتقل منها الى بلدة دلس فاقام بها الى وفاته رحمه الله في صفر سنة ٥٨٩هـ - فيفري ١١٩٣م

محمد بن ابراهيم الاصولي

٥٦١٢هـ - ١٢١٦م

هو القاضي الفيلسوف الحكيم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي البجائي الاصولي ، اشتهر بذلك لغلبة علم الاصلين عليه ، كان اوجد زمانه علما وتفننا وخاصة في العلوم الحكمية والفلسفية ، اصله من بني مرزقان الاشيليين ، سكن اسلافه مدينة بجاية فنشأ بها محمد عالما ومتعلما وتولى قضاءها مرتين ثم صرف عن القضاء للمرة الثالثة سنة ٦٠٨هـ - ١٢١١م فتولى مكانه ابو محمد بن الحجاج ، فخرج الشيخ يومئذ من بجاية متوجها الى المشرق ودخل مصر فطاف بمعالمها واتصل باكابر علمائها ومحدثيها ودخل الاندلس مرارا وتولى قضاء مرسية واستخلف على قضاء مراکش ، وكان عمدة علماء عصره في علوم الفلسفة وأوذي في سبيلها من طرف الخليفة المنصور فكان ممن اضطهد في جماعة ابن رشد الذين اشتغلوا بها من فضلاء الاندلس سنة ٥٩٣هـ - ١١٩٦م وكان رحمه الله المثل الاعلى بين اخوانه في الشجاعة الادبية والصبر على ما اوذي به في سبيل حريته الفكرية حتى ان المؤرخين اجمعوا على انهم لم يبروا اصبر منه على خطب ولا اقوى جلدا على محنة ... وله من التأليف : اصلاح كتاب المستصفي للغزالي : ازال ما به من التحريف والتصحيف مع تقييد مفيد عليه ايضا ، ولا يعلم تاريخ وفاته بالضبط الا انه كان حيافي آخر القرن السادس الهجري كما يؤخذ من تاريخ محنته واضطهاده

ابو عبد الله محمد الوهراني

٥٦٠١ هـ - ١٢٠٥ م

هو قاضي الجماعة ومثال الاناة والعدالة الاسلامية العلامة ابو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني ، نشأ بتلمسان واشتهر بها فضله وعليه فولى قضاءها ، ثم نقل منها الى قضاء الجماعة بعاصمة المملكة « مراکش » في مكان ابي جعفر بن مضاء ، فتولاها سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) ثم تولى قضاء اشبيلية الى سنة ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) فانصرف يومئذ عن القضاء ثم اعيد اليه بعد انصراف ابي القاسم بن بقي ، وكان رحمه الله عالما مهابا حميد السيرة ضابطا لاحكام متضلعا فيها سريع الفصل في النوازل الا في الحدود فانه كان متربصا يتلوم كثيرا ، فلم يؤثر عنه انه اقام حد الجلد على احد ، كانت وفاته ليلة الاحد ٩ جمادى الاولى ٥٦٠١ هـ (٢ جانفي ١٢٠٥ م)

محمد بن حسون الجزائري

٥٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م

هو ابو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون ، من اهل مدينة الجزائر ، اخذ علمه اولا عن مشيخة بلده ثم ارتحل الى الاندلس مستريدا فنزل اشبيلية منسلكا في سلك طلبة معهد مسجد بني جبران ، وكان من مشائخه فيها الامام ابو عبد الله محمد بن عبد الحق الاشبيلي - دفين بجاية - وابو زكرياء يحيى بن ياسين المعروف بابن اللولو وابو اسحاق بن ملكون وابو بكر محمد بن عيسى البطليوسي وابو محمد بن موحوال ثم انتقل الى مدينة مالقه فلقى بها ابا زيد السهيلي وغيره من فطاحل علماء الاندلس ، ثم عاد ابن حسون الى بلده - الجزائر - فتوفى بها في العشر الاواخر من شهر صفر ٥٦٠٦ هـ - سبتمبر ١٢٠٩ م

محمد بن حماد الصنهاجي

٥٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م

العلامة المؤرخ والاديب الشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي ، نشأ ببرج حمزة قرب البويرة - دائرة البيان - من عمالة الجزائر ، اخذ العلم اولا بقلعة بني حماد ثم على شيوخ بجاية امثال الشيخ ابي علي المسيلي والقاضي ابن جبارة وابي مدين الاندلسي الاشبيلي - دفين تلمسان - وغيرهم ثم دخل مدينة الجزائر وتلمسان وغيرهما وذل يتنقل في عواصم المغرب الاسلامي طالبا للعلم فبلغ عدد مقروئاته ٢٢٢ مؤلفا اخذها كلها بالسند الصحيح والتلقي مباشرة عن المشيخة ، فبرز رحمه الله في علوم اللغة والادب والفقه والحديث والتاريخ وله مشاركة حسنة في فنون اخرى ، ولله الموحدون قضاء المغرب والاندلس في عدة اماكن ، فانه كان على قضاء الجزيرة الخضراء الى سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) ثم صرف عنها الى قضاء سلا الى وفاته سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) وقد نيف على الثمانين سنة في عمره ، وله من التأليف كتاب في اخبار ملوك بني عبيد - الفاطميين - طبع بالجزائر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م ، وكتاب النبد المحتاجة - او الديباجة - في اخبار صنهاجة اعتمدته كثيرا ابن خلدون في تدوين تاريخ هذا القبيل واتفق به كثير من المستشرقين فنشر منه نبذة المستشرق ليفي بروفانسال في كتابه « نبذة تاريخية في اخبار البربر » المطبوع برباط الفتح ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م ؛ وعماري في المكتبة الصقلية ، وشربونوا في المجلة الاسبوية (١٨٥٢ - ١٨٥٥ م) وكتاب عجلة المودع وعلالة المشيع في الادب والشعر ، وكتاب لخص به تاريخ ابن جرير الطبري ، وشرح لمقصورة ابن دريد ، وكتاب الاعلام بفوائد الاحكام لعبد الحق الاشبيلي ، وشرح لاربعين حديثا الخ ؛ ومن شعرة قوله في رثاء قلعة بني حماد بعدما قضى الموحدون عليها سنة ٥٤٧ هـ (١١٥٢ م)

ان « العروسين » [١] لا رسم ولا طلل
وقصر « بلارة » [٢] اودى الزمان به
قصر الخلافة ابن القصر من خرب
وليس يبهجنى شيء اسر به
وما روى الكوكب العلوى معتم
وقد عفى « قصر حماد » فليس له
ومجلس القوم مذهب الزمان به
وان في القصر قصر الملك معتبرا
وما رسوم « المنار » الآن مائلة
حتى المصلى بليت آياتها وعفت
كرجعك الطرف كانت كل آبرة
ومن قوله في قصر المنار بعد آيات :
وانظر طيقان « المنار » مطلة
كأن القباب المشرقات بافقه
ويقول فيه ايضا من آيات يصف بها روضة :
وقد قام « المنار » على ذراها
بناء يزدرى ايوان كسرى
فانظر تر ليس الا السهل والجبل
فاين ما شاد منها السادة الاول
غير اللجين وفي ارحابها زحل
من بعد ان نهجت بالمنهج السبل
وقد عرى الكوكب التغيير والنذل
رسم ولا أثر باق ولا طلل
فحدث قبل فيه الحادث الجلل
لمن تغرره الايام والدول
لكنها خبر يجرى بها المثل
الا جدارا وما طلت به الطلل
فما تراه كذاك العمر والاجل

(١) مما انشاء الناصر بن علناس من قصور القلعة

(٢) هي بلارة بنت تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى تزوجها الناصر بن علناس سنة ٤٧٠

هجريه ١٠٧٧ ميلادية

جدول تاريخي

(٥٢٤ - ٦٣٣ هـ (١١٣٠ - ١٢٣٥ م)

تاريخ الحوادث	ام الحوادث
١١٢٠ هـ ٥٢٤ م	مبايعة عبد المؤمن بالخلافة
١١٤٥ هـ ٥٣٩ م	الاستيلاء على ولاية تلمسان وخروج المرابطين منها
١١٤٩ هـ ٥٤٤ م	سقوط مدينة مليانة بيد الموحدين
١١٥٣ هـ ٥٤٧ م	القضاء على الدولة الحمادية وفيها كان الاستيلاء على ولاية الجزائر وبجاية
١١٥٣ هـ ٥٤٨ م	انهزام الاعراب بوقعة سطيف واقطاع متيجة للثعلابة
١١٥٦ هـ ٥٥١ م	الاستيلاء على بونة - عنابة - وطررد النورمان منها
١١٦٠ هـ ٥٥٥ م	ضبط مساحة الشمال الافريقي وتكسيروها على الفراسخ والاميال
١١٦٣ هـ ٥٥٨ م	وفاة عبد المؤمن وولاية ولده ابي يعقوب يوسف
١١٨٤ هـ ٥٨٠ م	ظهور بني بن غانية الميورقيين ببجاية واستيلائهم عليها
١١٩٠ هـ ٥٨٦ م	استيلاء الدولة الايوبية باسطول الموحدين
١٢٠٢ هـ ٥٩٩ م	استيلاء يحيى بن غانية على بجاية ثانيا
١٢٠٤ هـ ٦٠١ م	انتزاع ولاية بجاية من يد يحيى بن غانية
١٢٠٧ هـ ٦٠٣ م	تولية ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص على ولايتي بجاية وتونس
١٢٠٩ هـ ٦٠٦ م	خينة يحيى الميورقي في ثورته الثانية بنواحي تيهرت
١٢٢١ هـ ٦١٨ م	محاربة والي افريقية الحفصي لابن غانية وفراره الى الزاب ثم الجزائر
١٢٢٨ هـ ٦٢٥ م	قيام ابي زكريا يحيى بمحاربة ابن غانية وطررده من القطر الجزائري
١٢٢٩ هـ ٦٢٧ م	استيلاء الحفصيين بولاية تونس وبجاية
١٢٣٥ هـ ٦٣٣ م	استيلاء بني عبد الواد بولاية تلمسان

الفهرست

صفحة	٢٠	العرب والتاريخ
٥	٢١	ماذا يشترط فى المؤرخ
٧	٢٢	قرار المؤتمر الثقافى العربى
٨		جامعة الدول العربية
١١	٢٦	تعاليم وارشادات بيداقوجية
	٢٩	اشهر سننى ابتداء التواريخ
	٣١	وصف القطر الجزائرى «جغرافيا»
١٨	—	مدينة الجزائر (تعليق)
		ما هو التاريخ ٠٠٠؟

القسم الاول : الجزائر العتيقة ٤٢ - ١٣٠

٤٢	٥٢	ما قبل التاريخ	أهم مراكز البربر بالجزائر
٤٣	—	قدماء الجزائر، لغتهم، ديانتهم	المجتمع البربرى
٤٧	٥٣	البربر	المعتقد البربرى
٤٩	٥٤	أوصاف بربر الجزائر وأخلاقهم	الثقافة والحضارة والعمران
٥٠		المواطن البربرية فى الجزائر	

الدولة الفينيقية ٥٧ - ٧٥

٥٧	٦٦	الدولة الفينيقية	الحروب الصقلية والبونيقية
٥٨	٦٨	اتصال الفينيقيين بشمال افريقية	انشاء الممالك الوطنية بالجزائر
٦٠	٦٩	تأسيس قرطاجنة	الثقافة والحضارة والعمران
٦١	٧٠	نظامها الحكومى	انهيار الجزائر الفينيقية
٦٣	٧٣	المعتقد القرطاجنى	مشاهير ملوك الوطن الجزائرى
٦٤	٧٤	الوسط القرطاجنى	مشاهير الجزائريين
—	٧٥	الجالية اليهودية	جدول تاريخي
٦٥		غوائل الغرب	

الدولة الرومانية ٧٦ - ١٠٧

٩١	المجتمع الجزائري	٧٦	نظامها الحكومي
٩٢	الحياة الاقتصادية	٧٨	وضيعة شمال افريقية على عهد
٩٣	الثقافة والحضارة والعمران		الرومان
٩٦	انهيار الجزائر الرومانية	٧٩	الرومان بالجزائر
٩٩	ولاة الجزائر وزعمائها	٨٠	المعتقد الروماني
١٠١	مشاهير ملوك الوطن الجزائري	٨١	الحياة الرومانية
١٠٢	أباطرة الدولة الرومانية	٨٢	الجزائر والرومان
١٠٥	مشاهير الجزائريين - القديس	٨٥	تأسيس مدينة قسنطينة
	اوغسطين	—	المسيحية بالجزائر
١٠٧	جدول تاريخي	٨٩	نهضة الجزائر التحريرية

الدولة الفاندالية ١٠٨ - ١١٦

١١١	حركة الجزائر التحريرية	١٠٨	أصل الفاندال
١١٢	الثقافة والحضارة والعمران	١٠٩	نظامها الحكومي
١١٣	انهيار الجزائر الفاندالية	١١٠	حدود الجزائر الفاندالية
١١٥	ملوك الفاندال بافريقية	—	معتقد الفاندال
١١٦	جدول تاريخي	—	البربر والفاندال

الدولة البيزنطية ١١٧ - ١٣٠

١٢٣	الثقافة والحضارة والعمران	١١٧	الدولة البيزنطية
١٢٥	انهيار الجزائر البيزنطية	١١٨	نظامها الحكومي
١٢٦	ولاة الجزائر وزعمائها	١١٩	حدود الجزائر البيزنطية
١٢٧	مشاهير ملوك الوطن الجزائري	—	استيلاء الروم على الجزائر
١٢٨	أباطرة الدولة البيزنطية	١٢٠	الحياة الاجتماعية
١٢٩	مشاهير الجزائريين - بيداس	١٢١	الحالة الدينية
١٣٠	جدول تاريخي	١٢٢	ثورات البربر التحريرية

القسم الثانى : الجزائر العربية المسلمة ١٣١

١٥٤	تملك كسيلة	صفحة
١٥٥	امراء افريقية وحكامها	١٣٢
١٥٦	الحلفاء	١٣٣
١٥٧	جدول تاريخى	١٣٣
١٥٨	مواصلة الفتح	١٣٤
—	حملة زهير بن قيس البلوى	—
١٥٩	حملة حسان بن النعمان	١٣٥
١٦١	يوم البلاء	١٣٦
١٦٢	حسان ببرقة	١٣٨
١٦٢	الكاهنة تحطم البلاد	—
١٦٣	اتمام الفتح	١٤٢
١٦٤	تبكير البربر بالاسلام والعروبة	—
١٦٦	النظام والادارة	—
١٦٨	رفاعة افريقية	١٤٤
١٦٩	ولاة الجزائر وزعماؤها	—
١٧٠	ملوك الوطن الجزائرى، سترديد كسيلة	١٤٧
١٧١	امراء افريقية — الامويون	—
١٧٢	الحلفاء الامويون	١٤٨
١٧٣	مشاهير الجزائريين، الكاهنة	١٥٠
١٧٥	جدول تاريخى	١٥١
		١٥٢

الخوارج بافريقية

١٨٦	الحلفاء الامويون	١٧٧
١٨٧	امراء افريقية وحكامها العباسيون	١٧٨
١٨٨	الحلفاء العباسيون	١٨٠
١٨٩	مشاهير الجزائريين — سمكو بن واسول، ابو الوليد، مروان المسيلي	١٨٢
١٩١	جدول تاريخى	—
		١٨٤
		١٨٥

الدولة الرستمية ١٩٢ - ٢١٢

٢٠٠	الامام ابو حاتم	صفحة
١٩٢	نشأتها	١٩٢
٢٠١	عودة ابي حاتم	١٩٣
١٩٤	حدود المملكة الرستمية	١٩٤
٢٠٢	المسائل الخلافية بين الاباضية وغيرهم من المسلمين (تعليق)	١٩٥
٢٠٣	الثقافة والحضارة والعمران	١٩٦
٢٠٥	انهيار الدولة الرستمية	١٩٧
٢٠٨	ولاية الجزائر وزعمائها	١٩٨
٢٠٩	ائمة الدولة الرستمية	١٩٩
٢١٠	مشاهير الجزائريين، بكر بن حماد الصنهاجي	٢١٢
٢١٢	جدول تاريخي	

الدولة الادريسية ٢١٣ - ٢٢٥

٢١٩	المذاهب والعقائد	٢١٣
٢٢٠	انهيار الجزائر الادريسية	٢١٤
٢٢٢	ولاية الجزائر وزعمائها	٢١٥
٢٢٣	ائمة الدولة الادريسية	٢١٦
٢٢٤	مشاهير الجزائريين - الفضل بن سلمة البجائي - ابو بكر يحيى الوهراني	٢١٧
٢٢٥	جدول تاريخي	٢١٨

الدولة الاغلبية ٢٢٦ - ٢٤٤

صفحة	المذاهب والعقائد
٢٢٦	نشأتها
٢٢٧	نظامها الحكومى
٢٢٩	حدود الجزائر الاغلبية
٣٣١	اهم الحوادث الجزائرية
٢٣٢	ظهور ابي عبد الله الشيعى
٢٣٣	معاربة الشيعى
—	زحف الشيعى على عمالة قسنطينة
٢٣٤	منازلة كتامة
٢٤٣	محمد بن الحسين الطنبى
٢٤٤	جدول تاريخى

الدولة العبيدية - الفاطمية ٢٤٥ - ٢٧٥

٢٤٥	نشأتها
٢٤٧	نظامها الحكومى
٢٤٨	حدود الجزائر العبيدية
٢٤٩	فتح عمالة الجزائر الشرقية
٢٥٠	فتح عمالة الجزائر الغربية
٢٥٢	مؤامرة تنس
٢٥٢	مناهضة الشيعة بالجزائر
٢٥٣	مقتل عامل أوراس
—	مقتل عامل تيهرت
٢٥٤	انشاء مدينة المسيلة
٢٥٥	انشاء مدينة آشير
—	ثورة ابي يزيد الحارجى
٢٥٧	اصطدام الدعوة الشيعية بالاموية
٢٥٩	حروب صنهاجة وزناتة
٢٦٠	انشاء مدينة فكان
—	مهاجمة الاندلسيين للجزائر
—	حركات الاسطول
٢٦٤	المذاهب والعقائد
٢٦٥	الثقافة والحضارة والعمران
٢٦٨	فتح مصر وانتقال الخلافة
—	الفاطمية اليها
٢٦٩	ولاة الجزائر وزعمائها
٢٧١	الحلفاء العبيديون بالمغرب
٢٧٢	مشاهير الجزائريين - جعفر بن على
٢٧٤	جعفر بن فلاح الكتامى
٢٧٥	جدول تاريخى

الدولة الزيرية - الصنهاجية ٢٧٦ - ٣٠٧

٢٨٩ قهر زناتة	صفحة
— انشاء قلعة بنى حماد	٢٧٦ نشأتها
٢٩٠ بدائه الخلاف بين حماد وباديس	٢٧٨ حدود الجزائر الزيرية
٢٩١ نشوب الحرب بين حماد وباديس	— الامير بلكين بن زيري
٢٩٢ الامير المعز بن باديس	٢٧٩ مناجزة صاحب المسيلة
— استمرار الحرب بين حماد والمعز بن باديس	— زحف بلكين على المغرب الاوسط
٢٩٣ الصلح والموادة	— الجزائر
٢٩٤ المذاهب والعقائد	٢٨٠ اجلاء زناتة ووفاة بلكين
٢٩٦ الزحف الهلالي	٢٨١ الامير المنصور بن بلكين
٢٩٧ أهم المواطن العربية الهلالية بالجزائر	٢٨٢ ثورة ابي الفهم الكتامي
٢٩٨ رفاعة البلاط الصنهاجي وثناء الجزائر	— القضاء على شوكة كتامة
٣٠٠ الثقافة والحضارة والعمران	٢٨٣ ثورة ابي البهار بتيهت
٣٠٢ ولاية الجزائر وزعمائها	٢٨٤ اقامة الدعوة الاموية بالجزائر
٣٠٣ امراء الدولة الزيرية، الصنهاجية	— انشاء مدينة وجدة
٣٠٤ مشاهير الجزائريين - الحسن بن رشيق	— استئصال كتامة
٣٠٦ ابن عمرو الوهراني	٢٨٦ الامير باديس بن المنصور
— احمد الداودي	— رئاسة ولاية بجاية
٣٠٧ جدول تاريخي	— فوز الامويين بالجزائر
	٢٨٧ خيبة زناتة في حملتها على تيهت
	٢٨٨ عصيان ماكسن وزاوي
	— بعث الدعوة الاموية بالجزائر

الدولة الحمادية ٣٠٨ - ٣٤٣

٣٢٠	تمرد عامل قسنطينة	صفحة
—	دلس الاندلسية	٣٠٨ نشأتها
—	ثورة ابي يكنى	٣٠٩ نظامها الحكومى
٣٢١	سقوط آشير بيد المرابطين	٣١٠ حدود الجزائر الحمادية
—	انكسار شوكة المرابطين	— الامير القائد بن حماد
—	بتلمسان واخضاع العصاة	— حملة الجنويز على بونة
٣٢٢	الامير باديس بن المنصور	٣١٢ خيبة امير المغرب الاقصى فى
—	الامير العزيز بالله بن المنصور	حملته على الجزائر
٣٢٣	ردعادية الاعراب عن القلعة	— رفض دعوة بنى عبيد الشيعية
—	تمرد والى تونس	— الامير محسن بن القائد
—	الامير يحيى بن العزيز بالله	٣١٣ تزاحم آل حماد
٣٢٤	غزو المهديّة	— الامير بلكين بن محمد بن حماد
—	الاستيلاء على تونس	— الزحف الى المغرب الاقصى
٣٢٥	وقعة زويلة	٣١٤ اغتيال بلكين
—	اعتداء النورمان على الجزائر	— الامير الناصر بن علناس
٣٢٦	انهزام ملك المهديّة الى الجزائر	— القضاء على بنى رومان ببسكرة
٣٢٧	المذاهب والعقائد	٣١٥ وقعة سببية والزحف الهلالى
٣٢٨	الثقافة والحضارة والعمران	٣١٥ اخفاق المنتصر الزناتى فى هجومه
٣٢٣	الحركة الاقتصادية	على الجزائر
٣٣٤	انهيار الدولة الحمادية	٣١٦ انشاء مدينة بجاية
٣٣٦	ولاة الجزائر وزعمائها	٣١٧ ثورة عاملى المديّة وشلف
٣٣٩	ملوك الدولة الحمادية	— امتداد المملكة الحمادية
٣٤٠	مشاهير الجزائريين، ابو القاسم	— ماهرة عاهلى صنهاجة
—	يوسف البسكرى	٣١٨ خيبة عجيسة فى تمردھا
٣٤١	ابو محمد عبد الله الاشيرى	— المرابطون فى الجزائر
٣٤٢	ابن الرمامة	٣١٩ وفاة الناصر بن علناس
٣٤٣	جدول تاريخى	— الامير المنصور بن الناصر

الدولة المرابطية ٣٤٥ - ٣٥٨

٣٥٢	انهيار الجزائر المرابطية	صفحة
٣٥٣	ولاة الجزائر وزعمائها	٣٤٥ الرباط والمرابطة
٣٥٤	امراء المرابطين	٣٤٦ نشأة الدولة
٣٥٥	مشاهير الجزائريين - ابو عبد الملك البونى	٣٤٧ نظامها الحكومى
٣٥٦	الحسن بن على التيهرتى	٣٤٩ الحدود الجزائرية
—	يوسف الورجلانى	— الاستيلاء على الجزائر
٣٥٨	جدول تاريخى	٣٥٠ المذاهب والعقائد
		٣٥١ الثقافة والحضارة والعمران

الدولة الموحدية ٣٥٩ - ٤٠٠

٣٧٤	حملة يعقوب المنصور	٣٥٩ نشأتها
—	قيام يحيى بن غانية	٣٦١ نظامها الحكومى
٣٧٦	تأسيس مدينة مازونة	٣٦٣ الحدود الجزائرية
٣٧٧	انشقاق بنى عبد الواد	٣٦٤ الخليفة عبد المؤمن بن على
	واستبدادهم بملك تلمسان	٣٦٥ تثبيت قدمه فى الملك
٣٧٧	استبداد الحفصيين بولاية بجاية	— الاستيلاء على ولاية تلمسان
٣٧٨	حركات الاسطول	٣٦٧ الاستيلاء على ولاية بجاية
٣٧٩	معاملة اهل الكتاب	٣٦٩ وقعة سطيف، واستسلام قسنطينة
٣٨١	المذاهب والعقائد	— فتح بونة
٣٨٣	الثقافة والحضارة والعمران	٣٧٠ امارة الثعالبة بمتيجة
٣٨٧	ثراء بلاط الموحدين	— وفاة عبد المؤمن
٣٨٨	انهيار الجزائر الموحدية	٣٧١ اعقاب عبد المؤمن
٣٩٠	ولاة الجزائر وزعمائها	— بنو بن غانية
٣٩٤	الحلفاء الموحدون	٣٧٢ حملة بنى بن غانية
٣٩٥	مشاهير الجزائريين - القاضى ابو الوليد - ابو عمران	— مهاجمة بجاية
	الاشيرى	٣٧٣ التحام الحرب
٣٩٦	محمد بن ابراهيم الاصولى	— انتصار على بن غانية

صفحة

٣٩٧ ابو عبد الله محمد الوهراني — محمد بن حسون الجزائري

٣٩٨ محمد بن حماد الصنهاجي

٤٠٠ جدول تاريخي

فهرس الخرائط والصور

٣٧	خريطة القطر الجزائري	١٥٢ — ١٥٣	ضريح عقبة بن عامر
٣٨	خريطة المعادن والمناجم	٣٠٧	زخارف واطلال مدينة
٣٩	خريطة الجزائر الفلاحية		« سدراتة » الاثرية
٥٥	جدول اشكال الحروف البربرية	٢٣٠	خريطة المغرب العربي
	« تيفيناغ » والفينيقية		في القرن الثاني والثالث الهجري
٨٤	خريطة الجزائر على عهد الرومان		
٨٨ — ٨٩	اطلال هيكل مدينة « جميلة »	٣١١	خريطة المغرب العربي
١٠٤ — ١٠٥	فسيفساء تمثل الحياة		في اواسط القرن
	الفلاحية بالجزائر في		الرابع الى السادس الهجري
	في القرن الاول والثاني		
	الميلادي	٣٤٤ — ٣٤٥	الحرم الداخلي من الجامع
١٢٠ — ١٢١	منظر جوى عام لاطلال		الكبير بالجزائر العاصمة
	مدينة « تيمكادي »		

بعض التصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	١٤	مكرها	مكرة
٨	١	ابجديا	هجائيا
١٨	١	ما التاريخ	ما هو التاريخ
٤١	١٤	يأتونه	يأتيه
١٢٤	١٣	دولة الروم	الرومان
١٢٤	١٣	حظ الرومان	الروم
١٥٣	١٦	بالقنا	بالقنا
—	١٧	اغلقت	غلقت
٣٥٩	٣	١٠٦٩-١٤٥١	١٢٦٩-١١٤٥

وهناك هنات واخطاء مطبعية تدرك بالبداهة فمعذرة

تم طببع الجزء الاول
ويليه الثاني اوله : الدولة الحفصية

عنوان المؤلف

ABDERRAHMANE DJILALI
VILLA BOUSTÈNE
75, RUE FONTAINE BLEUE
ALGER

الجيلاني، عبد الرحمن بن محمد
تاريخ الجزائر العام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01060598

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



